# رجال فقدناهم

تراجم نشرت في مجلة «حضارة الإسلام» مع إضافات

جمعها ورتبها وقدم لها وعلق عليها

مجد مكي

الجزء الثاني

دار ابن حزم

# رجال فقدناهم

تراجم نشرت في مجلة «حضارة الإسلام» مع إضافات

جمعها ورتبها وقدّم لها وعلّق عليها

مجد مكي

الجزء الثاني

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

ISBN 978-614-416-250-7

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم
بيروت – لبنان – ص.ب : 14/6366
هاتف وفاكس : 701974 – 300227 (009611)
البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb
الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com



# الشيخ عبدالكريم الرفاعي (١)

(١٣٢٢ - ١٣٩٣هـ)

(١٩٠٤ - ١٩٧٣م)

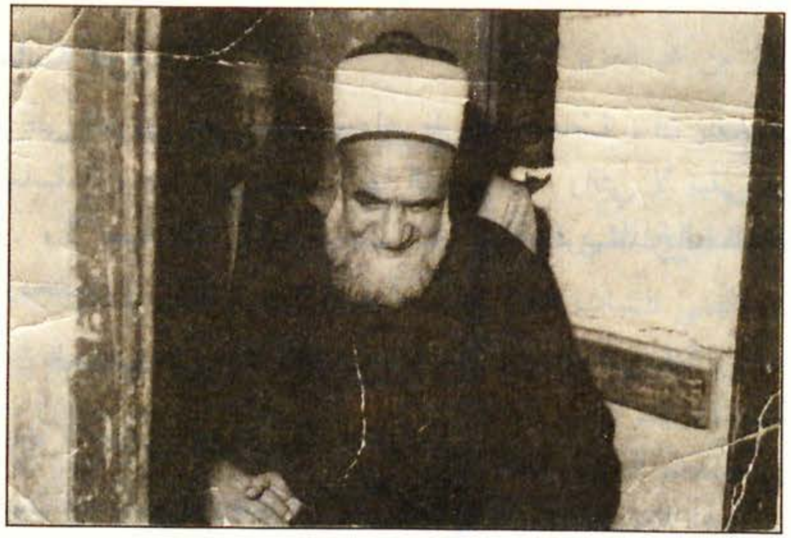

## صورة وخاطرة

للدكتور عدنان زرزور

سكن الروح الصَّادق الأمين.. وانطوت صفحة من صفحات الصبر والمُصابرة وراء حفنة طهور من ثرى دمشق.

قضىٰ العالم المعلِّم المُربِّي الشيخ عبدالكريم الرفاعي رحمه الله رحمة واسعة، وأثابه عن دينه وعباده خير الجزاء.

(١) حضارة الإسلام، العدد الثاني، السنة الرابعة عشرة: (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م).

**الدعاة والمصلحون هم الذين يصنعون التاريخ:**

وأجيال الدعاة هم جنود القادة المخلصين في الوقائع الفاصلة، والساحات التي عرفت شرف الشهادة... وكرامة النصر والانتصاف.

الإصلاح الذي تصدَّى له الإمام الغزالي هو الذي أنتج الجيل الذي حارب به القائد المظفَّر المسلم صلاح الدين..

ما كان لحجة الإسلام أن يغرق في خلوته وسيوف الصليبيين تلمع في سماء الشام...

**أثر الحماسة الروحيَّة:**

لقد آلى الغزالي على نفسه ـ على طريقته الخاصَّة ـ أن ينفخ في الأمة تلك الحماسة الروحية التي دخلت بها التاريخ... والتي لا تبقى في إطاره بدونها... ولا تعود إليه، وقد خرجت منه، إلا بوقود تلك الحماسة ولهيبها وشررها ودخانها...

بدون الحماسة الروحية لا تاريخ..

وبدون الحماسة الروحية لا حضارة..

وبدون الحماسة الروحية لا نصر على الأعداء...

إنَّ الانتصار لا يصنع في فراغ...

إن النصر لا تصنعه أمة لا ينتصر أفرادها على أنفسهم.. ولا يرتفعون إلى أعلى من حاجات الجسد!! بكل ما في هذه الحاجات من عوامل اللصوق بالأرض، والتهافت على الشهوات، والتكالب على أسباب المتع والحياة...

**تاريخنا الحقيقي الذي نفخر به:**

ما هو تاريخنا الحقيقي الذي كتب بعضه ولم يكتب كله بعد؟! بأي صفحاته نفخر؟ وعلى هامش أيها نعيش؟!..



كل ما نقوله هنا، إنَّ تاريخنا الحقيقي هو تاريخ الخلفاء الدعاة، لا الولاة الطامحين... وتاريخ الملوك المصلحين لا السلاطين المالكين... إنه تاريخ الحسن البصري لا تاريخ الحجَّاج، وسيرة الإمام أحمد قبل تاريخ المأمون.. وتاريخ أبي حنيفة لا حياة أبي نواس.. وعبقرية الغزالي لا تاريخ المستنصر أو المستظهر!!.. إنه تاريخ العز بن عبدالسلام وابن تيمية والأفغاني والحسني وابن باديس.. وسائر هؤلاء الغر الميامين.

وأستاذنا الراحل الشيخ عبدالكريم ـ رحمه الله ـ الذي اقتفى سيرة هؤلاء، وضَمَّهُ لواء بعضهم.. جزء من تاريخ هذه الأمة في عاصمة الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز.

❋ ❋ ❋

**في حلقة الشيخ علي الدقر:**

نزل الفتى الشاب على حلقة الداعية الشيخ علي الدقر... مخلص النية، صافي النفس، مطمئن السريرة، صادق العزم على طلب العلم... وطلب الهداية، لقد كانت الخطوة الأولى التي خطاها طائعاً مختاراً نحو حلقة الشيخ في مسجده الجامع المعروف، لا يبغي بذلك إلا الله والدار الآخرة... دليلاً على إرادة التغيير الكامنة في نفسه، ودليلاً على قدرته على التغيير في واقع الناس، وحياة الأمة التي أقضَّ مضجعها الاستعمار الفرنسي وثقافته الأوروبية المناقضة للإسلام، المحاربة لعقيدته وشريعته وأخلاقه.. وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١].

**رسالة الشيخ بدر الدين الحسني في الإصلاح والنهضة العلمية:**

التحق الفقيد بحلقة الشيخ علي الدقر، وقد تبلورت فيها ـ في نهاية المطاف ـ حماسة العلاّمة المحدث شيخ الديار الشامية الشيخ بدر الدين الحسني، ورسالته في الإصلاح والنهضة التعليمية.

هذه الرسالة التي عبَّرت عن رفض الأمة للتبشير والاستعمار، في تلك

المرحلة من مراحل الغزو الثقافي والعسكري لبلاد المسلمين. ولسوف يكتب عن فضل هذه الدعوة في تثبيت أركان الأمة، وفي إمدادها في ساحات القتال الحقيقية بين رجال الثورة السورية والاستعمار الفرنسي.. حتى عُدَّ الشيخ بدر الدين بحقٍّ أب الثورة السورية (الروحي) كما وصفه بعض المؤرخين.

ونكتفي هنا بالقول: إنَّ دعوة الشيخ بدر الدين والشيخ علي الدقر رحمهما الله حلقة من حلقات التربية والإصلاح في هذا الجزء من العالم الإسلامي.. في دمشق وبلاد الشام، وحلقة من حلقات الجهاد ومقاومة الاستعمار في هذا الوطن الكبير... وتحت ظل هذا الشعار ـ شعار الجهاد في سبيل الله ـ ولدت الثورات وتجدَّدت... وتحت أعين أولئك الدعاة المربِّين أُضرمت نيرانها، واشتعل أوارها... وفي الإمام عبدالحميد بن باديس، والشيخ البشير الإبراهيمي أقرب الشواهد وأوضح الأمثال.

❋ ❋ ❋

## من أعلام الدعوة والهداية والإرشاد:

التحق الأستاذ الفقيد رحمه الله بحلقة الشيخ علي الدقر، واختلف إلى الدروس والحلقات التي كانت تعقد لمختلف الفنون والعلوم الإسلامية: العربية منها والشرعية، وعاش رحمه الله لا ينكر فضل من تلقَّى عنه في هذه الحلقات، ولعلَّ ذاكرته كانت أشدّ تعلُّقاً بالثقافة والتربية العملية وما تحتاج إليه من العقيدة وأصول الدين.. لأنَّ القدر كان يُعدُّه ـ يرحمه الله ـ جندياً من جنود التغيير، وعَلَماً من أعلام الدعوة والهداية والإرشاد.

## تدريسه الفقه الشافعي والتوحيد وأصول الفقه:

ثم بدأ الرحلة حيث انتهى به المطاف: مُعلِّماً مربياً مرشداً، باع نفسه لله ولدعوة الإسلام... لم تقعد به همّة، ولا خارت له عزيمة، ولا غرَّته دنيا، ولا أغراه منصب أو رئاسة أو جاه... كان دائم الرضا والابتسام، وكان يعلم ما يفعل، ويعلم ما يريد...



عرفته منذ بضع وعشرين سنة مدرساً في معهد العلوم الشرعية للجمعية الغرّاء بدمشق، تلقّاني وزملائي في أولى سنوات المرحلة الإعدادية؛ يُعلِّمنا الفقه الشافعي.. فكان والله أباً ومربياً ومعلماً، ثم درسنا عليه في سنوات أخرى التوحيد وأصول الفقه، فكان يُعلِّم بروحه وحاله كما يعلِّم بلسانه ومقاله.. بل لعله كان يوحي بما يريد دون أن يقوله أو ينطق به...

## استحضاره العجيب لأخبار الصحابة:

كان عجيب الاستحضار لأخبار الصحابة وقصص الأبطال، وكان عجيب النفاذ منها والتأثير بها، وربما صوَّر الامتحان لبعضنا أن يعيق الأستاذ عن المُضيِّ في الدروس المقرَّرة والمنهاج الموضوع، مشيراً علينا بشيء من النصائح والوعظ، فلا يلبث الشيخ أن يردّنا إلى الدرس بعد نقلة سريعة إلى النصح المؤثِّر الباكي في كثيرٍ من الأحيان.. للّهِ ما أصدق تلك الروح، وما أبلغ صَمْتها، وأشدَّ تأثيرها.

## المسجد مَهْد الدعوة وملاذها:

وتمضي السنون، وينقطع الشيخ رحمه الله عن المعهد الذي خلا من صوت الشيخ علي الدقر، واصفرَّ من روح دعوته. انقطع رحمه الله ليكرِّس جهده ليلاً ونهاراً على الدعوة والإعداد في المسجد، مهد الدعوة الحقيقي وملاذها الأخير..

لم يُشر إلى نفسه بالبنان، ولم يدل على مكانه باللسان، بل كان في دعوته صامتاً صادقاً، ملأت ساحة الإسلام الكبرى، ودعوته الرائدة، نفسه المؤمنة، فلا سبيل عنده إلى القول حيث يتَّسع سبيل العمل، ولا إلى الخلاف حيث يسع الناس الوفاق والوئام..

## إخلاص الجندي وحماسة القائد:

لم يختلف صوته حين أصبح صوتاً عنه يوم كان صدى... أقام على تثقيف العقول، وتهذيب النفوس، وإيقاظ الضمائر.. بإخلاص الجندي،

وحماسة القائد.. وصدق المؤمن الذي اختاره الله تعالى مربياً وداعية في جميع المواقف والأحوال...

❋ ❋ ❋

**الحبُّ: أساس دعوته إلى الإسلام:**

الزمن يمضي.. والنفس الفاضلة تُوقَّر بالتقوى، وتثقل بالمعرفة، وتتَّسع لمعالي الأمور، وتجلّ عن سفسافها. وأسمعه مرة، وقد تشرّفت بلقائه بعد أعوام طوال!! يتحدَّث عن أساس دعوته الناس إلى الإسلام، فيقول: إنه الحب؟ نعم، ولا طمع وراء ذلك بدنياً أو وظيفة أو جاه...

كانت كلماته رحمه الله قليلة جامعة، وكانت نديَّةً رَقْراقة تعكس صفحة نفسه الصافية، وروحه الطيِّبة الطهور. وعلى الرغم من شعوري بكثافة بعض الأرواح من حولي فقد كانت كلمات أستاذنا الداعية الجليل تخترق جميع الحُجُب لتصل حيّة مؤثرة..

**سرُّ نجاحه: الصدق والرفق:**

وساءلت نفسي عن هذا التأثير: ما سببه؟ وعن ذلك الحب الذي تحدث عنه الشيخ رحمه الله، والنجاح الذي أصابه مربياً وداعياً إلى الله، فوجدت تفسير ذلك في كلمتين اثنتين أخذ بهما نفسه من هدي النبي ﷺ، هما: الصدق والرفق.

**معاني الصدق عند الشيخ:**

كان رحمه الله صادقاً بكلِّ معاني الصدق.. كان صادقاً في إيمانه، صادقاً في عزيمته، صادقاً في طلب الفضيلة والإصلاح.

إيثاره إلى ما عند الله صدق، وتواضعه وعدم رغبته في الظهور والامتياز صدق، والتزامه بما كان يدعو إليه ويحث عليه صدق.. ولهذا ربّى الناس بسلوكه وأفعاله قبل أن يُربِّيهم بأقواله وأوامره ـ وذلك أعلى أنواع



التربية ـ وقد علم مَنْ حوله أنه لم يكن يأمر، بل كان يشير إلى محدثه وقد أخذ بيده ووضعه معه على طريق الإسلام.. أنْ هذا هو الطريق..

أيّ معنى من معاني الصدق لم يأخذ به المربِّي العالم الفاضل الشيخ عبدالكريم رحمه الله وأرضاه؟ وأيَّ عَرَضٍ زائلٍ أو مفرقٍ وقف عنده، أو أشار إليه... فضلاً عن أن يقاتل دونه أو يملأ عليه نفسه فِعل بعض الأدعياء والمُموِّهين...

إنَّ عدم التفات الشيخ لمعاني الخلاف والشقاق.. صدق، وإدراكه لواقع الناس وحقيقة المجتمع وطبيعة الدعوة التي يجب أن تلف جميع أبناء الإسلام.. صدق..

**رِفْقُ الشيخ رحمه الله:**

أما الرفق الذي تأسّى فيه بسيرة خير العباد ﷺ، والذي أشارت إليه السيدة عائشة رضي الله عنها بقولها: «**ما خُيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما**»[1]، فقد كان من أهم ميزات الفقيد الراحل رحمه الله حتى لكأنَّ الرفق عنده هبة من هبات الخلق والتكوين...

كان رحمه الله طَلْق الوجه، ليّن الجانب، خافض الجناح، دمث الأخلاق، لم يكن فظاً ولا جافياً، ولا ينطق بسوء، ولا يَتَتَبَّع عورات الناس، ولا يَتَجَسَّس على عيوبهم، فأسر بذلك القلوب، وألّف بين الأرواح.. ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

لقد سبق شيخنا الجليل في هذا المقام، وفي هذا الخُلُق الرفيع حيث تخلّف الكثيرون...

إنَّ أرواحنا يا سيدي ليس لها شفافيَّة روحك، ولا رهافة حسِّك

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨٦)، ومسلم (٢٣٢٧).

ووجدانك، ولكن صورتك الماثلة في أذهاننا، والتي سنراها غداً إن شاء الله إن لم نقوَ على استشفافها من اليوم أنك إن شاء الله من أقرب الناس مجلساً من رسول الله ﷺ، ألم يقل رسول الله ﷺ: «**إنَّ من أحبِّكم إليَّ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقاً، المُوطَّؤون أكنافاً، الذين يَألفون ويُؤلفون**»[1]. وما عَرَفك الناس في الدنيا إلا من هؤلاء...

❋ ❋ ❋

## صور ومناسبات يرتبط بعضها ببعض:

في الحياة صُور ومناسبات يرتبط بعضها ببعض، منها ما يفكر فيه المرء، ومنها ما يسبق إلى ذهنه بدون سابق أمر مقصود...

كنت إذا مررت على اسم الإمام أحمد بن حنبل أو سمعت به تمثّل لي أستاذنا الجليل الشيخ عبدالكريم، وتمثَّلت معه عالماً عابداً آخر ـ مدّ الله في عمره ـ ليس بعيد الطول والسَّمْت عن الفقيد الراحل رحمه الله...

وفي يوم الرحيل المشهود تذكرت ذلك الربط والمناسبة البعيدة، فإذا بها قرينة عجيبة!! ألم يقل الإمام أحمد في كلمته المشهورة: «بيننا وبينكم الجنائز..»! وهذه جنازة الشيخ الجليل تذكّر بجنازة الإمام أحمد التي شهدها عشرات الألوف، بل مئات الألوف، وبكى من وراءهم لفقده ـ يرحمه الله ـ مَنْ لا يُحصيهم العدّ!

ما أشبه الليلة بالبارحة! بل ما أشبه مطلع حياتك يا سيدي بخاتمتها..

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» ٤: ٣٥٦ (٤٤٢٢) عن أبي سعيد الخدري، وقال الهيثمي في «المجمع» ١: ٥٨: رواه الطبراني في الأوسط وقال: لم يروه عن محمد بن عيينة إلا يعقوب عن عباد القلزمي. ولم أر من ذكره. وأخرجه أيضاً الطبراني في «الصغير» ١: ٣٦٢ (٦٠٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» ٦: ٢٣٢ (٧٩٨٣) وأخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الغيبة» ص١٦٨ (١١٧)، وفي «الصمت» ١: ١٥٤ (٢٥٣)، والطبراني في «الأوسط» ٧: ٣٥٠ (٧٦٩٧)، وفي «الصغير» ٢: ٨٩ (٨٣٥). وقال الهيثمي ٨: ٢١: فيه صالح بن بشير المري، وهو ضعيف.



هبطت على حلقة الشيخ علي الدقر رحمه الله، لتعيد مع إخوانك ورفاقك للبلد لونه المسلم وثقافته العربية والإسلامية في وجه الاستعمار البغيض، هذه الروح الصامتة الصادقة دعت الناس في حياتك فَلَبَّت، ورفرفت على رؤوسهم يوم وداعك فخشعت، خشعت في ذلك اليوم المشهود، وأسراب من الطيور البيضاء ترتفع بروحك المؤمن العظيم إلى فراديس الجنان. رحمة الله عليك وسلامه ورضوانه إلى يوم اللقاء.

❋ ❋ ❋

## بشائر ربيع الشام ونسائمه:

ثم يتلقَّى جسدك الطاهر، مع بشائر ربيع الشام ونسائمه وأريجه، جَدثٌ متواضع إلى جانب شيوخ صالحين، وعلماء عاملين، وإلى جانب أخيك الحبيب أبي حسان، يا للجراح تنكأ الجراح، أبو حسان، لكأني بابتسامته العَذْبة تَتَلقَّاك بها روحه، وأمارات البِشْر والتَّرحاب ترتسم على مُحَيَّاه، وروحك الرضيَّة الأنيسة تعانق روحه في صمتٍ أبدي بعيد.

يا سيدي العالم العامل الراحل، بثّه أشواقنا وأحزاننا، وآلامنا ودموعنا، وادعُوا الله لنا أن يُهيِّىء لنا من أمرنا رشداً، وأن يثبِّتنا بقوله الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة حتى نلقاه وهو راضٍ عنا...

رضيَ الله عنك يا سيِّدي وأرضاك.. وأعلى مقامك في عليين.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑

# العالم العامل الشيخ عبدالكريم الرفاعي رحمه الله (١)

للأستاذ الشيخ عبدالغني الدقر

## منهج الشيخ علي الدقر في تربية تلاميذه:

يرحمُ الله الوالد، كان في تعليمه وتسليكه مَثَلاً رائعاً، كان يبذل أعظم جهده في أن يجعل من طالب العلم الشرعي القدوة الصالحة في علمه ودينه وخلقه.

وما كان ـ يرحمه الله ـ يعتقد الخير في طالب العلم يملأ دماغه ويهمل قلبه، تهدر أشداقه بالتعالم والتعالي، وليِّ اللسان بالإغراب والمِراء والمطاولة.

كما لم يكن يركن لطالب العلم يتَّخذ من علمه وسيلةً لدنيا يُصيبها، أو وظيفة ينالها، أو جاهٍ يسعى إليه.

(١) حضارة الإسلام، العدد الثاني، السنة الرابعة عشرة: (١٣٩٣ ـ ١٩٧٣م).



## التربية الصوفية الصالحة:

وكان سعيه كله أن يتعهَّد طلابه ـ مع العلم ـ بالتربية الصوفية الصافية التي تُزكِّي النفس، وتُطهِّر القلب، وتجعل من طالب العلم داعية للدين، مخلصاً، مضحياً في سبيله بكلِّ متعه وشهواته. بل بكل ما في الدنيا، فكل ما فيها عَرَضٌ زائل.

والتربية الصوفية إذا قُصد بها تهذيب النفوس وتطهيرها من الآفات، وإشغال القلب بالعمل والطاعة والذكر، وتصحيح المعاملة على السنة ـ كما كان يفعل السلف الصالح ـ هي التربية المنتجة المفيدة التي تصنع العجائب، وإلا فهي تفلسف فارغ.

هذه سبيله ـ يرحمه الله ـ في تربية طلابه: **علم وعمل وإخلاص.**

وهكذا كان بالفعل كثير من تلاميذه الذين أضحوا في حياته علماء ينتفع بعلمهم ويُهتدى بهديهم.

**وكان منهم: العالم العامل المربِّي الشيخ عبدالكريم الرفاعي.**

كان أول أمره فتًى مريضاً عاجزاً، ليس فيه من أمارات الحياة إلا تردُّد النَّفَس، حين أتي به أول مرة إلى مجلسه بقصد التبرُّك والاستشفاء.

وكان مجلسه هذا مجلس وعظ وإرشاد، وكان إقبال الناس عليه وانتفاعهم به، وما فيه من الخير والصفاء، منقطع النظير في تلك السنين حتى ما يزال هذا الأثر العظيم يتردَّد ذكره على لسان من أدركوه. وكان هذا الأثر مُبهجاً للمؤمنين غائظاً للمنحرفين.

وأذن الله لهذا الفتى بالشفاء، وكأنَّ الله ما وهبه الصحة غير المتوقعة إلا ليَنذُرها في خدمة دينه علماً وإرشاداً.

## إقبال الفتى على العلم:

وأقبل الفتى على العلم، وانتظم في حلقاته يقرأ على المُقدَّمين من تلاميذ الشيخ.

وهكذا كانت السنن في التعلُّم والتعليم في نظام الشيخ، يُقرئ الشيخ المُقدِّمين من الطلبة، ويُقرئ المُقدَّمون مَنْ أتى بعدهم.

## المنهج العلمي في التلقِّي:

وسقى الله عهوداً كان الطلبة يجلسون فيها بين يدي شيوخهم، يقرؤون تحقيقاً وتدقيقاً في العلم الواحد كتباً من أولها إلى آخرها، يبدؤون بالأقل والأسهل، وينتهون بالأكبر والأعمق، ولا يقبلون على الدرس إلا بعد مراجعة ما قرؤوا بإمعان وتدقق الدرس المقبل، وهذا كان يحمل أساتيذهم على ألا يتركوا شاردةً ولا واردةً ممَّا يتعلق بدرسهم إلا استوعبوها واستحضروها.

وعلى هذه الطريقة بدأ المرحوم الشيخ عبدالكريم يطلب العلم، وما برح يجدُّ ويتقدَّم حتى صار من الطلبة المقدَّمين والأساتذة الذين لهم أن يحضروا الدروس الخاصَّة للشيخ، وممَّن له حلقة، بل حلقات يعلِّم فيها إخواناً مُحْدَثين ممَّن أتى بعده.

## حضوره عند الشيخ بدر الدين الحسني:

وانطلق على هذه الحال يتعلَّم ويُعلِّم، بل يتعلَّم وهو يعلِّم حتى أتقن علوماً كثيرة تتعلق بالشريعة المطهَّرة، وفي خلال هذه الفترة أذن الشيخ للطلبة المُقدَّمين أن يحضروا للمحدث الأكبر الشيخ محمد بدر الدين الحسني دروسه الخاصَّة، وكان فيهم الشيخ عبدالكريم، وما إن رآه المحدث الأكبر حتى كانت له به فراسة، ثم خصَّه بدروس كثيرة كان معظمها في الفلسفة والمنطق والتوحيد، واستمرَّ على ذلك عنده نحواً من عشر سنين.

## من أركان الدعوة والعلم والإرشاد:

وكان الشيخ عبدالكريم تغمَّده الله بالرحمة ـ في نحو عشرين سنة ـ واحداً من كبار أركان التدريس والدعوة والعلم والإرشاد في جميع أعمال



شيخهم، ومن هؤلاء مَنْ سبقه إلى رحمة الله مثل: **الفقيه الشافعي القليل النظير الشيخ أحمد المقداد البصري**[1]، **والعالم العامل الواعظ الشيخ عبدالرحمٰن الزعبي الطيبي**[2]، وبارك الله في عمر من بقي منهم.

هذا عَرْضٌ موجز لما عرفت من أطوار حياة الفقيد الأستاذ الرفاعي في ظلِّ شيخه وعُمدته العلامة والدي الشيخ محمد علي الدقر.

## دينُه واستقامتُه وحُسْن سَمْته:

أما ما عرفته من دينه واستقامته وحُسْن سمته أكبر من ذلك كله.

فقد كان عالماً متعبِّداً متواضعاً، سَمْحَ النفس، نقيَّ القلب، يألف ويُؤْلف.

ولا تجده غاضباً إلا إذا انتهكت حُرمة من حُرمات الدين أو شذَّ أحدٌ ممَّن يعرف عن طريق المتقين.

## وفاؤه لشيخه الكبير علي الدقر:

ومن كريم أخلاقه: وفاؤه الكبير لشيخه الذي كان سبب حياته الروحية والعلمية.

والوفاء أقل ما يستطيع فعله الرجل النبيل الذي يُجازي الإحسان بالإقرار به، شعوراً منه بالعجز عن وفاء الإحسان بإحسان مثله.

فما نسي الشيخ عبدالكريم شيخه يوماً واحداً كل حياته بعد وفاة شيخه، وكثيراً ما كان يردِّد بين إخوانه وطلابه ما يراه له من الفضل الأكبر

---

(١) المولود سنة ١٣٢٢، والمتوفى سنة ١٣٨٣. تنظر ترجمته في «تاريخ علماء دمشق» ٣: ٥٧٠ ـ ٥٧٣.

(٢) المولود سنة ١٣٢٠، والمتوفى سنة ١٣٨٩. تنظر ترجمته في «تاريخ علماء دمشق» ٢: ٨٢٢ ـ ٨٢٨. وتقدمت ترجمته المختصرة في هذا الكتاب ص٣٦٩.

عليه، كما يردِّد كلامه ومواعظه وعقيدته وشيئاً من سيرته.

بل كان حياته كلها يُحبُّ ما يُحب ومَنْ يُحب، ويكره ما يكره ومَنْ يكره.

بل كان وفياً لأبنائه من بعده لا ينقطع عن زيارتهم، يصحبه بعض إخوانه ما دام مُعافًى صحيحاً.

## عنايته بتربية الشباب وتعليمهم:

وأرجى أعماله وأكبرها مثوبة عند ربه ـ إن شاء الله ـ ما نهض به وحده، من جَمْع الناس ـ وخصوصاً منهم الشباب ـ وتعليمهم والعناية بدينهم، وتسليكهم طريق المؤمنين الصادقين.

وما تقرَّب إلى الله أحدٌ بشيءٍ أحبَّ إليه من نفع عباده بتعليمهم دينهم، وتخليقهم بأخلاق القرآن، وتأديبهم بآداب النبيِّ الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، لا لشيء إلا ابتغاء مرضاة الله.

## ثمرات دعوته وتعليمه:

وقد أثمر ـ والحمد لله ـ ما قام به من تعليم الناس وتثقيفهم وهدايتهم بفضل إخلاصه وطيب دخيلته وحُسن نيته. فقد رأينا من تلاميذه الخطباء الذين يتكلَّمون بروح من الإخلاص والتقوى والغيرة لا يغرُّهم عن ذلك مال ولا جاه، ورأينا منهم الكثير من حَفَظة القرآن، كما رأينا منهم طلابَ علم فيهم دين وتقوى وتواضع.

وأما بعد، فما أحرانا أن نستوحي دائماً قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]، ونردِّد معها قوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].



## ثروة ضخمة:

لقد نَذَر فقيدنا العالم المربِّي الشيخ عبدالكريم نفسه لدين الله، فأنفق معظم عمره في ذلك، تعلَّم ثم علَّم وخلَّف ثروةً ضخمة، ليست من مال ولا حكم، ولا جاه ولا ثرثرة فارغة، ولا تعمُّق فيما لا طائل تحته.

ولكنها ثروة من العمل المنتج المفيد الذي يمكث في الأرض، وسيبقى هذا العمل مفيداً منتجاً إنْ أحسنَ خلفاؤه أبناؤه وتلاميذه رعايته وتنميته بذلك الرُّوح السامي المخلص الذي يترفَّع عن مآرب الحياة الدنيا.

رحم الله العالمَ المُربِّي الشيخَ عبدالكريم رحمةً واسعة، وأجزل له الأجر، ووصل له المثوبة، فقد ترك من بعده علماً ينتفع به، وولداً صالحاً يدعو له.

❏ ❏ ❏ ❏ ❏

# الأستاذ عمر الحكيم

رحمه الله (١)

(١٣٣٥ ـ ١٣٩٣هـ)

(١٩١٦ ـ ١٩٧٣م)

للدكتور عدنان زرزور

## رثاء الرجال في وقت يعزُّ فيه الرجال:

ما أقسى أن يكتب المرء في رثاءِ الرجال في وقتٍ يَعُزُّ فيه الرجال!.

بالأمس فُجِعَت حلقاتُ التربية والإصلاح والإعداد الروحي بوفاة الأستاذ العالم المُربِّي الداعية الشيخ عبدالكريم الرفاعي رحمه الله، واليوم تفجع الجامعة ودور العلم بوفاة العالم الجغرافيِّ الموسوعي الكبير الأستاذ عمر الحكيم رحمه الله.

لقد ذهب الأستاذ الحكيم ـ ابن السابعة والخمسين ـ في السابع عشر من ربيع الثاني، وذهب معه ولده الأكبر خالد، ضحيَّة حادث مفجع على الطريق بين مكة وجُدَّة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

رحم الله الفقيدين الشهيدين، وألهم الأم والزوجة والولد وسائر الأهل

(١) حضارة الإسلام، العدد الثالث، السنة الرابعة عشرة: (١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م).



جميل التأسِّي والصبر والعزاء والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ما أقسى أن يكتب المرء في رثاء الرجال، وقد كُتب لجيله أن يشهد هؤلاء الرجال، وأن يستمع إليهم، ويأخذ عنهم. وموتُهم ـ وبخاصَّة وهم في أَوْج عطائهم وقمة تجاربهم ـ يحمّله في كلٍّ يوم أمانة، ويلقي على كاهله تبعة ومسؤولية.

## المسؤوليات الجسام التي نهض بها جيل الأستاذ عمر الحكيم:

المسؤوليات التي نهض بها جيل أستاذنا العلامة الفاضل عمر الحكيم مسؤوليات جسام..

وقد كان أستاذنا رحمه الله مثال هذا الجيل الذي عاش ظروف الصراع بين الحضارة الأوروبية المسيحية والحضارة العربية الإسلامية، وخرج من هذا الصراع أشد تمسُّكاً بحضارة الإسلام ونبي الإسلام، وأشد إدراكاً لطبيعة الحضارة الغربية ـ بشقيها ـ و«أوروبيتها» التي تنبع من بيئتها وظروفها المحلية الخاصة البعيدة عن الشعوب العربية والعالم الإسلامي، حتى كانت مادية انشطارية من وجه، غير إنسانية من وجه آخر، كما خرج الأستاذ الحكيم ـ رحمه الله ـ من هذا الصراع أشد وعياً للدسائس والمؤامرات التي كانت تدبِّرها شعوب هذه الحضارة الاستعمارية لشعوب العالم الإسلامي بوجه خاص، ولسائر الشعوب في العالم بوجه عام.

## الجيل الطليعي الاستقلالي:

كان الأستاذ الحكيم رحمه الله مثال الجيل الطليعي الاستقلالي المثقف، فلم يكن عبداً من عبيد حضارة الغرب، ولا بوقاً من أبواقها، ولا مقلِّداً من مفاليك مؤيِّديها ومقلديها، وبخاصة ممن تلقوا علومهم ومعارفهم في المعاهد الأوروبية والجامعات الأجنبية!

## التحاقه بالكلية الحربية الفرنسية ثم المعهد الجغرافي:

كان قد ناهز العشرين من عمره عندما التحق بالكلية الحربية الفرنسية

في باريس في بعثة خاصة، وكان أول عهده بالدنيا إبان الحرب العالمية الأولى، ولكن ظروف هزيمة فرنسا في الحرب العالمية الثانية قد عطّل الدراسة في الكلية الحربية المذكورة، فالتحق بالمعهد الجغرافي التابع لجامعة الصوربون في باريس.

## ملاحقته من الاستعمار الفرنسي:

ثم كان لاشتغاله هناك بالحركة الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي أثره في ملاحقته وخروجه إلى ألمانيا، ثم إلى الجزائر، قبل أن يتمكّن من العودة إلى سورية ليتولّى تدريس الجغرافية الطبيعية في المدارس الثانوية، ثم في كلية الآداب بالجامعة السورية.

وقد أفاد في كل ذلك ـ ومن تمكُّنه الدقيق ببعض اللغات الأجنبية، وإدامته النظر في الكتب والمراجع والنشرات والدوريات ـ سَعَة اطلاع، ودقّة ملاحظة، ساعده على ذلك أيضاً ما عُرف به من قوة الذهن، وقدرة فائقة على اختزان المعلومات والأرقام والوقائع، واستحضارها والإفادة منها في الوقت المناسب.

## إيقاظ الشعور بالامتياز والتفوُّق على الحضارة الغربية:

كانت ثقافته موسوعيَّة بكل معنى الكلمة، وكانت إفادته من هذه الثقافة، ومن حصيلة تجاربه الواسعة، عميقة ودقيقة أيضاً. ويكفيه أن يفيد من التاريخ ـ كمؤرِّخ وعالم ـ القدرة على التوقع، وعلى قراءة أحداث الغد، ثم تصحُّ نظرته في كثير من الأحداث والوقائع.

وقبل أن أورد له ـ يرحمه الله ـ بعض القضايا التي سيذكرها له التاريخ، أحب أن أذكر صورته في نفوسنا، نحن معشر طلابه في كلية الشريعة في خريف عام ١٩٥٦م، والغرسات الفاسدة التي اقتلعها يومذاك من خيالنا وشعورنا.

لقد كانت الساعات الأولى من مادة «حاضر العالم الإسلامي» معرضاً



خِصْباً لتاريخ الحضارة الأوروبية، وحياة الغرب في القرون الوسطى، وميداناً واسعاً لأنانية واقعها اليوم، وكذب قادتها، وفساد سياسييها وزعمائها، وقيام أمرها على روح الاستعلاء على الشعوب، والحروب الاستعمارية التي تكذِّب كل دعوى «لسانية» بالأمن والسلام.

لقد كنا في ذلك اليوم بأمسّ الحاجة إلى الشعور بالامتياز والتفوُّق في تاريخنا وحضارتنا ولغتنا وديننا على الغرب والشرق، بعد تلك الرحلة في مناهج التعليم الثانوي الشرعي والعام على حدٍّ سواء، والتي كدنا أن نسقط معها ـ كلٌّ من وجه ـ في الشعور بالتبعيَّة لحضارة القوم وتاريخهم ومفهومهم عن الحياة.

ويعلم الله أن أستاذنا عمر الحكيم هو الذي تولى إيقاظ هذا الشعور بمعلوماته الواسعة، وحساسيته الصادقة، وطريقته الخاصة في عرض المعاني وتصويرها والتعقيب عليها.

## تناوله القضايا بشجاعة ورجولة وتفصيل:

وأذكر هنا: أنه وأستاذنا الجليل الشيخ محمد أبو زهرة ـ مدّ الله في عمره[1] ـ الذي لقيناه في مصر، فيهما شيء من طبيعة الأسد في الهجوم على القضايا وتناولها بشجاعة ورجولة وعُمق وتفصيل وتفصيص!.. وقد كان لهذه الطبيعة فيما يبدو أثر بارز في تفرُّده بكثير من الآراء، وسبقه إليها، حتى لكأنها الروض الأنف، والأرض العذراء.

## تأكيده على التصوف الإسلامي النقي:

وقد كان من تتمَّة هذا العمل والشعور حرصه الواضح في أغلب محاضراته ـ رحمه الله ـ على محاربة التصوف الأعجمي البعيد عن روح الشريعة، وعن روح الإسلام الحق، وتأكيده على أنَّ التصوف الإسلامي هو «تصوف» الحسن البصري وأمثاله من العلماء الصالحين العاملين، فكان يلاحق في نفوس بعض

(١) توفي سنة ١٣٩٤، وستأتي كلمة تلميذه الدكتور عدنان زرزور عنه ص٦٥٤.

الطلاب روح التماوت، ويُحارب فيهم الخروج على الناس بمظاهر لا تلائم شرف الدعوة، وروح الداعية والعصر، ويحاول بناء شخصياتهم بالفكر والقوة ومزيد من القراءة والاطلاع، وليس عجيباً ـ بعد ـ على سميِّ ابن الخطاب أن يكون فيه مشابه منه في كراهية التماوت والسكون والخنوع، «رحم الله عمر كان إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع».

## اهتمامه بالقضايا العربية والإسلامية:

أما التاريخ ودور العلم ومعاهد التدريس، فستذكر للأستاذ الحكيم رحمه الله أموراً أساسية كثيرة يتصل معظمها بالتاريخ القريب للقضايا العربية والإسلامية، وبحاضر هذه القضايا ومستقبلها البعيد. وأكتفي هنا من هذه الأمور بالنقاط الثلاث الآتية، قبل أن أورد فقرة من محاضرة ألقاها الأستاذ الفقيد في مطلع عام **١٩٧٢**م، عن مستقبل البلاد الإسلامية:

## فهمه العميق لقضيَّة الدولة العثمانية:

١ ـ سوف يُحفظ لأستاذنا الراحل رحمه الله فهمه العميق والحقيقي لقضية الدولة العثمانية، وتألُّب الدول الأوروبية عليها مجتمعات، والدور الذي قام به يهود الدونمة في تقويض أركان الخلافة، وتوليد المبادئ والشعارات المفرِّقة، كسياسة التتريك، وما تبع ذلك من ردود فعل وعواقب سيئة على ما كانت تعاني منه الدولة العثمانية في مطلع هذا القرن من أسباب التخلف والجمود، ثم ملاحقته لهذا الدور في أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي، كل ذلك بالأرقام والوقائع والأماكن والأعلام، مع رسم صورة أخرى لما كان سيؤول إليه أمر العرب والمسلمين لو أن مشكلة «الرجل المريض» ـ كما سمّاها الأوروبيون، وكما نترجم عنهم ونأخذ بتعابيرهم ووجهة نظرهم ـ لم يخطط لها اليهود الماكرون تحت عناوين زاهية وشعارات برّاقة.

## تحليله الدقيق للقضية الفلسطينية:

٢ ـ رأيه في القضية الفلسطينية، وتحليله لبواعثها وأهدافها في النفس



الأوروبية الحاقدة، كما يدل على ذلك موقف دولة الانتداب بريطانيا ـ بعد أن تمزَّقت أوصال الدولة العثمانية ـ والدول التي سارعت إلى الاعتراف بإسرائيل في الشرق والغرب!

## السبيل الوحيد لإزالة الدولة اليهودية:

وكان يكرِّر في محاضراته ـ وأماليه ـ قبل ثمانية عشر عاماً أو تزيد أنَّ الحرب الشاملة هي السبيل الوحيد لإزالة الدولة اليهودية واسترجاع فلسطين، وأنَّ هذه الحرب يجب أن يعتمد فيها العرب والمسلمون على أنفسهم أولاً وآخراً، وكان شديد الحذر والتخوُّف من المصائب التي يمكن أن يلحقها اليهود بالعرب والمسلمين في ديارهم والتي ستحول دون هذه الحرب وذلك الاعتماد.

وعنده أن تحكُّم اليهود بالكتل العالمية المتصارعة ليس من قبيل الاستنتاج أو الخيال، «بل هو حقيقة واقعة تشهد عليها الأسماء اليهودية التي تهيمن على المنظمات والمؤسَّسات الحكومية الأمريكية»، كما يشهد على هذا القول واقع كثير من الدول الأخرى، وتصريحات مشهورة لمندوبيها في أروقة الأمم المتحدة، وبخاصة في المناسبات الهامة، وهذه التصريحات والأقوال محفوظة مدوّنة، وتُذاع عادةً بجميع اللغات الحية عدا اللغة العربية كي لا يفيق العالم العربي من سُباته العميق!

## تركيزه الذكي المبكر على إفريقية السوداء:

٣ ـ تركيزه الذكي والمبكّر على إفريقية السوداء، وعلى مستقبل الإسلام والثقافة العربية في القارة الإفريقية. ففي حين أرانا مصرع الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وانتصار الثورة الجزائرية قبل استقلال الجزائر بسنوات، وأرانا مع ذلك نهاية الاستعمار القريب في القارة الإفريقية بعد سقوط أهم وأقوى معقل استعماري في القارة ـ ومن هنا كان التشبُّث الاستعماري بالجزائر ووقوف حلف الأطلسي كله إلى جانب فرنسا ـ فإنه كان يرى أن مستقبل القارة الإفريقية للإسلام، وأنَّ الإسلام فيها أقوى من أيِّ مبدأ أو نظام آخر.

وقد كان متتبعاً لأعمال التبشير في هذه القارة، وللجهود التي يبذلها

المبشِّرون بين يدي الاستعمار أو تثبيتاً لأركانه؛ وللمبادئ والشعارات التي يطلقونها في سبيل هدفهم البعيد؛ وكانت عند الأستاذ الحكيم القدرة على تجاوز السطوح إلى الأعماق، وتجاوز الصُّور إلى الحقائق، منذ أول عهده بالدراسة في ديار الغرب إلى آخر يوم في حياته يرحمه الله.

وقضية الثقافة الإسلامية في هذه القارة ـ كما كان يراها ـ قضية دينية حضارية من وجه، وقضية عربية قومية من وجه آخر؛ لأن الإسلام هو الوجه الذي يمكن للعرب أن يطلّوا من خلاله على هذه القارة، ويكسبوها إلى الصف العربي، وإلى معسكر الثقافة العربية الإسلامية في عالم تتوزعه معسكرات ثقافية معدودة.

إنَّ العرب في منطقة الثقافة العربية الإسلامية من العالم ـ وهي البقعة التي تضمُّ خارطة العالم الإسلامي ـ هم القادة والسَّادة، وإطلالتهم على إفريقية أو سواها، لا يمكن أن تكون تحت ألوية غريبة المنشأ والهدف، لا لأنها إطلالة التابع لا المتبوع فحسب، وهي لهذا غير قادرة على الوقوف، فضلاً عن «التعريب» والصمود، بل لأن الإسلام كذلك هو دين هذه القارة في الغد القريب، كما تُثبت الدراسات والإحصائيات.

* * *

### مستقبل البلاد الإسلامية:

أما حديث الأستاذ الفقيه رحمه الله عن مستقبل البلاد الإسلامية، الذي ضمَّنه محاضرة هامة ألقاها في كانون الثاني عام ١٩٧٢م، فقد قال فيه: إن ذلك قد يبدو للوهلة الأولى ضرباً من الرجم بالغيب، ولكننا إذا حصرنا الجواب ضمن حدود العناصر المعلومة جيداً عن العالم الإسلامي، وعن أوضاع العالم بوجه عام، وتطوره الحالي، فيمكننا الاطمئنان إلى الجواب الذي يرتكز في جميع الأحوال على القضايا التالية:

ثم أورد خلاصة رأيه ـ رحمه الله ـ في الناحية العقائدية، والناحية الجغرافية، وبعض النواحي الأخرى. ونكتفي هنا ببيان رأيه الدقيق الشامل في الناحية الجغرافية.



### الناحية الجغرافية للعالم الإسلامي:

قال رحمه الله: «وأما من الناحية الجغرافية فالعالم الحالي يتزايد سكانه بسرعة، ويجمع الخبراء في علم السكان حسب القوانين المقبولة لتزايد السكان من أكثر العلماء أن عدد سكان الأرض سيقرب في العام ٢٠٠٠م، من ضعفي عددهم الحالي! وفي هذه الأحوال فإن الأقوات على سطح الأرض لن تكفي البشرية الكثيرة، هذا مع العلم أن العالم الإسلامي حالياً ـ رغم انعدام تشجيع الحكومات في البلاد الإسلامية لزيادة النسل ـ هذا العالم الإسلامي هو صاحب أكبر تزايد في السكان. ولئن كان المسلمون يؤلفون حالياً سدس سكان الأرض، فإنهم سيؤلفون عام ٢٠٠٠م، حسب تزايد المسلمين الحالي خمس سكان الأرض، وفي هذا وحده زيادة في أهمية العالم الإسلامي في نظر غير المسلمين.

ولقد توصَّلت أمريكا الشمالية والجنوبية وأوروبا إلى زراعة جميع مناطقها القابلة للزراعة، وإنتاج أكثر ما يمكن إنتاجه من الأقوات النباتية والحيوانية بفضل العلم والتقنيات الحديثة، مع ذلك فالعالم الحالي تجتاحه المجاعات، ويموت حالياً حسب إحصاءات هيئة الأمم يموت سنوياً أكثر من عشر ملايين إنسان جوعاً، فكيف بحال العالم بعد ثلاثين عاماً حين يزيد عدد البشرية ثلاثة مليارات نسمة؟!

وقبل الاسترسال في الجواب يجب إخراج أوروبة والصين والهند واليابان من إمكانية تغذية البشر بفائض من الأقوات، لأن أقوات هذه الدول لا تكفي حالياً شعوبها! كما يجب إخراج أستراليا وسيبيريا من إمكانية إفادة البشرية بالأقوات، لأن أستراليا قارة شديدة الجفاف صحراوية في أكثر بقاعها، ولأن سيبيريا شديدة البرد وتربتها تتجلد أكثر أيام السنة.

### تقديم الأقوات النباتية للبشرية:

وعلى هذا لن يفيد البشرية في تقديم الأقوات إلا البلاد الحارة ذات الأمطار الوفيرة، أو ذات المياه الجوفية الكثيرة، وذات المساحات الواسعة والسكان القليلين. وهذه البلاد هي البلاد الإسلامية: فالقسم الغربي من آسيا لا

يزال غير مُستثمر للزراعة، بل يكاد يكون مهملاً من الناحية الزراعية بسبب انصراف السكان إلى موارد أخرى كالتجارة والصناعة؛ فسهل العراق الرسوبي، وسهول إيران وأفغانستان والباكستان الغربية، وسهول الفرات والجزيرة والبادية في سورية كلها مهملة، وهي صالحة لإعطاء ثلاثة محاصيل سنوياً.

وهذه المناطق وحدها قادرة على تقديم أقوات نباتية تكفي ألف مليون نسمة.

## أهمية الزراعة في الجزيرة العربية:

وأما الجزيرة العربية فالزراعة فيها حالياً شبه منعدمة لانصراف السكان إلى ما هو أجدى في نظرهم، ولكن إمكانية هذه الجزيرة الزراعية عظيمة جداً، لا سيما حين نقرأ أرقاماً عن كميات الماء العذب التي تحفل بها الجزيرة هذه؛ فعيون الماء في منطقة الإحساء تقذف سنوياً إلى البحر أكثر من (٤٠٠) مليون متر مكعب من الماء! كما دلت الدراسات التي جرت في الصحارى العربية أنَّ تحت هذه الصحارى وعلى عمق غير كبير ـ ١٠٠م ـ توجد جيوب مائية واسعة هي أشبه ببحار لا تنضب عملياً، ولو استخرج منها لكفى لإرواء هذه الصحارى مئات السنين. كما أن سهل عسير وتهامة غير مستعملين حالياً للزراعة رغم جودة جميع الشروط الزراعية وتوافرها في هذين السهلين. وسوف يضطر سكان الجزيرة إلى زراعة هذه المناطق كلها زراعة حثيثة وثلاث مرات سنوياً بدافع ارتفاع أسعار الأقوات حينما يتضاعف عدد البشريَّة، وتصبح الأقوات غاية البشرية الأولى بعد أن تكون أكثر بلدان العالم قد تصنَّعت وزاد إنتاجها الصناعي عن حاجة سكانها، وحاجة بقية العالم إلى هذا الإنتاج الصناعي.

## مستقبل الصحراء في إفريقية:

أما في إفريقية فالمستقبل العظيم هو للصحراء، وللسودان الغربي والشرقي، وللدول الإسلامية الواقعة على خليج غينيا؛ فالصحراء الكبرى ليست كما ذكرنا ذات ذخر تعديني عظيم فحسب، بل هي تسبح ـ حسب قول الجيولوجيين ـ على بحر من الماء العذب غير قابل عملياً للنضوب،



وعلى عمق يتراوح بين (١٠٠٠ و ١٢٠٠م)، هذا إذا لم يرد سكان الصحراء الغربية الإفادة من فيضانات نهر النيجر التي تذهب حالياً هدراً في منطقة عطفة النيجر أو إلى البحر.

أما البلاد الإسلامية الواقعة على خليج غينيا والسودان الشرقي وتشاد، فلم يزرع حتى الآن سوى عشر أراضيها رغم جودة كل الشروط الزراعية، وكثرة الأمطار المدارية فيها، وستغدو هذه البلاد المنتج الأول للحوم والزيوت النباتية التي تحل تدريجياً محل الدهون الحيوانية.

## تصدُّر العالم الإسلامي المكانة الأولى في الاقتصاد العالمي:

وهكذا يتضح لنا أن تغذية البشرية ستعتمد في المقام الأول على العالم الإسلامي، وبذلك فالعالم الإسلامي سيحتل المكانة الأولى في الاقتصاد العالمي، لا سيما وأن المحاصيل الزراعية سترتفع أسعارها لزيادة الطلب عليها، بينما تقل أسعار المنتوجات الصناعية لكثرتها (بعدأن تكون أكثر بلدان العالم قد تصنَّعت)، وكثرة عرضها في الأسواق.

## الثروات التّعدينيّة والبتروليّة والزراعيّة في القارة الإفريقية:

ويلاحظ حالياً أنَّ الثروات التعدينيَّة في أوروبا تكاد تَنْضب، وكذلك فالقسم الأكبر من الثروات التعدينية والبترولية في القارة الأمريكية هي في طريق النضوب، بينما لا تزال البلاد الإسلامية، وخاصة قارة إفريقية، وهي قارة تكاد تكون قارة إسلامية بحتة في قسمها الأكبر الممتد شمال خط الاستواء، والتي تضمُّ (١٩٠) مليون مسلم من أصل (٢٦٠) مليون نسمة.

إن هذه القارة هي قارة المستقبل، وتتكشَّف فيها حالياً ثروات هائلة تعدينية وبترولية وزراعية؛ وهذا ما دعا إلى تكالب الكتل الكبيرة على هذه القارة.

وكذلك **فالجزيرة العربية** ستكون ذات مكانة أولى في تزويد صناعات العالم بالخامات الثمينة، كالنحاس والنيكل والكروم والمنغنيز وغيرها من الخامات، عدا عن الحديد والبترول.

## أثر العنصر البشري في البلاد الإسلامية:

وأخيراً، فإنَّ البلاد الإسلامية هي التي ستكون البلاد ذات الكثافات السكانية الشابة الفتية القادرة على تنفيذ المشاريع الكبرى في العالم، وإعمار سطح الأرض، وإثارته واستغلاله والسيطرة عليه؛ ذلك لأن العنصر البشري يظل ذا قيمة كبيرة مهما تَحَسَّنت الآلات وارتقت، فالعمل الذي يقوم به البشر تعجز غالباً أية آلة عن القيام به، ولأنَّ شعوب أوروبا ـ بما في ذلك الشعب الروسي والأوكراني ـ تظهر الإحصاءات الصادرة عن هيئة الأمم أن نسبة الشيوخ فيها تزداد، ونسبة الشباب فيها تقل، وأن تزايد هذه الشعوب في نقص مستمر، وأنها تُصاب بعقم لا تزال أسبابه خفية! بينما الشعوب الإسلامية في تَزَايد مُتزايد، وأنَّ نسبة الشباب فيها آخذة بالزيادة، وإذا استمرت هذه الحال قرناً واحداً فإنَّ المسلمين يُؤلِّفون ثُلث البشريَّة حسب النتائج التي يُعطيها قانون هذه الزيادة، بينما الشعب الأمريكي والشعب الأوروبي قد توقفا منذ الآن عن التزايد المستمر.

ومن المتوقع أن تكون الزيادة الكبرى في عدد المسلمين مفتاحاً إلى الكثير من مشاكلهم الحالية، ولإيقاف التآمر عليهم من قبل الأعداء الثلاثة».

## نظرته إلى المستقبل:

هذا ما كتبه أستاذنا الفقيد قبل بضعة عشر شهراً، ولم يدع فيه روح النظر إلى المستقبل من وراء الحدود والسدود. وتمتاز آراؤه على الدوام، مع ذلك، بالوضوح والقوة، والصراحة والشجاعة، بل إنه رحمه الله لم يعرف طريقاً إلى المواربة أو المُداهَنة حتى في تلك الآراء والأفكار التي كان يقدر غربتها عن أفهام من حوله وطريقتهم في التفكير، حتى ليخيل لجليسه في بعض الأحيان أنه أمام رجل فرد بقراءته، واهتماماته، وسعة اطلاعه، وقوة دماغه، وآرائه الجريئة الحرة.



## صفحة ابتدأت بالغربة وانتهت بالشهادة:

عاش في أوروبا غريباً يوم أخذ من (علوم) القوم، ولم يخضع (لثقافتهم) كما فعل كثير ممَّن حوله من أبناء العروبة والإسلام، وخرج إلى الجزائر طريداً، وشارك في أعمال التحرير والمقاومة مجاهداً، وعاد إلى الجامعة ومعاهد التعليم مدرساً لا ينقطع عن القراءة حتى لكأنه راهب كتب منقطع، ودائرة معارف خاصَّة. ثم ضمَّه في آخر الرحلة قبر منقطع عن الأهل والوطن الصغير في مكة البلد الحرام، فأيُّ ختام أليق من ختام الشهادة، يطوي هذه الصفحة التي ابتدأت بالغربة لتنتهي بالشهادة.

إنَّ الرجال الذين يسبقون العصور غرباء، والغُرباء يعيشون عادة حياة الشهداء، والشهادة هي أليق ختام لحياة الرجال الشجعان.

رحم الله فقيدنا العلاّمة الكبير، وأسكنه ونجله الشهيد الشاب فسيح جناته.

* * *

## مؤمن قوي الإيمان:

ما عرف الناس (الأستاذ حكيم) إلا مؤمناً قوي الإيمان، مسلماً صادق الإسلام، في صلاته خشوع، وفي دعائه استغراق، وفي قلبه حبٌّ لصاحب الدعوة عليه الصلاة والسلام.

## ذكريات رحلة جامعية:

ماذا أذكر من ذكريات أحاديثه وماذا أدع، رحمه الله وأعلى مقامه.

إن صوته الجهوري الأجش ما يزال يرنُّ في أذني، وحركات وجهه ويديه المُعبرتَيْن ترتسم أمام ناظري، وهو يحدثنا حديثاً مُسْهباً نافعاً في رحلة جامعية في عام ١٩٥٦م.

ما أعجب أن أذكر من حديثه في ذلك اليوم كلامه عن مكة والمدينة، وعن طبائع أهل كلٍّ من المدينتين كما تبسطها كتب الأدب والتاريخ، ماذا كان يعدّ له القدر في طريق مكة بعد سنوات طوال، يرحمه الله.

بعض هذه الأقاصيص والأخبار، وقد وقفت عليها فيما بعد، سأعود إلى قراءتها في كتب الأدب، وفي القلب حرقة، وفي النفس أسى ولوعة.

## في الطريق إلى المدينة المنورة:

وفي تلك الرحلة نفسها ـ يشهد الله ـ حدثنا عن زيارته للمدينة المنورة مع طلاب كلية الشريعة في أول رحلة تقوم بها الكلية إلى الأراضي المقدسة، وكيف أن القبة الخضراء وفناء المسجد ـ في الطريق إلى مثوى النبي الكريم صلوات الله عليه وسلامه ـ تُحرِّكان في النفس كوامن الحب وتاريخ الذكريات، وأنَّ لهما عند مَنْ حُرِم المعرفة الحقَّة بذلك المقام الكريم معنى آسراً يفرض الهيبة والاحترام والإجلال.

صوّر لنا (الأستاذ حكيم) في الحالة الأولى جاره على مقعد الطائرة الأستاذ السباعي ـ رحمهما الله ـ وكيف سقط من مكانه، وأصيب بما يشبه الغيبوبة، والطائرة تُحلِّق بهم في سماء المدينة المنورة، وأن الذي طمأنهم عليه ـ وسكب عبراتهم ـ بقايا كلمات مضطربة على شفتيه علموا منها أنه لمح القبة الخضراء، يسطع نورها في ضوء الشمس.

كما صوّر لنا في الحالة الثانية حوادث رآها في فناء المسجد من أناس دلفوا إليه، وكأنهم يستعرضون الجند، فما خطوا خطوات حتى أكبّوا على الأرض يلتمسون منها أو من جيوبهم ما يمسحون به عن الأرض الغبار!!

كان الصوت الأجش المُحبَّب يزداد تهدُّجاً وتأثراً وندى بعيداً.

وكانت الروح المُحبَّة لرسول الله ﷺ تسكن إلى حديثه، وتعكس رسالته على صفحة النفس النقية، صادقة صافية.

ثم يأذن الله تعالى لهذه الروح أن تنطلق من عقالها في مكة البلد الحرام، لتُحشر يوم القيامة ـ إن شاء الله ـ مع النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، وحَسُن أولئك رفيقاً.

رَحِمَ الله أستاذنا العلاّمة الراحل، وجَزَاه عن العلم والدين والمعرفة، وعن المسلمين الذين كانت تقضُّ مضجعه مشكلاتهم، وتآمر العالم عليهم، أفضل الجزاء. وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله.



# الشهيدُ العالِم عمر الحكيم رحمه الله[1]

**(١٣٣٥ ـ ١٣٩٣هـ)**

**(١٩١٦ ـ ١٩٧٣م)**

**للأستاذ شفيق يبرودي**

## شخصيَّةٌ قويَّةٌ وجاذبيَّة عظيمة:

عرفت الفقيد الشهيد عمر الحكيم عام **١٩٥٣**م، يوم كنت طالباً في جامعة دمشق في كلية الآداب ـ قسم الجغرافية، وكان الفقيد ـ رحمه الله وأسكنه فسيح جناته ـ يتمتَّع بشخصية قوية، كما يملك جاذبية عظيمة، وكان متواضعاً بسيطاً في حياته، اجتماعياً في سلوكه، وكان حاد المزاج عصبياً، ولكنه كان هادئاً متَّزناً عندما يتكلم في العلم.

وكان رحمه الله شجاعاً لا يهاب في الحق لومة لائم، دخل السجون لإيمانه العميق بمبدأ الحرية.

## مبادئُه في الحياة:

ولم يتراجع أبداً عن مبادئه وفلسفته في الحياة، وكان يردِّد مراراً

---

(١) حضارة الإسلام، العدد الثالث، السنة الرابعة عشرة: (١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م).

وتكراراً على تلاميذه: «**إن نهضة الأمة العربية والعالم الإسلامي مرتبطة بالتمسُّك بالإسلام وبتطبيق العلم المعاصر**».

### دعوته إلى العلم التجريبي المعاصر:

لقد كان رحمه الله داعيةً إلى العلم التجريبي المعاصر لأنه يستطيع أن يقضي على جميع مظاهر التخلّف في العالم العربي والإسلامي.

### الإسلام روح المقاومة والثورة في العالم:

كما كان يؤمن أنَّ الإسلام يستطيع أن يوجد روح المقاومة والثورة في العالم العربي والإسلامي، ويرفد الشعوب الإسلامية بحركيَّة مستمرة، وبثورة دائمة، وبإشعاع فكري ساطع.

### تلازم العروبة والإسلام:

وكان يؤمن - رحمه الله - أنَّ العروبة والإسلام شيئان متلازمان لا يمكن أن ينفصلا أبداً وكان عندما يحاضر يذكر مراراً وتكراراً أن مدلول كلمة العرب مرادفة للإسلام.

### استقامته في سلوكه:

ولقد كان الفقيد مستقيماً في سلوكه لم يعرف الانتهازية، ولقد مرَّت على سوريا أحداث مختلفة لو أراد أن يستغلَّها لوصل إلى أرفع المناصب السياسيَّة.

### تلامذته الكثيرون:

ولقد ساهم في تخريج ألوف الطلاب الجامعيين في سوريا والأردن والسعودية، وهؤلاء الخريجون - وأنا واحد منهم - هم الشعلة الدائمة التي تركها الفقيد للعالم الإسلامي، وسوف تستمرُّ هذه الشعلة في أداء دورها في تجديد الشعب حتى يَرِثَ اللّهُ الأرض ومن عليها.



### دوره في النهضة الثقافية المعاصرة:

أما عن دور الفقيد في النهضة الثقافية المعاصرة، فسأقوم بعرضها الآن بصورة مختصرة.

فقد كان الفقيد الشهيد يكتب ويتكلم في دروسه ومحاضراته الجامعية باللغة العربية الفصحى، وكان ضليعاً باللغة والأدب العربي، وكان يتمتَّع بثقافة عالمية عالية جداً تشمل مختلف العلوم الطبيعية والإنسانية.

وكان على اطلاع واسع بالتاريخ الإسلامي، وفي الدراسات الجغرافية عن الشمال الإفريقي، وعن أفريقيا السوداء كما كان على اطلاع واسع بحاضر العالم الإسلامي كله، وكان على اطلاع بالتاريخ العسكري العربي، وقام بتدريسه في الكلية العسكرية السورية في حمص في منتصف القرن العشرين.

### تَعَمُّقه في علم أشكال الأرض:

وكان - رحمه الله - قطباً فريداً من أقطاب الدراسات الجغرافية الطبيعية في العالم العربي اليوم، وكان متعمقاً في «علم أشكال الأرض»، وأعتقد أنه عالم لا مثيل له في ميدان هذا العلم في كلِّ الجامعات العربية المعاصرة، وقام بتدريس مادة الجغرافية الطبيعية في جامعة دمشق **١٩٥١ - ١٩٦٩**م، كما قام بتدريسها في جامعة عمان، وفي جامعة مكة «كلية التربية» **١٩٦٩ - ١٩٧٣**م.

### ترجمته كتاب «الجغرافية الطبيعية»:

وقد ترجم عن اللغة الفرنسية كتاب «الجغرافية الطبيعية» للعلامة الفرنسي «دومارتون»، الذي كان أكبر عالم جغرافي في العالم في النصف الأول من القرن العشرين. وهذه الترجمة مطبوعة بالآلة الكاتبة، ويعتبر هذا الكتاب من المراجع الرئيسة في العالم اليوم لمادة «علم أشكال الأرض».

### كتابه «المدخل إلى علم الجغرافية»:

كما ألَّف المرحوم الشهيد كتاباً أسماه «المدخل إلى علم الجغرافية» وهو كتاب فريد من نوعه في اللغة العربية عن تضاريس الأرض وأشكالها، واعتمد المؤلف في تأليفه على المراجع الألمانية والفرنسية، ويُدَرّس هذا الكتاب في جامعة دمشق وعمان ومكة.

### مؤلفاته التاريخية:

أما عن مؤلفاته التاريخية، فهي لا زالت محاضرات مكتوبة بالآلة الكاتبة وخاصَّة ما يتعلق بحاضر العالم الإسلامي، تلك المحاضرات التي أُلقيت في كلية الشريعة بجامعة دمشق.

### ترجمته كتاب «الإسلام في إفريقية السوداء»:

وترجم أيضاً كتاب «الإسلام في إفريقية السوداء» الذي ألفه رئيس الاستخبارات الفرنسية فيليب فونداسي ولم يذكر المرحوم اسمه كمترجم على الكتاب، لأنه كان يؤمن بالعمل بعيداً عن الدعاية والضوضاء، ويلقي الكتاب ضوءاً عن السياسة الفرنسية في إفريقية، وعن دور الإسلام العظيم في مقاومة الاستعمار الفرنسي، وعن الجهود الفرنسية لإيقاف زحف الإسلام في القارة السوداء؛ لأن مصير القارة الإفريقية مرتبط اليوم بالصراع بين الإسلام الذي يزحف من الشمال الإفريقي وبين المسيحية التي تزحف من الجنوب.

### الاستعمار الفرنسي في الشمال الإفريقي:

وكتب المرحوم عدَّة مقالات عن الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، وقد حلَّل المرحوم فلسفة السياسة الفرنسية في المغرب وجهودها المستمرَّة لطمس معالم العروبة والإسلام في الشمال الإفريقي، وحلّل الثورات المستمرة في المغرب حتى رأى بأمِّ عينيه (وهو المغربي الأصل) انهيار الاستعمار الفرنسي إلى الأبد في الشمال الإفريقي.



### مذكرات والده خالد الحكيم:

ويعتقد بأنَّ مذكرات والده المرحوم خالد الحكيم هي في حوزته، وكانت تلك المذكرات التي كتبها والده خالد الحكيم يوم كان مستشاراً للسياسة الدولية عند المرحوم عبدالعزيز آل سعود في الفترة الواقعة بين ١٩٢٠ ـ ١٩٤٦م، ويوجد في المذكرات خفايا مجهولة عن المملكة العربية السعودية، وأيضاً خفايا الصراع الإنكليزي ـ الأميركي من أجل السيطرة على بترول السعودية، وخفايا الاستراتيجية الأميركية من أجل استنزاف بترول جزيرة العرب، وقد عرضت على المرحوم خالد الحكيم مجلة التايم الأمريكية ١٩٤٦م أن يبيعها تلك المذكرات بمئات الألوف من الدولارات، ولكن رفض ذلك، ثم توفي خالد الحكيم فجأة رغم أنه كان يتمتَّع بصحة جيدة وبطاقةٍ لا تعرف المَلَل والتعب والكلل.

### انتسابه إلى الكلية العسكرية ودراسته في المعهد الجغرافي:

أما عن مؤلفاته العسكرية، فقد انتسب إلى الكلية العسكرية الفرنسية ١٩٣٧ ـ ١٩٣٩م، بعد حصوله على شهادة البكالوريا السورية، وقُبِل في تلك الكلية بواسطة المملكة العربية السعودية على أن يعود ضابطاً مدرباً في الجيش العربي السعودي. ولكن اشتعال الحرب العالمية الثانية أدى إلى إغلاق الكلية العسكرية الفرنسية، فانتسب عند ذلك إلى جامعة الصوربون في باريس، وحصل على الشهادات العلمية في مادة الجغرافية من المعهد الجغرافي الفرنسي.

### اشتغاله بالحركة الوطنية:

وقد اشتغل بالحركة الوطنية عن طريق الحاج أمين الحسيني، وبعض الشخصيات العربية الأخرى، ثم حكمت عليه المحاكم الفرنسية بالإعدام، فترك فرنسا وذهب إلى المغرب (إلى بلاد أجداده)، ثم جاء إلى سوريا بعد الاستقلال ١٩٤٧م، وعُيِّن مدرِّساً في حمص، ثم نقل إلى دمشق، ثم أصبح مدرِّساً في جامعة دمشق، كلية الآداب، وقد حاضر في الكلية العسكرية في

حمص عن التاريخ العسكري العربي، وعن طرق القتال عند العرب في المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام.

**تنوُّع ثقافته:**

لقد كان المرحوم الشهيد عالماً عظيماً من علماء الأمة في القرن العشرين، وكان ـ رحمه الله ـ في أوْج النشاط والقوة والعمل، وكان على اطِّلاع مستمر ودائم بالثقافة العالمية لأنه يُجيد اللغة الفرنسية والألمانية والعربية، وكان يدرِّس يومياً ويطالع يومياً عدَّة ساعات في مادة اختصاصه، وكان على اطلاع جيد بالرياضيات والفيزياء والكيمياء والجيولوجية، وكان عالماً جغرافياً بكلِّ ما في هذه الكلمة من معنى، وخاصَّة في ميدان «علم أشكال الأرض».

رحم الله الفقيد الذي استشهد، ونحن في أمسِّ الحاجة إليه وإلى جهوده العلمية، لقد مات الشهيد قبل أن يؤدِّي دوره العلمي والتربوي كاملاً في المجتمع.

**وفاته في حادث سيارة في طريقه إلى مكة المكرمة:**

وكان الشهيد على أبواب التقاعد، حيث بقي له من الخدمة ثلاث سنوات، وكان يريد التفرُّغ للعلم والثقافة، ويريد المساهمة في تجديد حياة الأمة الثقافية، ولكن القدر أبى ذلك، وفُجعت الأمة به شهيداً خالداً على طريق الشهداء، وخسره العالم الإسلامي، واستشهد في الأرض المباركة «مكة المكرمة»، ودُفن فيها، وعاد إلى الأرض التي أحبَّها ودرسها، وسلامٌ عليه يوم ولد، ويوم مات، ويوم يبعث حياً.

□ □ □ □ □



# عبدالله التّل

## سيف من سيوف الإسلام أغمدته أمته(١)

(١٣٣٧ ـ ١٣٩٣هـ)

(١٩١٨ ـ ١٩٧٣م)

للأستاذ ماجد عرسان الكيلاني

**الرجولة المؤمنة والعبقريَّة الفذَّة:**

بالأمس ودعت القافلة المؤمنة جندياً من جنودها، ومجاهداً عرفته مختلف الميادين، ذلك هو القائد المجاهد عبدالله التل.

ويشهد الله أن الخبر نزل على أعصابي ثقيلاً مرهقاً، وجالت دموعي وشَرَد خاطري لأستعيد صوره في جميع مواقفه ولقاءاتي معه. وما كان ذلك جزعاً من أمر الله ولا اعتراضاً على حكمه فجميعنا لله، وجميعنا إليه راجع، ولكن لأن قصة أبي المنتصر هي قصة الرجولة المؤمنة، والعبقرية الفذة التي تشقُّ طريقها مؤمنة بربها واثقة من نفسها حتى إذا أخذت مكانها في ميدان الحياة اصطدمت بنفاق العصر وتناقضاته، واختلاط الزائف والأصيل في نفوس أهله، ومضت تعاني من ذلك كله وتكابده حتى تنفد قواها، وتفرغ من طاقاتها.

(١) حضارة الإسلام، العدد السابع، السنة الرابعة عشرة: (١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م).

### شمائل الرجولة الأصيلة:

لقد نزل عبدالله التل إلى ميدان الحياة، ولكلِّ صفة من شمائل الرجولة الأصيلة في صدره رجل ينطق بها ويعبر عن أسمى معانيها. فرجل يجسد إيمان المؤمن وصفاءه، ورجل يرفع لواء الشجاعة بأقوى ما تكون الشجاعة، ورجل يرفع علم الإباء والأنفة، ورجل يفتح لكل الناس بابه، كريماً من غير ذل، وفياً من غير طمع، ورجل وافر الحكمة بعيد النظرة في أمور السياسة والاجتماع، يدرك المواقف ويفهم الرجال، ورجل يقدِّر العلم ويعشقه كما يعشق السيف، حتى لقد ضمَّت مكتبته الآلاف من المجلدات العربية والأجنبية.

### في ميدان الجندية والقيادة:

كانت فاتحة حياته الاتجاه لميدان الجندية، فبرز يمثِّل الحنكة العسكرية والمهارة القتالية، الأمر الذي مكّنه من الوصول إلى صف القيادة في مدة قصيرة جداً، وهو لما يزل في عنفوان الشباب، ولقد شهد له في ذلك من لم يحبوه ومن فشلوا في النَّيْل من أنفته وإبائه، فلقد كتب الكولونيل ماروث ركن الحركات الإنكليزية في تقريره بتاريخ ١٩٤٨/٣/١٣م: «لقد أنهى الرئيس عبدالله التل دورة لمدة ثلاثة شهور في قيادة الفرقة الأولى للمُشاة، وبرهن على اهتمامه بالعمل المنوط به، إنه لَخَليقٌ أن يكون أندر ضابط أركان في الجيش العربي».

### جهاده في حرب عام ١٩٤٨:

وحين بدأت مكائد الانتداب لتسليم فلسطين لليهود عام ١٩٤٨م، لم ينتظر لتصدر الأوامر للاشتراك في الجهاد، وإنما أخذ يذود عن حمى الأهلين، ويتعاون معهم، حتى إذا اشتعلت أوار الحرب ودخلتها الجيوش رسمياً كان أبرز القادة على ساحاتها وهو ما زال في الثلاثين من عمره. وحين جمع الصهاينة قواهم جاعلين بيت المقدس وحمى الأقصى من أولى



أهدافهم، تقدَّم ليقود المعركة هناك، فدحر العدو ومرّغ أنف دايان نفسه في التراب.

### اتهام اليهود له بالتطرُّف والإرهاب:

ولقد سطّرت جهاده الأقلام، حتى أقلام العدو نفسه، فلقد كتبت صحيفة ـ هامشكيف ـ في عددها الصادر بتاريخ ١٩٤٩/٤/٢٧م: «إنَّ عبدالله التل من المعروفين بالتطرُّف والتعصُّب الأعمى، وهو السبب الأصيل في كل اضطراب، وهو إلى جانب تعصبه فإنه من دعاة استئناف الحرب ضد إسرائيل في اللحظة المناسبة». ودايان نفسه لم يستطع أن يكتم مرارة هزيمته أمام أبي المنتصر، فدوّنها في كتاب أصدره باللغة الإنكليزية عام ١٩٧٠م قرأته بنفسي ولا يحضرني الآن اسمه، ووصفه بالمتعصِّب الإرهابي المتعطش لقتل اليهود.

إنها النفسيَّة اليهودية الملتوية المعقَّدة حين تتحدَّث عمَّن يُمَرِّغ أنفها في التراب لا تجد سبيلاً إلا أن تَصِمَهُ بتهم الإرهاب والتطرف.

### أخلاقياته الإسلامية في الحروب:

ومن يستطلع سلوك الرجل إبان المعارك المذكورة يرى كيف كان ـ رحمه الله ـ يتأسى ـ عن وعي وشَغَف ـ سلوك قادة المسلمين من الرعيل الأول، شجاعةً وخُلقاً ورحمةً للإنسانية، تَتَعالى على الخصومات، وتمسك بعنان النفس. ففي الوقت الذي تراه سيفاً مُصْلتاً على أعناق اليهود المقاتلين، وناراً تنصبُّ عليهم في جبهة القتال، تراهُ إنساناً رحيم القلب، عالي الهمة في معاملة الأسرى والشيوخ والنساء والأطفال، فعندما يَئِسَ المقاتلون اليهود من الفوز بالقدس القديمة، ولم يجدوا مَناصاً من الاستسلام، اشترط قائد الحامية المحاصرة انسحاب المقاتلين وغيرهم، فأبى عبدالله التل إلا استسلامهم دون قَيْد أو شرط، وحينما رَضَخ اليهود لشروطه سمح للشيوخ والنساء والأطفال اللحاق بذويهم، وأمر جنوده بتقديم المال والطعام لهم، وبحمل العجزة والمرضى منهم.

ويقول رحمه الله: كنت، وأنا أرى جنودنا يحملون العجزة والمرضى والأطفال على الأكتاف، ويقدّمون لهم الماء والغذاء، أتذكر سلوك السلف من المسلمين الفاتحين، وأتيقَّن أن هذه الأمة ستظل تتمثَّل أرواحهم وأخلاقهم الإنسانية الرائعة.

**تبصيره الأمة بأبْعَاد الخطر اليهودي:**

وشاءت الأقدار أن تعزل رجل السيف من ميدان الجهاد العسكري، فانبَرَى رجل القلم وهو يرى سلبيَّة الأمة، وقد أعْمتها الاهتمامات الفردية والقبلية والإقليمية والطبقية عن الإحاطة بأبعاد الخطر اليهودي وحقيقته، ومضى يُبصِّرها بـ «**خطر اليهودية العالمية**»، ويعرفها بـ «**جذور البلاء**» اليهودي الذي أفسد العالم كلَّه، وسخَّر طاقات الشرق والغرب لمآربه وشروره. وأطلقها ـ أبو المنتصر ـ صَيْحات واعية ليحذِّر الأمة من سموم «**الأفعى اليهودية**»، وقد اقتحمت «**معاقل الإسلام**» لتُجهز على المقومات الإسلامية بفضائلها وقيمها ومبادئها، وأصبح الباحث المتخصِّص في الكشف عن مخاطر اليهودية العالمية في الماضي والحاضر والمستقبل.

ولقد صدرت أبحاثه هذه في وقت مبكِّر كانت الأمة خلاله ـ حتى غالبية المثقفين منها ـ تحسب الصدام مع اليهود كأنه مشاجرة بين عشيرتين في قرية نائية يمكن حسمها بالحجارة والعصي.

**مقال الدكتورة بنت الشاطئ عن كتابه «خطر اليهودية العالمية»:**

وأذكر عندما صدر كتابه «**خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية**» أنَّ الدكتورة بنت الشاطىء كتبت مقالاً في صحيفة الأهرام نوّهت بالكتاب وصاحبه، وكانت خلاصة مقالها: إنَّ القائد الذي برز في مجابهة الصهيونية في الميدان العسكري يبرز اليوم ليحتل مركز القيادة في مجابهتها في الميدان الفكري. وأذكر أن الصحف القاهرية كتبت تقول: أنه تم توزيع **٢٤** ألف نسخة خلال أسبوع واحد. وحين كتب رسالته للدكتوراة كان موضوعها حول طبيعة الصهيونية وأخطارها.



**بيته منتدى الوافدين:**

ولم تكن الكلمة المكتوبة وسيلته الوحيدة في الاتِّصال بالناس، وإنما جَعَل بيته في القاهرة ـ يومذاك ـ منتدى للوافدين لجامعاتها ومعاهدها، ووجد فيه الوافدون الأهل الذي يرعى ظروفهم العلمية والفكرية والمالية والأخلاقية، ولقد عاد الكثير إلى بلده وهم مدينون له مادياً، ولربما ما زال منهم من لم يُسدِّد ما عليه.

لقد كان الرجل يُضحِّي بماله ووقته في سبيل إيصال أفكاره ومشاعره للناشئة وللإخوة والزملاء، وأصبح الحديث عن مخاطر الصهيونية حديثه في جميع مجالسه، لا يتحدَّث بتجارة ولا منصب ولا عَرَض من أعراض الدنيا، وإنما باليهودية وأخطارها على مستقبل الإسلام ومقدساته، وعلى وجود الأمة ذاتها، يحدث حديثاً ممزوجاً بالألم، معصوراً من الكبد.

**أثر نكبة ١٩٦٧:**

ولكن ذلك كله لم يكن ليشفي غليله، فلقد كان بفطرته مُسْعِر حرب لو كان معه رجال!! وكل مَنْ رآه بعد محنة **١٩٦٧**م، كان يعرف أن الرجل الذي قيَّدته أمته إنما كان حنينه إلى الجهاد يقتله أولاً بأول. كانت كل غارة يهودية على أيٍّ من الجبهات «الشرقية» أو «الغربية» أو «الشمالية» تفعل بجسمه فعل الأدواء الهالكة، ولقد تزايد المرض، وكادت تكون منيته منذ عام ١٩٦٧م نفسه، لولا أن كان له أيام من حياة.

دخلت عليه بعد حرب حزيران عام **١٩٦٧**م، وإذا به طريح الفراش وما من سبب للمرض إلا شدَّة الصدمة، ووجدت عنده نفراً من وجهاء الضفة الغربية الذين عرفوه سيفاً يذود عن حماهم، وعن أعراضهم في رُبَى القدس ورام الله والخليل، جاؤوا يعودونه في مرضه فانقلبوا من أسباب المرض إذ مضوا يبثُّونه اعتداءات سلطات الاحتلال ومضايقاتها لهم في «القطاع» و«الضفة»، وعلى «الجسر»، ذلك أنهم تعوَّدوا أن يبثُّوه اعتداءات فرق (الهاجانا) و(شتيرن) يوم كان يعسكر على جبال القدس، فيسارع ليُدمِّر

المستعمرات التي تنطلق منها الاعتداءات، ولكنه هذه المرة لا معسكراً ولا جنداً حتى ولا جسداً صحيحاً، فلقد صدق فيه قول المتنبي:

وإذا كانت النفوس كباراً     تعبت في مرادها الأجسام

ولقد آمن - رحمه الله - أنَّ الجند القادر على التصدي لليهودية العالمية هو الجند الذي يتربَّى في مدرسة الإسلام، فأصبح داعياً من دعاته، والتحم بأهله وشبابه، وشاركهم آمالهم وتطلعاتهم العامة.

## في ميدان الدعوة:

وكان في ميدان الدعوة عظيماً سَمَا فوق الشهوات والصداقات والمصالح الشخصية، وتلك مزيَّة تتطلَّب تضحية وشجاعة وإقداماً. ما أظن قد فاز بها إلا القليل القليل من الناس، وذلك بالارتفاع عن زخارف الدنيا، والسمو فوق شهواتها، والصبر على آلامها، وعبدالله التل كان واحداً من هذه القلة التي دفعت ثمن الرجولة بأغلى ما يكون الثمن.

وإلى جانب هذه الأنماط من الرجال التي عمرت صدره كان رجلاً يتمثَّل روحانية الإسلام وأخلاقه، يأنف من المتعالين، ويتواضع - حتى لا يصبح شيئاً - مع الضعفاء والمساكين.

## تواضعه للفقراء والمساكين:

جلست مع أحد الأخوة في أعقاب وفاته نتذاكر شمائل الرجل وأخلاقه، فحدَّثني الأخ المذكور، فقال: جاء - رحمه الله - ذات يوم إلى الوزارة يَقْتاده آذن من أذنة المكاتب ليتوسط له بمصلحة بسيطة لدى موظف بسيط، فاستكثرت ذلك عليه، واستعظمته، وقلت له: يا أبا المنتصر، إنها مسألة بسيطة لو بعثت أحد أبنائك أو اتصلت تلفونياً بالموظف المذكور لاغتنمها فرصة ليلبِّي طلبك ويقضي للآذن حاجته! ضحك رحمه الله وقال: يا أخي أنت تعرف أن المساكين من أمثال هذا الآذن قد فقدوا الإحساس



بقيمتهم لكثرة ما استخفَّ المتعالون بهم، وحين نصحبهم بأنفسنا هذه المسافة لأمور بسيطة، فإننا نبني نفوسهم ونعيد إليهم الثقة بإنسانيتهم.

## أَنَفَتُه وترفُّعه عن المراتب والمناصب:

ولن يستغرب الخبراء بالفضائل الإنسانية حين يكتشفون أن هذا التواضع قد اقترن بأَنَفَة منعت عبدالله التل - بعد أن عاد لوطنه - أن يطلب لنفسه مراتب الجاه التي تسنَّمها من كانوا أقل منه، خاصَّة وقد كان أقرب الناس إليه دماً ولحماً من المتصرفين بهذه المراتب، وكان يملك أن يجيبه لما يريد. ولكنها الرجولة المتكاملة حين تكون شمائلها أصيلة وفطرية، فإنَّ كمالها يقتضي تناسقها بالأشكال التي استعرضناها، **فالأنفة قرين التواضع، والتسامح قرين الشجاعة، والحلم قرين العقل، والغيرة قرين العفة، والإنصاف والموضوعية قرينا الإيمان، والعدل قرين الحكمة، كما أنَّ الصَّغار والمذلة قرينا التكبُّر، والحقد قرين الجبن، والطيش قرين السفاهة، والجشع قرين الخيانة، وعبادة النفس قرين النفاق، والدياثة قرين العهر والمجون.** وهكذا في كل صفات الإنسان الصالح منها والفاسد.

في ذمَّة الله أبا المنتصر! فلقد كُنتَ سَيْفاً من سيوف الإسلام، عجز العدُو عن كسرك، فأغمدتك أمتك وهي في أشد الحاجة لأمثالك.

ورجاؤنا حين يبعث الله البَشَر أن تكون في كتيبة خالد وأبي عبيدة وصلاح الدين.

وعزاؤنا أنَّ الأجيال حين تقرأ تاريخ الجيل المعاصر فستجد أنك الوحيد الذي هزم دايان بين حَمَلة الأوسمة على الصدر، والرُّتب على الأكتاف.

□ □ □ □ □

# في ذكرى المرحوم عبد القادر السبسبي (١)

**(١٣٠٤ - ١٣٩٣هـ)**

**(١٨٨٦ - ١٩٧٣م)**

للقاضي الأستاذ عبدالوهاب التونجي

يقول ابن دريد في مقصورته الشهيرة:

والناس ألفٌ منهم كواحد
وَوَاحدٌ كالألف إنْ أمرٌ عَنَى

والمرحوم الأستاذ السبسبي من الأشخاص الذين ينطبق عليهم الوصف الوارد في الشطرة الثانية من هذا البيت.

## نشأته وشيوخه:

لقد كان رحمه الله أمة وحده، فقد نشأ عصامياً من أسرة متدينة، ومال

(١) حضارة الإسلام، العددان الثامن والتاسع، السنة الرابعة عشرة: (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م).



منذ صغره إلى طلب العلم، حيث جالس كبار العلماء، أمثال الأستاذ الشيخ محمد الزرقا، والشيخ راجي مكناس، والشيخ محمد سعيد الإدلبي، والشيخ محمد نجيب سراج الدين، وغيرهم من كبار العلماء.

## في مهنة المحاماة:

مال منذ صغره إلى مهنة المحاماة مع طلبه العلم، وكان أن نجح في الفحص الذي قدَّمه في منتصف العقد الثالث من هذا القرن، وأصبح محامياً منذ ذلك التاريخ حتى أحيل إلى التقاعد منذ سنوات قليلة.

## تدريسه في المدرسة الفاروقية:

كانت أول معرفتي به حينما كنت طالباً في المدرسة الفاروقية عام ١٩٢٨م، وكان أستاذاً لنا في مادة الحقوق، حيث شرح لنا المواد الكلية من المجلة، وجزءاً من أحكام البيوع.

## زمالتي له ومشاركتي له في مهنة المحاماة:

ثم انقطعت الصلة بيننا حتى تخرجت في كلية الحقوق **١٩٣٦م**، وهناك عادت صفة الزمالة بيننا.

وفي عام **١٩٣٨م**، أصبحنا شركاء في المهنة في مكتب واحد، وبقينا معاً حتى تاريخ تعييني في القضاء في آخر عام **١٩٤١م**، حيث انفصلت عنه، ولكن الصلة بيننا لم تنقطع حتى آخر حياته رحمه الله.

## المحامي الفقيه العامل:

كان الأستاذ السبسبي محامياً لامعاً من جهة، وفقيهاً عالماً من جهة ثانية، وعاملاً كبيراً في الحقل الاجتماعي من جهة ثالثة، وسأورد بصورة موجزة نبذة عن هذه النواحي الثلاث للوقوف على نبوغه ونشاطه في كلٍّ حقل من هذه الحقول.

### ١ ـ عمله في المحاماة:

كان المرحوم السبسبي من أقدر المحامين وألمعهم، وبصُورةٍ خاصَّة في القضايا المدنية والشرعية، ورُغم اطِّلاعه الواسع على القوانين الجزائية غير أنه لم يكثر من الدخول في الدعاوى الجزائية.

### استظهاره مواد القوانين عن ظهر قلب:

كان في مهنته قديراً، ويستظهر سائر القوانين المعمول بها غيباً، فلقد كان ذا حافظة من أقوى الحافظات، وذاكرة من أقوى الذاكرات، يحفظ مواد القانون عن ظهر قلب، وكان مُطّلعاً على الاجتهادات العثمانية، حيث استفاد من تلك الاجتهادات استفادة كبيرة في مهنته.

### في دائرة الأوقاف الإسلامية:

ولقد كان محامياً لدائرة الأوقاف الإسلامية مدَّة طويلة من الزمن، ثم أُعفي منها في فترة من الفترات، ولكن دائرة الأوقاف حينما لاحظت لحوق الضرر بقضاياها بعد إعفائه من الوكالة أعادت الأستاذ المرحوم إلى وكالة الأوقاف ثانية، وبقي فيها حتى أُعفي منها فيما بعد.

### في محكمة البداية المدنيَّة:

ومن الطريف أن نذكر حادثة وقعت له أثناء ممارسته المحاماة، وكنت شريكاً معه، فقدمت باسمه دفاعاً إلى محكمة البداية المدنية، وكان رئيس المحكمة حينئذ من القضاة المشهود لهم بالعدل والاستقامة، ويظهر أن الرئيس لم يُدقِّق دفاع الأستاذ السبسبي تدقيقاً كاملاً، فأصدر قراراً إعدادياً ضدَّه في تلك الدعوى دون أن يكون الأستاذ حاضراً، ولما أبلغته القرار غضب من هذا التصرُّف غضباً شديداً؛ لأنه يعلم أنَّ الحقَّ والقانون بجانبه، وأقسم أن لا يدخل محكمة البداية بعد الآن، وصار يكتب اللوائح المتعلقة بدعاوى هذه المحكمة بنفسه، وأنا أقدِّمها عنه.

ويظهر أنَّ رئيس المحكمة حينما عاود تدقيق القضية لاحظ أنَّ الحق بجانب الأستاذ السبسبي، كما لاحظ أنَّ الأستاذ انقطع عن حضور جلسات



المحكمة، فسألني الرئيس عن سبب عدم حضور الأستاذ إلى المحكمة؟ فاعتذرت له بكثرة أشغاله، فطلب الرئيس منّي أن أكلِّفه بالحضور إلى المحكمة في الجلسة القادمة، وأنه عدَّل القرار الإعدادي السابق في الدعوى، ووافق رأي الأستاذ السبسبي، ثم قال الكلمة المشهورة التي قلَّما تصدر عن قاضٍ صراحة: **(إن الرجوع إلى الحق خيرٌ من التمادي في الباطل)**، وأصرَّ عليَّ بلزوم حضوره إلى الجلسة القادمة.

ولما أخبرت المرحوم بذلك قال لي بأنه أقسم يميناً بعدم الدخول إلى المحكمة، فماذا يفعل تجاه اليمين؟ فقلت له: إنه من الممكن التكفير عن اليمين والدخول إلى المحكمة بناءً على رغبة الرئيس، وقد كفَّر عن يمينه فعلاً، وعاد إلى المحكمة، وكانت النتيجة ربحه للدعوى.

### استعانة المحامين برأيه، واستشارة القضاة له:

وكان كثير من المحامين يستعينون برأيه، ويساعدهم في كثير من اللوائح، كما أنَّ عديداً من القضاة كانوا يستشيرونه في بعض الأحكام القانونية نظراً لغزارة علمه وخبرته الطويلة في المحاماة، وقد تدرَّب عنده عدد كبير من المحامين منهم من أصبح أستاذاً في الجامعة، ومنهم من أصبح قاضياً قديراً، ومنهم من أصبح محامياً لامعاً، فلقد كان رحمه الله يبذل معلوماته الواسعة إلى متدرِّبيه وسائليه، ولا يبخل عليهم بشيءٍ من تلك المعلومات.

### ٢ ـ صفاته العلمية وقوة حافظته:

كان ـ رحمه الله ـ عالماً فقيهاً كثير المطالعة، لا يترك فرصة تمرُّ عليه إلا وهو يطالع في كتاب علميٍّ أو مرجع حقوقي، أو سِفْر فقهي، ولقد اقتنى مكتبة عظيمة حَوَتْ مختلف أنواع العلوم، وكان إذا أراد أن يبحث في موضوع حقوقيّ أو علميّ لا يترك مصدراً إلا ويطَّلع عليه لزيادة التوثُّق في الوقوف على الحقيقة العلمية، لذلك كانت معلوماته ومذاكراته مع غيره في النواحي العلمية ورسائله التي ألَّفها مبنية على حقائق علمية قلَّما تقبل الجدل، وبعيدة عن الخطأ غالباً، وكان لا ينشر رسالة إلا ويعرضها على

غيره لبيان ملاحظاته عليها حتى تكون بعيدة عن الأخطاء.

**مقالاته الكثيرة ورسائله المطبوعة:**

لقد ألف الأستاذ المرحوم ما يزيد على مئة مقالة في مختلف المواضيع الثقافية، منها ما كان موضوعه علمياً محضاً، ومنها ما كان رداً على بعض الآراء الفقهية الصادرة عن المراجع العلمية أو غيرها، وسنأتي على بعض ردوده في هذه المقالة بصورة مختصرة.

كان يطبع رسائله ومقالاته ويوزِّعها مجاناً، وله رسائل صغيرة مطبوعة في بعض المواضيع الإسلامية أو تفسير القرآن الكريم، وله تعليقات قيمة على كثير من القوانين الحديثة والآراء الحقوقية التي تصدر عن كبار فقهاء القانون، وبيان النقص فيها وضرورة تعديلها.

**اطلاعه على المذاهب الفقهية:**

كان ـ رحمه الله ـ مُطَّلعاً على أكثر المذاهب الإسلامية، ومقارناً بينها، فإذا رأى حكماً قانونياً لم يؤخذ من المذهب الحنفي، فإنه كان يرجعه إلى مصدره من المذاهب الأخرى كالمالكي والشافعي والحنبلي، وغيرهم من أئمة المذاهب.

**انطباق قانون التجارة السوري على المذهب المالكي:**

وقد حقَّق رحمه الله في قانون التجارة السوري المستمد من القانون الفرنسي، فرأى أنَّ أحكامه منطبقة في الأكثر على المذهب المالكي، ويعود السبب في ذلك إلى أن القانون المدني الفرنسي بما فيه قانون التجارة وُضع في أيام حكم نابليون بونابرت في فرنسا، وقد استعان هذا الإمبراطور حينما أراد وضع هذا القانون ببعض العلماء المغاربة، وكان هؤلاء العلماء من أتباع المذهب المالكي، لذلك كان قانون التجارة الفرنسي مُشابهاً في كثير من أحكامه للمذهب المالكي.

ومن المؤسف أن نستورد قوانينا من المصادر الأجنبية، وننسبها إليهم، ونأنف أن نستمدَّ تلك القوانين من الشريعة الإسلامية التي تعدُّ بحق أكمل الشرائع العالمية في سائر عصور التاريخ.



**حافظته القوية:**

كان رحمه الله إلى جانب علمه ذا حافظة قوية، قلَّ نظيره بين أقرانه في العصر الحاضر، فكان يحفظ سائر القوانين مادة مادة، ولا يحتاج إلى الرجوع إليها إلا في حالات نادرة.

**نادرتان عن قوة حافظته:**

وهنا أروي نادرتين عن قوة حافظته التي شهد له بها كبار العلماء والحقوقيين.

**النادرة الأولى**: كان الأستاذ العلامة مصطفى الزرقا، المعروف بعلمه واطلاعه على الأمور الشرعية والقانونية شريكاً للأستاذ السبسبي في المحاماة، ثم عُيِّن أستاذاً في كلية الحقوق في دمشق، ولم ينقطع عن تردُّده إليه واستشاراته في كثير من المسائل القانونية والشرعية، وحينما كنت شريكاً مع المرحوم في المحاماة حَضَر الأستاذ الزرقا إلى المكتب، ورغب من الأستاذ السبسبي أن يفتِّش له عن نصٍّ وارد في كتاب الفقه لابن عابدين، باعتبار أنَّ أوقات الأستاذ الزرقا لا تساعده على التفتيش عن هذا النص، فما كان من الأستاذ السبسبي إلا أن قال له فَوْراً، وبدون مراجعة: إن هذا النص موجود في شرح المادة ـ **١٢٩** ـ من مجلة الأحكام العدلية لسليم باز، وطلب المرحوم من كاتبه حينئذ أن يحضر له الشرح المذكور، وفتح على المادة الآنفة الذكر، فرأى الأستاذ الزرقا النص بعينه موجوداً في شرح المادة المذكورة، فتعجَّب الأستاذ الزرقا من قوَّة حافظة الأستاذ السبسبي، خاصَّة وأن مثل هذا النص قد لا يمرُّ على المحامي أكثر من مرة واحدة في حياته، ومع ذلك فقد تذكَّر مكان وجوده بهذه السرعة.

**النادرة الثانية**: وقد جرت معه في محكمة البداية الناظرة في القضايا التجارية، حيث أصدرت المحكمة حكماً في إحدى القضايا، وأرادت الاستناد إلى المادة التي تعتبر مستند هذا الحكم، وبحث رئيس المحكمة

وأعضاؤها في قانون التجارة للوقوف على رقم المادة المطلوبة فلم يجدوه، وأعادوا النظر في القانون مراراً فلم يعثروا على رقم تلك المادة، فما كان من رئيس المحكمة إلا أن قال لآذنه: نادِ لنا الأستاذ السبسبي، وحينما حضر الأستاذ، سأله الرئيس عن رقم المادة المطلوبة، فأجابه على الفور بالرقم المطلوب، وفتّش رئيس المحكمة عن تلك المادة فرآها صحيحة، وهي المادة المطلوبة، فقال رئيس المحكمة لأعضائه: إن الأستاذ السبسبي هو بحق قاموس الحقوق.

وهناك حوادث كثيرة تدلُّ على قوة حافظته يضيق المقام عن ذكرها.

### ردوده العلمية:

لقد كان للمرحوم جولات علمية ردَّ فيها على عدد من علماء القانون أو المواضيع العلمية التي صدرت من مختلف الهيئات والأشخاص ذوي الصفة العلمية، وكان ينشر ردوده في «مجلة القانون» التي تصدرها وزارة العدل السورية أحياناً، أو في مجلة «حضارة الإسلام» التي تصدر في دمشق، فقد ردَّ على بعض آراء المرحوم الأستاذ عبدالرزاق السنهوري، وردَّ على عدد من المستشرقين والمستشرقات، وكان يرى أن معظم المستشرقين رغم غزارة علمهم واطلاعهم على تاريخ الحضارة الإسلامية، فإنهم كانوا يدسُّون في مؤلفاتهم كثيراً من السموم التي ينفثونها في كتبهم، فيتأثر بها مَنْ لم يطّلع على التاريخ الإسلامي ويعتقدها حقائق مُسلَّماً بها، فكان فريق من هؤلاء المُطّلعين على آراء المستشرقين يحملون أفكاراً خاطئة عن الحضارة الإسلامية والتشريع الإسلامي، رغم أنهم مسلمون، لذلك كان يتصدى للرد على أولئك المستشرقين.

### ملاحظاته على الموسوعة الفقهية:

أصدرت الموسوعة الفقهية ـ التي كانت تصدر في الكويت ـ موضوعين في جزئين، هما: الأشربة والأطعمة، وقد درسهما الأستاذ المرحوم دراسة فقهية واسعة، ودوّن بعض الملاحظات على ما جاء في محتوياتهما، وربما كانت ملاحظاته أقوى الملاحظات التي واجهت هذين الموضوعين، ومهما



ثار من جدل ورد بين الأستاذ السبسبي وهيئة الموسوعة، إلا أن الرد الذي أصدره الأستاذ السبسبي كان رداً ينمُّ عن اطّلاع واسع في العلوم الفقهية، وتحقيق كبير في مختلف المذاهب الإسلامية، وبعد أن نشر الملاحظات الأولى عن موضوع الأشربة، عاد ونشر ملاحظات ثانية عن نفس الموضوع.

أما عن موضوع الأطعمة، فقد نشر ملاحظاته عليه مرة واحدة، لأنه يرى ـ رحمه الله ـ أن موضوع الأطعمة كان أكثر تدقيقاً وتحقيقاً من موضوع الأشربة.

ولقد نشرت هذه الردود في مجلة «حضارة الإسلام» في حينها[(١)].

### ملاحظاته على تفسير العلامة جمال الدين القاسمي:

كان المرحوم العلامة جمال الدين القاسمي ألّف كتابه الكبير «محاسن التأويل» في تفسير القرآن العظيم، وكان للأستاذ القاسمي رأي غير مستند إلى نقل شرعي، وفيه تأويل لا ينسجم مع صراحة القرآن، لذلك كتب مقالة أبدى فيها ملاحظاته على ذلك التأويل الغريب[(٢)].

### ملاحظاته على كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب):

سبق أن قلنا: إنّ المستشرقين الذين يكتبون عن الحضارة الإسلامية يُوردون كثيراً من الحقائق الصحيحة، ولكنهم يُوردون في خلال مؤلفاتهم بعض الشبهات التي قد تبدو لمن يجهل التاريخ الإسلامي صحيحة، ويطعنون بذلك في صميم الشرع الإسلامي، ومن ذلك ما ورد في كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب) للمستشرقة (زيغريد هونكه) حيث قارنت مؤلفته بين بلاغة اللغة العربية في الجاهلية وبلاغتها في الإسلام، وأن اللغة العربية اكتسبت بلاغة بعد مجيء محمد ﷺ. وقالت في كتابها: (انظر كيف استطاع نثر محمد الذي أتى مبشِّراً فسيطر على ذاك الإنسان الشاعر، وتقصد

---

(١) وقد ناقشها شيخنا الزرقا في ملاحظاته، وستصدر قريبا ـ بعون الله تعالى ـ في كتاب: «مقالات ومحاضرات العلامة الشيخ مصطفى الزرقا» بعنايتي.

(٢) وقد نشرت مجلة «حضارة الإسلام» هذه الملاحظات في أحد أعدادها السابقة (المجلة).

به الشاعر الشنفرى الجاهلي ـ ودخل إلى أعماقه)، واستشهدت على ذلك بسورة التكوير، معبِّرة بذلك أن القرآن كان من نثر محمد عليه الصلاة والسلام وقارنته مع ذلك الشاعر الجاهلي.

ولقد عقَّب المرحوم في ملاحظاته على مُعَرِّبي الكتاب السيدين فاروق بيضون، وكمال دسوقي اللذين لم يُبديا أية ملاحظة على هذه الجملة، لذلك كتب رحمه الله مقالاً جليلاً رداً على هذه العبارة، وبيّن فيه أن القرآن العظيم هو من كلام الله تعالى، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن من يزعم بأن القرآن من نثر محمد عليه السلام إما أن يكون جاهلاً أو حاقداً أو عدواً للإسلام، وقد نُشرت هذه المقالة في مجلة «حضارة الإسلام» في حينها.

### ٣ ـ مشاركته في خدمة المجتمع وأعماله الدعوية:

لقد شارك المرحوم في سائر الحوادث الاجتماعية التي جَرَت في البلاد أيام الاحتلال الفرنسي وبعده، فلقد كان منذ نشأته عضواً في الكتلة الوطنية التي قاومت الاستعمار، وكان عضواً في لجنة الدفاع عن حقوق مياه حلب، وكان عضواً في مؤتمر الأوقاف العام الذي عُقد في حلب عام ١٩٣٢م، للمحافظة على الأوقاف الإسلامية، وكان أبرز أعماله عضويته في نادي (دار الأرقم) الذي أُسِّس في حلب عام ١٩٣٧م، ثم أصبح رئيساً له، وكان للنادي أعمال بارزة يعرفها كل من اطَّلع على سَيْر أعمال النادي في جميع مراحله.

كان ـ رحمه الله ـ يشارك في كل عمل اجتماعي، سواء كان خيرياً أو اجتماعياً عاماً، وكان يُؤْخذ برأيه في أكثر الأمور الطارئة نظراً لِسَعَة مداركه، ورجاحة عقله، واتزانه في جميع أعماله.

### أخلاقه العالية:

وكان لا يجيب على سؤال إلا إذا تحقق من الجواب الصحيح، ويحيط به من جميع جوانبه.

وكان ـ رحمه الله ـ ذا أخلاق عالية، وتديُّن شديد، وكان متواضعاً إلى آخر حدود التواضع.



وكان فكِهاً يملأ المجالس فكاهة وظرفاً، ويحفظ من الشواهد ما لا يحفظه أحد مثله، وكلما كان مجتمعاً مع جماعة يتداولون الحديث يوقف الحديث فجأة، ويقول لهم: لقد تذكرت نكتة تناسب الموضوع، ثم يروي لهم النكتة، وقد تتعدَّد النكات التي تناسب موضوع الحديث.

### نكاته اللطيفة:

ومن نكاته اللطيفة: أنه قعد يوماً في إحدى حدائق حلب يتناول طعام الإفطار، وكان يبرُّ الخادم الذي يحضر له الطعام، وبعد أن انتهى من طعامه أراد أن يداعب الخادم، وكان شاباً غير متزوِّج، فقال له: (الله يبعث لك عروسة من لوني)، فلمَّا نظر الخادم إلى وجه المرحوم ـ وكان أسمر اللون ـ تبسَّم، وقال له: (لو أتتني مثل هذه العروس لذبحتها).

ومن نكاته اللطيفة أيضاً: أنه كان ينتظر دوره في إحدى المحاكمات، ويظهر أنَّ الحاكم لم ينبَّه إلى وجوده، فصار ينظر في دعاوى المحامين الذين قدموا بعده، ولا ينظر في دعواه، عندئذ التفت المرحوم إلى رئيس المحكمة، وقال له: (يظهر أنَّ شكلي الجميل أعجبك يا سيادة الرئيس، لذلك أخَّرتني عندك لكي تخيِّل عليَّ). فضحك رئيس المحكمة من هذه النكتة، ونظر في دعواه.

### ردُّه على قانون الطوائف:

وكان من أهم البيانات التي أصدرها المرحوم: بيانه في الرد على قانون الطوائف الذي أصدره المفوض السامي الفرنسي في عام ١٩٣٦م، ونحن نذكر نبذة عن صدور هذا القانون والرد عليه.

### قانون الطوائف:

صَدَر هذا القانون بتاريخ ١٣/٣/١٩٣٦م، برقم ٦٠ (ل.ر) ونشر في العدد (١٦) من الجريدة الرسمية الصادرة بتاريخ ١٤ أيار ١٩٣٦م، ولكنه لم يُذَع على الناس، ويطلع عليه الجمهور إلا حين قدوم الوفد السوري المفاوض في أيلول ١٩٣٦م، ولم يجلب انتباه الناس في حينه، لأن الشعب كان منهمكاً في الاحتفالات بقدوم الوفد السوري المفاوض، ثم انشغل

بالانتخابات النيابية، وكان التنبيه إليه في عام ١٩٣٧م، حيث اطلع عليه الشعب، وتبيَّن له ما يخفيه وراءه من طعن في الشريعة الإسلامية، فقد نصَّ هذا القانون في مادته الحادية عشرة على أن (كل من أدرك سنَّ الرشد، وكان متمتِّعاً بقواه العقلية يمكنه أن يترك أو يعتنق طائفة ذات نظام شخصيّ معترف بها). ونصَّت مادته الثانية عشر على (أن الأولاد القاصرين يتَّبعون حالة والديهم إذا انفصل الزوجان عن طائفتهما، وإلا فيتَّبعون حالة والدهم إذا انفصل واحد منهم فقط، ويتَّبعون حالة الحي منهما إذا كان أحدهما ميتاً، أو يتَّبعون حالة من يكونون في عُهْدته، ويقوم تجاههم بالسلطة الأبوية عندما يكون الوالدان في حالة هجر أو طلاق).

ويستنتج من هاتين المادتين: أنَّ المسلم يمكنه أن يُبدِّل دينه إلى دين آخر، ويكون لهذا التبديل أثر قانوني، حيث يُسجَّل في السجل المدني، كما يستنتج أن الولد الصغير يمكن أن يسجل على دين أمه إذا كانت غير مسلمة ولو كان أبوه مسلماً وتوفي قبل أمه.

وهاتان الحالتان تخالفان النظام العام في البلاد الإسلامية، حيث لا تجوز ردَّة المسلم، ويتبع الولد دين أبيه المسلم مهما اختلف دين أمه، وكان أول من تَصَدَّى للرد على هذا النظام مؤسسة دار الأرقم، الذي كان الأستاذ السبسبي رئيساً لها في ذلك الحين، فوضع بالاتفاق مع إدارة الدار رداً علمياً على هذا القانون كان له صداه الكبير لدى الدولة المنتدبة، وتنبَّه الشعب المسلم في كلٍّ من سورية ولبنان إلى خطر هذا النظام، ممَّا حمل الدولة المنتدبة على إيقاف العمل بهذا القانون بالنسبة للمسلمين في عام ١٩٣٨م، برقم (٥٣)، وبقي سارياً بحق باقي الطوائف، وقد صاغ الرد القوي الأستاذ المرحوم السبسبي بأسلوبه الحقوقي المتين، ممَّا جعله أقوى الردود على القانون المذكور.

وفي الحقيقة، لقد فقدت حلب ـ كما فقد العالم الإسلامي ـ بوفاة الأستاذ السبسبي حقوقياً قديراً، وعالماً نحريراً، وعالماً اجتماعياً كبيراً، وقد أحدثت وفاته فراغاً قلَّ أن يُوجَد مَنْ يشغله، فرحمه الله رحمةً واسعة، وعوَّض الأمة والبلاد عنه خيرَ عوض، وفي ذمَّة الله والتاريخ تلك الروح الطيِّبة الطاهرة.



# الأستاذ عَبْدالقَادِر السِّبسَبي رحمه الله (١)

للأستاذ محمد فؤاد قسطلي

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ
قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ
عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ إلى
قوله سبحانه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا
﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٧٦].

---

(١) حضارة الإسلام، العددان الثامن والتاسع، السنة الرابعة عشرة: (١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م).

نحن اليوم في ذكرى الأربعين على وفاة عبدٍ من عباد الرحمٰن، جدير بنوال شرف هذه العبودية، التي تتطاول لها الأعناق وتهفو إليها النفوس، ويبذل في سبيلها كل غالٍ ونفيس.

### من بقايا السلف الصالح:

وسأرسم لكم صورة صادقة للأستاذ الراحل مأخوذة من أقواله وأفعاله: فلقد كان الأستاذ عبدالقادر السبسبي، طيَّب الله ثراه، من بقايا السلف الصالح، قولاً وعملاً، وكان شديد الخشية من ا تعالى، وإنما يخشى اللّهَ من عباده العلماءُ، كما كان شديدَ الحياء من الله تعالى ومن الناس، «والحياء شعبة من الإيمان».

وكان حسن التوكل على الله، وقوي اليقين بالله حتى أنه كان يردد دائماً قول الشاعر:

وإذا العناية لاحظتك عيونها ... نَمْ فالمخاطر كلهُنَّ أمانُ

وكان هيّناً ليناً، يَألف ويُؤْلَف، دمث الأخلاق، حاضر البديهة والنكتة الأدبية.

وكان يجتهد دائماً في تطبيق أحكام الشرع الحنيف في مجالات حياته، تطبيق موقن، مطمئن النفس والضمير إلى أنها هي السبيل الأول لنجاة هذه الأمة أفراداً ومجموعات في الحياتين، وعارف أن لا إصلاح ولا نهوض للمسلمين إلا باتباع أحكام دينهم.

### في دار الأرقم:

لقد صحبنا الأستاذ الراحل، تغمَّده الله برحمته، في رحلة طويلة في هذه الحياة، بدأت في عام ١٩٣٦م، في دار الأرقم، وكان رئيسنا فيها وموجِّهنا، ولقد كانت هذه الدار في حينها، حِصْناً حصيناً صمد في مواجهة الاستعمار الأجنبي، ومخطَّطات غزوه المادي والفكري، وحفظ للوطن العربي شبابه من الانحلال والفساد والضياع، والتأثُّر بسموم الاستعمار.



كما كانت هذه الدار درعاً متيناً ترتدُّ عنه سهام الأجنبي الغاصب، وكان لها الأثر الكبير في الجهاد الوطني آنذاك، توَّجته في عام ١٩٤٥م، حينما هبَّت البلاد بأسْرها، تُطارد المحتل الغاصب، الذي حينما أخذ يلفظ أنفاسه الأخيرة في بلادنا، اسْتشرى وأضاعَ صوابه، فجمعت الدار بتوجيه الراحل الكريم وإخوانه، كافَّة طبقات الشعب وطوائفه في جبهة واحدة، قرعت الاستعمار، وصَمَدت أمام شراسة الأيام الأخيرة من حياته، وصانت الشعب وساعدته على تَخَطِّي تلك الأيام العصيبة، وقدمت المعونة المادية والمعنوية لشعبنا الذي صمد حتى تمَّ النصر بعون الله، وخرج المستعمر من بلادنا مذموماً مدحوراً.

### العملُ الجادُّ الحثيث في الدعوة إلى الله:

وامتدت رحلتنا معه ـ رحمه الله ـ بعد ذلك إلى آفاق واسعة رحبة من العمل الجاد الحثيث، في سبيل نشر كلمة الله وإعلائها في الأرض، وفي سبيل النهوض بهذه الأمة الصابرة من الوهدة المخيفة التي هوت فيها، وفي سبيل الأخذ بيدها والنهوض بها ثانية نحو المنبع النيِّر العذب، الذي ارتوى منه قادة الإسلام ومجاهدوه، منذ أن بزغ نوره، بظهور الدعوة المحمدية، فعمَّ الأكوان، وشمل البرايا، وأخرج للبشريَّة خير أمة أُخرجت للناس تقودها في مراقي العز، ومعارج الفلاح، في نطاق الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، الذي جَلاَ غَيَاهبَ الفسوق والعصيان، ونقّى قلوب البشر وغَسَلها برحيق الدعوة المحمديَّة، فإذا الدنيا إسلام، وإذا الدنيا سلام، وإذا البشر يرتفعون بدعوة محمد ﷺ، إلى ذرى عاليةٍ من الرُّقيِّ والعلاء.

### من أساطين القانون والشريعة:

ولقد كان ـ متّعه الله بالنعيم ـ من أساطين القانون والشريعة، فهو حُجَّة في الأحكام الشرعية، كما هو حجة في الأحكام القانونية وتخريجاتها، وكانت آراؤه واجتهاداته، مناراً يهتدى به، كما كان رجال القضاء، يجدون

في علمه وفضله، وسَعَة اطِّلاعه وصدقه في مرافعاته ودفوعه، خير ضَمان يطمئنهم ويساعدهم على إحقاق الحق وإقامة العدل.

## طلابه من القضاة والمحامين:

ولقد تدرّب على يديه، طيلة عمله في المحاماة، كثير من القضاة والمحامين، وقد كانوا كلهم من خيار الناس، وأطهرهم ضميراً ووجداناً، لأنهم لا يكتسبون لديه العلم والمعرفة فقط، بل كان يفيض عليهم من تقاه، وصلاحه، وورعه، ما يجعلهم باتِّباعهم نهجه، من الرعيل الأول الذي يمكن أن يُوجّه هذه الأمة نحو المجد والسؤدد.

## في ميادين الدفاع عن الشريعة:

ولما رأى الراحل الكريم، أنزل الله على جدثه شآبيب رحمته، أن العمر قد تطاول به، وأنه آن أن يخلد إلى الراحة من وعثاء العمل، الذي قضى فيه معظم أيام حياته، تقاعد عنه، ولكنه لم يخلد إلى الراحة والكسل كما يفعل أكثر المتقاعدين، وإنما جَنَّد نفسه في ميادين الدفاع عن الشريعة الإسلامية الغرّاء، وحمل راية الجهاد ضد كل مَنْ تُسوّل له نفسه أن ينال من الشريعة المطهَّرة أي منال، فلم يدع مُستشرقاً ماكراً يكيد للإسلام، إلا وانتصب للردِّ عليه، ولم يترك مبتدعاً أو متفيهقاً خبيثاً، يريد أن يدسّ السم في الدسم، إلا وسفَّه رأيه، وأظهر خُبث نواياه.

كما أنه لم يَألُ جهداً في شرح وتفسير كثير من الأفكار والأحكام الإسلامية، خدمةً للدين، وقياماً بواجب الدعوة إلى الله، اختاره الله إلى جواره، فلبّى مَوْلاه راضياً مرضياً.

فَسَلامٌ عليه في المجاهدين الصَّابرين، في زمان شغل فيه الناس بالمال واللذة والمتاع، عن كلِّ ما عداه، وتخلّوا عن الآخرة، وتفرغوا للدنيا.

رحم الله تعالى فقيدنا الغالي الأستاذ عبدالقادر السبسبي، وأجزل مثوبته



له، وحشرنا وإياه مع النبيين والصديقين، والشهداء والمجاهدين والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً. ونختم بالدعاء له ضارعين لله تعالى:

يا من وسعت العالمين رحمة ... وشملتهم بالجود والإحسانِ
اغفر لعبدك يا رحيم ذنوبه ... وأنله من كرمٍ فسيح جنانِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم.

□ □ □ □ □

# الأستاذ عَبْدالقَادر السِّبسَبي رحمه الله[1]

**(١٣٠٤ - ١٣٩٣هـ)**

**(١٨٨٦ - ١٩٧٣م)**

للأستاذ أنس بن عبدالقادر السبسبي

## حَفْل نقابة المحاميين التأبيني:

لقد مضى أربعون يوماً على وفاة والدي المغفور له عبدالقادر السبسبي، ورحتُ أسائل نفسي: لماذا أقامت نقابة المحامين هذا الحفل التأبيني الكبير له؟

أتقديراً لعلمه، وقد كان من العلم في المكان المرموق.

أم تقديراً لدينه، وقد كان من عباد الله المخلصين.

أم تعظيماً لجاهٍ ناله من الدنيا، وقد كان له الجاه الذي يغبطه عليه الكثيرون من أهل الدنيا.

نعم، كان رحمه الله يجمع كل هذه الخصال الحميدة وكثيراً غيرها. ليس من حقي أن أمدح والدي، فهذا من الآخرين، لأنني مهما قلت وتحدثت فلن أفيه حقه.

(١) حضارة الإسلام، العددان الثامن والتاسع، السنة الرابعة عشرة: (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م).



## ولادته ونشأته وطلبه العلم:

كانت ولادته عام ١٨٨٦م، من أسرة عريقة، ينتهي نسبها إلى سيِّد المرسلين محمد ﷺ، نشأ في كنف أبوين رحيمين أحسنا تربيته، وكانا يريدانه حافظاً للقرآن الكريم، ورجلاً لامعاً في حياته العامة، فحقَّق الله إرادتهما.

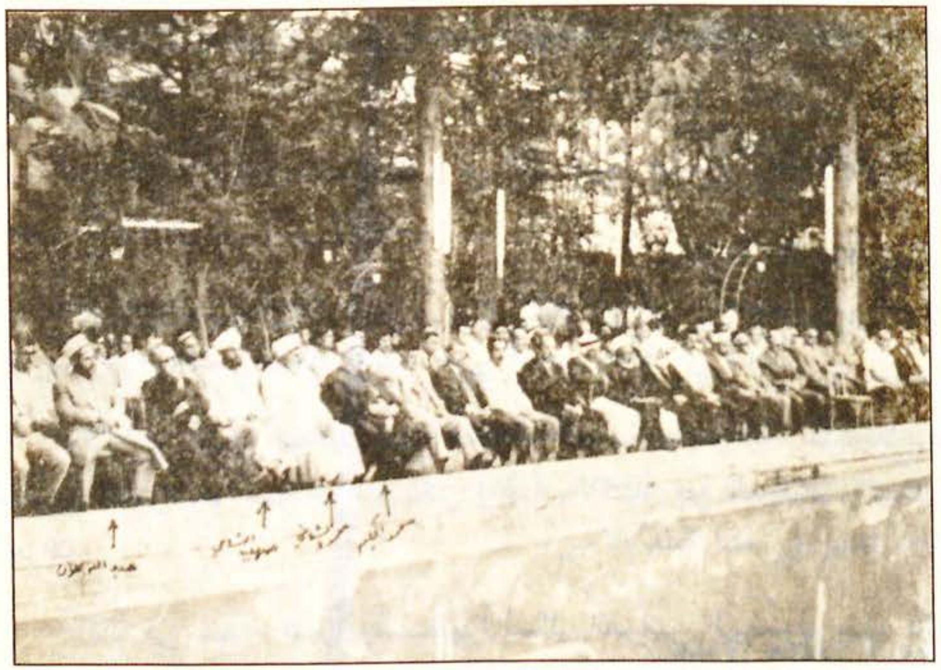

جانب من الحفل الذي أقامته نقابة المحامين بحلب

بمناسبة وفاة المحامي الأستاذ عبدالقادر السبسبي رحمه الله

ختم القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين وحفظه غيباً، ثم مال إلى طلب العلم على يد كبار علماء حلب، أمثال الشيخ محمد الزرقا، والشيخ محمد سعيد الإدلبي، والشيخ محمد نجيب سراج الدين، وغيرهم من كبار العلماء. وهو لم ينتسب إلى كلية الحقوق، وإنما مارس مهنة المحاماة بطريق التمرين، حيث قدّم فحصاً في منتصف العقد الثالث من هذا القرن، ونجح فيه، وأصبح بعدها محامياً لامعاً يُشار إليه بالبنان.

## اشتغاله بالمحاماة:

بدأ مهنته عام ١٩٢٦م، حتى أحال نفسه إلى التقاعد عام ١٩٦٠م، وكان يقول: إنَّ مبدئي في مهنة المحاماة تتلخص بالاستقامة وخوف الله في السرِّ والعلانية.

لم يكن والدي محامياً فقط، بل كان فقيهاً عالماً، وعاملاً كبيراً في الحقل الاجتماعي في شتَّى الميادين.

ففي مجال المحاماة كان لا يدع اجتهاداً قانونياً صادراً عن السلطة القانونية إلا ويتلقّفه ويُسجِّله لديه، حتى أضحى حجَّة في ذلك.

وكان من ألمع المحامين في القضايا المدنية والشرعية، ذا اطلاع في القضايا الجزائية، غير أنه لم يكن راغباً بالإكثار من الدخول بالدعاوى الجزائية.

وكان في مهنته قديراً ومُستظهراً لسائر القوانين المعمول بها، فكان يكتب القانون بكامله ليسهل عليه حفظه، حافظاً مجلة الأحكام العدلية عن ظهر قلبٍ بكافَّة موادها، وكان يستطيع بسهولة تلاوتها غيباً من أول مادة فيها حتى آخر مادة، من الألف إلى الياء، وكانت تُسعفه ذاكرته القوية بأن يتلوها من الياء إلى الألف.

وكثيراً ما كانت تأتيه الاستشارات القانونية والفقهية من مختلف أقطار العالم العربي بالإضافة إلى تركيا وألمانيا وسائر أقطار العالم.



## روح الدعابة الصافية:

وكانت رُوح الدَّعابة الصافية تمتلك مخيلته، وأذكر من دعاباته أني أرسلت إليه من ألمانيا حينما كنت أدرس فيها أستفتيه في جواز أكل لحم الحمير، فأرسل إليّ رداً فيه بحثٌ شرعيٌّ وافر، ثم ختم هذا البحث مخاطباً إيَّاي: يا ولدي! كل مثلما نأكل نحن كي نستطيع أن نفهم بعضنا بعد عودتك.

## صلات كبار علماء العصر به:

وكان كبار علماء الأمصار وأفذاذهم المعاصرون يأمُّون داره، وينزلون في ضيافته، كأمثال أبي الأعلى المودودي من الباكستان، وأبي الحسن الندوي من الهند، والعالم محمد أبي زهرة من مصر، والدكتور مصطفى السباعي رحمه الله.

## منتدى دار الأرقم:

كان من الروّاد الأوائل الذين أسس دار الأرقم عام ١٩٣٧م، فكانت الندوات العلمية تُعقد في ذلك المنتدى، فيعجّ بالطلبة والمثقفين من كل صنف ولون، يستمعون إلى تلك المناظرات، وينهلون من الكتب التي ملأت خزائن المنتدى، وكم خرّجت تلك الندوة من رجال أفذاذ كانوا قادة الفكر وقادة العلم في هذا البلد الأمين.

## جمعية تعليم الأميين:

كما انصرف رحمه الله إلى تأسيس جمعية تعليم الأُميين مع لفيف من إخوانه عملاً بقول الرسول ﷺ: **«خيرُكم من تعلّم وعلّم»**[(١)].

(١) لم يرد بهذا اللفظ، وإنما ورد بلفظ: **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»**. رواه أحمد (١: ٥٨، ٦٩)، والبخاري (٥٠٣٧)، وأبو داود (١٤٥٢)، والترمذي (٢٩٠٧)، وابن ماجهْ (٢١١)، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

## دراسة مشروع قانون الأحوال الشخصية:

وفي عام **١٩٦٩م**، قرّر مجلس نقابة المحامين بحلب تأليف لجنة برئاسة والدي لدراسة مشروع قانون الأحوال الشخصية، وكانت تعقد أسبوعياً في منزله.

## أعماله الاجتماعية:

أما صفته كعامل اجتماعي فذلك أمر مشهور ومعروف عنه:

- كان عضواً في لجنة الدفاع عن حقوق مياه قناة حلب.

- وفي عام **١٩٣٢م**، كان عضواً في مؤتمر الأوقاف العام الذي عُقد في حلب أيام الفرنسيين للمحافظة على الأوقاف الإسلامية، وحينما ذهب الوفد السوري إلى فرنسا للمفاوضة لعقد معاهدة لإعطاء البلاد استقلالها، وعودة الوفد بعد ذلك، أصدر الفرنسيون **قانون الطوائف** ذي الرقم ٦٠ (ل.ر)، وفي نصوص هذا القانون تَجَنٍّ على المسلمين، وخروج عن مبادئ الإسلام.

## رسالته في الردِّ على قانون الطوائف:

وقد ألّف المرحوم والدي - باعتباره رئيساً لدار الأرقم - رسالة في الردّ على قانون الطوائف، وأحدثت الرسالة هذه ضجَّة في جميع الأوساط الرسمية والشعبية، ممَّا حمل الفرنسيين على إيقاف العمل بقانون الطوائف بالنسبة للمسلمين، وبقي معمولاً به بالنسبة لبقية الطوائف في البلاد.

## المحامون الذين تمرَّنوا عنده:

تمرَّن عنده عدد كثيرٌ من المحامين، كان أولهم الأستاذ شوقي الزيات، وآخرهم الأستاذ عبدالعزيز الشماع، ومن بينهم الدكتور معروف الدواليبي، والأستاذ مصطفى الزرقا، وقاضي الشرع الأول الأستاذ عبدالوهاب التونجي، والأستاذ المحامي سليم عقيل، والأستاذ فؤاد قسطلي، والأستاذ محمد سيرجية، وغيرهم كثيرون.



## الداعية المصلح:

وحسبي أن أقول لكم: إذا ما ذكرتم عبدالقادر السبسبي، فاذكروا الداعية المصلح، الذي قضى نحبه في طلب العلم، ومن أجل العلم. وقد سُئل الرسول الكريم ﷺ: أيُّ جلسائنا خير يا رسول الله؟ فقال: «**من ذكّركم بالله رؤيته، وزاد في علمكم منطقه، وذكّركم بالآخرة عمله**»[1].

## ردوده على المستشرقين والحاقدين:

وقد كتب في موضوعات شتّى، وَأَوْلى عناية خاصَّة الموضوعات التي فيها ردٌّ على الشكوك والتُّهم التي يثيرها المستشرقون والمستغربون والحاقدون على الإسلام، ومنها مقالة: (الدر المكنون رداً على قالة الملعون)، وتفنيده لأباطيل المُغْرضين الذين تناولوا بعض العلماء الأعلام، كالإمام البخاري رضي الله عنه، بالنقد والغمز والتجريح، رداً على مقال نشرته مجلة العربي عدد (٧٠): «لا تفتروا على الإمام البخاري، كل ما في صحيح البخاري صحيح». ومن إنتاجه العلمي: الرد العلمي الصريح على الموسوعة الفقهية، وكثيرٌ من المقالات نشرت في مجلة حضارة الإسلام، نشراً للثقافة وتعميماً للفائدة.

وقد أَلَّف كتباً عدة، منها كتابه عن «الأحوال الشخصيَّة»، وكتابه عن «الزواج والرقّ في الإسلام»، و«فقه الإسلام».

كان الجهاد بالقلم واللسان في سبيل إعلاء كلمة الله دَيْدنه، إنه لم يترك راية الجهاد إلا ليد الموت التي لا تقهر.

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٢٤٣٧)، وعبد بن حميد (٦٣١)، من حديث ابن عباس. وقال البوصيري في «إتحاف الخيرة» ٦: ١٢٧: إسنادٌ رواته ثقات.

كان يحمل راية الإسلام والوطنية والكرامة بقلبه لا بيده، بروحه لا بأنامله.

### وفاته رحمه الله تعالى:

وكان طبيعياً لجسد يُسرف في إحراق وقوده أن ينطفئ أخيراً، وهكذا وقع القدر، ونزل به الداء العضال، فالانطفاء. وحسبي قول الشاعر:

بكى عليك الحسام والقلم      وانفجع العِلْمُ فيك والعَلَمُ
مضى الذي كان للأنام أباً      فاليوم كل الأنام قد يتموا

سوف نسير على الخطَّة التي خطّها لنا، لننال رضاه وهو في جنة الرضوان، نواصل السَّيْر على الدرب الذي مشى فيه.

### دعاء ورجاء:

اللهمَّ ارحم والدنا.

اللهمَّ إنه وديعتنا عندك.

اللهمَّ إنه جاهد فيك حقَّ الجهاد، وصبر على ابتلائك أكرمَ الصبر، رضي بقضائك وقدرك دون اعتراض، وجعل حياته لك، ومات راجياً ثوابك، وكان شديد الثقة فيك، وقد كانت كلمته الأخيرة في الدنيا: يا الله.

اللهمَّ يا رب أحسِنْ قبوله، وحقِّق رجاءه وأمله.

اللهمَّ اغفر له وارحمه، وأكرم نُزله، وأدخله الجنة.

اللهمَّ لا تحرمنا أجره ولا تفتنّا بعده.

اللهمَّ قد روينا في السند الصحيح عن نبيك المصطفى ﷺ: «**إنَّ المرء مع مَنْ أحب**»[1] فاحشره إليك مع صَفْوة خَلْقك، واجمعنا به في مُستقرّ

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤١) من حديث عبدالله بن مسعود.



رحمتك مع النبيين والصدِّيقين والشهداء والصَّالحين، وحَسُنَ أولئك رفيقاً.

### وصيته لأبنائه:

وقد كانت وصيته لأولاده متمثِّلة بقول الشاعر:

يناشدنا بالله ألاّ تفرَّقوا      وكونوا رجالاً لا تسرّوا الأعاديا
فروحي من هذا المقام مُطلّة      تُشارفكم عني وإن كنت باليا
فلا تحزنوها بالخلاف فإنني      أخاف عليكم في الخلاف الدواهيا
أجل أيها الداعي إلى الخير إننا      على العهد ما دمنا فنم وأنت هانيا
بقاؤك محفوظ وطيفك ماثل      وصوتك مسموع وإن كنت نائيا

فنسأل الذي فجعنا بموتك، وابتلانا بفقدك، أن يجعل سبيل الخير سبيلك، ودليل الرشد دليلك، وأن يوسِّع لك في قبرك، ويغفر لك يوم حشرك، وأنت أهل لحُسْن الثناء وطيب البقاء.

لقد عِشْتَ حميداً مودوداً، ومتَّ سعيداً مفقوداً، رحمة الله عليك، وتحية لك من قلوب مفجوعة لذهابك، ومسح الله على قلوبنا بالصبر الجميل، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أخيراً، لا يسعني باسم آل الفقيد إلا أن أُقدِّم جزيل شكري وامتناني لكلِّ من شاركنا بحضور هذا الحفل التأبيني لوالدي المرحوم، كما أخصُّ نقابة المحامين لمُساهمتها في إحياء هذا الحفل، سائلاً المولى عزَّ وجل أن لا يفجعكم بعزيز، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

□ □ □ □ □

# الأستاذ المحامي عبدالقادر السبسبي(١) رحمه الله

## الحفل التأبيني في مقر نادي المحامين بحلب:

كتب إلينا الأخ الفاضل مندوب المجلة بحلب يقول:

مساء الأربعاء الموافق **١٩٧٣/٨/٢٩**، أقيم حفل تأبيني في مقرِّ نادي نقابة المحامين بحلب، بمناسبة ذكرى مرور أربعين يوماً على وفاة الفقيد الغالي العالم العامل والمحامي الفاضل الشيخ عبدالقادر السبسبي رحمة الله عليه.

اجتمع شَمْلُ المدعوين في باحة النادي التي تظلِّلها الأشجار السامقة، وتحتل طرفها بركة واسعة، وتشرف عليها عمارات أهل الحي (السبيل) من نواحيها، وتتلألأ المصابيح الكهربائية في أركانها جميعاً. وفي تمام الساعة السادسة افتتح عريف الحفل الأستاذ عبدالقادر الحيدري، افتتح الكلام بالاستماع إلى آي من الذكر الحكيم.

## كلمة المحامي طريف كيالي رئيس نادي المحامين:

وبعد الإنصات بخشوع إلى تلاوة ما تيسَّر من كتاب الله عزَّ وجل،

(١) حضارة الإسلام، العدد السابع، السنة الرابعة عشرة: (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م).



تقدم إلى الكلام المحامي الأستاذ طريف كيالي رئيس نادي نقابة المحامين، فرحَّب بالمدعوين ـ وكانوا حشداً ضخماً ـ ثم انتقل إلى الكلام على مزايا المرحوم السبسبي الكثيرة، ووقف عند مزية هامة، ألا وهي: توفيقه البارع بين الدين والعلم، أي: الاستنباط من دين الإسلام الحنيف ما يُلبِّي حاجات عصرنا المندفع بسرعة إلى العلوم والصناعة والتقنية، وكان توفيق المرحوم السبسبي بغير زيغ ولا وَهَن، مما جدَّد شباب الإسلام العظيم، وبعث الثقة في النفوس، وأثبت بالقول وبالفعل أن الإسلام دين الحق وما سواه باطل.

## كلمة الأستاذ إحسان كيالي رئيس فرع نقابة المحامين بحلب:

ولمَّا فَرَغ رئيس النادي من ثنائه، انتدب إلى الكلام الأستاذ إحسان كيالي رئيس فرع نقابة المحامين بحلب، فأعلن أسفه على خروج جنازة المرحوم في غيبتهم لمّا كانوا في مؤتمر حقوقي خارج المحافظة، ثم تناول بالإشارة والإكبار دَوْر الفقيد السبسبي في بناءِ صَرْح نقابة المحامين، علماً ومسلكاً، مما جعلها مفخرةً بين أمثالها في المحافظات والبلاد الأخرى. كما أفاض في الحديث عن تبحُّر المرحوم في المسائل القانونية، وعن حفظه ـ رحمه الله ـ لمجلة الأحكام العدلية كلها عن ظهر قلب، وعن موقفه الشجاع لما كان وكيلاً لحقوق الأوقاف الإسلامية برغم قلة راتبها. ولم ينس أن يكبر فيه تواضعه الجمّ وروحه المرحة. على أن أهم شيء فيه (نضاله العلمي الإسلامي): مطالعةً وكتابةً واستمراراً عليه قبل التقاعد وبعده، لا سيما رده المشهور على عبدالرزاق السنهوري: حول النهضة العلمية في ضوء القانون الغربي ـ في مجلة القانون ـ معتبراً الفقه الإسلامي كنز الشريعة الغراء.

ثم أخذ بتعداد مؤلفاته الكثيرة، ونوَّه بشكل خاص بمؤلفه الضخم «شرح قانون الأحوال الشخصية»، وأعلن عن نية النقابة على طبعه ونشره على نفقة النقابة الخاصَّة تقديراً لجهوده الواسعة، ومن أهم جهوده العلمية: تخريج جيل عريض من القضاة والمحامين في مكتبه، فقد عمل منذ **١٩١٩** محامياً، وأصبح **١٩٢٥** أستاذاً، وفي **١٩٥٩/١/٣** أحال نفسه على التقاعد حيث لم ينقطع فضله المدرار.

### كلمة القاضي فؤاد القسطلي:

ثم أعطي الكلام للقاضي فؤاد القسطلي، الذي ألقى كلمة (القضاء)، فافتتح كلمته بقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا... وَمُقَامًا﴾، واعتبر المرحوم السبسبي من بقية السلف الصالح القلة في هذا الزمن الذي فسد أهلوه، وأفاض في كلمته عن دور المرحوم في جمعية (دار الأرقم) التي أسهم في تأسيسها **١٩٣٦**، وقاد جهادها الوطني في العهد الفرنسي البائد حتى **١٩٤٥**، يوحِّد الصفوف، ويُربِّي الناشئة، ويقارع الاستعمار، ويدعو إلى الله سراً وعلانية باللسان وبالبنان، حتى أصبح من أعلام هذه الأمة يشار إليه ويؤخذ رأيه ويزار في عرينه ويضرب بسيفه[1].

### كلمة المحامي أسامة الصابوني:

وكانت الكلمة التالية للمحامين، وقد ألقاها المحامي الأستاذ أسامة الصابوني، امتازت كلمته بالبلاغة الساحرة وبالتأثُّر الواضح، لا سيما حديثه عن غرور الجيل الجديد الذي كان يستهين بالجيل القديم وبرجاله، فإذا بالسبسبي العبقري يُدهش الجيل الجديد بعلمه وكرمه وشجاعته وتواضعه وذكائه، ويجعل أقصى مطامح الجيل الجديد أن ينظر فقط إلى بعض منزلة الجيل القديم. فمثلاً استطاع السبسبي ـ هذا الرجل الضئيل الحجم في الجسد ـ أن يؤسِّس جمعية (دار الأرقم) في حلب مقابل (النادي الكاثوليكي)، ليقود الأجيال الجديدة في معركة الانتقال من عصور الانحطاط إلى العصر الحديث، فيُجنِّبهم الانبهار والضياع، ويُعزِّز فيهم الثقة بأنفسهم وبأمتهم وبشريعتهم الغرَّاء، ويتَّخذهم أبناءه لأنه رزق الأولاد على كبر، فنهارهُ يقضيه في تربية شباب (دار الأرقم)، وليله في المطالعة والكتابة.

ويروي المحامي أسامة الصابوني حادثةً له مع المرحوم السبسبي حين استشاره بمسألة عن (الحقوق الذريَّة) فقال له: إنها قضية شائكة. دعنا ندرسها في جلسة مطوّلة في متنزّه، ولما اجتمع شملهما ثانية، أخذ السبسبي

---

(١) تقدمت كلمة القاضي فؤاد القسطلي ص**٥٩٥ ـ ٥٩٩**.



يعطي ويعطي من علمه ونفسه ما أذهل المحامي الصابوني، وأدهشه علماً وفهماً.

وفي الختام أحبَّ المحامي الصابوني أن يردّ الجميل بما يشبه الأجر، فإذا بالسبسبي يرفض بكل إباء وكرم، لأنَّ عطاءه أسمى من أن يقدَّر بشكر أو أجر، فأين نحن؟ وأين جيلنا؟ وأين واقعنا الأسود المتكالب على اللهو والغش والخيانة من ذلك الرجل العظيم؟!

رحمك الله يا أبا أنس رحمة واسعة، وألهمنا عنك الصبر والسلوان، وعلَّمنا كما علَّمك العطاء ولذّة العطاء من النفس قبل الطمع بما في أيدي الناس.

### كلمة أسرة الفقيد للمهندس أنس السبسبي:

أما مسك الختام فكان كلمة أسرة الفقيد، ألقاها ابن المرحوم السبسبي المهندس أنس السبسبي، فأشار إلى أن نسب والده ينتهي إلى بيت الرسول عليه السلام، وأنه ولد عام **١٨٨٦** لأبوين صَالِحَين أراداه حافظاً للقرآن ورجلاً بارزاً في الحياة العامة، فكان كما أرادا. فقد ختم القرآن ابن سبع سنوات، وطلب العلم على كبار العلماء، مثل: الشيخ محمد الزرقا، ومحمد سعيد الإدلبي، ومحمد نجيب سراج الدين، كما مارس المحاماة منذ منتصف العقد الثالث من هذا القرن حتى تقاعد.

وكانت مبادئه في الحياة: الاستقامة وخوف الله تعالى. وإذا كان لا يليق بالابن أن يمدح أباه فإن الناس شهودٌ للمرحوم بأنه فقيه عالم عامل في الحقل الاجتماعي، حتى صار حُجَّة.

وكان ـ عليه رحمة الله ـ يستلم القضايا المدنية والشرعية ولا يرغب بالقضايا الجزائية، وإن كان ضليعاً فيها كذلك. وكان حافظاً مجلة (الأحكام العدلية) من ألفها إلى يائها بلا تلكؤ، وكانت تأتيه الاستشارات القانونية والقضائية من مختلف البلدان[1].

---

(١) تقدَّمت كلمة الأستاذ أنس بن عبدالقادر السبسبي ص٦٠٠ ـ ٦٠٧.

## الداعية المجاهد

# الأستاذ خالد الرفاعي

## رحمه الله (١)

(١٣٥١ - ١٣٩٣هـ)

(١٩٣٣ - ١٩٧٣م)

**للأستاذ عمر عبيد حسنة**

قال تعالى: ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣].

رحمك الله يا أخي أبا أيمن، يا أخا الطريق الطويل، يا رفيق السفر والحَضَر، والشدَّة والرخاء، فقد كنت نزهة النفس، ومتعة القلب، وغذاء الروح.

رحمك الله وأكرم مثواك وأعلى مقامك في الآخرين، وجزاك عنا خير الجزاء، وجمعنا بك في دار الخُلد تحت لواء سيد المرسلين.

(١) حضارة الإسلام، العددان: الثامن والتاسع، السنة الرابعة عشرة: (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م).



لقد صدقتَ الله فيما عاهدت عليه، وكان عهد الله أساس حياتك ومحور سلوكك في جميع المجالات.

أدّيت الأمانة، ونصحت لهذه الأمة التائهة، عشت آلامها ومشكلاتها، وكنت لها الدواء، وأنت في أشدِّ حالات مرضك، كنت تتحسَّس مواطن الداء، وتشارك في وصف الدواء وبيان الطريق.

### اهتمامه بالعمل الإسلامي رغم اشتداد وطأة المرض عليه:

ولا زلت أذكر حينما رغبت مع بعض الأحبة زيارتك أثناء اشتداد وطأة المرض عليك، ورأينا أن لا نتعرَّض لذكر المرض وحديثه، وأن يكون حديثنا معك ممَّا اعتدنا أن نتكلم فيه من الأمور، لعدم إشعارك بشيء من حالتك المرضية، وإذ بنا نفاجأ بإيمانك الكبير بقدر الله وقضائه، وأنك الحريص - كما كنت دائماً - على عدم إشغالنا بقضايا المرض الخاصَّة، وأن مشاكل العمل الإسلامي، والدعوة إلى الله وديمومة التفكير بوسائلها هي الشغل الشاغل والأمر العظيم الذي تهون دونه قضايا المرض وسائر الأمور الشخصية الأخرى. ولا زلت أذكر أيضاً كيف كنت تستفيد من فترات الصحو البسيطة التي تمرُّ ضمن ساعات آلامك الشديدة لتتابع الحديث والتفكير فيما نذرت نفسك من أجله، الدعوة إلى الله وتخليص الناس من أوضار الجاهلية.

لقد أذكرتني - يا أخي - بحامل راية المسلمين في غزوة مؤتة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، ما سقطت الراية التي يرفعها حتى سقطت كلتا يديه.

### شكره وصبره:

لقد كنتَ معلِّماً وقدوةً في حالة الصحَّة وحالة المرض، تعلَّمنا منك الكثير الكثير، عشنا المعاني الإسلامية، بشكل عملي، ورأيناها واقعاً حياً بعد أن كادت تنتهي في حياة كثير من الناس لبُعدهم عنها وعدم تمثلهم لها.

لقد كنت الواقع المقروء لقول الرسول ﷺ: «**عَجَباً لأمر المؤمن! إنَّ أمره كله خيرٌ، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن: إنْ أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له**» رواه مسلم(١).

كنت معلماً صبر المسلم، وما يحتسبه من أجر عند الله في كل الحالات، متمثِّلاً قول أستاذنا الرائد السباعي رحمه الله(٢):

وما لهفتي للبرء لهفة طامع ... حريص على الدنيا من الموت يهلع
رضيت من الرحمٰن أجر طوية ... على فعل خير نفعه لا يضيع
فإن يؤتني برءاً نهضت لفعله ... وإلا فقد رضيت نفسي بما الله صانع

## المرض درس كبير:

كان مرضك درساً كبيراً لنا، وتربيةً لنفوسنا، رأينا فيه كيف يمرض المسلم ويصبر المسلم؛ رأينا فيه بكاء الطبيب، وحُرقة الأخ، ولوعة الأم، ووفاء الزوجة، المؤمنة الصابرة، وابتسامة المريض؛ رأينا فيه عجز الإنسان، وضعف الإنسان، رأينا فيه العبد المخلوق، وحاجته الشديدة إلى الله الخالق.

## سفره إلى ألمانيا للعلاج:

طلب إليك إخوانك ومُحبُّوك السفر إلى ألمانيا للعلاج ممَّا ألمَّ بك من مرض عضال، كان ألمهم له أشد من ألمك منه، وما كنت بالذي يردّ لهم طلباً طيلة حياتك، في صحتك ومرضك، في ليلك ونهارك، وكانت إرادة الله أن تذهب إلى هناك إلى ألمانيا لتقرّ عينك، فترى أنَّ المعاني الإسلامية التي دعوت لها وجاهدت من أجل تحقيقها، هي هناك حقيقة واقعة تعيش على الأرض في دنيا الناس، وليست نظرية فلسفية وتأمُّلات يعيشها الإنسان مع عقله بعيداً عن مجتمعه. ذهبت إلى هناك لتقرّ عينك، ولتكون الصورة الأخيرة

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب الرومي رضي الله عنه.

(٢) الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله توفي في جمادى الأولى ١٣٨٤هـ، الموافق ٣٠ تشرين الأول ١٩٦٤م.



التي تفارق الدنيا عليها هي صورة تمثِّل المعاني الإسلامية، والأخوة الإسلامية حيَّة متحركة، فالمسلمون مهما تباعدت ديارهم، واختلفت ألوانهم كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

## مبعث سعادته وطمأنينته:

**رحمك الله يا أبا أيمن!** لقد كنت معلِّماً داعياً إلى الله، حتى وأنت تلفظ أنفاسك الأخيرة. كان أطباؤك من غير المسلمين، وهم الذين يعالجون آلاف المرضى، يحارون من أمرك ومن مبعث سعادتك واطمئنانك بالرغم من أنك تعلم ما ألمَّ بك من مرض، فذهبوا يسألون عن عقيدتك ونوع إيمانك الذي يُضْفي عليه هذه السعادة وهذا الاطمئنان!! عجبوا من هذه الظاهرة التي لم تصادفهم في حياتهم الطبية!!

## المسلم الداعية في كلِّ الأوقات:

**رحمك الله يا أخي!** لقد كنت المسلم الداعية في كلِّ الأوقات. وكنت تعتقد أن عثرات الدعاة إنما تبدأ من داخل نفوسهم، وذلك بعدم وضوح تصوُّرهم للفكرة التي يدعون الناس إليها وعدم ثقتهم بها، وخضوعهم في مقاييسهم وتصوُّراتهم لضغوط الجاهلية وثقافتها من حولهم، وإنه لا بد لنجاح الداعية إلى الله في هذا العصر من التصوُّر الكامل للفكرة التي يدعو إليها، وهذا لا يتولَّد إلا بالتلاوة المتأمِّلة لكتاب الله، والدراسة الهادفة لسيرة رسول الله ﷺ وصحابته الكرام. وأن دليل صدق التصوُّر للفكرة والثقة بها أن يكون الداعية إلى الله من ورائها بسلوكه وحياته كلها. فالدعوة للإسلام كما تراها حياة كاملة بكل آفاقها.

الدعوة للإسلام ليست حرفة يأكل بها أصحابها، ويعيشون عليها لا لها، وليست ثوباً له مواصفات خاصَّة يُلبس في المناسبات ويُخلع في المناسبات، ويُوضع في غرف الاستقبال ليلبس للزائرين بعيداً عن جوِّ الأسرة وعلاقات الأسرة وتربية الأسرة، وليست حصة زمنية محدَّدة تلقى على الطلاب في الدرس، ثم يكون وراءها ما يكون من الحَيْدة عن الحياة

الإسلامية، والمشاركة بكلِّ ما يتعامل به الناس ويعيش له الناس، وليست الدعوة إلى الله في نظرك شعارات، وعناوين يطرحها محترفون أذكياء، أدركوا رواجها وتوفر المناخ المناسب لها، وظنوا أنهم قادرون على استغلالها وتحقيق المكاسب عن طريقها، تلك المكاسب التي لا تختلف عن مكاسب أهل الدنيا في وسائلها وعناوينها، لقد كنت تقابل هذه الأشكال من الدعوة بالابتسامة المشفقة.

## أمله الكبير بالمستقبل لهذا الدين:

**رحمك الله يا أخي!** لقد كان الأمل الكبير بأنَّ المستقبل لهذا الدين، يملأ قلبك، وكان أملك بنصر الله لدعوته وعباده المتقين أكبر من واقع الناس، وكانت معالم عالم الغيب أقوى في نفسك وأشدَّ تأثيراً في سلوكك من عالم الشهادة الذي تراه وتحسه.

## آلفٌ مألوف:

كنت مثالياً في حياتك وشؤونك، واقعياً في دعوتك، كنت الترجمة الحية لحديث الرسول الكريم عليه الصَّلاة والسلام: «**المؤمن يَألَفُ، ويُؤلَفُ**»[1] ولعل ذلك من أبرز صفاتك التي ما اقتصر على معرفتها إخوانك من الأقربين، بل كل مَنْ رآك وزاملك في عمل أو رافقك في سفر أو جالسك على طعام، وكان هذا مفتاحك الذي لا يخطئ إلى قلوب الآخرين، وكم كانت صفاتك وخفَّة ظلِّك تُعيدنا وتذكُرنا بمجالس أستاذنا الجلاَّد رحمه الله[2].

(١) رواه أحمد (٥: ٣٣٥) عن سهل بن سعد مرفوعاً بلفظ: «**المؤمن يَألَفُ ولا خير فيمن لا يَألَفُ ولا يُؤلَفُ**»، ورجاله ثقات غير مصعب بن ثابت، فإنه لين الحديث، ولا يضر فإن له شاهداً من حديث أبي هريرة رواه أحمد وابنه عبدالله (٢: ٤٠٠) بسند صحيح على شرط مسلم. وعزاه الهيثمي في «المجمع» (٨: ٨٧) و(١٠: ٢٧٣) لأحمد والبزار وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٢) الأستاذ محمد خير الجلاد، مدرس التربية الإسلامية بدمشق، توفي عام ١٣٨٥هـ الموافق ١٩٦٥م رحمه الله، وتقدمت ترجمته ص٣٤٤ ـ ٣٤٦.



كنت بعيداً عن الحقد والكراهية، تصل مَنْ قطعك، وتعفو عمَّن ظلمك، مُحتسباً ثوابك عند الله تعالى، كيف لا وأنت المؤمن الذي لا يجتمع في قلبه حقد وإيمان.

## زهده في متاع الحياة الدنيا:

عِشْتَ حياتك زاهداً في متاع الدنيا الفاني، كانت حياتك حياة المُودِّعين، ما أثقلت الدنيا كاهلك، ولا أقعدتك عن أداء رسالتك، ولم يكن لها من قلبك أي نصيب، كنت تنعي على الدنيا وأهل الدنيا، ولا أنسىٰ ـ كما لا ينسى كل من عرفك ـ لفتاتك اللطيفة وإشاراتك الخفية التي تحذر فيها من الانشداد إلى الدنيا والركون إليها، فالمترفون عاجزون بطبيعة وضعهم وحياتهم عن تحمُّل أعباء الدعوة، والقدرة على التضحية في سبيلها، وكم كنت تكرر: إن هؤلاء كل همِّهم قطاف الثمرة، والبعد كل البعد عن تقديم التضحية والعناية بتربية الشجرة «**فليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكنَّ الغنى غنى النفس**»[1] صدق رسول الله.

## شجاعته وسرعة عودته إلى الحق:

عِشْتَ كريماً شجاعاً لا تخشى في الله لومة لائم، وقَّافاً عند حدود الله، سريعَ العودة إلى الحق، فشجاعتك في العودة إلى الحق ليست بأقل من شجاعتك بالدفاع عنه والثبات عليه، مُؤْثِراً ما عند الله، مُخْلصاً لله في عملك، متمتِّعاً بصفاء نادر ليس من بضاعة هذه الأيام.

## التربية بالقدوة:

لقد كانت وسيلتك في الدعوة إلى الله: التربية بالقدوة والأسوة، بعد أن كَثُر الكلام وقلَّ العمل، علَّمت الناس بحياتك الإسلامَ، لم تضع مؤلفاً في التربية ووسائلها ـ وأشهد الله أنك أهلٌ لذلك ـ فالمؤلفات تملأ المكتبة

(١) رواه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١)، والترمذي (٢٣٧٣)، وابن ماجه (٤١٣٧) من حديث أبي هريرة.

الإسلامية، ولكن أوجدت الإنسان المسلم النموذج. وما هذا الجيل من الطلاب والشباب والنساء الذي يعمل في مختلف جوانب الحياة، والذي يشعر كل واحد منهم أنه مَدينٌ لك بمعرفة الطريق الحق، ساهمت في بناء نفسه ونظافة سلوكه إلا شاهد صدق عند رب العالمين، والرسول ﷺ يقول: «**لأَنْ يهديَ الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من الدنيا وما عليها**»[1].

**وبعد**: رحمك الله يا أخي خالد، ما كنتُ أظنُّ أني سأفتقد إحدى ساعدي بهذه السرعة، وما أظن أن ساعدي الضعيفة الأخرى قادرة على وفاء بعض حقك، وعزائي في ذلك أن كلَّ من عرفك يحمل في نفسه وسلوكه الترجمة الأمينة والعملية لحياتك.

فلقد كنتَ في حياتك معلماً حقوق الأخوة حارساً لها، وكانت وفاتك امتحاناً لوجودها. فلئن تركتنا ونحن أشد ما نكون حاجة إليك نعاني من آلام اليتم التي تتزايد مع الأيام، وعند النكبات والملمَّات، فعزاؤنا أنك عشتَ مجاهداً، وقضيتَ شهيداً، فإلى اللقاء في جنات الخلد دار المتَّقين إن شاء الله، وحَسْبنا الله ونِعْم الوكيل، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال رسول الله ﷺ: «**أشدُّ الناس بلاءً: الأنبياء، ثم الصَّالحون، ثم الأمثل فالأمثل**»[2] صدق رسول الله ﷺ.

---

(1) رواه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦)، وأبو داود في العلم (٣٦٦١) من حديث سهل بن سعد مرفوعاً بلفظ: «**فوالله لأَنْ يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَم**».

(2) أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣) من حديث سعد بن أبي وقاص قال: قل: يا رسول الله، أيُّ الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: «**الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صُلباً، اشتدَّ بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة**» وقال: حسن صحيح. وأخرجه أحمد (٦: ٣٦٩) عن فاطمة بنت اليمان، أخت حذيفة، قالت: أتينا رسول الله ﷺ نعودُه في نسوة، فإذا سقاء مُعلَّق يقطر ماؤه عليه من شدَّة ما يجد من حرِّ الحُمَّى، قلنا: يا رسول الله، لو دَعوْتَ الله فَشَفاك. فقال: «**أشدُّ الناس بلاءً: الأنبياء، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ الذين يلونهم**». وسنده حسن، وعزاه الحافظ في «الإصابة» للنسائي، وقال: سنده قوي.



## حياة الفقيد في سطور

- ولد رحمه الله في (المزة) من أحياء دمشق عام **١٩٣٣**م، ونشأ فيها.
- حصل على الثانوية الشرعية عام **١٩٥٤**م، من مدرسة الكلية الشرعية بدمشق، كما حصل على شهادة الدراسة الثانوية الرسمية بنفس العام.
- انتسب إلى جامعة دمشق، كلية الشريعة، عام **١٩٥٤**م، وحصل على إجازة في الشريعة عام **١٩٥٨**م، كما حصل على إجازة في الحقوق **١٩٥٩**م.
- عُيِّن مدرساً للتربية الإسلامية في محافظة درعا **١٩٥٨**م، ثم انتقل بعدها إلى ثانوية التل، ثم مدرساً في ثانويات دمشق، وكان آخرها ثانوية فايز منصور.
- توفي رحمه الله صباح الخميس **١٥** رمضان المبارك **١٣٩٣**هـ، الموافق **١١** تشرين الأول عام **١٩٧٣**م، في ألمانيا.

□ □ □ □ □

# مالك بن نبي .. الفيلسوف الرائد [١]

**(١٣٢٣ ـ ١٣٩٢هـ)**

**(١٩٠٥ ـ ١٩٧٣م)**

للأستاذ عمر مسقاوي

منذ بداية هذا الشهر نقلت وكالات الأنباء وفاة المفكر الفيلسوف الجزائري مالك بن نبي.

لقد مُنيَ العالم الإسلامي بنهاية فيلسوفنا كما بدأ به.

فبالرُّغم من أن مُفكِّرنا قد رَصَدَ فكره لدراسة العالم الإسلامي من الوجهة الاجتماعية، فقد نشأت هنالك غربة بينه وبين المجرى الفكري الذي طغى على تصورات الأجيال الإسلامية في عالمها الحديث.

(١) حضارة الإسلام، العددان الثامن والتاسع، السنة الرابعة عشرة: (١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م). وللدكتور عبدالله بن حمد العُوَيسي أستاذ الثقافة الإسلامية في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود، دراسة بعنوان: «مالك بن نبي: حياته وفكره»، صدرت الطبعة الأولى سنة ١٤١٥ في ٧٣٧ صفحة.



## قضيَّة المجتمع الإسلامي المعاصر:

فالأستاذ مالك بن نبي لم يكن مُجرَّد عالم أو أديب أو متعمِّق في تراث ينقله إلى جيل يليه. كان الأستاذ مالك فوق ذلك كله، إذ جذبته القضية إلى حلبتها.

ذلك أنه ما كان لابن نبيّ أن يتَّجه إلى العمل الفكري ككاتب لولا قضية المجتمع الإسلامي المعاصر.

فهو مهندس تخرج في الثلاثينات. وكان قد تقلَّب في معاهد العلم قبل ذلك منذ ولادته في الجزائر عام ١٩٠٥م. وقد سطر في كتابيه الأوليين من «يوميات شاهد القرن» مراحل الطفولة ومراتع الدراسة في الجزائر وباريس، فأتاح للقارئ أن يستمع إليه كشاهد يرقب الحياة من خلال فكره، ويعطينا صورة كافية عن عملية التأثُّر النفسي لمجتمع متخلِّف يتَّصل بالحضارة في صورة طالب يدرس الثقافة الغربية، أو عامل يتبلَّغ في أرضها الكفاف، أو سياسي يلعب دوراً في مستقبل البلاد.

## من صفحة الأرقام إلى صفحة الفكر:

فقد أتاحت له نشأته في الجزائر أن يشهد يوميات الاستعمار تحمل حصيلة مئة عام قبله أو يزيد. وكان ذلك نقطة اتصال هامة كوَّنت في فكر الأستاذ مالك تجربة، نقلت قلمه من صفحة الأرقام كمهندس إلى صفحة الفكر، يتعرَّض لمشكلات الحضارة بدلاً من مشكلات الإنتاج الحضاري.

## بناء الإنسان:

لقد وجد نفسه أمام ترتيب ضروري لرسالته في المجتمع، فلا بدَّ أولاً من بناء الإنسان قبل بناء الآلة، حتى لا نضع العربة قبل الحصان، فنقع في استحالة الوصول إلى الهدف.

في «يوميات شاهد القرن» يرتسم الأستاذ مالك لقارئ فكره: جزائريٌّ، طبعته أصالة الشعب، فمازجت روحه وعقله، فإذا القلم يشدُّه إلى منابعه الأولى، صاحب رسالة في المجتمع.

تلك ملامح تقرؤها في كلِّ صفحة من صفحات يومياته، ترسّخ المعرفة أقدامه في أرضه كماء يسقي الجذور، فقد تميَّز الأستاذ مالك بن نبي عن سائر المُتَّصلين بالثقافة الغربية، يحتويها كأداة للتفكير، بينما هذه الثقافة أغرقت في محتواها الآخرين، فأفقدتهم قدرة التحديد الصحيح للمشكلات.

## مقارنة بين طه حسين وابن نبي:

وإنه لتوافق يدعونا إلى المقارنة، إذ يغيب عن مسرح الحياة الدكتور طه حسين والأستاذ ابن نبي في آنٍ واحد.

كتاب الدكتور طه حسين «مستقبل الثقافة في مصر»، أو الكتب الأخرى المتَّصلة بالأدب أو بالإسلام، كانت حصيلةً وصفيةً شيئية لا تقدِّم حقيقة الإنسان المتخلِّف الذي قيَّده التخلف عن أية مبادرة فاعلة.

أما الأستاذ ابن نبي فقد دخل باريس جزائرياً مسلماً، يبحث لأمته عن طريق إلى الحضارة، وهو في مهمته هذه لم يفقد مقياس الأشياء، فاستطاع السيطرة عليها كمراقب يفهم المقدِّمات والنتائج.

فالأستاذ مالك يضع فكره في إطار مشكلة تتطلَّب الحلول، إذ الفرد المسلم مشكلة في عالمنا المعاصر، إنه متخلِّف، والقضية الملحَّة أن نضعه في مجرى التقدم.

وهذا التقدُّم لا يمكن أن يتحقَّق من خلال التكديس في الإنتاج الحضاري والفكري، بل من خلال البناء الذي يضع المسلم على مقود التاريخ.

والمشكلة من هذا الجانب تتجاوز الانتماء الفكري. فكما أنَّ التخلُّف بادٍ في مبادرات المسلم، هو أيضاً واقع الرجل الآخر الذي يبحث عن نهضته خارج تراثه.

فالمجتمع الإسلامي في سائر ما يحتويه من اتِّجاهات ما يزال في عالم الأشياء.



من هنا يأخذ الأستاذ مالك مبادرة جديدة في ترسيخ القواعد. فالقضية تتطلَّب تجديداً ديناميكياً متحرِّكاً للنهضة.

ومن هناك أتت مؤلفاته جميعها تحت عنوان: «مشكلات الحضارة».

ولسوف نضع القارئ أمام نموذج من أفكاره اقتطفناه من كتابه: «فكرة كمنولث إسلامي».

## الفكرة في المجتمع الإسلامي:

إنَّ أمام تنفيذ المشروع ـ الذي سلف الإشارة إلى خطوطه العامة ـ بعض المصاعب التي تقوم في مجالين اثنين:

أ ـ فهي تُعزى إلى التطور التاريخي للعالم الإسلامي، أعني: إلى منشآته.

ب ـ كما أنها من ناحية أخرى ناتجة عن تطوره النفسي، أعني: عن أفكاره.

ويكفي فيما يتعلَّق بالنقطة الأولى أن نذكِّر بما سلف من أن كثيراً من الأشياء المتفسخة في العالم الإسلامي قد تلاشت بالموت.

وأن الكثير من الأشياء الضرورية لمَّا تُولد بعد. والذي يترتَّب على هذا أن المنشآت في هذا العالم: إما أن تكون قد أصبحت لاغية، وإما أنها لما تتكيَّف بعد مع أوضاع العالم الإسلامي الراهنة.

فمصر هي البلد الإسلامي الوحيد ـ فيما أعرف ـ التي تهتمُّ بإنجاز منشآت جديدة ضرورية لحياتها الداخلية ولاتصالها بالخارج. أما فيما يتعلق بالنقطة الثانية فإن الأشياء فيما تبدو أكثر تعقيداً وذات أهمية أكثر جسامة معاً.

## عالم الأشياء وعالم الأفكار:

فنحن إذا قمنا فيما سبق بالمقارنة بين تطور اليابان وتطور الشعوب الإسلامية منذ قرن من الزمان، قلنا: إنَّ هذه الشعوب قد دخلت «عالم الأشياء»، وأنها لمَّا تدخل بعد في «عالم الأفكار» كلية. كما ذكرنا أيضاً - مستعيرين للغة «علم نفس الطفل» -: إن هذه المرحلة تمثل الطور «الما قبل اجتماعي» الذي يكتشف فيه الطفل عالم الأشياء، وإن كان لا يزال على جهل «بعالم الأفكار».

ويمكننا أن «نسقط» هذا الاعتبار على المظاهر المختلفة للحياة الإسلامية لنستخلص منها النتيجة المطابقة لها.

فنحن لو «أسقطنا» ذلك الاعتبار مثلاً على التطور الاقتصادي للعالم الإسلامي، منذ قرن من الزمان، نلاحظ أنَّ هذا التطور باكتماله في اتِّجاه «الأشياء» قد أنتج - ويلزم أن ينتج - «إعوازاً» زاد من حاجات هذا العالم، من غير أن يزيد في وسائله. وإذا ما أسقطناه على التطور الفكري، فهمنا السبب في أن هذا التطور، عندما يتحوَّل لدى المثقف المسلم إلى شكل من أشكال المادية، يكون قد اتَّجه نحو الشكل المحدَّد «بالأشياء» لا نحو الشكل المحدد «بالأفكار».

وكذلك الأمر فيما لو أسقطناه على التطور الاجتماعي بصفة عامة فإننا نفهم أن هذا التطور يتجه صوب ذلك الشكل من أشكال الحضارة الذي أدعوه «بالحضارة الشيئية».

ويمكننا أن نسقط ذلك الاعتبار أيضاً على الاتجاه الجمالي أو السياسي، ونستخلص نتائج بالغة الأهمية. إلا أننا نريد إسقاطه بطريقة أخص، على التصميم المفاهيمي، أعني على حياة الأفكار ذاتها ومدى فعاليتها في العالم الإسلامي.

فالمؤكد أنَّ الالتقاء لم يتم بعد بالنسبة إلينا بين عالم الأفكار وعالم الأشياء، ومن جرَّاء هذا ظلت الفكرة معزولة ومحايدة، وكأنها العزلى من سلاحها بفقدها فعاليتها.



وإذا ما أراد القارئ تكوين فكرة شخصية في هذا الصدد فليقم بتجربة صغيرة يرضخ فيها محيطه لمعيار موائم. فقد كررت أنا نفسي تجربتي في كل الصور بالجزائر منذ ربع قرن، وإنني لأستطيع تأليف كتاب كامل في هذا الموضوع، ولكنني أفضِّل أن يقوم القارئ بتجربته الشخصية بنفسه. .

حاولوا في أيِّ مناقشة أن تُوجِّهوا موضوع النقاش بطريقة منهجية حول «الأفكار»، ولتختاروا على سبيل المثال: موضوع المذاهب الاقتصادية أو أي موضوع نفساني. فإنه لا معدى لكم عن الالتقاء في محيطكم بثلاثة أصناف: الذين يلزمون الصمت تأدباً، والذين يتهكمون ملقين فيما بينهم بنظرات ذكية وكأنهم يقولون من ورائها: يا للمخرف. . . .، وصنف ثالث - وهم أكثر القوم خلوص نية -: يتثاءبون من السآمة، ثم ينصرفون عنكم إلى الاهتمام بأشياء أكثر جدية كمشكلة «الشوال» مثلاً. . .

وحتى هذا المَدَى، فإنكم لا تزالون بعيدين عن مشاهدة كل المزعجات التي يمكن أن تُحيق «بأفكاركم»، إلا أنكم على أية حال قد قمتم في هذه الأثناء بملاحظة هامة، تمثِّل في إدراككم لِمَدَى ما عليه الفكرة في المجتمع الإسلامي من لا فعالية وكأنها العزلى من سلاحها.

إنَّ «عالم الأفكار» هو الذي يدعم «عالم الأشياء»، العالم الذي لا يقف على قدميه بدون العالم الأول، ولا يمكن أن يقف على قدميه بنفسه إذا ما أطاحت به النوائب.

والمؤكَّد أنَّ عصرنا، من جراء العامل الفني الذي يُعجِّل من خطو كل الاطرادات، هو العصر الأخصب والأحفل بالتجارب الاجتماعية البناءة.

## قيام ألمانيا بنهضتها خلال عشر سنوات:

فقد رأينا كيف قامت ألمانيا - وهي المُسْتَنْزفة والمُنْهكَة جداً سنة ١٩٤٥م - بنهوض معجز خلال عشر سنوات. وقد سلف لي أن فسَّرت في دراسة أخرى هذا النهوض: بالإنسان والتراب والوقت، العناصر التي تفسر،

كل عملية اجتماعية. ولكننا إذ ندفع هنا بالتحليل إلى أقصى حدوده، من غير أدنى تغيير في المعادلة:

**إنسان + تراب + وقت = حضارة.**

يمكننا، بل يتعيَّن علينا أن نقول: إنَّ الإنسان هو الذي يحدِّد في النهاية القيمة الاجتماعية لهذه المعادلة، لأن التراب والوقت لا يقومان ـ إذا اقتصر عليهما فحسب ـ بأيِّ تحويل اجتماعي.

ونحن إذا ما تَسَاءلنا إذن: بأيِّ شيء أنهض «الإنسان» الألمانيُّ وضعيَّة بلاده أثناء هذا العقد المنصرم من الزمان؟ نكون ملزمين بالجواب عن سؤالنا هذا بطريقة واحدة لا غير، وهي أن أفكاره، وأفكاره فحسب، هي التي أتاحت له أن يحقق ذلك النهوض.

وهذا أمر حقيقي ـ وحقيقي بصورة لا مجال للريب فيها ـ سيما وأن حرب **١٩٣٩ ـ ١٩٤٥**م، قد خرجت عملياً «عالم الأشياء» في ألمانيا: بمصانعه، وآلاته، ومناجمه، وبنوكه، ومختبراته، فكل هذه «الأشياء» كانت قد دمرت وأتلفت.

وإذن فقد كانت ألمانيا ـ على وجه الدقة وبطريقة تكاد تكون رياضية ـ لا تملك سنة **١٩٤٥**م، أي مجموعة من «الأشياء»، ولكن مجموعة من «أفكار» فحسب وهي قد كونت من جديد، وابتدأت من هذا «الرأسمال» المفاهيمي كل حياتها الاجتماعية، واحتلت مجدداً مكانتها السياسيَّة في العالم.

إنَّ تجربتها بالنسبة إلينا لا تقدر بثمن، فهي تتيح لنا أن نستخلص بطريقة علمية، أن قيمة مجتمع معين في فترة ما من تاريخه، لا يعبر عنها بمجموعة «الأشياء» في هذا المجتمع، ولكن بمجموعة «أفكاره».

وإذن فما هي قيمة مجتمعنا الآن؟.. مهما يكن من أمر، فإن شيئاً واحداً هو المؤكد: وهو أنَّ «أساسنا» المفاهيمي ضعيف للغاية، و«عالم أشيائنا» لا يرتكز على أساس متين. مضافاً إلى ذلك أنه حتى الأشياء الموجودة في هذا العالم، كنا قد «اشتريناها» من مجتمعات تملك «أفكاراً».



# لمحات في وداع مالك بن نبي(١)

للأستاذ: محمد منلا غزيّل

## رسالة قلبية في وداع مالك بن نبي:

**يا أيتها الروح المؤمنة:** هذه رسالة قلبية في وداع أخ كريم كبير، شاءت الأقدار ـ بإذن ربها ـ أن تجمعنا وتؤلِّف بيننا على صراط الحق في عروة وثقى وحبل متين.

ولقد عرفت أخي وأستاذي مالكاً ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ أول ما عرفته من خلال كتابه: **(مستقبل الإسلام)** في أواخر الخمسينات، فوجدت نفسي أمام ذكاء باهر وألمعية فذة ونفسية مباركة طيبة تفيض بعبير مخلص نفَّاذ، وتابعتُ فصول الكتاب عبر مسيرة واعية صوب النهضة واليقظة والانبعاث، في محاولة لجعل **(وجهة العالم الإسلامي)** ـ وهذا عنوان الكتاب نفسه في ترجمة القاهرة وطبعتها التي تمَّت بإشراف المؤلف سنة **١٩٥٩**م، على ما أذكر حيث كان أستاذنا الراحل لاجئاً سياسياً منذ **١٩٥٦**م ـ وجهة مُسَدَّدة الخطى، راسخة الأقدام.

وقد ظلَّ هذا الكتاب في نظري أجود ما خلَّفه مالك بن نبي، وأحسب

(١) حضارة الإسلام، العددان الثامن والتاسع، السنة الرابعة عشرة: (١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م).

أن دراسته دراسة جادة عميقة كفيلة بأن تظلّ صورة المؤلف في نفوس الشباب الإسلامي محاطة بإطار الوقار وهالة الإعجاب والتقدير، إلى جانب ما يُجتنى من فائدة وخير عميم!..

وما زلت أذكر حديثاً من إذاعة العدو الصهيوني ذات ليلة، راح كاتبه يحرّف فكرة أساسية تتَّصل بالموقف الواعي والصلب من قضيتنا المصيرية في فلسطين، ووقوفنا في وجه الاستعمار وقفة باسلة، وكان التحريف يرمي إلى إرجاف وتشويش في نطاق الصراع الفكري على نحو ما عرَّفنا به الراحل.

## لقائي بالأستاذ مالك بن نبيّ:

وفي ذات يوم من أواخر **١٩٥٩**م، علِمنا في الجامعة أنَّ مالكاً قدم إلى دمشق، فيمَّمنا صوب فندق قناة السويس بالمرجة ـ وأحسب أنه هو المكان الذي زاره فيه المرحوم الدكتور **مصطفى السباعي** كما يبدو من برقية العزاء التي أرسلها مالك مدير التعليم العالي بوزارة الثقافة الجزائرية يومذاك ـ وتعرَّفنا في ملامح المفكر وقسماته إلى أسارير الصادق ونظرات العبقري ـ ومعذرة عن مثل هذه التزكية النابعة من فيض الشعور النابض بالوفاء وبالمودة ـ وما زلت أذكر كيف ضرب لنا مثلاً حول ما يريده للمسلمين من فعالية وانطلاق من خلال عنوان: **(الإسلام والطاقات المعطَّلة)**، وهو كتاب جديد للأستاذ محمد الغزالي، وكان العنوان في نظر المفكر الراحل ذا دلالة كبيرة على ضرورة انعتاق تلك القوى الكامنة والطاقات المُكبَّلة من قيودها وأغلالها، ووعي العالم الإسلامي بواقعه لتجاوزه إلى مستقبل أفضل.

## أثره في بنيان الوعي الإسلامي المعاصر:

**يا أيتها الروح المؤمنة**: ما زلت أذكر لقاءات لنا خِصْبة في رحاب دمشق ـ وقاها الله شرَّ العدو ـ وقد انثالت إلى خاطري ذكرياتها إثر سماعي نبأ الرحيل زرافات ووحداناً، ولعل الأيام تسمح بأن أفصّل القول فيها يوماً ـ إن شاء الله ـ متجاوزاً بعض ما فيها من آثار الضعف البشري، والخطأ الإنساني، إلى اللباب والصفوة، وما زال اقتناعي بأنَّ مالك بن نبي يَسُدُّ في



بنيان الوعي الإسلامي المعاصر ثَغْرةً وأي ثغرة! على بعض ما في آرائه أحياناً من شوائب أو رواسب.

## تقبُّله النقد والنصح:

ولقد كتبت إليه يوماً بعد قراءة (آفاقه الجزائرية) ناقداً وناصحاً، فتقبَّل النقد برحابة صدر ـ على ما فهمت من رسالته ـ ولكنني وجدت في كتابه: **(المسلم في عالم الاقتصاد)**، وهو آخر ما قرأته له قبل كتابه الأخير **(مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي)**، وفي هذا الأخير أيضاً، بعض الآراء والاجتهادات التي نخالفه فيها مخالفة الأخ لأخيه، وليس هذا مقام مناقشة وحوار، ولكلٍّ مقامٍ مقال.

## بين سيد ومالك بن نبي:

حدَّثني أخ عزيز التقى بمالك أيام وجوده بالقاهرة ـ خلال سبع خصاب ـ بأنَّ من أجود انطباعاته أثناء لقاءاته حرص الأستاذ الراحل على قراءة صفحات من كتاب الأستاذ سيد قطب (في ظلال القرآن) مع التعاطف والتجاوب، بل قُل مع الائتلاف الروحي، والأرواح جنود مجنَّدة....

وكم كنت أود لو ظلت هذه الأحوال الخيِّرة هي السائدة في مواقف الرجلين على ما بينهما من تباين في بعض الآراء والتقديرات، وأحسب أنَّ جلال الموت ورضوان الله للعالمَيْن العاملَين المُخلصَيْن، وموعود الله في جنَّة عرضها السمٰوات والأرض سوف تنزع من الصدور كل غلّ، إخواناً على سُرر متقابلين بإذن الله، وليفهم عني إخوتي القرَّاء ما أرمي إليه ـ على أساس من ثقتي بإخلاص الرجلين وعلمهما ـ من رصّ البنيان وحَشْد الأجناد.

## وختاماً يا أيتها الروح المؤمنة:

لئن كان من قدر الله سبحانه وتعالى (قدّر الله وما شاء فعل) أن تجمعني بتجربة الأستاذ مالك الشخصية ظروف معاناة قاسية، وأحسست معه

برهافة وتوتر صدق ما تعنيه المطاردة، ومحاولة الحصار النفسي والتطويق العصبي ـ بأموال أمريكا واليهود على حدِّ إدراك الأستاذ مالك يومذاك **١٩٦٠ ـ ١٩٦١م**، فليس لي إلا أن أكرر القول: قدّر الله وما شاء فعل ـ بيد أن الذي أتوخاه في ختام هذه اللمحات هو أن أركّز على أن شعار مالك في نهاية كتابه الذي صدر في سلسلة الثقافة الإسلامية في شباط ١٩٦٠م، بالقاهرة حيث قال:

(... **ولكن الإسلام هو القوة التي لا تُحطَّم**).

فَلْنَثْبُتْ في مواقع الدعوة والعمل مؤمنين واثقين صابرين.

وسلاماً سلاماً يا أرواح الشهداء والصالحين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

□ □ □ □ □



# لمحة جديدة في ذكرى مالك بن نبي[1]

للأستاذ: محمد منلا غزيل

## التفريق بين صفة (المسلم) و(الإسلامي):

١ ـ مرّت الذكرى الأولى لرحيل المفكِّر الإسلامي مالك بن نبي ـ رحمه الله وغفر له ـ وأنا عاكف على سلسلة كتبه ومجموعة تراثه في **(مشكلات الحضارة)** أقرؤها قراءة جديدة، متجاوزاً سلبياتها وما في بعض الآراء من شَطَط القول... إلى إيجابياتها وفوائدها الجمَّة الغزيرة، ولئن بدا لبعض الباحثين أن يفرّق بين صفة (المسلم) و(الإسلامي) في بيان ما كان عليه مفكرنا الجزائري، فوصف بأنه كاتب مسلم لا كاتب إسلامي، فلا يفوتني أن أؤكد التلازم والتكامل في مدلول هاتين الصفتين ما دام الإيمان بالإسلام والعمل لرفع رايته وإعلاء شأن أهله هو القاعدة والأساس.

ولقد كان مالك مسلماً واعياً مخلصاً، تهزُّه حالة أمته المسلمة وشعوبها، فيبذل قصارى الجهد ليكون لها دورها القيادي في حياة الناس: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ..﴾، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾.

(١) حضارة الإسلام، العدد التاسع، السنة الخامسة عشرة: (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م).

٢ ـ ولقد كتبتُ إلى أخ كريم أعرف فيه غيرته على الإسلام وأهله، كما أعرف فيه إعجابه بمجمل فكر مالك أن يُسهم معي ـ على نحو ما ـ في أداء واجب مشترك حيال ذكرى مالك، وذلك بأن يطرح عليّ من الأسئلة ما يراه منطلقاً لتبيان بعض الجوانب الخِصْبة من تراث ذلك الكاتب الكبير، وأن يخبرني عن تاريخ وفاته، فكان مما وصلني منه هذه السطور:

## ولادته ووفاته:

«أما جواب هذا الأخير، فقد عثرت عليه منذ يومين في مجلة الثقافة الجزائرية في مقال عن مالك، فقد جاء فيه: إنه ولد مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن مصطفى بن نبي في فاتح جانيفي سنة **١٩٠٥**، الموافق ٦ ذي القعدة **١٣٢٣**هـ، وتُوفي يوم الأربعاء في ٤ شوال، الموافق للحادي والثلاثين من أكتوبر (تشرين الأول) **١٩٧٣** الساعة الحادية عشرة وخمس عشرة دقيقة بمنزله، وممَّا يؤسف له أن مجلة الثقافة الليبية التي خصّها بآخر ما كتب حول (دعائم الثقافة) قد أغفلت تماماً أي إشارة، إلى وفاته رحمه الله، وغفر له! فقد كان يُحسن الظن بمن يكون حسن الظن فيهم ورطة!

## إحياء ذكرى مالك بن نبي ودوره في النهضة الإسلامية المعاصرة:

٣ ـ ولئن كان الغرض من نشر هذه العجالة، إنما هو لون من الوفاء بإحياء ذكرى أستاذ لنا وأخ كريم، يصنّفه الراصدون المختصُّون في تتبّع النهضة الإسلامية مع سيد قطب ومصطفى السباعي ومحمد يوسف موسى، ومع محمد البهي ومحمد الغزالي كما قرأت في كتاب عن المجتمع المصري المعاصر. وما أجدر مالك بأن نخصَّه بإشارة ـ هي في هذا الموضع جهد المقل ـ ويُرجى أن تكون دراستي المجملة حول **(مالك على طريق الحضارة الإسلامية)**، التي تصدر عن دار القلم قريباً إن شاء الله لوناً آخر من ألوان الوفاء والتقدير لمن أخذ بنصائح مُحبّيه من إيثار الصفة الإسلامية على تلك الصفات الأفريقية ـ الآسيوية مثلاً، كما يبدو من الفصل الذي أعاد نشره في



**(المسلم في عالم الاقتصاد)** بعد التعديل المناسب... فضلاً عن ذلك (التنبيه) الذي كتبه على غلاف كل حلقة من سلسلة: **(مشكلات الحضارة)** في طبعة دار الفكر البيروتية، وكأنه يعتذر فيه عن هفوات وذلك في قوله:

«إن الأفكار العامة التي تتعلق بواقع مجتمع ما قد تستغل ملابسات هذا المجتمع في مرحلة معيَّنة من تطوره لا لحاجة نَظرية غالباً، وإنما لضروريات عملية تفرضها الطريق!..

وقد يذكر صاحبها، في تلك المرحلة، أسماء شخصيات أو أماكن معينة، ولكن الطريق لا يقف عند هذا الشخص أو في هذا المكان.. إنه لطريق طويل.. طريق الحضارة الإسلامية..».

٤ ـ وأخصُّ من تلك الرسالة الجوابية على رغبتي في طرح أسئلة مركّزة حول فكر مالك هذا السؤال.. وأسأل الله تعالى أن يهيِّئ لنا أسباب تلك الدراسة الموعودة، وأن يفتح لنا سبل المعرفة والبيان:

**أما السؤال الثاني فهو: كيف أننا لا نرى (حسب مواريثنا) تاريخ الأشياء ونراها كأنها وُجدت كما هي، ولا نرى نُموَّها أو حسب التعبير القرآني: (بدء خلقها) الوارد في قوله التالي:** ﴿فَانْظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ...﴾.

ويتَّصل بهذا الموضوع: انصرافنا عن أعمال بنائية، زهداً فيها لعجزنا عن فهم أثرها وتعلقنا بقضايا نسمِّيها (كبرى).. ويسمِّيها الأستاذ مالك (البولتيكا) كما ورد في كتاب «وجهة العالم الإسلامي»؟!..

ويختتم الأخ الكريم رسالته قائلاً في مودّة وحُسن ظن: وإذا كنت تعيش مع كتبه مجدّداً الآن فإن ما يتفتق عنه ذهنك أثناء ذلك سيكون له وهج بإذن الله، ونحن ننتظر هذه الدراسة وأمثالها إن شاء الله تعالى» اهـ.

٥ ـ وأودُّ في ختام هذه اللمحة الجديدة: أن يلتمس الأخ القارئ معاذير لما قد يراه من نزعة شخصية ذاتية في الكتابة، ذلك أننا من الجيل الذي تأثر بعبارات مالك واصطلاحاته، وبأثر من دروس تجربته الشخصية التي رأى في ضوئها جوانب بارزة من حقائق الصراع الفكري، ومعالم من أساليبه وفكره الخفي.

## إطفاء ضوء النهار على الشعوب المستيقظة:

٦ ـ عندما اطّلع الأستاذ الراحل في أبان سنة ١٩٦٣ على ما صدَّرت به مختارات من مجموعة (الصبح القريب) في ديوان اللؤلؤ المكنون من كتابه «شروط النهضة»، وهو قوله:

«يُزيّن الوهم للمستعمرين احتيالهم؛ إذ يحاولون إطفاء نور النهار على الشعوب المستيقظة، ويدقّون ساعات الليل عند غرة الفجر، وفي منتصف النهار، لترجع تلك الشعوب إلى العبودية والنوم.. ولكن مهما سمعنا تلك الدقّات الخادعة تلح في إيهامنا بأنه الليل فلن نعود إلى النوم.. لقد أصبحنا والحمد لله، ولا رجعة إلى الظلام، مهما حاول الاستعمار.. إنه النهار.. النهار..».

قال ـ عليه رحمة الله ـ: أما والله إنَّ مثل هذا الاختيار ليفقد الاستعمار رُشده وصوابه!

## الصِّراع العالمي بسبب الخلاف بين المذاهب والنُّظم:

٧ ـ استوقفني في كتاب عنوان (أفكار معاصرة) هذا الرأي الذي يزكّي تصوّر مالك، فرأيت أن أشير إليه:

(ألسنا نجد أنَّ الصراع العالمي الضّاري الذي نُعاصره الآن يحتدم أكثر ما يحتدم بسبب الخلاف بين المذاهب والنظريات والنُّظم، أي: بسبب الخلاف بين الحُلول المقترحة لمشاكل الحضارة الحديثة والعلاقات الإنسانية المتغيرة).

وكم يسرُّني أن أتلقّى ممَّن يودُّ الإسهام في الحوار حول أفكار الأستاذ مالك ما قد يزيد جوانب المسألة وضوحاً، كما يعبّر عن فعالية محمودة لبناء شبكة من العلاقات الاجتماعية كانت تستأثر باهتمام مفكّرنا حتى خصَّها بكتاب كامل هو (ميلاد مجتمع).. وحبذا لو دفعت هذه اللمحة إخوتنا القراء إلى قراءة كتاب واحد ـ على الأقل ـ من كتب مالك، في جوٍّ من المودة والاحترام، واليقظة الممحصة، الناقدة. والسلام.



# السيد محمد المكّي الكتّاني في ذمّة الله [1]

**(١٣١٢ ـ ١٣٩٣هـ)**

**(١٨٩٤ ـ ١٩٧٣م)**

للأستاذ: عمر بهاء الدين الأميري

**«ذكر الله وَوَقّره، وعمل لإعلاء كلمته، فَرَفع اللَّهُ قدرَهُ، وأشاع ذكره، وكساه ثوباً من الوقار...».**

## حفل تأبيني كبير في الرباط:

دَعَتْ رابطة علماء المغرب إلى إقامة حفل تأبيني كبير على مسرح محمد الخامس في الرباط في ٢٢/محرم/١٣٩٤هـ، بمناسبة مرور أربعين يوماً على انتقال الأستاذ المجاهد السيد محمد المكّي الكتّاني رحمه الله. وقد كان الحفل حاشداً حضره عدد كبير من العلماء والسفراء العرب، وعلى رأسهم سفير المملكة العربية السعودية، وسورية، ومصر، وحضره محافظ الرباط، وأساتذة جامعيون، ونُخبة من كرام المثقفين والمهتمين بالقضايا الإسلامية. وتداول الكلام فيه صفوة من العلماء ورجال الفكر والأدب، وعلى رأسهم محمد الطنجي الأمين العام المساعد لرابطة العلماء، وكان في طليعة المتكلمين الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري، وهذه كلمته:

---

(١) حضارة الإسلام، العدد الأول، السنة الخامسة عشرة: (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م). وتنظر ترجمته في «الدليل المشير» لأبي بكر الحبشي بتحقيقي، و«تاريخ علماء دمشق» (٢: ٩٠٩ ـ ٩١٣).

## شباب محمد ﷺ:

«عائدٌ قبل شهور من باريس، لم يجاوز العشرين، أقام منطلقاً للدعوة الإسلامية مع صفوةٍ من الغيارى على الإسلام، مضوا ـ على قدر فهمهم وعزمهم ـ يعملون لإعلاء كلمة الله، عُرفوا «بشباب محمد ﷺ».

## مؤتمر علماء بلاد الشام:

كان ذلك عام **١٣٥٧** للهجرة ـ **١٩٣٧** ميلادية، وفي هذه الحقبة بالذات عقد علماء بلاد الشام مؤتمراً عاماً ضخماً لنصرة فلسطين، ولتخطيط وجهة السَّير في العمل الإسلامي خلال السنوات القادمة، دُعيت لتمثيل دار الأرقم فيه، وكان من أعضائه الأعلام الذين سبقوا إلى جوار الله: رئيسه الشيخ محمد طاهر الأتاسي، والأساتذة الأجلاء: القصَّاب، والمبارك، والطبَّاع، والدقر، والميداني، والغلاييني، والأسطواني، والشطّي، والكتاني وسواهم، رضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم.

## ألفة الأرواح المتعارفة:

في هذا المؤتمر كان لقائي الأول بفقيدنا الغالي الأستاذ السيد محمد المكي الكتَّاني رحمه الله وأكرم مثواه. وقد كان من أركان المؤتمر المرموقين... وسرعان ما توطَّدت بيننا ـ على فارق السن ـ ألفة الأرواح المتعارفة، وبدأت لنا حياة طويلة، حافلة بأحداث أمتنا الجسام، لا أذكر أننا كنا في دقيقة من دقائقها على غير انسجام.

كان لا يَفْتُر عن الإسهام في كلِّ عمل إسلامي عام، دون أن يقطعه ذلك عن صفاء صوفيته[1].

(١) قال العلامة المحقق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى في ترجمة العالم المعمَّر الجليل الشيخ محمد بن يوسف الكافي المتوفى بدمشق سنة **١٣٨٠** في كتابه «العلماء العزّاب» ص**٢٦٨** بعد ذكر حادثة طريفة كانت بين الشيخ الكافي والسيد مكي الكتاني: «كان شيخنا السيد الشريف الجليل الشيخ مكي الكتَّاني رحمه الله تعالى في دمشق: =



## زياراتي وصحبتي له:

زرته وذاكرته كثيراً على انفراد، كما كانت لي مشاركة في عديد من مجالسه، متسامراً أو متشاوراً مع خاصَّته، ومستقبلاً لقاصديه وزائريه الأماثل، وكان يدعوني إلى مجالسه باستمرار ما وُجدت في دمشق، ويزورني كلما زار حلب... وصحبته في سفر وتزاملنا في مؤتمرات إسلامية، وقدم القاهرة لائذاً بدينه، وأنا فيها، فكَثُر تلاقينا، وكانت لنا هناك زيارات مشتركة لبعض كبار رجال العروبة والإسلام، وخلال رحلاته الأخيرة إلى المغرب، جلسنا عدَّة جلسات، بعضها على انفراد، وبعضها مع أصدقاء، ومنها ساعات طويلة تاريخيَّة كنا فيها بدعوة العالم المسلم الغيور الشيخ مختار السوسي لوحدنا رحمهما الله.

## آخر لقاء:

... وأما آخر لقاء بيننا فكان خلال رحلته القصيرة الأخيرة إلى الرباط، حيث حضرت عدداً من أحفال تكريمه، كما كان بيننا لقاء خاص سعدت فيه بنَجْواه، وبادلته بثَّه وشكواه.

## أثرُ نعيه:

... وفجأةً وأنا أنصتُ إلى الإذاعة، قبل أربعين يوماً، سمعت نعيه الأليم، فشعرتُ ـ والله يشهد ـ أنَّ قريباً حبيباً قد ابْتُزَّ مني، وأنَّ شطراً من ذاتي، وصفحات حياتي قد طواه الردى، وهو شعور ينتابني كلما فُجعت بأخ غالٍ حميم، فدعوتُ الله الحيَّ ربَّ العالمين، أن يرفع مقامه لديه، ويجمعنا في فردوسه الأعلى، تحت لواء سيد المرسلين.

= مجمع الفضائل، ومُلتقى الأكابر والأماثل، ومَوْئل العلماء في النوائب، ومقصد الفضلاء في دَرْء المصائب، ريحانة الشام وعلمائها، ومرجع الناس في بلاياها وضرائها، ولما غاب بَدْرُهُ لم يَبْزُغ بعدَه هلال»!!

## أيها الأخوة الأعزة:

لو رحت أتحدَّث عن وقائع الأيام، التي سَرَدتُ عليكم منها بعض رؤوس أقلام، لطال بي القول، ولأخذت وقت السادة الأخوة الأجلّة الذين سيتداولون الكلام، ويتناولون جوانب البحث إشادةً بالفقيد الكبير، ووفاءً لحقه، فاسمحوا لي أن أمعن في الإيجاز، وأستغني - بفطانتكم ومشاعركم - بالإشارة عن العبارة، وحسبي بالنسبة للراحل المكرم خفقات القلب التي يعلمها الرب.

## تكريم العلم والعمل والجهاد:

أشكر أولاً رابطة العلماء المُوقَّرة، على تنظيم هذا الحفل الوفي، الذي هو في حقيقته تكريم للعلم والعمل والجهاد، في شخص مَنْ كان له من كل ذلك الحظ الوافر، فقيدنا وأستاذنا الجليل رحمه الله.

وإني لأشكرها ثانية، لأنها أكرمتني ودعتني للإسهام فيه، فبرّت عاطفتي الصَّادقة نحوه، وأتاحت لي أن أشهد للتاريخ شهادة الحق، ولو بمزيد من الاختصار عمَّا عرفته من مزاياه وسجاياه، خلال عُشْرة سبعة وثلاثين عاماً:

## مزاياه وسجاياه:

قليل الكلام، رَحْب الابتسام، لا يكاد يعبس إلا إذا رأى منكراً، خاشع العبادة، كريم الوفادة، بطيء الخطا إلى المُغْترّين المستكبرين، مُسارعٌ إلى صلة الأرحام وبرّ المساكين.

هو مع سلامة فطرته، وإشراق طيبوبته عميق التفكير، يسأل ويستشير، ويرجع عن عزمه - وهو الثَّبْت في مواقفه - إذا اسْتَبَانت له حجَّة صائبة، ولو ممَّن هو دونه في العمر والقدر، يُكرم ولا يتكلَّف، يصبر ولا يتأفَّف، وهو دائماً على يقين، أنَّ الخير فيما يختاره الله.



يذكر الله في قلبه ولسانه، ويستحضره، ويستغفره في جَنَانه، ويخرج بذلك من سلطان نفسه إلى سلطانه، وبهذا ألبسه الله جل جلاله ثوباً من الوقار، وأشاع بين الناس ذكره، ورفع قدره، تغمَّده سبحانه برحمته الواسعة، وجعله في جواره العظيم الرحيم أنبه ذكراً، وأرفع قدراً».

## حَمْل أمانته وتحقيق رسالته:

أما أنتم يا أسرته الكريمة، ويا أبناءه الأعزاء البررة، فلكم الأجر والصبر، وإننا في فقده سواء، ولعلكم على يقين، إنه ليس أرضى لروحه وهو في جوار ربه، من أن تكونوا امتداد جهاده، وأن تسيروا سيرته، وتحملوا شُعلته، جَعَلكم الله وإيَّانا وسائر المؤمنين، من جند الحقِّ المنصور به، وأنبت منكم ومنا للإسلام الخالد، مَنْ يحمل أمانته، ويحقق رسالته.

## تأبين الهضيبي ومالك بن نبي:

**أيها الحفل الكريم**: قبل خمسة أيام بالضبط، أقامت جمعية الثقافة الإسلامية في تطوان، حفلاً حاشداً، تأبيناً لفقيدي الإسلام الكبيرين: المجاهد الكبير الأستاذ حسن الهضيبي، والأستاذ مالك بن نبي، وكان مما قلت في ختام كلمتي فيه:

«**يا شباب الدعوة الإسلامية الغرّاء...**

لقد انتزعت يد المنون، في الشهور الأخيرة، من أسرة الجهاد الإسلامي المجيد، عدداً من كرام وكبار العاملين والعلماء المخلصين، مَنْ يستحقُّ كل منهم أن يقام له حفل تأبين:

## وفاة عدد من كبار العلماء العاملين المخلصين:

... المجاهد الأستاذ **الهضيبي**، المحامي **عبدالقادر السبسبي**، **أبو الخير زين العابدين**، المجاهد بسيفه ولسانه مع كلِّ أسرته، المهاجر من لواء إسكندرون يوم إلحاقه في ظلِّ نظام أتاتورك العلماني، **عبدالله التل**.. القائد والمجاهد والباحث الكبير، **مالك بن نبي**.. مدرسة الفكر الإسلامي

المشرق، **معروف الحضري، المختار بن محمود، المكي الكتّاني** رئيس رابطة العلماء في سورية..

وأزيد أنه قد بلغني البارحة انتقال الأستاذ **محمد الأمين الشنقيطي** العلامة الفقيه الجليل، وقد سبقهم في الأعوام السالفة عدد كبير من العلماء والدعاة العاملين، بينهم صفوة من الشهداء الأجلاء الحنفاء، ابتلاهم الله واجْتباهم.

## قوافل العلماء العاملين:

إنهم أمة، وأية أمة؟! أمة الجهاد الصامد الصاعد، علماً وعملاً، لتكون كلمة الله هي العليا... وقد تركوا فراغاً كبيراً وحيّزاً هاماً شاغراً، يحتاج منا كافّة، ومنكم يا شباب الإسلام بخاصة، إلى مضاعفة الجهد، والإمعان في العمل، وصرف الوقت بالكدّ والجهد، لتتلاحق في درب الله جل وعلا، قوافل العلماء العاملين، والعارفين الساعين، وليستمر الجهاد أبداً وسرمداً، جهاداً صاعداً، حتى تكون كلمة الله جل جلاله هي العليا، ونعود خير أمة أخرجت للناس.

مَنْ كان يعبدُ محمداً، فإنَّ محمداً قد مات، ومَنْ كان يعبد رب محمد فإن الله حيٌّ لا يموت، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون.

أمّةَ الإسلام ما في الأرض من مُسْتَخلفينْ
غيرنا، وَاضَلَّتَا، حَتَّام نبقى نائمينْ
هجرةٌ من وَهْدة الضعف ومن كل مَشِين
هجرةٌ نغدو بها حقاً وصدقاً مؤمنين
هجرةٌ من «أيديولوجياتِ» قوم خائبين
قادَهُم علمُهم الظاهر للجهل الدفين
فهُمُ يَحيون، لكن، في شقاء سادرين
ما الذي ينفعهم غزو الفضاء بسفين



وهُمُ في أرضهم صَرعى بغزو «الهيرويين»
وبهتك الخمر والعهر، وفتك المجرمين
سَلبوا الإنْسَانَ فَحْواه وسَادُوا غاشمين
سيطروا، لكنها سيطرة البغي لحين
أمةَ الإسلام؛ حبل الله ممدود متين
والنجاة الحق في الدارين للمستمسكين
جاهدي والتمسي في السَّعي نهجَ الفائزين
جنة الرضوان في ظل سيوف الفاتحين
فاحشدي الطاقات، واسْعَي بقناةٍ لا تلين
وثقي بالله وعدُ الله حَتْمٌ لا يمين
نصرُهُ آتٍ ولو طالت طريق الكادحين
يا إلَهَ الكون، ربَّان الدُّنى اليوم أفين
لا يُراعي الروح، والإنسان دون الروح طين
هالكٌ يمكر كي يجعلنا في الهالكين
يا إلَهَ الكَوْن، قلّد أمرَه للمسلمين
زكّهم، أنقذه، أسْعد خلقه بالمفلحين
بك ندعوك ونرجوك رجاء الصَّاغرين
أنْجز الوعدَ بِداراً، إنه حقُّ اليقين
برسول الله، بالقرآن، بالنور المعين
كُن لنا نبعثْ عهودَ الخلفاء الراشدين
وأقِمْنا وأدِمْنا رحمةً للعالمين

□ □ □ □ □

## الأستاذ إبراهيم أبا زيد رحمه الله

## شاب... ولكن!؟[1]

**(١٣٦٣ ـ ١٣٩٤هـ)**

**(١٩٤٤ ـ ١٩٧٤م)**

**للأستاذ محمود مفلح[2]**

قال تعالى في محكم كتابه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ صدق الله العظيم [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

لَسْتَ كاتباً فذّاً فيعرفك الكثير يا إبراهيم، ولسْتَ شاعراً طار ذكره فملأ الدنيا، وشغل الناس، لستَ هذا ولا ذاك.. ولكنك غير هذا وذاك؟!

### شاب لم يتجاوز الثلاثين:

أنت شابٌ لم تُثقلك السنون، فلم تَتجاوز الثلاثين ربيعاً، وأنت على

(١) حضارة الإسلام، العدد الثاني، السنة الخامسة عشرة: (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م).

(٢) الشاعر والأديب الفلسطيني ولد عام ١٩٤٣ ببلدة (سمخ) على ضفاف طبريّة، هاجر مع أسرته إلى سورية، واستقر في درعا، وتخرج في كلية اللغة العربية من جامعة دمشق سنة ١٩٦٧، وله عدد من المقالات والقصائد والقصص، وهو عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.



وجه التحديد من مواليد ١٩٤٤، عرفت الله فآمنت به إيماناً كان مضرب المثل في الوعي والثبات، وأبصرت دربَ الهدى فسلكته منهج حياة، وقنطرة نجاة، راضياً به مطمئناً إلى فجره القريب ـ بإذن الله ـ ولكنك دفعت لقاء ذلك كله الثمن، ولم يكن الثمن الذي دفعت يسيراً!.. بقيت سائراً على الدرب الذي اخترت لا يخيفنّك برقٌ في سماء، ولا يغرنّك سرابٌ في صحراء، ما التوى بك الطريق، ولا زاغ بك البصر، وما التفتَّ مرة إلى الوراء، وما سمعتك تلفظت بكلمة «لو»!!.. لست سوى شاب متواضع من مدينة متواضعة تقع في الجنوب السوري تسمَّى «درعا»، تنَّسمت هواءها، وشربت من مائها، ودرجت في مرابعها، شأنك شأن غيرك من الفتيان وحين اشتدَّ بك العود، وشَبَبْت عن الطَّوْق، كان لك شأن آخر! وهمٌ آخر! وشوقٌ آخر!!

### دراسة الأدب العربي وتخرُّجه في جامعة دمشق:

نعم كان لك نهجك الذي اخترت، وَنِعْمَ النهج والله، وَنِعْمَ الاختيار، درستَ الأدب العربي وتخرجتَ في جامعة دمشق لتمتلك المفتاح الذي يتيسَّر لك بواسطته فهم المعجزة الخالدة ـ القرآن ـ والاطلاع على كنوز التراث وغير ذلك مما تتوق إليه نفسك من ينابيع المعرفة والخير.

لا أدري من أيِّ جانب من جوانب حياتك أبدأ ـ وكلها ـ عَلِمَ اللّهُ ـ غنيةٌ وطِّيبة، هل أسرد هذه الواقعة؟!

### وفاؤه بالوعد:

حين استأجرت بيتاً في أحد أحياء دمشق، ودفعت أجرة عامين كاملين ـ دون ضغط أو إكراه ـ وتعهَّدت لصاحبه أن تُخلِي البيت متى احتاجه، ولم تكد تستنفد نصف المبلغ الذي أسلفت حتى ألمَّت بصاحبه الحاجة إليه! وعلمتَ بذلك ولم تنتظر حتى يأتيك، بل أنت الذي جئته، وقلت: «إن بيتك جاهز يا أخي في أيِّ وقت تشاء»، وفعلاً أَخْلَيت البيت! فعلت هذا وأنت في أمسّ الحاجة إليه، لأنك كنت عازماً على الزواج بعد أيام! وقاطن دمشق يدرك مشقَّة العثور على بيت جديد، دفعت المبلغ جملة وأخذته

تقسيطاً، كل ذلك وأنت راض وقلبك كبير، وكنت في ذلك مثالاً قلَّ نظيره، ونموذجاً متفرداً في حُسن المعاملة وصدق القول، لأنك وعدت ووفَّيت، وما أقلَّ الذين يُوفون إذا وعدوا في هذه الأيام!! وهذا ما دفع أحد الجيران إلى أن يقول تلك العبارة التي ما زالت تطنّ في أذني: «يا جماعة والله لكأنَّ هذا الشاب يعيش في عهد الصحابة!».

## سفره في طلب العلم الشرعي:

كنت تسافر مسافة مئة كيلو متر كلَّ أسبوع لحضور درس في العلم الشرعي، على حين يسافر الشباب في مثل سنك للتمرُّغ في أوحال الشهوة ومستنقع الرذيلة وحمأة الإثم!! أنت قرأت ـ يا للشوق ـ قول الرسول الكريم: «**مَنْ يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»(١) وأدركته وعضضت عليه بالنواجذ، وغيرك قرأ ما قرأ، فضلَّ وأضل، وما عناه قول الرسول ﷺ في صدر ولا ورد...

ما رأيتك في غَدْوةٍ أو رَوْحة إلا بيمينك كتاب اشتريته أو (استعرته)، وكنت أقرأ عنوان الكتاب فأعجب!! ما أشدَّ شوقك إلى معرفة دينك! وما أغزر مطالعاتك في الفكر الإسلامي، وعَجَباً يا إبراهيم كيف لم ترتو؟ وهل يرتوي الظمآن من الماء النمير في صحراء ملتهبة؟؟ بل: «قل نار جهنم أشد حراً».

## صمته البليغ:

لا أدري لماذا كنت تكثر من الصمت ولا تحبُّ الجدال، وتنفر من الخَوْض في أمور حياتية كثيرة يهجم عليها الناس، إلا إذا كان الكلام دفاعاً عن عقيدة أو رداً على اتهام، لكن المتأمِّل في هذا الصمت يكشف سره، يعرف أنك وَعَيْتَ قول الرسول ﷺ: «**وهل يكبّ الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**»!؟(٢) فآثرتَ الصَّمت، واللَّهُ يعلم أنه صمت

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، مسلم (١٠٣٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦١٦) من حديث معاذ بن جبل. وقال الترمذي: حسن صحيح.



بليغ! صمتٌ أفصح من كلام الفصحاء، وضجيج الأدعياء.

ولن أنسى عبارة قالها أحد أترابك: والله كنا نتحرَّج من اللغو في حضرة إبراهيم.

سبحان الله كأنه شيخ وقور ينتقدنا ويُوجِّهنا.

## الثبات على الحق والجرأة فيه:

كلُّ هذا ليس بشيءٍ إزاء صفتين اثنتين برزت فيهما أو برزتا فيك بروزاً لا يخفى إلا على أحد اثنين: مكابرٍ أو حاقد.

**الأولى** ـ الثبات على الحق والجرأة فيه: ويطول الحديث عن هذه الصفة فيك، لقد ثَبَتَّ على الحق، وثبتَّ جريئاً.

كنت جريئاً في كل المواقف لا تتزحزح في كل الأحوال، في الصَّحو والمطر، وفي الإقامة والسفر، وفي النعماء والبلواء، دافعت عن عقيدتك بحُجَّتك القارعة ودعوتك إلى الله بالكلمة الطيبة المباركة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾..﴾، ولويت بهذه الحُجَّة أعناق كثير من المعاندين والمكابرين، وخير دفاع عن الحق هذا السلوك القدوة الذي كان يتمثَّل كل شأن من شؤون حياتك، وهذا ما كان واضحاً في نظر البعيد قبل القريب «والفضل ما شهدت به الأعداء».. لقد تحمَّلت الكثير من أجل هذا السلوك القدوة ولم يستطع غيرك أن يتحمَّل من هذا الكثير.. القليل!!.

كنت أعلم أنك قضيت ـ بمشيئة الله ـ معوزاً إلى المادة، ولكنك كنتَ غنياً في إيمانك وسجاياك غنًى تغبط عليه يا إبراهيم! ما سألت أحداً إلا الله ـ ويا لنعم المسؤول، وما طلبت حاجةً إلا منه سبحانه وتعالى. ولسان حالك يقول: «ومن طلب البحر استقلّ السواقيا»... كنت هادئاً كالبحر لكنك عميق مثله، أما إذا غضبت لله ـ ولا تجاوز فيما أقول ـ فقد كنتَ جاداً كالسيف أو أشدّ مضاء.

## تواضعه الجمّ:

**الثانية** ـ هي التواضع، التواضع الجمّ القائم على الوعي بحقيقة قول

رسول الله ﷺ: **«ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضعَ أحدٌ لله إلا رفعه»**[1]..

كنت يا إبراهيم متواضعاً في كل شيء، وفي حديثك ومَسْلكك ونَمَط حياتك، لا ادِّعاء، ولا امتلاء، ولا غرور، حقَّقت خير ما يطمع إنسان عاقل في تحقيقه: العبودية لله. علَّمت الكثير من الأدعياء التواضع، وفجَّرت في كثير من القلوب القاسية ينابيع الحق والهدى، وعلَّمتهم معنى الخضوع لله والامتثال لأمره: **«لَأَنْ يهديَ الله بك رجلاً واحداً خير لك ممَّا طلعت عليه الشمس»**[2].

بكاك الكثير والكثير ممن ألفك وعرفك يا إبراهيم، وفقدوا حين رحيلك ـ وما قدَّر الله فعل ـ أخاً لا كالإخوان، ونموذجاً فريداً من الشباب المؤمن القادر على القبض على الجَمْر في هذا الزمان الظالم! إنك عززت على الناس جميعاً فأوقدت وفاتك في قلوبهم ضرماً وأججت ناراً!

الروضة التي زرعتها، وتعبتَ عليها وسقَيْتها بالعرق والنَّدى تبكيك يا إبراهيم، وتُعاهدك على النموِّ والنموِّ والنموِّ حتى تُؤْتِيَ أُكلها بإذن ربّها...

لستَ كاتباً فذاً فيعرفك الناس، ولكنك شابٌ تسلَّحت بخير ما تسلَّح به إنسان من عقيدة واضحة وضوح الشمس، وفكرٍ ثاقبٍ كنت تقذف به على الباطل، فإذا به زاهق، ومنطق لا اعوجاج فيه ولا اضطراب، هذَّبه الإسلام وأغناه، وحسبنا أنك في قلوبنا خالد ما لاح نجم في سماء، وما حنَّت على غصنٍ ورقاء سيرةً وذكرى ومنهجاً.

فسلامٌ عليك يوم وُلدت، ويوم متّ، ويوم تبعث حياً.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٨)، والترمذي (٢٠٢٩)، من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ١:٣١٥ (٩٣٠) عن أبي رافع رضي الله عنه. وقال الهيثمي في «المجمع» ٥:٣٣٤: رواه الطبراني عن يزيد عن أبي زياد مولى ابن عباس، ذكره المزي في الرواة عن أبي رافع، وذكره ابن حبان في «الثقات». وأخرجه الحاكم في «المستدرك» ٣:٦٩٠ (٦٥٣٧).



## الأستاذ الشيخ

# محمد أبو زهرة

## أبرز رجال الفقه الإسلامي المعاصرين[1]

**للدكتور وهبة الزحيلي**

### أ ـ لمحات عن شخصيته:

ـ إنه عَلَمٌ من أعلام الإسلام المعاصرين في علوم الشريعة، ولا سيما الفقه والأصول والتفسير والتوحيد أو علم الكلام والفلسفة الإسلامية.

ـ تخرَّج على يديه آلاف من الطلاب الجامعيين، وعشرات منْ حَمَلة الدكتوراه في الشريعة والقانون.

ـ فقيه النفس، يُحرِّر ويُقرِّر، ويُصَوِّب ويُخَطِّىء، ويُزيِّف ويُؤصِّل، ثاقب النظر، حادّ الذهن، صائب الفكرة، بليغ القول.

ـ أديبٌ كاتبٌ، وخطيبٌ لامع، ومحاضرٌ من الطِّراز الرفيع.

ـ ذو حافظة قوية، وذاكرة واسعة، وأُفُق علميّ مُتعدِّد الجوانب يستطيع الإملاء والارتجال ساعات.

---

(١) مجلة الفكر الإسلامي اللبنانية، العدد الثالث من السنة الخامسة: (١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م).

- حاضر البديهة، سريع النكتة، قوي الشخصية، جذَّاب النفس، ظريف الحديث.

- واسع الاطِّلاع على معظم مصادر الثروة الإسلامية العلمية، جيد المقارنة بين الفقه الإسلامي والقوانين الوضعية والثقافة الحديثة.

- اشترك في عدَّة مؤتمرات وندوات عالمية، فكان من عِلْية القوم، وسادة الحضور.

- معتدل النظرة إلى المذاهب الإسلامية، لأنه دقيق النظر عميق الفكر، يعرف مواهب الرجال، ويُقدِّر كفاءة العظماء من العلماء، ويمنحهم ما يستحقونه من إكبار وإجلال.

- يستطيع الاجتهاد وإبداء الرأي الثاقب في مُسْتَحدثات الأمور والقضايا المعاصرة والمشكلات الاقتصاديَّة، بدون خروج عن المعقول أو تطاول على الأصول، أو شذوذ عن الجماعة.

- جَمَع بين القديم والحديث في تقدير وَجْهِ المصالح، فكان معتدل الفتوى، يكرهُ الرأيَ الغريب، ويُحاربُ الخروج عن النصوص أو قواعد الشريعة وأحكام فقهها الأصيل.

- شديد الغيرة والحماسة على حُرُمات الدين وأخلاق الإسلام وقيم الرجال ومصلحة الوطن، مما جعله جريئاً في الحق، شديد اللهجة، عنيف اللوم على الخصوم الذين يخالفون منطق الإسلام.

- تربُو مؤلفاته وأبحاثه عن الثلاثين، وتنتشر مقالاته وكتبه في أنحاء العالم الإسلامي.

- استطاع ترجمة الثروة الفقهيَّة القديمة إلى اللغة السائدة الجديدة بتنظيم بديع وأسلوب ممتع واستقصاء شامل.

## ب ـ خصائص كتبه وأهميتها:

إنَّ كتب ومؤلفات الأستاذ أبي زهرة عن «الملكية ونظرية العقد»،



و«أصول الفقه»، و«الأحوال الشخصية»، و«الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي»، و«محاضرات في النصرانية»، و«العلاقات الدولية في الإسلام»، أو «نظرية الحرب»، و«المجتمع الإنساني في ظل الإسلام»، و«الوحدة الإسلامية» تُعتبر في قمَّة الإنتاج العلمي الرصين، لما فيها من تجديد، ومناقشات، وآراء حرة وفوائد جلّي، وصور ممتعة عن الحياة الإسلامية ومتطلباتها، وطرق معالجة الفقهاء المسلمين لمشاكلها، مع بيان نواحي السَّبْق التي سبق فيها المفكرون المسلمون غيرهم من زعماء الفقه القانوني الحديث.

## مجموعته التاريخية عن أئمة المذاهب:

وكذلك مجموعته التاريخية النفيسة عن أئمة المذاهب الإسلامية: (أبو حنيفة، الشافعي، مالك، ابن حنبل، ابن حزم، الإمام زيد، الإمام الصادق، ابن تيمية، ابن قيم الجوزية)[١] تُعتبر حلقة ذهبية ودرة ثمينة لكلِّ مسلم، أجادَ فيها الكلام عن حياة كلِّ إمام وعصره وآرائه وفقهه، وضمَّنها كلها تحليلاً مُقْتَضَباً عن الفرق الإسلامية التي كان المجتهد يعيش بينها، وأبان أصول كل إمام في استنباطه أحكام الشرع، وأبدى وحدة الانسجام والترابط والاتِّساق الفكري والعملي فيما بينها، وأظهر بكل إنصاف وأمانة وبُعْد عن التعصُّب المذهبي جوانب عظمة كل إمام وإحرازه قَصْب السَّبْق في بعض الميادين الفكرية. وأكمل كل كتاب عن الإمام بدراسة جيدة عن كلِّ مذهب، ونموه وانتشاره، وطبقاته، وأسباب خلوده.

فكان كل كتاب عن إمام المذهب صورة حيَّة لشخصيته، ودراسة رائعة لآثاره، وبياناً جلياً عن معالم فكره ومذهبه. هذا بالإضافة إلى أنَّ الأستاذ أبا زهرة كان مثال المدافع عن كلِّ نقد قد يُوجَّه إلى أحد هؤلاء الأئمة، وكان أيضاً دقيق الملحظ لما يدور في ذهن المجتهد، أو تقرير الأصل الذي يصدر عنه في طائفة من الأحكام المذهبية الجزئية، من ذلك قوله: «كان

(١) لا يُعرف للشيخ رحمه الله أنه أفرد كتاباً عن ابن القيم.

أبو حنيفة رجلاً يُقدِّر الحرية في غيره كما يُريدها لنفسه، ولذلك كان في فقهه حريصاً كلَّ الحرص على أن يحترم إرادة الإنسان في تصرُّفاته ما دام عاقلاً، فرأيناه يجعل للبالغة العاقلة تمام الولاية في أمر زواجها، ولم يجعل لوليها عليها من سلطان، وانفرد من بين الأئمة الأربعة بذلك، ووجدناه يمنع الحَجْر على السفيه وذي الغفلة، وعلى المدين، ثم وجدناه يمنع كل قيد على ما يملك الإنسان إلا القيود الدينية النفسية، ثم وجدناه في سبيل هذه الإرادة يمنع الوقف. وهكذا تراه يتَّجه إلى ترك إرادة الإنسان حرة ليس للقضاء شأن معها إلا عند الاعتداء على غيره».

### دفاعه عن شريعة الإسلام:

وفي غير كتب الأئمة للأستاذ أبي زهرة دفاعٌ مجيدٌ عن أحكام الإسلام وشرعته الخالدة وفلسفته وأصوله عن الحياة والكون والسياسة والاقتصاد والعلاقات المدنية والدولية وعلاقة المسلمين بغيرهم من المعاهدين أثناء السلم والحرب، وعلاقة الحاكم بالمحكومين، مع التركيز على إيضاح مبادئ الأخلاق الدوليَّة في الإسلام ولا سيما الفضيلة والكرامة الإنسانية والعدالة والمساواة التامة بين أبناء البشر.

### تجديدُه في عرض الأحكام:

ويلحظُ القارئ لكتب الأستاذ أبي زهرة: فهماً أصيلاً ودقيقاً وجديداً للنصوص الشرعية وأحكام الفقه، مُقْترناً بأسلوب كتابيّ شائق في التعبير عن المعاني التي يُريد تأصيلها وتطبيقها على الحاجيات والمفاهيم الحديثة دون مصادمة لأصول الإسلام ومقاصد الشريعة.

فمن تجديده في المنطق والأسلوب قوله مثلاً في كتاب «المجتمع الإنساني في ظلِّ الإسلام»: «إنَّ سمة الإسلام العدالة، وهي ميزان الاجتماع في الإسلام، وهي التي يقوم بها بناء الجماعة، وكلُّ تنسيق اجتماعيٌّ لا يقوم على العدالة منهار مهما تكن قوة التنظيم فيه. والعدالة ذات شعبتين ابتداء: الشعبة الأولى: العدالة النفسيَّة بأن يقدِّر كل إنسان لنفسه من الحقوق



بمقدار ما يقدِّره لغيره على ألا يزيد على الناس في حق، وقد يفرض على نفسه الزيادة في الواجب. والشعبة الثانية من العدالة: هي التي تنظمها الدولة، وهي أقسام ثلاثة: عدالة قانونية، وعدالة اجتماعية، وعدالة دولية» ثم يفيض في شرح كل قسم منها.

ويقول عن تصوير فريضة الجهاد: «إنَّ حرب الإسلام دفاع، وإنَّ الدفاع قد يلبس لبوس الهجوم».

### خصائص أخرى في كتب «أبو زهرة»:

وهناك خصائص أخرى كثيرة لكتابات الأستاذ أبي زهرة منها:

١ ـ أنه طويل النَّفَس في معالجته القضايا، يُشقِّق المسألة على وجوه متعددة، ويقلب فيها وجوه النظر المختلفة داعماً الرأي بدليله من القرآن والسنة النبوية أو الأصول الإسلامية، وقارناً الفكرة الإسلامية بأعدلها عند علماء الفلسفة والاجتماع والمنطق.

٢ ـ قد تتردَّد المعاني في فقرة من الفقرات في قوالب متعددة من الألفاظ لكنها ظريفة مألوفة لتقرب البعيد، ولكي تصلح للخاصَّة ومتوسطي الثقافة.

٣ ـ أنه في كتاباته متأثِّر بطريقة الشاطبي وابن تيمية وابن القيم والعز ابن عبدالسلام ومدرسة محمد عبده، حيث تربط القضايا الجزئية بأصول الشريعة العامة ومبادئها الكلية ومراميها الحقيقية وروحها السائدة.

### دعوته إلى الوحدة الجامعة:

ـ له آراء حكيمة وحِكَم جليلة في أوضاع المسلمين الحالية، فهو يقول مثلاً في بحث صغير عن «الوحدة الإسلامية»: «إن الوحدة التي نبتغيها لا تمسُّ سلطان ذي سلطان يقوم بالحقِّ والعدل في المسلمين، ولا شكل

الحكم في الأقاليم الإسلامية، فلكلِّ إقليم أسلوب حكمه ما دام يؤدِّي إلى إقامة الحق والعدل فيه، ويحقِّق المعاني الإسلامية السامية، وإنما معنى الجامعة الإسلامية: أن نعتبر أنفسنا مهما تناءت الديار مرتبطة بروابط وثيقة تمتد جذورها في أعماق أنفسنا، وهي أحكام الإسلام وشعائره، وعبادته وعقائده، إذ هو دين الوحدة الجامعة الشاملة، كما هو دين التوحيد الخالص من كلِّ شرك أياً كان نوعه. . وأياً كان مظهره»، ويردف ذلك بقوله: «يتحقق معنى الوحدة في ثلاثة أمور جامعة:

**أولها** ـ أن تتَّحد مشاعرنا جميعاً في الإحساس بأننا إخوة بحكم الإسلام، وأنَّ الأخوة الإسلامية فوق الجنسية والعنصرية.

**ثانيها** ـ وحدة ثقافيَّة ولغويَّة واجتماعيَّة تجمع بين المشاعر والأحاسيس.

**ثالثها** ـ ألا يكون من إقليم إسلامي حرب على إقليم آخر أياً ما كانت أساليب هذه الحرب، سواء أكانت بالاقتصاد أو كانت بالسيف».

### تنديده بالهدّامين:

ولا يتوانى الأستاذ الكبير في التنديد بموقف الهدَّامين لدين الله، فهو يقول مثلاً في كتابه «المذاهب الإسلامية» عن البهائية: «وهي الآن ترفع رأسها، ولا بدَّ من قطعه، أو عودته إلى شيكاغو موطن دعايته».

أطال الله في عمر أستاذنا العلامة الجليل محمد أبو زهرة[١] بعد أن أكمل العقد السابع من حياته المليئة تفانياً بالقيام بالواجب والدفاع عن الإسلام وأهله، فهو صوت الحق الهادر، وعالم الإسلام الفذ.

❋ ❋ ❋

---

(١) كتب الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي هذه المقالة في حياة شيخه العلامة محمد أبو زهرة. وقد توفي الشيخ ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م.



## ومضات من حياة (أبو زهرة)

١ ـ تخرج في مدرسة القضاء الشرعي.

٢ ـ قضى حياته مُدرِّساً في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، ثم صار وكيلاً للكلية.

٣ ـ درّس الفقه في كُليتي الشريعة وأصول الدين بالأزهر.

٤ ـ اشتهر بمواقفه العنيفة في وجه ما يعتقده ضاراً بالمسلمين.

٥ ـ كان له موقفه الصَّامد في أمور وطنية كثيرة كالدستور وتحديد النسل.

٦ ـ آخر كتبه صدوراً: القرآن الكريم، المعجزة الكبرى.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑

## الأستاذ العلامة الشيخ

# محمد أبو زهرة

رحمه الله [1]

**(١٣١٦ - ١٣٩٤هـ)**

بقلم: الدكتور عدنان زرزور

### نعيُ العلامة الشيخ أبو زهرة بين التَّصديق والشك:

نَعَتْ أنباء القاهرة في الشهر الماضي فضيلة الأستاذ الشيخ أبي زهرة عن ثمانية وسبعين عاماً قضاها أستاذنا الراحل - عليه رحمة الله ورضوانه - في التأليف والتدريس والجهاد والمصابرة، والعمل الدائب لخير الإسلام والمسلمين.

وقد حملني نبأ وفاته إلى أيام سعدت فيها بلقاء الشيخ والإفادة منه والتردُّد عليه، وإلى آرائه التي سمعتها منه، ومواقفه التي شهدته فيها - علم الله - أسداً يذودُ عن حياض الإسلام ودعاته، ويتردَّد فيها صوته قوياً مُجَلجلاً يوم خانت كثيراً من الناس الحناجر، وهَلَعت منهم القلوب، وماتت الضمائر!..

---

(١) مجلة حضارة الإسلام، العدد الثالث من السنة الخامسة عشرة: (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).



### التطواف في صفحات التاريخ:

لشدَّ ما آلمني أن يصل نبأ وفاته إلى سمعي على مراحل! بين مُصَدِّق للخبر ومُتأكِّد منه، وبين شاكٍّ فيه مُتردِّد في مصدر سماعه، ولا يتأكد الخبر حتى يكون ذهني قد طوَّف بصفحات التاريخ، تاريخنا نحن الذي اعتاد فيه مُؤرِّخونا أن يؤرخوا لكلِّ سنة بعينها، ويُوردوا أهم ما حدث في تلك السنة. ألم يعتادوا أن يذكروا طرفاً من التاريخ السياسي وأنباء الملوك والمعارك، ثم يضمُّوا إليها أنباء الكوارث والزلازل وأهم أحداث الطبيعة، وأخيراً يختمون حديثهم عن «العلماء» الذين لقوا وَجْهَ ربِّهم في تلك السنة، مع ذكر طرف من سيرتهم وأخبارهم.

### وعيُ المؤرِّخين:

صَحَوْتُ على خبر وفاة أستاذنا رحمه الله، والعالَمُ من حولنا اليوم قد صغَّرته وسائل الإعلام حتى صار كالبلد الواحد، لأذكر مؤرخينا القدامى رحمهم الله، بوعيهم الشامل، وحسِّهم في قراءة صورة المجتمع والعوامل الأساسية التي تؤثِّر في مَجْراه، ولأذكر أنَّ عالمنا الصغير لم تتَّسع صحفه وإذاعاته - في بلاد العروبة والإسلام - لما تتَّسع له في العادة من أنباء وفاة الساسة والفنانين وسائر «الممثلين» من أبناء الشرق والغرب، البعيد والقريب.

الأموات لا يكسبون من هذا الإعلان ولا يخسرون، ولكننا نحن الذين نخسر احترامنا لأنفسنا حين لا نأبه ولا نبكي للذين تركوا لنا من ورائهم ما يحيون به هذه النفوس! وفقيدُنا الجليل الكبير أبو زهرة رحمه الله واحد من هؤلاء.

### خواطر وذكريات عن (أبو زهرة):

ليست هذه كلمة في أبي زهرة «العالم» المؤلف، ولا في «منهجه» في التأليف والكتابة والتدريس، ولا في أبي زهرة رجل مصر في بعض الأيام، فلذلك موضعٌ آخر غير هذا الموضع، وقد حدَّثني مرة أن من جملة ما شغله في ذلك اليوم الذي رأيته فيه بعد مغيب شمسه: الكتابة إلى طالب أو باحث

مسلم ـ وإن كان غير عربي فيما أذكر ـ كان يعدُّ رسالة «دكتوراه» في إحدى الجامعات عن الشيخ أبي زهرة نفسه، أو بحسب تعبيره هو رحمه الله: «موضوعها أنا»، وكان قد كتب إليه يستوضحه ويسأله عن بعض النقاط فيما يتَّصل بحياته ومنهجه ورأيه في بعض المشكلات... ويومها انتظر جوابي عن هذه «الظاهرة» في إعداد الرسائل الجامعية والكتابة عن مناهج المؤلفين، فاكتفيتُ بالإشارة إلى أن هذا يتيح للباحث فرصة «التأكد» من صحَّة الفهم، وجواز نسبة بعض الفهوم والتفسيرات إلى الرجل موضوع البحث. تحدَّثت عن الجانب الإيجابي في هذه القضية، وأخفيتُ في نفسي ملاحظات سلبية أخرى، ولكن الذي بقي ماثلاً في ذهني طيلة تلك الأمسية: الموت! وكنت أتفرَّس في عيني الشيخ وكأنهما عينا عقاب هرم أو أسد أسير، تشعَّان بالذكاء والحيويَّة والعزم حتى حين بدأ النعاس يدبُّ في أجفانه على أشعة النور المبهر! ثم أقول في نفسي: مدّ الله في عمر هذا الرجل حتى يرى آمالاً أخرى له قد تحقَّقت، وحتى يزيد المكتبة الإسلامية من عطائه الثر الثمين.

## محاولة قراءة شخصية (أبو زهرة):

ليست هذه الكلمة ـ إذن ـ في علم أبي زهرة ومعارفه، لأنَّ هذا يكتب فيه وسيكتب فيه ـ على نحو علمي ـ الشيء الكثير، ولكنها أقرب ما تكون إلى الخواطر والذكريات، وإلى محاولة «قراءة» شخصيَّة هذا العالم الفذ، والوقوف على مفتاح هذه الشخصية التي يفسِّر لنا ما وراء المواقف والآراء، وإن كان هذا لا يعفينا من الإشارة إلى كتبه ومكانته العلمية، وبعض ما كان يعتزُّ به من مؤلفاته وآرائه، كما سمعت ذلك منه رحمه الله.

## لمحات من حياته:

ولد الأستاذ أبو زهرة سنة **١٣١٦**، وحصل على «عالمية القضاء الشرعي مع درجة أستاذ» سنة **١٣٤٣**، كما حَصَل على معادلة «دار العلوم»، واشتغل بالتدريس في هذه الدار وفي كلية أصول الدين بالأزهر، ثم في كلية



الحقوق بجامعة القاهرة ـ التي كانت تُدعى بجامعة فؤاد الأول ـ ولم ينقطع خلال ذلك عن المحاضرات والندوات العامة، وكان بعد إحالته على المعاش يحاضر في بعض المعاهد الخاصَّة، وبخاصَّة معهد الدراسات الإسلامية الذي أسَّسه مع الدكتور العربي رحمه الله وبعض رجالات مصر، وكان يحاضر فيه بدون أجر، هذا إلى جانب اشتراكه في بعض لجان المجلس الأعلى للعلوم والآداب والفنون ولجان أخرى كثيرة كان فيها فارس الميدان حتى عُدَّ بمزاياه التي سنشير إلى بعضها فيما بعد من أكبر رجالات المؤتمرات والندوات في مصر والعالم الإسلامي.

## إشرافه على عشرات رسائل الماجستير والدكتوراه:

وتكفينا الإشارة إلى عشرات رسائل «الماجستير والدكتوراه» التي أشرف على إعدادها أو ترأس لجان مناقشتها في الفقه والقانون والتفسير والحديث وعلم الكلام وسائر فروع الثقافة العربية الإسلامية، في كليات الآداب والحقوق والشريعة وأصول الدين في جامعة القاهرة وعين شمس والأزهر والإسكندرية وغيرها من الجامعات العربية.

## أثر مدرسة القضاء الشرعيّ:

ويمكن القول إن الأثر الأكبر في شخصية أبي زهرة العلمية وشغفه الذي لا حدّ له بالمعرفة والمطالعة والتأليف يعود إلى مدرسة القضاء الشرعي التي أنشأتها الحكومة المصرية أصلاً لما رغبت في إصلاح القضاء الشرعي ولم تستطع أن تعوِّل في ذلك على علماء الأزهر ـ كما قال الشيخ المراغي رحمه الله ـ كما نشأت من قبل مدرسة دار العلوم أيام علي مبارك باشا لما أرادت أن تأخذ من الأزهر علماء للتعليم ـ أو مدرِّسين ـ فلم تجد بُغْيتها في الأزهر في ذلك الحين لأن طريقته في التعليم يومذاك لم تكن تلائم حالة النشء، كما ذكر ذلك الشيخ المراغي أيضاً..

## عاطف بك بركات:

ويبدو أن مدرسة القضاء الشرعي هذه كانت شامخة في مناهجها وأساليبها، وفي شخصية «ناظرها» العالم المربِّي عاطف بك بركات الذي كان يثني عليه خريجو هذه المدرسة العليا، وقد بكاه أحمد أمين ـ خريج هذه المدرسة ـ طويلاً عندما توفي رحمه الله سنة **١٩٢٤**، أي بُعيد تخرج أبي زهرة من هذه المدرسة بنحو سنتين، وكان عاطف بركات بعد أن أُقصي عن هذه المدرسة قد تفرَّغ للسياسة وانضمَّ إلى «الوفد»، وعُيِّن وكيلاً لوزارة المعارف، وربما كان أبو زهرة رحمه الله لم يتتلمذ عليه ـ وإن كنت قد سمعته يُثني عليه ويذكره بخير ـ[1] إلا أنَّ الجوَّ الذي تركه في المدرسة والطابع الذي طبعها به بقي ملازماً لها، علماً وسياسة كذلك. ولعلَّ تأثر أبي زهرة بالوفد وإعجابه الشديد بسعد زغلول يعودُ من بعض وجوهه إلى هذا المعهد الذي كان يعد صنيعة من صنيعات سعد، وعملاً من أعماله الجليلة، وكان عاطف بركات نفسه من أقرباء سعد، ومن أقرب المقربين إليه.

* * *

## كتبه في فروع الثقافة الإسلامية:

شُغف أستاذنا رحمه الله بالدرس والتأليف، وخلَّف للمكتبة العربية الإسلامية أكثر من أربعين كتاباً في فروع الثقافة الإسلامية. وبخاصَّة الفقه والقانون. نذكر له في الكلام والأديان: «تاريخ الجدل في الإسلام»، «محاضرات في النصرانية»، «مقارنات الأديان»، «المذاهب الإسلامية» في السياسة والعقائد.

---

(١) قال رحمه الله تعالى في تقديمه لكتاب «المصلحة في التشريع الإسلامي» لتلميذه مصطفى زيد: «تذكرت أستاذ الأستاذة عاطفاً العبقري الذي لم يَفرِ فريَهُ في التربية أحد.. تذكرت فيه ذلك العقل الحرَّ المتطلِّع، والروح المشرق، والنفس الفَيَّاضة، والقلب الكبير، والهمَّة العالمية، والإرادة الحازمة، والحق القوي، والمَنْزع العلمي».



وله في الاجتماع ونظام الإسلام: «تنظيم الإسلام للمجتمع»، «العلاقات الدولية في الإسلام»، «المجتمع الإنساني في ظل الإسلام»، «الوحدة الإسلامية».

ومن كتبه في الفقه والقانون: «أصول الفقه»، «الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي»، «الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية»، «الأحوال الشخصية»، «شرح قانون الوصية»، و«محاضرات في عقد الزواج وآثاره»، و«الميراث عند الجعفرية»، وفي «مصادر الفقه الإسلامي»، وفي «تاريخ المذاهب الفقهية» وفي «الأوقاف». وبعض هذه الكتب يقع في أكثر من مجلد، وغيرها كثير، عدا عن سلسلته الذهبية القيمة عن الأئمة المجتهدين وعصرهم وآرائهم وفقههم، كتب رحمه الله عن «الشافعي، ومالك، وأحمد، وأبي حنيفة، وابن تيمية، والإمام زيد، وابن حزم، والإمام الصادق..» وخصَّ كل واحد من هؤلاء الأئمة بكتاب كبير.

وكان رحمه الله ينشر تفسيراً للقرآن يعده تباعاً لمجلة «لواء الإسلام» المصرية، وقد جاوز فيه نصف القرآن الكريم[1]، وقد أودع تفسيره هذا كثيراً من معارفه ومعارف العصر العامَّة، وبخاصَّة في المسائل الاجتماعية والسياسيَّة وأصول الديانات، وكان ينظر فيه إلى تفسير الزمخشري، وينحو فيه نحو السيد الشيخ رشيد رضا والشيخ محمد عبده رحمهما الله، مع رعاية اختلاف العصر، واختلاف النظرة إلى نظام الإسلام والحضارة الغربية.

وقد ودَّعته ـ رحمه الله ـ في داره بضاحية الزيتون بالقاهرة قبل خمس سنوات، وقد بدأ بوضع كتابٍ في سيرة المصطفى ﷺ، والراجح أن يكون قد فرغ من وضعه منذ أمدٍ ليس بالقصير[2].

## مقالاته وبحوثه:

هذا.. عدا مئات المقالات التي كان يمدُّ بها كثيراً من المجلات الإسلامية في مصر وخارج مصر، والأبحاث التي كان يعدها للمؤتمرات

---

(١) انتهى فيه إلى الآية **٧٣** من سورة النمل. وطبع قريباً في عشر مجلدات.
(٢) طبع في حياته، وصدر عن دار الفكر العربي.

والمجامع العلمية كبحثه القيم في «القضاء الإداري في الإسلام» ـ الذي نشرته هذه المجلة في عامها الأول ـ وبحثه في «ولاية المظالم في الإسلام» وغيرهما كثير.

## شدَّة اعتزازه بكتابه عن الإمام الشافعي:

ولا بدَّ لنا هنا من الإشارة العابرة إلى أنه كان شديد الاعتزاز، من سلسلته الفقهية السابقة، بكتابه عن الإمام الشافعي، الذي أعطاه حقه من التمحيص والتحرِّي والتدقيق: وسبب ذلك ـ كما حدثني مرة رحمه الله ـ: أنه وضع هذا الكتاب وهو على عتبة الترقِّي إلى درجة أستاذ مساعد في كلية الحقوق، وكانت المنافسة بينه وبين سلفه الشيخ علي الخفيف ـ خريج مدرسة القضاء الشرعي أيضاً ـ على أشدِّها، وإن كان أستاذنا رحمه الله يختار لهذه «المنافسة» اسماً آخر بطبيعة الحال، فكان كتابه الذي جاء فاتحة تلك السلسلة مثالاً يُحتذى ويُشَار إليه.

## كلامه عن عصر كل مجتهد:

وأمر آخر يتَّصل بهذه السلسلة، وهو أنَّ المؤلف ـ رحمه الله ـ يرى أنَّ هذا النهج في الكتابة عن أعلام الاجتهاد في الإسلام لم يُسْبَق إليه، وبخاصَّة كلامه عن «عصر» كل مجتهد، ولم يُبْدِ مرة اعتراضه على ما بَدَر مني من رأيٍ حول «القَدْر» الذي يكتب عادة عن «عصر» مؤلف أو إمام موضوع دراسة وبحث، وهو: القدر الذي يُلقي ضوءاً على حياة المؤلف ويُمهد لفهم آرائه واجتهاداته فيما اشتهر فيه... ويضعه ـ من ثَمَّ ـ في موضعه بين من شاركوه في هذا المجال... وإن كان من غير اللازم أن يكون شيخنا رحمه الله قد التزم في كتبه هذا القدر.

## محاضرات في النصرانية:

أما كتابه الذي لم يكن يُخْفي اعتزازه به حتى في بعض المجالس العامة، والذي كان يحب أن يلقى وَجْهَ ربه وأنه هو الذي كتب هذا الكتاب، فهو «محاضرات في النصرانية»، ومَن اطّلع على هذا الكتاب علم



ما كان يقول الشيخ رحمه الله... وقد وَجَده إن شاء الله بين يدي عليم خبير.

* * *

## عميد الفقهاء ومجتهد العصر:

مات عميدُ الفقهاء، ومجتهد العصر، فبماذا أصفه؟ ومن أين أبدأ الكلام على شخصيته المُحبَّبة المُتعدِّدة الجوانب؟!

كان أبو زهرة أشبه الناس بالإمام الغزالي رحمه الله: بلاغةَ قول، وإخلاصَ حديث، وغزارة عبارة، وقوة حجة... فهل كان أبو زهرة غزالي العصر؟!

## غزالي العصر:

كان في قوَّة دماغه واعتزازه بعلمه كالإمام الغزالي رحمه الله، ولكنّ شيئاً من طبيعة «الأسد» كان يبدو في تناوله لمناهج المعرفة ومسائل العلم.. كان يتناولها بقوة ويقضي فيها برجولة وسرعة. فهل كان ذلك على حساب «الثقة» والتعمُّق في الفهم والتحليل؟ ما أظنُّ ذلك.. ولكن الذي لا شك فيه ـ فيما يبدو ـ أنَّ عبارته في التعبير عن معنى من المعاني أو فكرة من الأفكار قد تطول بعض الشيء، وربما صَاحَبَها قليل من التكرار والدوران وبألفاظ جَزْلة فخمة، ولكنه كان يصل إلى ما يريد من أداء المعاني الدقيقة والآراء الاجتهادية المعقدة.

## الكلمة عند الأستاذ أبي زهرة:

ويمكننا القول: إنَّ «الجملة» أو «الكلمة» عند أستاذنا الكبير رحمه الله أداة يقع عليها «طبعه» وفحولته فخمة جَزْلة، وتقع عليها «إرادته» وثقافته بسرعة للتعبير عن المعنى الذي يُريد طال الكلام أو قصر، ويبدو الكلام طويلاً حيث يجب في مثل موضوعه الدقة والاحتراز.

### الكلمة عند الأستاذ الشيخ مصطفى الزرقا:

وإذا جاز لنا أن نتَّخذ من «الكلمة» معياراً نقيس به اختلاف مَنْ تتلمذنا عليهم من رجال الفقه والتشريع ـ على اختلافهم في الإصابة من قضايا الأمة والمجتمع ـ فالكلمة عند أستاذنا الجليل الشيخ مصطفى الزرقا ـ حفظه الله ـ «حدٌّ» من حدود المنطق، وقَيْدٌ أو احتراس من قيود المعاهدات والمواثيق! . . يبحث عنها الأستاذ الزرقا بدأب، ويختارها بعناية، ويضعها في موضعها الذي خُلقت له غير نافرة ولا قلقة.

### الكلمة عند الأستاذ السباعي:

وهي عند أستاذنا الداعية المجاهد مصطفى السباعي رحمه الله «كائنٌ عضويٌّ» ينْبضُ بالحياة، ويضجُّ بحركة الروح والأعضاء! . . تمسُّ قلب القارئ، وتُحرِّك فيه كوامن الفكر والأدب والشعور، ولذلك فهي أقوى ما تكون وأفعل ما تكون حين يُعبِّر بها عن «فلسفة» النظام، لا عن نظام الفقه، وعن حكمة الإرث لا عن الأنصاف والأرباع والأسداس، وعن قواعد الإسلام في بناء الأسرة وموضوع المرأة لا عن الأهلية والوصية وتوزيع التركات.

### قدرة الأستاذ أبي زهرة على الخطابة في الفقه والقانون:

وإذا كانت الكلمة عند أستاذنا العلاّمة الشيخ أبي زهرة ما قدّمت، فإنَّ ذلك يفسِّر قدرته الفائقة على أن «يخطب» في «الفقه» والقانون، وأن يرد اعتراضات المعترض في الندوات والمحاضرات ومناقشات الرسائل الجامعية، وأن يكون في مقدِّمة رجال المحافل العلمية العالمية، يساعده في ذلك ذاكرة قوية، وبديهة حاضرة، واطِّلاع واسع، وقدرة عجيبة على التوليد والابتكار، وصوتٌ قويٌّ مُجَلْجِل ينطلق من أعماق القلب والعقل جميعاً، إلى جانب ما عُرف عنه ـ رحمه الله ـ من روح محببّة، ونفس مَرحة، وطبع أصيل يسعفه بالإشارة الموحية، و«القفشة» الحاضرة!

وربما كانت حصيلة كتابات أستاذنا رحمه الله في مجال فقه الدعوة



قليلة، أو دون من فرَّغوا أنفسهم لهذا الحقل، وأتوا فيه بالروائع والدقائق، ولكن يبقى أسلوب الشيخ أبي زهرة ـ بفحولته وجزالته وصدق صاحبه ـ يُصوِّر للقارئ أنَّ وراءه الشيء الكثير.

❋ ❋ ❋

### مفتاح شخصيته: الكرامة والعزَّة:

أما عزَّة الرجل وكرامته وصلابته في الحق فلم أجد لها مثيلاً فيمن عَرَفت من مشايخ مصر، وفيمن رأيت من علمائها، بل لعل مفتاح شخصيته الفذة يكمن في «الكرامة» أو الرفض! رفض أن يبيع آخرته بدنياه، ورفض أن يسبقه أحدٌ أو يتقدَّم عليه، ورفض أن يهزم في حوار أو جدال، ورفض أن يقول للظالم: يا عادل، بل رفض أن يسكت عن الظلم، ورفض أن يأخذ على محاضراته العامة الكثيرة أجراً من المال، بل رفض الاعتذار عن إلقاء محاضرة وهو في غاية التعب والإرهاق، وقد شهدت ذلك بنفسي أكثر من مرة، وبخاصَّة مع طلاب كلية الهندسة وكلية التجارة بجامعة عين شمس، وكان طلاب هاتين الكليتين يحبُّونه حباً جماً، ولا يتركون مناسبةً إلا ويقومون بدعوته لإلقاء محاضرة عندهم، ولم يكن يتخلَّف، ولم يكن بجبن عن أن يقول كلمة الحق.

بلَ رفض الشيخ رحمه الله أن «يكون» شيخاً للأزهر، وليس في مصر رجل أحق منه بهذا المنصب!! . . . أقول: رفض، ولا أعني أنَّ المنصب عُرض عليه فأبى، بل أعني ما هو أبعد دلالة في شخصيَّته على مبدأ الرفض: لقد أبى أن يضع نفسه بحيث يُرى ويُدعى!

ولم يكن أبو زهرة يجهل شروط هذه الرؤية في تلك الأيام، ولكن نفسه ـ شهد الله ـ كانت تشمئز من مجرَّد تصوُّر هذه الشروط وسماعها، فضلاً عن قبولها والسعي إليها!

كرامة ليست فوقها كرامة، وعزَّة ليس وراءها عزة، ورفْضٌ مطلق لإعطاء الدنيَّة في أيِّ مجال من مجالات الأخذ والعطاء.

فحولةٌ في القول، ورجولةٌ في العمل، وبطولةٌ في المواقف، وكرامةٌ وسَبْقٌ في جميع شؤون الحياة. هذه هي شخصية فقيد الإسلام والمسلمين أستاذنا الشيخ محمد أبو زهرة كما عرفته وعرفه تلامذته ومُحبّوه، رحمه الله وجزاه عن دينه وعباده أفضل الجزاء.

❋ ❋ ❋

## حبُّه لسعد زغلول وتأثُّره به:

هذه النفس المنطوية على العبقرية والبطولة كانت تُحبُّ الأبطال، وقد انطبع في نفسه وهو غلامٌ حَدَث يجري وراء عربة سعد زغلول ويسعى إلى النظر إليه، ثم وهو شاب يستمع إليه بكلِّ جوارحه وهو يخطب ـ وكان من الخطباء القلائل في تاريخ مصر الحديث ـ انطبع في نفسه صورة هذا الزعيم فأحبه وتأثَّر به، وبقي على ذلك ـ لما جُبلت عليه نفسه من الصلابة والوفاء ـ حتى آخر يوم في حياته، وممَّا أكد ذلك في نفسه الصور التي كانت تجري على مسرح الحياة في مصر في تلك الأيام، وكان لا يمل من تذكُّر صورة سعد يوم أطلق عليه النار في محطة باب الحديد، وكيف تَحامل الرجل على نفسه ودمه ينزف ليصعد على منبر الخطابة لحظات يقول فيها: يعزُّ عليَّ أن أرى منبر الخطابة ولا أخطب! وميدان الكلام ولا أتكلَّم، ثم يعلن العفو عن خصمه الذي لم يرد في نفسه لمصر إلا الخير!..

ثم يقول الشيخ أبو زهرة رحمه الله: أين هذا من حديث العجل؟

وممَّا يكمل صورة نفس الشيخ ـ رحمه الله ـ في هذا الجانب تريُّثه ـ وربما تردُّده ـ في رفع بعض الناس إلى هذا المقام في نفسه، حتى يأتي أمر يعطيه «رؤية» جديدة ما كان له أن يقف على أبعادها لولا ذلك الأمر «الجوهري» الطارئ.

دخلت عليه مرة وقد ضُيِّق عليه، وحُجر على كتابه القيم «محاضرات في النصرانية» فهالني أمر الكتاب الذي مضى على وضعه بين أيدي الطلاب والباحثين أكثر من خمسة عشر عاماً ـ في ذلك الوقت ـ فقال: نعم... النصارى الأوروبيون يترجمون هذا الكتاب إلى أكثر من لغة ويدرسونه



ويناقشونه، ومُتنصِّرتنا يفعلون ما سمعت، هل تظنُّنا في دار حرب؟! ما أظنُّ الأمر يا بني إلا كذلك، وما أخال صاحبكم إلا واحداً من كرام الشُّهداء عند الله، إنه ولدنا فلان رحمه الله، وكان شريطٌ مُمْتد بثَّ فيه أستاذنا الجليل رحمه الله كثيراً من الصور والمواقف.

❋ ❋ ❋

## ذكريات وصور:

الذكريات عن أستاذنا الراحل تملأُ الذاكرة، والصُّور تزحم الخيال، وهذه مُجرَّد كلمة ندخل بها إلى ساحة نفسه الرَّحْبة، وعقله الواسع، ومواهبه الخصبة المتنوِّعة، ولسوف يكتب عن الرجل رحمه الله ـ فوق الدراسات العلمية الجامعية ـ عن أبي زهرة «المربِّي، والداعية، والأب، والصديق، والسياسي، والأديب، والخطيب» الخ.. ونرجو أن نسهم في هذا المجال في مناسبة أخرى إن شاء الله تعالى.

## عزمه على وضع كتاب في السيرة:

في أوائل عام ١٩٦٩، وفي جلسة ممتدَّة في بيته الهادئ الرزين، حدَّثني عن عزمه على وضع كتاب في السيرة النبوية الكريمة، وعرض لِطَرَف من مخطَّط الموضوع في ذهنه، والقضايا «الجديدة» التي لا بدَّ من إثارتها بين يدي كتابة السيرة، أو في التعقيب على بعض المواقف، وشعرتُ أنه يحبُّ أن أشترك في الحديث، فأشرتُ إلى أن تلك القضايا قد كتب فيها «العقاد» في كتابه «مطلع النور»، وفي بعض كتبه الأخرى، كما كتب في بعض المواقف الأخرى كُتّاب آخرون، فقال: إنه سيطَّلع على هذه الكتب قبل أن يبدأ بالكتابة، وأذكر أنني وقفت عند بعض النقاط التي جَدَّ فيها من القول ما لا بدَّ لأبي زهرة بالذات من مناقشته والردِّ عليه، كالحديث عن حياة النبي الروحيَّة ونحو ذلك، وأشرتُ إلى من تولَّى كِبْرَ هذه الأمور من الكتّاب والمترجمين.

### من عالم التَّبعات والحقوق إلى عالم السؤال والملكوت:

وكانت جلسة ممتدة عهد إليَّ الشيخ في نهايتها بإحضار هذه الكتب، وكلَّ كتاب أقدّر ضرورته أو أن الشيخ لم يطّلع عليه!! ولم يكن التقدير في اليوم التالي سهلاً، ولكنه جاء بحمد الله صحيحاً، وحضرت صلاة العشاء، ففاجأني ـ رحمه الله ـ بحرصه على أن يعطيني ثمن ما اشتريت له قبل أن نُؤَدِّي الصلاة، وقال بعد أن نادى على خادمه لِيُحضر المبلغ: «أحسن بكره يموت الشيخ أبو زهرة، فتُدعى للصلاة عليه، فتقول: لا. . . إنَّ لي في ذمَّته مالاً لم يدفعه بعد!!»، وضحك ضحكته المشهورة بعد أن نقلني من عالم التَّبِعَات والحقوق. . إلى عالم السؤال والمَلكوت!. . . وتصوَّرت الخسارة والخَطْب اللذين سيحلان من غيابه عن الساحة، ثم غاب رحمه الله ولم أكن في مصر ليكون لي ثواب الصلاة عليه وتشييعه. ولكنني هنا مع سائر تلامذته ومُحبِّيه ندعُو له كلما قرأنا كتاباً من كتبه، وذكرنا موقفاً من مواقفه، أو ذكَّرتنا الأيام والخطوب بالثغرة التي كان يقف عليها في دنيا الإسلام والمسلمين.

### عمل ودأب وجهاد حتى آخر دقيقة:

وبعد، فهذه لمحة عن حياة الفقيد الجليل رحمه الله. . الذي أخذ من دنياه الكثير، وأعطاها الكثير. جاء خبرُ نعيه وجمهورٌ غفير ينتظر حضوره في القاهرة لإلقاء محاضرة عامَّة كان قد أعلن عنها في وقت سابق.

عملٌ ودأب وجهاد حتى آخر دقيقة، وَوَقف الجمهور يتقبَّل في الشيخ العزاء بعد أن تحوَّل اجتماعهم إلى مأتم وعزاء.

### آخر كلماته المكتوبة:

أما آخر كلماته المكتوبة فهي: «وأحسبُ في حياتي كلِّها أنَّ الله كان معي مع كثرة الذين يرومون بي السُّوء، وما خيَّب الله لي أملاً ولا رجاء. وكنت أضطهد في العهود السابقة، فكلما اشتدَّ الكرب عليَّ جاءني الفرج من حيث لا أحتسب».



«وإني أقول نصيحتي لأبنائي الذين أنعم الله علي بأنهم تخرجوا على يدي: كونوا يا بني مع الحق دائماً، وأخلصوا لله دائماً، ولا تمالقوا أحداً في حق، ولا تكونوا على ضعيف أبداً».

وتلك هي علامة الإيمان والقَبول إن شاء الله، على القنطرة التي وصلت في آخر أيامه عالم الغيب بعالم الشهادة.

* * *

### في صفحات التاريخ:

سيكتب المؤرّخ: في العاشر من رمضان سنة ثلاث وتسعين وتسعمئة وألف، اقتحم جنود مصر قناة السويس، وسَقَطت تحت أقدامهم تحصينات العدو، وحناجرهم تُردِّد بصوت واحد: الله أكبر. ثم دخل عام أربع وتسعين وفيه تمَّ تحرير مدن القناة، ورُدّ العدو إلى داخل سيناء، وفيه توفي الفقيه العلامة الشيخ محمد أبو زهرة وقد مُحِيَت من نفسه بعض الأحزان. وكان رحمه الله عالماً فاضلاً مُصنِّفاً كبير النفس، عالي الهمَّة، صادعاً بالحق، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، لم يُعط الدنيَّة من دينه ولا من علمه وكرامته. وقد حزن الناس لموته حزناً شديداً، ورثاه غير واحد من الخلق داخل مصر وخارجها، رحمه الله رحمة واسعة، وعوَّض المسلمين خيراً، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

نعم، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حَوْل ولا قوة إلا بالله.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑

# الحاج محمد أمين الحُسَيْني في ذمّة الله[١]

## (١٣١٥ - ١٣٩٤هـ)

## (١٨٩٧ - ١٩٧٤م)

### ارتباط اسمه بقضية فلسطين:

منذ مطلع هذا القرن وحتى انتقل إلى الرفيق الأعلى، واسمه مرتبط بقضية أمتنا المقدسة قضية فلسطين، والتي واجه من أجلها إمبراطورية بريطانيا العظمى[٢] والصهيونية العالمية، واستمرَّ في مواجهته لهذه القوى والقوى الأخرى التي دخلت ميدان الصراع إلى جانب الصهيونية حتى لقي وَجْهَ ربه، ونرجو أن يكون راضياً مرضياً. . .

### المعركة مع اليهود جهاد مقدس:

كان يرى أنَّ المعركة مع الأعداء هي جهاد مُقدَّس، واستمرَّ على هذا الرأي حتى وُوري التراب لم تغيّره المحن والمصائب والأحداث، ولم يضيره

(١) حضارة الإسلام، العدد السادس، السنة الخامسة عشرة: (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).

(٢) مات عدو الصهيونية والإمبراطورية البريطانية. . . بهذه الكلمات صدرت التايمز البريطانية مقالها الذي عقبت به على وفاة الحاج محمد أمين الحُسيني!!.



تغير الأحباب والأصحاب، وبقي رحمه الله ثابتاً على ما آمن به، عاملاً بكل ما أوتي من جهد وقوة، مستخدماً كل الوسائل المتاحة له من كتابة وخطابة وعقد مؤتمرات وقيام بجولات لتكتيل القوى من أجل تحرير المغتصب من أرضنا وإعادة ديارنا المقدسة إلى وطننا الكبير. . .

### تحذيره من خطر الحل السِّلمي:

لم تَفْتِنْهُ الشِّعارات التي غرَّت الكثير، وجعلتهم ينحرفون عن الدرب السوي المستقيم، ولم تُؤثِّر في عزيمته الخطوب والرزايا، لم يتزحزح ولم ينحرف أو يقبل المساومة، بل استمرَّ حتى آخر لحظة في حياته مُنذراً ومنبِّهاً أمته بخطر الحل السلمي - أو ما يطلق عليه بالسلمي - دالاً أمته على الطريق الصحيح، وأن ما أُخذ بالقوة لا يُسْتَرَدُّ إلا بالقوة. . .

لم يهب اليهود أحداً كما هابوه، ولم يكرهوا أحداً كما كرهوه، ولم يحاربوا أحداً كما حاربوه - حتى أنهم رفضوا السماح لجثمانه بالدخول إلى بيت المقدس ليدفن حسب وصيته - ولم يحاولوا تشويه تاريخ زعيم عربي كما حاولوا تشويه تاريخه المديد الحافل بمختلف الوسائل والأساليب. .

### محاربة اليهود له:

لقد سقط كثيرون عن قصد أو غير قصد في شَرَك يهود، وحاربوا أمين الحسيني، وبحربه حاربوا فكرة الجهاد الإسلامي والرؤية الدينية التي يجب أن تواجه بها إسرائيل، وكانت حربه نقطة تحوّل في القضية المقدسة عن مسارها الصحيح، لقد حارب اليهود السلطان عبدالحميد وأسقطوه بواسطة يهود الدونمة من الاتحاديين، وحاربوا أمين الحسيني ليعزلوه عن القضية، ويكون بذلك القضاء على فكرة الجهاد المقدس.

لقد عاش الحاج أمين قضية فلسطين وقضايا العرب والمسلمين، عاش بها، وعاش لها، ولم ينقطع في مختلف ظروفه عن الجهاد حتى وافاه الأجل المحتوم. . .

### جهاد الحاج محمد أمين الحسيني:

لقد جاهد الحاج أمين شاباً وكهلاً وشيخاً ينوء بأعباء السنين. . جاهد

والجهاد فريضة إسلامية، جاهد والجهاد عناء وخطر وتشريد واعتقال.. جاهد وهو نجمٌ متألق في بُؤْرة الأضواء المحلية والعالمية، وجاهد والأضواء موجَّهة إلى سواه وهو قابع في الظل.

جاهد وهو محور الأحداث، وجاهد وهو في أيامه الأخيرة.

كان ـ رحمه الله ـ يقوم بواجبه باستمرار، ويعمل غاية وسعه باستمرار، ويتلقى النوازل والضربات الخاصة والعامة كالجبل الأشم، ويمضي في طريقه بهدوء وابتسام وتصميم وبإيمان راسخ بالله عزَّ وجل...

وللحاج أمين ـ رحمه الله ـ في جهاده الطويل آراء ومواقف قد نختلف معه في بعضها، ولكنه كان رغم ذلك كله، ومع ذلك كله رجلاً كبيراً وزعيماً عظيماً قلَّ أن يجود الزمان بمثله في إخلاصه وغيْرته وجهده وتضحيته وثباته واستمراره في الكفاح وشخصيته الفذة القليلة المثال..

ولقد أدَّى لدينه وأمته وبلاده إلى آخر لحظة من حياته كل ما استطاعه من خدمات.. تغمَّده الله بالرحمة والرضوان، وعوّض المسلمين أحسن العوض. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

❋ ❋ ❋

## الفقيد في سطور

○ ولد في القدس عام **١٣١٥هـ = ١٨٩٧م**، وتلقَّى تعليمه الأولي والثانوي في القدس، ثم التحق بالجامع الأزهر بمصر، وبدار الدعوة والإرشاد التي أسسها المرحوم محمد رشيد رضا، وكان يحضر خلال ذلك الدروس والمحاضرات في كلية الآداب بالجامعة المصرية.

○ عاد إلى القدس عام **١٣٣٢هـ = ١٩١٤م**، وكان يقيم فيها عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى، فالتحق بالفرقة **٤٦** في ولاية أزمير، واستمر يخدم في الجيش العثماني ضابطاً حتى انتهت الحرب.

○ عاد بعدها إلى فلسطين، وقام بإنشاء الجمعيات والنوادي الثقافية



والاجتماعية والسياسيَّة، وقاد الحركة الوطنية الفلسطينية من أجل مقاومة الانتداب البريطاني ووعد بلفور.

○ في عام **١٩٢٠م**، وفي موسم النبيِّ موسى عليه السلام أعطى أول درس للطامعين ليعلموا أن فلسطين لن تكون لليهود منازل وقصوراً، بل تكون لهم أجداثاً وقبوراً، وخرج من فلسطين بعد أن حُكم بالسجن عشر سنين بالأشغال الشاقة هارباً إلى سورية.

○ عاد إلى فلسطين عام **١٩٢١م**، بعد إلغاء الحكم السابق، وتولى منصب الإفتاء في القدس الشريف عام **١٩٢٢م**، خلفاً لشقيقه المرحوم محمد كامل الحسيني، ثم انتخب رئيساً للمجلس الشرعي الإسلامي الأعلى.

○ قام بإصلاح إدارة الأوقاف الإسلامية والمحاكم الشرعية الإسلامية ونظَّمها، وسعى إلى صيانة أراضي فلسطين، ومنع انتقالها إلى اليهود، وقاد الحركة الوطنية الفلسطينية، وعقد المؤتمرات الإسلامية، وأرسل الوفود الكثيرة إلى الخارج من أجل الحفاظ على فلسطين.

○ قام بوضع مشروع المسجد الأقصى وصيانته وأشرف على تنفيذه، واحتفل بتمام العمل عام **١٩٢٩م**، وقام بإنشاء الكلية الإسلامية بجوار الحرم، وانتدب إليها خيرة المدرسين والمربِّين لتخريج جيل من الشباب المستقيم تخريجاً صحيحاً..

○ لم يسمح لبلفور بزيارة الحرم الشريف عام **١٩٢٥م**، على الرُّغم من طلب المندوب السامي صموئيل منه السماح، وأمر الحرس بإغلاق الأبواب وعدم فتحها ولو أدَّى الأمر إلى استعمال القوة، وجاء بلفور والمندوب السامي واضْطرا إلى العودة من حيث أتيا...

○ نَجح في إخراج قضية فلسطين إلى نطاق العالَمين العربي والإسلامي، ودعا عام **١٩٢١م** إلى عقد المؤتمر الإسلامي العام في القدس، وتتالت بعدها المؤتمرات العربية والإسلامية من أجل فلسطين، وكان رحمه الله العصب المُحرّك لهذه المؤتمرات...

○ تمكَّن من إفشال المؤتمر التبشيري العالمي الذي عُقد في القدس عام ١٩٢٧م، على الرغم من طلب المندوب السامي البريطاني (بلومر) منه أن يتدخَّل لتسكين البلاد، فما كان منه رحمه الله إلا أن أجاب بقوله: أيعقد مثل هذا المؤتمر في جبل الطور، ونريد أن يبقى المسلمين هادئين؟ فكان أن أُخرج المؤتمرون جميعاً من البلاد...

○ ذهب ضمن الوفد الفلسطيني عام ١٩٣٠م، الذاهب إلى لندن في أعقاب ثورة البراق الشريف عام ١٩٢٩م، لمفاوضة الحكومة البريطانية حول قضية فلسطين ومطلب الشعب الفلسطيني.

○ وفي عام ١٩٣٤م، ترأس وفداً لإصلاح ذات البين بين السعودية واليمن.

○ وفي عام ١٩٣٦م، اندلعت الثورة الفلسطينية الكبرى، وانتخب الحاج أمين الحسيني رئيساً للجنة العربية العليا بإجماع الأحزاب الفلسطينية، وعندما تجدَّدت الثورة عام ١٩٣٧م، أرادت حكومة الانتداب إلقاء القبض عليه فالتجأ إلى المسجد الأقصى، واعتصم فيه أربعة أشهر، ثم خرج خفية من فلسطين، وسافر في زورق إلى لبنان، ولم يعد بعدها إلى بلده، وعاش حتى لقي وجه ربه شريداً غريباً عن وطنه..

○ غادر لبنان إلى بغداد بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م، بعد ضغط حكومة الانتداب البريطاني على فرنسا لتسليمها الحاج أمين، واشترك في ثورة العراق التي اندلعت عام ١٩٤١م ـ ثورة رشيد عالي الكيلاني ـ وبعد فشلها التجأ مع قادة الثورة إلى إيران حيث بدأت ملاحقته بعد دخول القوات البريطانية والروسية إليها، فانتقل إلى أوروبا بعد أن رفضت تركيا قبوله لاجئاً سياسياً فيها، وبعد أن وضعت بريطانيا ٢٠ ألف جنيه أسترليني ثمناً لرأسه.

○ اعتقلته السلطات الفرنسية إثر خروجه من ألمانيا بعد انهيارها، لكنه نجح في صيف عام ١٩٤٦م، في مغادرة فرنسا سراً إلى مصر.

○ طالبت المنظَّمات الصهيونية والاستعمارية وسَعَتْ لتقديم سماحته



إلى محكمة (نورمبرغ) بتهمة كونه مجرم حرب بحُجَّة أنه حرَّض السلطات النازية في ألمانيا خلال الحرب على إبادة اليهود.

وقد فشلت مساعي الصهيونية والاستعمار ضدَّه بسبب استنكار زعماء المسلمين والرأي العام العربي والإسلامي لهذه المساعي.

○ وفي عام ١٩٤٧م، قام بتشكيل فرق الجهاد المقدس بقيادة الشهيد عبدالقادر الحسيني، وكان يرى عدم دخول الجيوش العربية الحرب ضد اليهود في فلسطين مطالباً بإمداد سكانها فقط بما يحتاجونه من مال وعتاد.

○ ومنذ نكبة عام ١٩٤٨م، وهو يتابع رحمه الله في الظل القضية الفلسطينية وتطوراتها بمثل الاهتمام الذي كان يتابعها به يوم كان في الموقع الأول للمسؤولية.

○ كان آخر مؤتمر حضره مؤتمر القمة الإسلامي المنعقد في لاهور.

○ توفي رحمه الله في مشفى الجامعة الأمريكية يوم الخميس ٤ تموز ١٩٧٤م، إثر إصابته بنوبة قلبية كان قد أصيب بمثلها إثر هزيمة العرب عام ١٩٦٧م.

○ نعته قيادة الثورة الفلسطينية في بيان وزعته وكالة الأنباء الفلسطينية بقولها: تنعي قيادة الثورة الفلسطينية وجماهير الشعب الفلسطيني الزعيم الفلسطيني الكبير الحاج محمد أمين الحسيني الذي وافته المنية بعد عمر قضاه وهو يناضل نضالاً مستمراً ومريراً من أجل الشعب الفلسطيني والأمة العربية...

❋ ❋ ❋

## نبذة من آرائه وأقواله

○ رَفْضُ تقسيم فلسطين كان وما يزال مسألة حق وعدل، ومنطق وكرامة، وليس في اعتقادي من مبرر قط لقبول التقسيم ولا للسكوت عنه وتناسيه وتجاهله، واختلاق المبرِّرات له بأنه أصبح أمراً واقعاً، وأن الأمم

المتحدة أقرَّته وأن الدول الكبرى أمثال روسيا وأمريكا وإنكلترا وافقت عليه!

إنَّ هذه كلها أباطيل ومخادعات لتضليل الفلسطينيين وتضليل العرب والمسلمين الذين اعتبروا التقسيم طعنة نجلاء وجّهت إليهم.. فلماذا يراد بنا أن نخضع للظلم ونقرّه ونعترف بالأمر الواقع، ولماذا نُلام إذا رفضناه وتوجّه إلينا تهمة التصلّب والتشدُّد؟

إنَّ شعباً حياً ومجاهداً كالشعب الفلسطيني لا يجوز له أن يخضع ويقبل بالأمر الواقع الذي فرضته القوة الغاشمة والمطامع الأجنبية.. واعتقادي أنَّ المظلوم الذي ينام على الظلم ولا يقاومه بكل قوة وتصميم، يكن أحق باللوم من الظالم نفسه؛ لأنَّ الخضوع للظلم تأييد للظالمين وتشجيع لهم على الاستمرار في الظلم والتمادي فيه..

○ إعادة قضية فلسطين إلى الفلسطينيين فإنهم أحقُّ بها، وأهلها أحدب عليها، وأولى بالذَّوْد عنها والاستماتة في سبيلها. ولقد أثبتت التجارب أن هذه القضية كانت وهي في أيدي أهلها مصُونة عزيزة الجانب إلى أن استطاعت المؤامرات الاستعمارية أن تنتزعها منهم بالتأثير على بعض الحكومات العربية فحرمتهم بذلك من الاشتراك الوافي في الحرب كما أبعدتهم عن ميدان السياسة.. فينبغي إعادة هذه القضية إلى أيدي أهلها المؤمنين المخلصين المصمِّمين ليعيدوا إليها حيويتها ونشاطها...

○ أما تدويل القدس فلا يختلف كثيراً عن تهويدها، لأنَّ الأمرين يؤدِّيان إلى انتزاعها من أيدي أهلها، ويهددان مصير الشعب الفلسطيني، لأن موقع القدس وسط سلسلة الجبال التي تتوسط فلسطين يُخوِّلها ميزة عسكرية لا يستهان بها تستطيع بواسطتها السيطرة على سائر الضفة الغربية...

**وإني لأدعو العرب إلى رفض التدويل استناداً إلى الأمور التالية:**

١ ـ لقد أثبت العرب والمسلمون خلال أربعة عشر قرناً قدرتهم ونزاهتهم في المحافظة على الأماكن المقدسة وتأمينهم لحرية العبادة في هذه الأماكن.



٢ ـ إنَّ المقدسات القائمة فعلاً في مدينة القدس هي مقدسات إسلامية ومسيحية، وإن عدم وجود أي خلاف عليها بين المسلمين والمسيحيين ينفي الحاجة إلى تدويلها، أما ما يدّعيه اليهود من حق لهم في حائط البراق الشريف ـ حائط المبكى ـ فإنما هو أكذوبة ضخمة مفتراة على الحق والتاريخ، وقد ثبت ذلك بوثائق وبراهين تاريخية وأثرية كان آخرها التقرير الذي وضعته لجنة البراق الدولية التي تشكلت بقرار من عصبة الأمم ١٩٣٠م، وقد نصَّ القرار على ما يلي: للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي، ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التي هي من أملاك الوقف..

٣ ـ إنَّ القدس جزء لا يتجزأ من فلسطين، وفلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربي، فلا يجوز للعرب والمسلمين التفريط في القدس أو التنازل عن أيِّ جزء منها، ولا يجوز أن يقام في القدس أي نظام دولي غريب عن فلسطين والشعب الفلسطيني.

٤ ـ إنَّ المسجد الأقصى القبلة الأولى للمسلمين، ومسرى الرسول ﷺ ومنه معراجه، وهو صلة الوصل بين فلسطين والعالمين العربي والإسلامي، ولا شك أن فكرة التدويل هي فكرة يهوديَّة استعمارية لقطع هذه الصلة الأزلية.

○ ولا شك في أنَّ الأعداء يقصدون من مشروعهم ـ مشروع الدولة الفلسطينية ـ بلوغ الأهداف التالية:

١ ـ انتزاع اعتراف من الشعب الفلسطيني بوجودهم ودولتهم القائمة على أساس الغصب والعدوان وتنازله عن أكثر من ثمانين بالمائة من أرض فلسطين.

٢ ـ امتصاص نقمة الشعب الفلسطيني خاصَّة والعرب والمسلمين عامة وصرفهم نهائياً عن الجهاد في سبيل استعادة فلسطين.

٣ ـ شقّ الشعب الفلسطيني إلى معارض للمشروع ومؤيد له، وإيقاع

الفتنة بين أفراده وجماعاته، وإيغار صدور العرب والمسلمين على الفلسطينيين.

٤ ـ أن تصبح هذه الدويلة جسراً يصل بين اليهود والأقطار العربية لاستغلالها اقتصادياً وسياسياً في سبيل تنفيذ مخططاتهم ومؤامراتهم.

**وصفوة القول**: أنَّ الحلَّ الصحيح لقضية فلسطين هو إعادتها إلى طابعها العربي الأصيل، وعندئذ يصبح من حقِّ الفلسطينيين إقامة دولتهم وَفقاً لحقِّهم المشروع في تقرير مصيرهم.

○ أنَّ الحل المنشود للقضية الفلسطينية لا يتحقَّق بالتنازلات والمناقصات والتفريط في الحقوق الوطنية تفريطاً يقضي على كل أمل للشعب الفلسطيني في الحياة الكريمة. وليس في مجال القضية الفلسطينية أي مكان لتعايش سلمي مع أعدائنا الذين نعلم حق العلم أنهم لا يريدون تعايشاً[1] مع أحد، ولكنهم يريدون التوسع على حساب أمتنا وسلامتنا، ومستقبل أجيالنا والمضي في سلب كل شيء معتقدين أن بلادنا كلها هي لهم، بل إن العالم كله لهم! وهذا الاعتقاد اليهودي ثابت، وقد عرفه كل من درس تاريخ اليهود وكتبهم، وعرف ماضيهم وحاضرهم. إن الإسرائيليين مُصمِّمون على إبادتنا واغتصاب كل ما نملك، ولكنهم يخادعوننا لكسب الوقت الذي يستطيعون فيه تنفيذ مخططاتهم الرهيبة.

□ □ □ □ □

---

(١) «إنه لن يكون سلام لشعب إسرائيل ولا لأرض إسرائيل ما لم نحرر وطننا بأجمعه، حتى ولو وقعنا معاهدة صلح»، مناحيم بيغن.

«إن إسرائيل الكبرى الممتدة من العراق إلى السويس هي الدولة القوية التي تستطيع تأمين السلام والاستقرار في الشرق الأوسط»، أريه ألتمان (الحضارة).



# علال الفاسي[1]

## كان الإسلام سيماءه وانتماءه

## (١٣٢٦ ـ ١٣٩٤هـ)

## (١٩٠٨ ـ ١٩٧٤م)

**بقلم: عمر بهاء الدين الأميري**

علال الفاسي عَلَمٌ عملاق، حجمه في الزمان أكبر من السنوات التي عاشها، وحجمه في المكان أكبر من الأرض التي وُجِدَ فيها..

### حجم علال الفاسي في الزمان:

فحجمه في الزمان أكبر من السنوات التي عاشها؛ لأنه عاصر أحداثاً جساماً بدّلت خارطة العالم، وغيّرت وجهة التاريخ، وقد كابد الجهاد خلالها بطاقة هائلة، قلّ أن يتوفَّر عليها ويجود ببذلها إنسان فرد، إلا إذا كان عَلَماً عملاقاً، وتاريخه في ذلك سِفْر كبير من مجلدات، يبدأ بجمعية طلابية سريَّة سياسية، ويمرُّ بالسجون والمنافي، ويتنقل بين المغرب والمشرق، ويلمع في المجلس النيابي، ويَصِل إلى وزارة الدولة للشؤون الإسلامية، ويستمر في رئاسة **حزب الاستقلال**

---

(١) المجلة العربية، العدد الأول من السنة الثانية: (١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م).

ـ الذي كان كثيراً ما يستفيد من منابره للدعوة إلى الإسلام ونُصْرة قضاياه، والمُناداة باتِّخاذه دستور هذه الأمة، عقيدةً وشريعةً وسلوكاً ـ وقد كان من الأركان الأولى لدار الحديث الحسنيَّة، فدعم فكرة إنشائها، ونافح عن رسوخها وتقدُّمها، وأسهم في توجيهها وتدريسها والإشراف على رسائل طلابها حتى إذا تقاعد عن عمله في كلية الحقوق لبث محتفظاً بكرسيِّه فيها حريصاً عليه إلى آخر دقيقة من حياته. ولا عجب في هذا فإن مدرسته الأولى التي استمرَّ إشعاعها يواكب حياته هي «المدرسة القرآنية» تعلّماً وتعليماً...

## صُوَر وعَبَرات:

أغوص في أعماق ذاكرتي بحثاً عن تعارفنا الشخصي الأول، ثم مراحله المتتابعة، فتضيع بي ذاكرتي المتعبة في رؤى غامضة، كأنها من صور تاريخ بعيد بعيد...

غـاص مـن ذاكـرتـي عـهـدُ الـصِّـبـا
والـشـبـاب الـغـض إلا غـبـرات
قـطَّـع الـنـسـيـانُ عـمـري مِـزَعـا
فـكـأنـي عـشـت عـمـري فـتـرات
وانـمـحـى مـن خَـلَـدي جـلّ الـذي
خـضْـتـه فـي جَـلَـدي مـن غـمـرات
فـلـكـم قـصَّ عـلـيَّ الـصَّـحْـبُ مـن
طـرف الأخـبـار عـنـي شـذرات
وأنـا أسـمـعـهـا مـبـتـسـمـاً
وبـقـلـبـي مـن أسـاهُ جـمـرات
بـقـيـت لـي مـن حـيـاتـي صـور
عـبـر حـيـنـاً وحـيـنـاً عـبـرات..!



## لقاءات ومشاركات:

كانت لنا لقاءات كثيرة، ومشاركة في مؤسسات ومؤتمرات وندوات ومناسبات عدَّة، فكم التقينا في القاهرة وبغداد والقدس ومكة والرباط وفاس وسواها... التقينا على المعاني والعواطف والجهود المشتركة لقضايانا، قضايا أوطاننا وأوطان العروبة والإسلام.

## في مؤتمر القدس:

ومن أبرز المؤتمرات التي كنا فيها معاً: مؤتمر القدس عام **١٣٧٣**هـ ـ **١٩٥٣**م، مع نخبة كبيرة من رجال العلم الإسلامي، منهم الشهيدان سيد قطب، ونواب مجتبى صفوى، واللواء صالح حرب الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين، رحمهم الله.

## مؤتمر مكة الذي انبثقت عنه رابطة العالم الإسلامي:

وأما أكبرها **فمؤتمر** مكة عام **١٣٨٥**هـ ـ **١٩٦٤**م، الذي انبثقت عنه رابطة العالم الإسلامي، واختتمه العاهل السعودي الشهيد فيصل بن عبدالعزيز، بخطاب جامع، وجاوب عليه باسم المؤتمرين الشهيد المجاهد البطل الحاج أحمد وبللو، رحمهما الله، وشاركت فيه وفودٌ كثيرة ذات شأن من أعلام الأمة الإسلامية، واتَّخذ قرارات وتوصيات على جانب كبير من الأهمية، كان أكثرها إيجابية العمل على عقد **مؤتمر قمة إسلامي عام**، يكون انطلاقة أولى لإقامة شكلٍ ما من لمِّ الشمل الجامع لولاة أمر المسلمين وشعوبهم، فضلاً عن تنسيق جهود الدول والحكومات منذ الآن في مواجهة التحديات المذهبية والمواقف الدولية والمخططات العدوانية التي يتعرَّض لها العالم الإسلامي، وفي نُصرة قضاياه وحركات الجهاد والتحرير فيه، وكان الأستاذ علال رئيساً للجنة الشؤون الإسلامية وتقرير المصير، وكان نائبه الأستاذ عبدالله كنون، وكنتُ مقرر اللجنة، فلمست مدى غيرته وإخلاصه واهتمامه البالغ بأمر الإسلام والمسلمين في كل بقاع الأرض.

## في مجال العمل الإسلامي العام:

أما في مجال العمل الإسلامي العام، فأشهد أنني ما ذكرت له موضوعاً إلا وجدته بالغ الاهتمام به، ولا اقترحت عليه دعماً أو نصرة إلا وجدته مستجيباً، وقد كانت له في ذلك مبادراته اليقظة التي تتجلّى فيها أصالة تفاعله مع الإسلام وقضاياه، وعمق تضامنه مع المؤمنين المجاهدين الذين يتعرَّضون للأذى والعذاب والتنكيل في سبيل الله. وقد عرف ذلك عنه القاصي والداني.

## موقفه من قضية الشهيد سيد قطب وإخوانه:

ومن هذا المنطلق الأصيل النبيل، أُسجِّل له بمزيد من الإكبار والتقدير موقفه من قضية الشهيد سيد قطب وإخوانه من قبل ومن بعد، فقد كان ثابتاً متيناً يواجه الأعاصير والزعازع في نُصرته الحق ودفاعه عن الدعاة إلى دين الله، ومطالبته بإنصافهم، وتقدمه الصف مع صفوة من رجال المغرب البررة في الاحتجاج على الظلم الفادح الذي كان ينزل بهم، حتى إذا أكرم الله سيد قطب وبعض إخوانه بالشهادة، كان أول الداعين إلى إقامة صلاة الغائب على أرواحهم الطاهرة في سائر مساجد المغرب المؤمن، وكان أول العاملين على تمجيد شهادة سيد قطب، وصَدَرَتِ «**العَلَم**» بعدد خاص وفيها مقال قيِّم مسهب للرئيس علال عن شهيد الإيمان صاحب «**في ظلال القرآن**»، كما كتب عنه مقالاً في العدد الخاص بالشهيد من مجلة «**الإيمان**»، التي يصدرها الأستاذ الكبير المجاهد أبو بكر القادري.

ولما حانت الذكرى الأولى لاستشهاد سيد قطب، كان علال الوفي المؤمن أول العاملين على إقامة حفل تأبيني كبير له في مركز حزب الاستقلال في فاس، افتتحه بنفسه في ظروفٍ كان لا يجرؤ فيها سواه على أكثر من النقد المحصور في نطاق ضيِّق، والتفجُّع والدعاء بأن يكشف الله عن الأمة الإسلامية هذا البلاء! وقد عمل على إصدار طبعة مغربية من بعض كتب سيد قطب الهامة، وما ذلك لمُجرَّد الصداقة الوثيقة التي كانت بين المُجاهدَين الكبيرين، بل هو في الدرجة الأولى لاتفاقهما في العقيدة وارتباط



سيد قطب في نفس علال بالإسلام، الذي يؤمنان به ديناً حضارياً فذاً، لا للأمة الإسلامية فحسب بل للإنسانية جمعاء. وهذه العقيدة الإسلامية الحية الحركية في الرئيس علال قد ظهرت ملامحها بشكل أو بآخر في كل آثاره وأفكاره وأعماله العامة بل في توقعاته المستقبلية.

## الرجل الموسوعة:

تضيق صفحات هذه الكلمة عن مُجرَّد سرد لقاءاتنا وذكرياتنا في المشرق والمغرب، فكيف بي إذا رحت أسترسل في الحديث عن صفحاتها ومجالاتها، ولا أدري هل سيتَّسع ما بقي لي من العمر للعودة إلى وثائقي ومفكراتي لكتابة مذكراتي، في قلب ما أنا فيه من تشتُّت ومشاغل وأعباء لا ينتهي وليدها، لو أتيح لي ذلك لكان لعلال الفاسي «الرجل الموسوعة» مجلَّد خاص بينها.

## حجمه في المكان:

ذاك تصوير مقتضب لحجم الفقيد الجليل الغالي في الزمان، ونبذة عن لمحات من ذكرياتي معه، أما حجمه في المكان فكما سبق لي أن قلت: إنه متَّسع رَحْب وإن كان لا يصل إلى حجمه في الزمان.. فمن الأندلس حيث نَبَتَ أصله إلى فاس حيث استقرَّ أهله.. إلى قرى الأطلس التي سُجن فيها.. وبلدان المغرب التي تنقَّلت خلالها خطى جهاده.. إلى الغابون حيث قضى تسع سنوات من التألم والتعلم لم ينقطع خلالها عن التفكير والتحبير.

## رحلة دائبة على دروب المجد والجهاد:

واستمرَّ علال الفاسي في ثبات قليل النظير على الجهاد في المغرب والمشرق ـ حيث نقل ساحة دعوته وعمله لأمته ـ إلى مصر لا يفتُر ولا يكل.. حتى عاد إلى المغرب المستقل الذي كان من أكبر دعائم استقلاله ويستمر في المغرب ولا يستقر، من مؤتمر إلى مؤتمر، ومن ندوة إلى

أخرى، ويزور في كل عام مرة على الأغلب مكة المكرمة، ويشهد اجتماعات المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وقد بقي هكذا في رحلة دائبة على دروب المجد والجهاد حتى لقي وجه ربه في «بوخارست»، وفلسطين آخر كلمة يفوه بها. . .

## الإسلامية الحيَّة الحركيَّة:

لقد كان علال ابن الإسلام قبل أن يكون أي شيء آخر، ثم كان، بعد ذلك ومع ذلك، للمغرب والعروبة والإسلام والإنسانية. . وإنَّ كل الذين عايشوه أو درسوه سيعرفونه بسيمائه وانتمائه إلى الإسلام، وإن كانوا ممَّن يعرفون معالم الحق، وإنَّ هذه «الإسلامية» الحيَّة الحركيَّة كانت تظهر عليه بشكل أو بآخر، وتأخذ لديه المقام الأول في الاعتناق والاعتزاز، رغم شدة تعلقه بوطنه وتشدُّده في الحرص على كل شبر من الأرض فيه.

وإننا لنجد من كتبوا عنه من الغربيين قد أبرزوا هذه الصفة فيه أيضاً، بل منهم مَنْ علَّلها وردَّ إليها عواطفه الأخرى وطنية وإنسانية. . يقول جاك بيرك: «إنَّ علالاً الفاسي لا يدافع عن الشخصية المغربية، ولكنه يدافع عن الهُويَّة الإسلامية، وهو يعتقد أن الإسلام وحده هو القادر على أن يحمي بلاده من سلاح أوروبا على الدين». . .

## نموذج من سلسلة الرجال في هذه الأمة:

وبعد. . فهذا سطر من «كتاب علال»، يرمز تلميحاً إلى خطوط من شخصيَّته الفذَّة، ويلمُّ إلماماً عابراً ببعض جوانب نشاطه الإسلامي الواسع. وإذا كان لا يفي إلا بِنَزْر يسير من الوفاء للودِّ الذي بيننا والتقدير الذي أحمله له والتعريف ببعض مزاياه وسجاياه. . فإنني أجعله مع «سطور» أخرى كتبت فيه وستظل تكتب عاماً إثر عام، لا لتجزيه ما يستحق، فأمر ذلك موكول إلى الله جل جلاله وأكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، وهو اليوم في حِرْزه الأمين، ولكن لتبقى نموذجاً لسلسلة «الرجال» في هذه الأمة الإسلامية المعطاء، ومثالاً للأجيال من المواطنين والأبناء، ولتكون بخاصَّة ـ حافزاً



للشباب المؤمن الغَيَارى من طلابه، ولا سيما من خريجي دار الحديث عسى أن ينهدوا نهده ويجدُّوا جده، ويكونوا استمراره بعده، فمن أوْلى منهم بالإشادة به، والانتفاع منه، ومن أجدر منهم بحَمْل الأمانة وأداء الرسالة في هذا البلد المؤمن العريق الغريق اليوم بالمذاهب الوافدة والدعوات الضارة الضالة، حتى ليكاد أن يعود فيه الإسلام غريباً، وهم أسرة العقيدة الهادية، وَوَرَثَة الصفوة الواعية الداعية.

وإننا لنرجو أن يكونوا في هذا المعترك امتداداً لجهاد وقدح الزناد، نوراً لا ناراً، وسعياً لا شعاراً، ولذلك فإن الذي نُلحُ عليه ونريده له من جوانب شخصية فقيدنا الكبير علال الفاسي، أحسن الله إليه، هو التعمُّق في العلم والفهم، والمَضَاء في العمل بلا كلل، والنهوض بأعباء الإسلام المقدَّسة، لا يثنيهم عن ذلك ثِقَل الأعباء وتكاثر الأعداء، ولتكن هممهم أكبر من همومهم، وأرواحهم أغلب من جسومهم، وعليهم أن يوطِّدوا في نفوسهم جذورَ اليقين بأنَّ النصر لنا، وأنَّ الله معنا، وأنَّ العاقبةَ للمُتَّقين!

❑ ❑ ❑ ❑ ❑

## الداعية المجاهد عبدالباسط عباس رحمه الله(١)

**(١٣٥٢ - ١٣٩٤هـ)**

**(١٩٣٤ - ١٩٧٤م)**

**للأستاذ مصطفى البيراوي**

### عِظَم خسارة الدعاة:

فُجعت بلدة الباب - التابعة لمدينة حلب - بوفاة الأخ الداعية المجاهد عبدالباسط عباس: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [آل عمران: ١٤٥].

لقد رحل فقيدنا الغالي، وانضمَّ إلى القافلة المؤمنة من الأعلام الذين خسرتهم الأمة، ما أعظم خسارة الدعاة على الأمة في وقت عزَّ فيه الدعاة إلى الله:

لَعَمْرُكَ ما الرزيَّة فَقْدُ مال ... ولا فَرَس يَمُوتُ ولا بعيرُ
ولكنَّ الرزيَّة فَقْدُ حُرّ ... يموتُ لموته خلقٌ كثيرُ

لَهْفَ نفسي عليك أيها الحبيب الراحل! ما الذي أعجلك عنّا وأنت في ريعان الشباب ونضرة الحياة وبدء العطاء؟!

(١) حضارة الإسلام، العدد التاسع، السنة الخامسة عشرة: (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).



أهكذا تركتنا يا أبا أنس في أول الطريق الصعب وفي حلكة الظلمة. إنَّ إخوانك في حاجة إلى حكمتك وسداد رأيك، وإلى قلبك الكبير، وإن دعوتك في حاجة إلى تجرُّدك وعملك.

سيذكرني قومي إذا جدَّ جدُّهم ... وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

### جنازته المشهودة:

رحمك الله يا أبا أنس لقد كان مأتمك مأتم البلدة كلها، فهذه الجموع المؤمنة التي حملت نعشك على راحات الأيدي في موكب مهيب إلى دار الخلود، لتشهد لك عند الله تعالى أنك أدَّيت الأمانة، وبلّغت رسالة نبيك محمد ﷺ، ولسان حالها يُردِّد: اللهمَّ ارض عنه فإننا عنه قد رضينا.

### مناقبه وأخلاقه:

رحمك الله - يا أخا الإسلام - افتقدك ريف الباب ومنبج طبيباً تداوي القلوب قبل أن تداوي الأجسام، مستقيماً في عملك، دؤوباً على أداء واجبك، لا تعرف الكلل ولا الملل كأنك خُلقت للعمل وحده.

عرفك الناس عفيف اليد واللسان، طاهر الذيل والسريرة، كبير القلب، مسلماً بخلقك وعقيدتك وسلوكك، متواضعاً مشرق الوجه فكهاً تحب الدعابة.

**يا أبا أنس!**

افتقدك التقى والورع والهدى، افتقدك المحراب والصف الأول في المسجد.

وافتقدتك حلقات تجويد القرآن، يا مَنْ حفظت الذكر ترتيلاً وفهماً وتجويداً.

افتقدك إخوانك الذين كنت تحمل همومهم، وتشاطرهم أفراحهم، وتحفظ حقَّهم في السفر والحضر.

**يا أبا أنس!**

يبكيك الفلاحون في ريف الباب ومنبج، حيث فقدوا القلب الكبير، وفقدوا الاستقامة والنزاهة والتواضع والزهد...

رحمك الله يا أبا أنس لقد كنت ـ بعون الله ـ من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

**منهجه في الدعوة:**

سيذكر الجميع حماستك للدعوة، وحرصك على تدريب النفس أن يحب المرء لله ويبغض لله.

**يا أبا أنس[(١)]!**

ستبقى حُجَّة على أولئك الذين يرهبون حَمْل الراية، ويميلون إلى السلامة والعافية، وإلى متاع الدنيا الزائل.

لقد عشتَ ملتزماً شرع الله، وقّافاً على الحق، وكانت وسيلتك في الدعوة إلى الله التربية بالقدوة والأسوة، أحييت سنن رسول الله في نفسك وفي أهلك يا أبا أنس!

نَمْ قرير العين في جوار ربٍّ كريم، واطمئن بأن لواء دعوة الإسلام سيبقى مرفوعاً بأيدي الفتية والأشبال الذين غذّيتهم بالإسلام وتعهّدتَّهم بالريّ والسقيا حتى اشتدَّ ساعدهم وصَلُب عودهم.

اللهمَّ اغفر له، وأكرم نُزله، وأدخله الجنة، وعوِّضنا بفقده خير العوض، اللهمَّ لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده. ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

❋ ❋ ❋

(١) ابنه أنس هو أستاذ إدارة الأعمال المشارك في جامعة الحديدة، من مواليد **١٩٦٢**.



## حياة الفقيد في سطور

ـ ولد الفقيد رحمه الله في بلدة الباب عام **١٩٣٤**م، لأب مشهود له بالعلم والورع والتقى.

ـ نشأ ميَّالاً بطبيعته إلى التديُّن منذ نعومة أظفاره.

ـ حصل على الثانوية البيطرية والثانوية العامة وليسانس في الحقوق، وكان نجاحه بتفوق في كافة مراحل دراسته مما لفت الأنظار لما يتمتع به من الذكاء والنباهة والنشاط الدائب.

ـ عمل طبيباً بيطرياً في بلدة الباب وريفها منذ عام **١٩٥٧**م، فعُرف بين الناس بالاستقامة والسمعة الحسنة إلى جانب المهارة في الخبرة في مهنته.

ـ شارك في كافَّة النشاطات الاجتماعية والخيريَّة التي قامت في منطقة الباب، وكان يؤخذ رأيه لرجاحة عقله واتزانه في جميع أعماله.

ـ خدم في الجيش ضابطاً، واشترك في عدَّة دورات تدريبية، وكان فيها الأول لما يتمتَّع من روح جهادية ولياقة جسمانية.

ـ أكبَّ ـ رحمه الله ـ على العلم والثقافة الإسلامية، وأيقن أن العلم هو الوسيلة القويمة لتربية الأجيال وإعداد الشباب، فتعلَّم وعَلَّم ونبغ في الفقه، وعلَّم تجويد القرآن الكريم.

ـ توفي رحمه الله في ليلة الاثنين **٢١** رمضان المبارك **١٣٩٤**هـ، الموافق **٧** تشرين الأول **١٩٧٤**م، بعد أدائه صلاة العشاء والتراويح، وكان آخر كلماته قالها لأخيه وهو يستشيره في قضية: (حكِّم شرع الله في قضيتك). غفر الله له وأدخله فسيح جناته.

□ □ □ □ □

# في وداع عبدالباسط عباس[1]

بقلم: محمد ملّا غزيل

فلتغمر النفس رَوْحاً نفحة القدس ... ولتمنح الأفق قدْحاً لمحة القَبَسِ
وَلْتنطلقْ بالمعاني الغرِّ.. مُلهمةً ... شرارة البرق بالبشرى لملتمس
إنا على العهد يا أيام شامخةً ... أعلامنا فوق طودٍ راسخ الأسس
تلكم سبيل الهدى تمتد واضحةً ... بيضاء ما زاغ عنها غير ملتبس
كنا جنوداً لها بالحقِّ نحرسها ... نعمَ السبيل.. ونعمت قوة الحرس
يحررون بحد السيف أرضهم ... ويمحقون ضلال الغاشم الشرس
ما ودّعوا فارساً إلا تملكهم ... شَوْقُ الشهادة يحدو وارث الفرس
أنعم أخا الحق بالرضوان مرتقبا ... من رحمة الله للأبرار واقتبس
قد كنت عنوان أخلاق مهذبة ... رمز انطلاق بوجه البغي والدنس
لإخوة آمنوا بالعدل واحتشدوا ... يفدون قرآنهم في فتية حمس
يا رب لا تفتنن فتيانَ رايتنا ... وارحمه وارحمهم.. إرحم «أبا أنس»

٢٥ رمضان ١٣٩٤هـ
١١ ـ ١٠ ـ ١٩٧٤م

(١) حضارة الإسلام، العدد التاسع، السنة الخامسة عشرة: (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م).



# الأستاذ جلال حسُّون[1]
## (١٣٤٨ ـ ١٣٩٥هـ)
## (١٩٣٠ ـ ١٩٧٥م)

بقلم: إبراهيم عاصي[2]

### الداعيةُ الصَّادقُ الصَّابرُ:

كان عصراً حزيناً وكئيباً، ذلك العصر الذي شيّعت فيه بلدة (أريحا) في شمالي سورية، ابنها الداعية الصادق الصابر الأخ الأستاذ جلال حسون.. إنه عصر يوم السبت التاسع من شهر ربيع الأول سنة **١٣٩٥**هـ، الموافق للثاني والعشرين من آذار سنة **١٩٧٥**م.

(١) حضارة الإسلام، العدد الثالث، السنة السادسة عشرة: (**١٣٩٥**هـ ـ **١٩٧٥**م).

(٢) الأديب الموهوب القاصّ إبراهيم عاصي، ولد في مدينة جسر الشغور بسورية عام **١٩٣٥** لأبوين رقيقي الحال طيّبي النفس، وكان رَيْحانة أبويه في الوفاء بحقّهما ورعايتهما، وتفوّق في دراسته وتخرّج في دار المعلمين الابتدائية ونال الشهادة الثانوية، والتحق بكلية الآداب، وأنجز خلال سنوات قليلة ستة كتب أدبية، معظمها قصص مفيدة، وهي: (سلّة الرمان ـ حادثة في شارع الحرية ـ ولهان والمتغربون ـ همسة في أذن حواء ـ للأزواج فقط ـ جلسة مفتوحة مع مالك بن نبي)، واعتقل سنة **١٩٧٩** وطال سجنه ونيف على ثلاثين عاماً، وخسرته دوحة الأدب العربي، رحمه الله تعالى، وأجزل ثوابه.

تُوفي رحمه الله في مدينة لندن، حيث كان يتعاطى العلاج من مرض عضال ألمّ به، وسكن في جسمه لمدَّة ناهزت خمس سنين.

## ولادته ونشأته ودراسته:

ولد الفقيد في بلدة أريحا أوائل الثلاثينات، وبها نشأ وحصّل تعليمه الابتدائي. ثم انتقل إلى مدينة حلب، حيث تابع تعليمه المتوسط فالثانوي في دار المعلمين الابتدائية.

تخرّج في دار المعلمين سنة **١٩٥٤م**، وعمل معلماً في بلدته فترةً من الزمن، تابع خلالها دراسته العليا في كلية الحقوق من جامعة دمشق.

## ممارسته المحاماة:

ولما أن تخرج في كلية الحقوق ترك التعليم، وأخذ يمارس المحاماة إلى أن كانت سنة **١٩٦٧م**، عندها غادر سورية إلى المملكة العربية السعودية بصحبة أسرته، حيث تعاقد للعمل مستشاراً قانونياً في وزارة الدفاع هناك. وبقي هذا عمله إلى أن وافاه الأجل المحتوم في آخر سفرة من سفراته العلاجية الكثيرة إلى مدينة لندن.

## رابطة أخوة في الله قوية متينة:

كان أول تعرُّفي على الأخ الفقيد، في بداية دراستنا في دار المعلمين في حلب، ثمَّ تطورت العلاقة من صلة زمالة عادية، إلى صلة أخوة في الله، أخذت تنمو وتزكو مع الأيام، ولم تزدها الزمالة الجامعية ـ على اختلاف الاختصاص ـ والزيارات الوديَّة الكثيرة ـ لقُرب بلدينا وتوادد قلبينا ـ لم تزدها إلا قوةً ومتانة، وامتداد جذور وثبات أصل.

ذلك ممَّا مكّنني من معرفة أخي الفقيد معرفة لا يدانيني فيها إلا القلة من أحبابه وإخوانه وأصفيائه. وذلك مما يسمح لي أن أتحدث عنه حديث العارفين، وأبكيه بكاء الثاكلين، وأتفجَّع عليه تفجُّع مَنْ قصَمَتْه المصيبة، وحطّم جناحه الهول العظيم...



## شاب عصامي:

رحمك الله ـ يا أخي جلال ـ شاباً عصامياً، نَهَضَ شامخاً على قدميه يحمل في قلبه نور العقيدة، وفي يده مصباح العلم، وفي لسانه كلمة الحق والصدق، وهو ابن ذلك الأب الأميّ الصّابر المحتسب الذي كتب عليه أن يحصّل لقمته من الصخر، يكسره وينحته ويبنيه..

ورحمك الله ـ يا أخي جلال ـ **فتًى شبَّ ونشأ في طاعة الله ورضوانه،** يدعو له ويجاهد في سبيله، لا يخاف ولا يخشى سواه، وقد كنتَ واحداً ممَّن أُقرُّ لهم ـ أمام الله ـ بالفضل عليّ، إذ صحَّحوا إليّ مساري يوم كنتُ يافعاً أقف متردِّداً على مفترق الطريق..

## المعلم المربي:

ورحمك الله، **مُعلّماً مُربياً،** نشَّأ تلامذته وأطفاله على حُبِّ الله ورسوله، وحُبِّ الحقِّ والفضيلة، وحُبِّ العلم والعرفان..

## المحامي المدافع عن المظلومين:

ورحمك الله **محامياً،** يدافع عن الشرفاء بشرف، وعن المظلومين بأمانة وحرقة، يعرض عن الباطل والمبطلين، ويتسامى على الصغائر والصِّغار من شانئيه، الذين كانوا يكيدون له داخل مهنته إمّا غيرةً وحسداً، وإمّا غلظةً وكثافة إحساس!!.

## صبره على البلوى:

ورحمك الله **مريضاً،** صبرتَ على البلوى خمس سنين بطولها، تعاني من مرض متنقل فتّاك. واجهته بأعصاب باردة كاليقين، وإيمان راسخ كالجبال، ونفس مطمئنة اطمئنان الناسك الساجد في محراب الله.

وإني لأعترف بأني كنت أتضاءل بإيماني جَنْب إيمانك، وكنت أتصاغر بنفسي لدى عِظَم نفسك كلما زرتك في جيئاتك الأخيرة التي تردَّدت فيها

إلى أرض الوطن.. وما ذلك إلا لأني كنت أجدني أمام إنسان يواجه الموت البطيء الذي يدبُّ في كيانه دبيب السُّمِّ، ويُواجه الألم الفظيع الذي يهدُّ الجبال الراسية، بكلِّ رباطة جأش ورضًا بقضاء الله وثقة بقدره.

## حَمْلةُ مسؤولية الدعوة:

رحمك الله - يا أبا محمد - من رجل ظلَّ يحمل مسؤولية دعوته ودينه حتى آخر نَفَس من حياته، وقد ابْتُلي فيها ومن أجلها وسُجن غير مرة، فما حَادَ عن الطريق المستقيم، وما التوى له عُنق، وما انكسر له حد، وما طُؤْطِىء له رأس..

ورحمك الله من داعية كان حادَّ الذهن، سليمَ المحاكمة سديدها، حاضرَ الجواب، دقيق المنطق، طبيب النفس، سليم الطويَّة، سمحاً عطوفاً على إخوانه... هذا ما عهدته فيك ولا أُزكّي على الله أحداً.

اللهمَّ لا تحرمنا أجره، ولا تفتنّا بعده، واغفر لنا وله واحشرنا وإياه في الصالحين والشهداء والصِّدِّيقين..

اللهمَّ أخلفنا منه أخاً براً، ومجاهداً صادقاً، وداعية مخلصاً نيّراً.

اللهمَّ وأسكن رَوْعَ أهله وزوجه وأولاده وإخوانه وذويه، وألهمنا وإيَّاهم الصبر والعزاء، يا رحمٰن الدنيا والآخرة، يا الله.

□□□□□



# الأخ الحبيب محمد علي الدعَّاس[(١)] في ذمَّة الله

بقلم: الشيخ عبدالنافع الرفاعي

## وفاة أستاذ عالم داعية:

لقد مُنِيَتْ مدينة ابن الوليد في مساء الجمعة ٢٧ شوال ١٣٩٥هـ، الموافق ١٣ تشرين الأول ١٩٧٥م، بفقد أستاذ من أساتذتها، وعالم من علمائها، هو الداعية الأستاذ محمد علي دعاس.

يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزخرف: ٦٨ - ٧٣].

إنَّ القلب ليتقطَّر حزناً وحسرة ولوْعة على فقيد الدعوة إلى الله الأستاذ محمد علي دعاس رحمه الله. في العين عَبَرات، وفي النفس زفرات، وفي القلوب رضا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

لقد مات الأخ محمد علي دعاس: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا

(١) حضارة الإسلام، العددان التاسع والعاشر، السنة السادسة عشرة: (١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م).

بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، فلله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل.

غاب الكوكب الساطع، وأفل النجم الحبيب، وخَفَتَ الصوتُ الجَهْوَري العالي بالحق والدعوة إلى الله.

لقد مات محمد علي دعاس، وإنّ في الديار حنيناً، وفي الصدور أنيناً، وفي العيون عبرات، ولكلِّ أجل كتاب ﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

## القائد العالم:

إن القائد يُبْكىٰ إن فُقد بين القادة. فكيف لا يُبْكىٰ وقد ندر القادة؟! والعالم يُبْكىٰ إذا خلا مكانه، فكيف لا يُبْكىٰ إذا كان فريداً بين أقرانه؟! فالحزن عليك يا أبا أحمد حزن من فقد الأخ الصادق والصديق المخلص، وطالب العلم المُجِدّ، والعالم العامل بعلمه، والأستاذ المربِّي، ولا يعني ذلك يأساً ولا قنوطاً، فإنَّ نفس المؤمن لا تعرف اليأس والقنوط ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وإنما هي الأمور تُقَدَّر بقدرها فلا ينكر حق الفقيد الغالي، ولا ييأس من فضل الله وكرمه، ولا حَوْل ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

## من جنود الإسلام:

رحمك الله أخاً عزيزاً، وصديقاً حبيباً، وأثابك الله وأعلى في الجنان مقامك، لقد كنتَ جندياً من جنود الإسلام، ومجاهداً بكل معاني الجهاد.

وإنَّ ما بيننا من محبة في الله لم تنقطع بهذا الفراق حين سبقتني للقاء ربك، ومن أخوة وثّقها الإيمان والحب في الله، والالتقاء تحت راية الإسلام. وإن لقاءنا غداً إن شاء الله تعالى تحت ظل العرش، وعلى حوض رسول الله ﷺ.

عرفتك منذ زمن بعيد: الأخ الوفيَّ المخلص لله ولدعوة الإسلام، وإني لا أنسى ـ ما حييت ـ أنني أول ما عرفتك قال أخ لي: (هل لك بمعرفة مَلك من الملائكة..) فكانت تلك المعرفة الطيبة. ولم يُبالغ إذ قال



ذلك، وأنت أهلٌ لهذا الوصف، ورأيتُ منك ورأى إخوتك وأصدقاؤك جميعاً كل طيب وصدق وإخلاص ووفاء.

## حياته مع الناس:

أما حياتك مع الناس فإنني أحمد الله تعالى أن كنتَ من خيرةِ الناس سيرةً، عُرفتَ بالطيب وصدقِ المعاملة.

لقد كنت ابناً باراً بوالديك، وأخاً مخلصاً مع إخوانك، وزوجاً وفياً مع أهلك، وأباً باراً حميماً مع أبنائك، واصلاً لرحمك، متحمّلاً أعباءهم هذا بشهادة والدك وأقربائك وأصدقائك.

## حميته وشجاعته:

لقد عَرَفنا فيك نخوة وحميَّة وشجاعة فما اسْتُصْرخت في عمل الخير إلا وكنت في المُقدِّمة، وما انْتُدبت لمعروف إلا ولبَّيته. لم تقف في وجهك المِحَن، ولم تؤثِّر فيك المصائب المتوالية، وانتقلت من مجال الوظيفة والتدريس إلى مجال العامل المجاهد.

فرحمك الله يا أبا أحمد، رحمك الله، وأعظم في الجنة منزلك.

## الاشتراك في المصيبة بفقده:

وأنتم يا آل الفقيد وقرابته وبني عشيرته وإخوته.. لستم أنتم الذين فقدتموه فحسب، ولستم في المصيبة به وحدكم تبكون وتألمون، وليس ابنه وحده هو الذي أصيب باليتم من بعده، وإنما أصيب به المسلمون.. نحن الشباب المؤمن في دنيا الإسلام، نحن الذين فقدناه، فإلينا قدِّموا العزاء، ومنا انتظروا البكاء، وفي قلوبنا فتشوا عن اللوعة والألم، ولنا فاسألوا الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

رحمك الله أبا أحمد في المجاهدين الصَّادقين، وحَشَرك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصَّالحين، والسلام عليك حياً وميتاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# الشيخ
# أحمد عز الدين البيانوني[١]
## (١٣٢٩ - ١٣٩٥هـ)
## (١٩١٣ - ١٩٧٥م)

**بقلم: الأستاذ عبدالله علوان**

لقد فُجِعَتْ حلب الشهباء في الشهر الماضي[٢] بفقد عالم جليل من علمائها، وموت داعية كبير من دعاتها.. إنه فضيلة الشيخ المربِّي أحمد عز الدين البيانوني طيّب الله ثراه، وأسكنه فسيح جناته، وغمره بفيض رحمته ورضوانه. ولا يسعني في هذه المناسبة الأليمة إلا أن أتكلم عن بعض مآثره ومزاياه عسى أنْ أوفِّيه بعض حقِّه، وأُعرِّف من لا يعرف بعضاً من فضائله ومكارمه.. ليعلم القريب والبعيد مَنْ هو فقيدنا الراحل؟

امتاز رحمه الله بثلاث مزايا رئيسة قلَّما توجد في عالم شرعي في هذا الزمان:

**المزيَّة الأولى**: الحرصُ التامّ على التزام السنَّة والتطبيق.

**المزيَّة الثانية**: الدقَّة المتناهية في الإعداد والتكوين.

**المزيَّة الثالثة**: المُجَاهَرة بالحق أينما كان.

---

(١) حضارة الإسلام، العددان التاسع والعاشر، السنة السادسة عشرة: (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).

(٢) ضحى يوم الجمعة الموافق ١٧ من ذي الحجة ١٣٩٥هـ، الموافق ١٩ من كانون الأول ١٩٧٥م.



## المزيَّة الأولى: الحرص التام على التزام السنة والتطبيق:

**أما الحرص التام على التزام السنة والتطبيق**: فكان خلقاً من أخلاقه رحمه الله، فكان يأخذ نفسه وأهله وأولاده بأوامر الشريعة، والعمل بأحكامها اعتقاداً منه أنَّ الموعظة لا تترك أثرها في النفوس، ولا تعمل عملها في القلوب إذا لم يكن الواعظ الناصح للإسلام مطبقاً، ولما يدعو إليه متحققاً!!.

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤].

بل يصدق عليه قول القائل:

يا أيُّها الرجلُ المُعَلِّمُ غيرَهُ ... هلَّا لنفسك كان ذا التعليمُ

لا تَنْهَ عن خُلقٍ وتأتيَ مثلَهُ ... عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

وكان رحمه الله لا يَفْتأ ولا يكلُّ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصح لخاصة المسلمين وعامتهم حيثما كان، وأينما جلس.. بل كان شديد الملاحظة بكل من يلتقي بهم، ويجتمع معهم، فإذا رأى تساهلاً في سنَّة أرشد إليها، وإذا أبصر مُقْترفاً لمنكر نهاه عنه، وإذا وجد مُصرّاً على معصية هجره لله، ولو كان أقرب الناس إليه.

**وأما أخذه بعزائم الأمور، وفضائل السنن والنوافل**، فكان عادة من عاداته، حتى قيل عنه - لفرط اهتمامه بالنافلة -: إنه من بقايا السلف الصالح.

أما الحجاب الإسلامي الذي أقام عليه أهله وبناته ونساء مَنْ يلوذون به من مُحبيه وتلاميذه، فكان له سِمَتُهُ البارزة، وصفته المتميِّزة، مبالغة بالستر، وزيادة بالورع، وتطلعاً إلى الكمال.

هذا غيضٌ من فيض ممَّا كان يحرص الفقيد على التزامه، ودعوة الناس إليه، ونصحهم له، وتذكيرهم به..

### المزية الثانية: الدقة المتناهية في الإعداد والتكوين:

**أما الدقة المتناهية في الإعداد والتكوين**، فكان فيها مَضرب المثل، بل كان ـ رحمه الله ـ يرفض رفضاً باتاً أنصاف الحلول، ومرحليَّة التطبيق في إعداد الفرد المسلم وتهيئته لعضوية جماعة المسلمين إيماناً منه أنه إسلام أو لا إسلام!..

**فإن التزم الإسلام**، فمعنى هذا أنه استسلم لكلِّ الأوامر والنواهي والنظم والأحكام.. دون أن يجد في نفسه غضاضة ولا حَرَجاً.. مصداقاً لقوله تبارك وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

**أما إذا التزم البعض وترك البعض**، فأقل ما يقال عنه: أنه فاسق خارج عن طاعة الله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥].

لهذا كله كانت شروطه على مَنْ يلتزم طريقته، ويدخل في جماعته قاسية وشديدة، فلا يقبل أيَّ إنسان قصَّر في سنة، أو تَغاضى عن أيِّ حقٍّ من حقوق الله، أو تواجد في مواطن التُّهم، أو تَعاطى المنهي أو المكروه..

وللحقِّ والحقيقة أقول: إنَّ الذين أعدَّهم وربَّاهم فقيدنا الراحل كانوا وما زالوا شامات بين الناس في تقواهم ومظهرهم ومعاملتهم.. ويرجع الفضل كله لمن كان سبباً في إعدادهم وتكوينهم رحمه الله وأعلى منزلته.

### المزية الثالثة: المجاهرة بالحق أينما كان:

**أما المجاهرة بالحق أينما كان**، فكان ـ رحمه الله ـ راسخاً كالجبل في إيمانه وثباته.. بل كان يرفض كل مساومة أو تهديد أو إغراء في سبيل إعلاء كلمة الله والمجاهرة بالحق. ولو أراد الميل إلى الدنيا والجنوح إلى متاعها الفاني وعرضها الزائل.. لجاءته الدنيا بأصفرها وأحمرها وجاهها ومناصبها.. ولكان في مركز اجتماعي مرموق عند مَنْ يشترون الضمائر،



ويُقَرِّبون الأشخاص.. ولكن آثر رحمه الله الآخرة على الدنيا، وفضَّل رضى الله على المنصب والجاه، وأعطى لمن بعده القدوة الصالحة في صلابة الحق، ومنازعة الباطل، والثبات على المبدأ.. بينما الكثير ممن ينتسبون إلى العلم قد انزلقوا أمام بريق المادة، وفتنة الجاه، وباعوا ضمائرهم لمن اتَّخذوهم أرباباً وأولياء.. وحسبهم غضب الله ولعنة التاريخ والأجيال إلى يوم يبعثون.

### موقف بطولي عظيم:

وما زلت أذكر للفقيد ـ رحمه الله ـ موقفه البطولي العظيم لمَّا وقف في يوم من الأيام مُحتجّاً على اعتقال عالم مجاهد فاضل[1] أُوذِيَ في الله، فما كان من ذوي الأمر ـ وقتئذ ـ إلا أن سرّحوه من جميع وظائفه، واستقبل هذا التَّسريح بابتسامة ورضا، وما وسعه إلا أن قال: «الحمدُ لله على كل حال، إني أعلم أنَّ الله هو المميت وهو الرازق، ولن تموت نفس حتى تستكمل أجلها ورزقها»، وصبر على هذا البلاء سنوات رحمه الله وأجزل مثوبته.

ولو أحصَيْنا مواقفه الجريئة لرأيناها عديدة وعديدة، والذين عرفوه من زملائه وتلاميذه حدّثوا عنها الكثير والكثير..

تلكم أشهر المزايا التي اختصَّ بها الفقيد الراحل رحمه الله، وهي ـ لا شك ـ مزايا كريمة، وصفات جليلة.. لو وُجدت في الدعاة إلى الله وأهل العلم اليوم لرأينا الأمة الإسلامية في نصر مُؤَزَّر، وعزّ دائم، وقوة منيعة..

### حاجة العلماء والدعاة إلى التحقُّق بتلك المزايا الكريمة:

فما أجدر العلماء والدعاة إلى الله أن ينهجوا نهج الفقيد، وأن يكونوا على الجادة علماً وعملاً، لتحيا لهم دعوتهم، ويتحقق الإصلاح الفردي

---

(١) هو فضيلة العلامة المحدث الداعية المربِّي الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى.

والاجتماعي على أيديهم، وترتفع راية الإسلام في سماء العزة الإسلامية عالية بفضل جهادهم وتضحياتهم.. وما ذلك على الله بعزيز.

رحمك الله يا أبا علي، وأكثر في العلماء من أمثالك، لقد نصحتَ فأحسنت، ودعوتَ فوفّيت، وصدعتَ فأثّرت، وربَّيت فأنتجت..

فسلامٌ عليك يوم وُلدتَ، ويوم فارقتَ، ويوم تُبعث حياً مع الأنبياء والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين(١).

صورة للشيخ أحمد البيانوني في شبابه

(١) للأخ الكريم الدكتور الشيخ عبدالمجيد البيانوني، ختن الشيخ أحمد البيانوني، دراسة وافية عن عمِّه، صدرت في سلسلة: «علماء ومفكرون معاصرون» سنة ١٤٢٧ بعنوان: «أحمد عز الدين البيانوني الداعية المربي» في ١٨٠ صفحة. فمن رغب الاستزادة في أخبار الشيخ، والتعريف بمؤلفاته فليرجع إليها، كما أن للأخ الشيخ عبدالمجيد دراسة أخرى بعنوان: «أساليب تربوية ومفاهيم دعوية من حياة الشيخ أحمد عز الدين البيانوني».



# الشيخ محمد سعدي الياسين رحمه الله(١)

## (١٣١٩ ـ ١٣٩٦هـ)

## (١٩٠١ ـ ١٩٧٦م)

للأستاذ الشيخ مُسلَّم الغنيمي

### معرفةُ المترجَمَ في جميع مراحل حياته:

نعت إحدى الإذاعات العربية صبيحة يوم الخميس ١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٩٦هـ، العالم الجليل، والعلامة النبيل الأستاذ الشيخ محمد سعدي الياسين، وكان النَّعْيُ عند مَنْ لا يعرف الفقيد نبأً عابراً، أمّا من عرفه عن كثب، فكان وقع النبأ عليه كالصاعقة المدمِّرة، لقد هزَّ النبأ الكيان، وعقد اللسان، وهدّ الأركان، وأشدّ ما يكون النبأ هَوْلاً عند من عرفه فتًى وشاباً وكهلاً وشيخاً.

### أسلوبه في التربية:

لقد عرفته منذ أكثر من نصف قرن، وذلك عام ١٩٢٢م، وكنت قبل ألازم شيخاً سنة كاملة، لم أحصل بها على شذرة من العلم، بل اطّلعت

(١) حضارة الإسلام، العدد الثالث، السنة السابعة عشرة: (١٣٩٦هـ ١٩٧٦م). وينظر: «تاريخ علماء دمشق» (٣: ٣٨١ ـ ٣٨٧) وللمترجَم صورة في «الأعلام».

على أمور شاذة، كوَّنت في نفسي عقدة من المتمشيخين، وما أن تعرَّفت على الفقيد المرحوم، حتى شعرت أني كنت في غياهب الظلمات، ظلمة السماكة، والركاكة، والغلاظة والفظاظة، لأني لمست في الفقيد الغالي ما كنت أبتغيه من سهولة في تقرير الدرس، وبَسْط الموضوع، وشرحه بلغة سهلة، وتعبير لطيف، وأمثلة وإيضاح، وحُسْن بيان، أضف إلى ذلك ما كان يتمتع به من روح مرحة، ودعابة بريئة، وكان يُشعر طلابه بأنه أخ لهم لكنه أكبرهم سناً، لا يفرض احترامه على تلاميذه فرضاً، ولا بتبجيله وتكريمه وتعظيمه، وكان هذا الأسلوب في التربية يجعل التقدير والاحترام نابعاً من النفس، صادراً من القلب، لا زيف فيه ولا رياء، ولا مداهنة ولا نفاق.

## مكارم الأخلاق:

ولئن صَدَر الحب والاحترام والتقدير من قلوب مريديه وتلامذته ومعارفه، فلأنه كان يتحلّى بكلِّ ما يجب على المسلم أن يتحلّى به من مكارم الأخلاق، فقد كان رحمه الله، أبيَّ النفس عفيفاً شريفاً شجاعاً كريماً، صُلباً في دينه، مستقيماً، عطوفاً رحيماً، صادقَ الوعد، محافظاً على الود، سريعَ الفهم، غزيرَ العلم، جَهْوري الصوت، رقيق النغمة، إذا رأيته على المنبر يخطب ـ وكان خطيب مسجد أبي بكر في بيروت ـ تقول: إنه منذر جيش يقول: صبَّحكم مسَّاكم، بفصاحة لسان وبلاغة وبيان.

لا يملُّ جليسه مجالسته، وحُسن مؤانسته، لطيف النكتة، حاضر البديهة يروي الأشعار، ويسْرد الأخبار، يقلِّد اللهجات، حتى لكأنّك تشعر عندما يتكلم بلهجة، سواء كانت بدوية بكل أشكالها أو حضرية بتعدُّد ألوانها، كأنّه من أهلها.

لا تظن ـ يا أخي الحبيب ـ أني أبالغ في وصفه؛ لأنَّ حُبَّه سكن فؤادي منذ نعومة أظفاري، بل يشهد لذلك كل مَنْ خالطه وعاشره، وما أكثرهم، وهم لا يزالون على قيد الحياة.



## أسرة كريمة:

وهذا ليس غريباً على من نشأ من أسرة كريمة عريقة الحسب، زكية النسب. (آل ياسين) إحدى أسر دمشق، ومن خيرة عائلات الميدان الذين توارثوا مكارم الأخلاق كابراً عن كابر، ولئن سَرَى الخلق الكريم في دمه بالوراثة، لقد برَّ قومه بجدِّه واجتهاده، حتى أصبح علامةً يشار إليه بالبنان، وقلَّ نظيره بين العلماء، لأنه يطبق ما يستحسن من علم وفهم وخلق قويم على نفسه أولاً، ثم يأخذ به إخوانه ومريديه ثانياً، فكان رحمه الله مرشداً بفعله قبل قوله.

## تربيته جيلاً يفهم حقيقة الإسلام ويلتزم تعاليمه:

رأى ما عليه المسلمون، والعلماء الجامدون ـ علماء الرسوم ـ فأحبّ أن يكوّن جيلاً يفهم حقيقة الإسلام، ويلتزم بتعاليم كاملة، لعلمه أنّ ما أصاب المسلمين من تأخر عن ركب الحضارة الإنسانية كان بجهلهم سيرة السلف بعامة، وسيرة الدعوة التي جاء بها منقذ الإنسانية ـ المتدهورة في حضيض الشهوات والأهواء ـ فكان يعمل على رفع مستواها، ويصعد بها إلى سماء العزَّة والكرامة، ويخرجها من ظلمات الجهل والجاهلية إلى نور الإسلام، ويُحرِّرها من عبادة الطاغوت بكل أشكاله، طاغوت الشيطان وطاغوت الإنسان؛ ويقودها إلى فردوس السعادة، عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد.

## سلوك طريق السلف الصالح:

كان يرى رحمه الله أنّ أقصر طريق لما يهدف إليه، وهو الخروج من ظلمات تخبط فيها العالم الإسلامي بضعة قرون، هو الطريق المستقيم الذي سلكه السلف الصالح، وكان مما حفظناه منه ورويناه عنه: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فكان سلفيَّ العقيدة، يتحرَّى ما كان عليه السلف في عقيدتهم وعبادتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم، ينهج نهجهم ويسيرُ على قدمهم، لا يُؤْثر قول أحد على ما صحّ من قول رسول الله ﷺ أو ما

كان عليه أصحابه الكرام، يُؤيِّد كل ما يعمل به أو يدعو إليه بالدليل القاطع من كتاب الله عزَّ وجل وسنة نبيِّه الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

## خطَّاطٌ شاعرٌ:

كان رحمه الله مرهف الحسّ، ذوَّاقاً، مرحاً، وهبه الله صوتاً جميلاً عَذْباً، كانت له أنامل لطيفة إذا امتطاها اليراع سال من شباته الأري الشاري، والسمّ الزعاف بخط جميل منوَّع، كالرقعي والثلث والفارسي والديواني الخ، أخذ ذلك عن صديقه المرحوم الأستاذ بدوي الديراني أشهر خطَّاطيّ زمانه.

كان يُحسن نَظْم الشعر، إذا نظم يعبِّر عن خلجات قلبه، وأعماق أحاسيسه، له رهافة حس الشاعر وجرأته.

## مسرحية تاريخية في مدرسة المقاصد الخيرية:

وهذه حادثة طريفة جرت له في بيروت زمن الاستعمار الفرنسي، وكان رحمه الله وقتئذ معلماً في مدارس المقاصد الخيرية.

أرادت إدارة المدرسة أن تقيم حفلاً تبين فيه أمجاد العرب وحضارتهم وما كانوا فيه من عزٍّ شامخ ومجد رفيع، وكان الناس آنذاك لا يزالون مفتونين بـ (الدعاوى الإقليمية) العرب لعروبتهم، والأكراد لكرديتهم و.....و.....و.. وكلُّ حزب بما لديهم فرحون، وله يعملون، وكان من آثار هذه الدعوة التي حطّمت صرح الإسلام الشامخ العتيد ما يعانيه ـ اليوم ـ المسلمون من تمزيق أوصال، وشتات أمر، كانت هذه الدعوة أخطر قنبلة ألقاها الاستعمار على الإسلام حتى خرجوا من دينهم، واتخذوا الإقليميات لهم ديناً، والمذاهب المستوردة مذهباً.

## موقف هارون الرشيد من ملك الروم:

قلت: عهدت إدارة المدرسة لفقيدنا العظيم بأن يُعدّ تمثيلية تكشف النقاب عمّا كان للعرب من حضارة ومَجْد وعز، فاختار من التاريخ ما حدث لهارون الرشيد مع بيفور ملك الروم عندما استلم زمام الملك ـ من سلفه ـ وكانت امرأة تدفع لهارون الرشيد مبلغاً من المال بموجب معاهدة صلح بينها



وبين الرشيد، فكتب بيفور إلى هارون الرشيد: «من بيفور ملك الروم إلى هارون الرشيد ملك المسلمين: أما بعد: إن من كانت قبلي امرأة ضعيفة، وكانت تدفع لك أتاوة سنوية، فاحسب ما أخذت منها، ثم أعده إلينا»؛ فأجابه هارون الرشيد: «من أمير المؤمنين هارون الرشيد إلى (كلب) الروم بيفور، الجواب ما تراه لا ما تقرؤه».

ثم جهَّز جيشاً وغزا بلاد الروم، فحدث أن نزل الجيش بمكان قريب من جيش الروم، فذهب غلام من جيش المسلمين مع عبد له يحتطب، فمرّت مَفْرزة من جيش الروم، وأسرت الغلام والعبد، ثم أخذوا يهددونهما ويسألونهما عن جيش المسلمين وعددهم وعدتهم..، فقال الغلام: والله لولا خوفي من هذا العبد أن يشي بي إلى قومي لأخبرتكم بما تريدون، فقام أحد أفراد العدو وضرب عُنق العبد، ثم قال للغلام: هيه ما عندك يا شاطر، فقال الغلام: الآن اطمأننت، كنت أخشى أن يبوح العبد بما تريدون، فقلت ما قلت لتقتلوه، أما الآن ولم يبق غيري فلا يمكن أن تفرحوا مني بكلمة تتعلق بجيش المسلمين.

وبينما هم في الحوار مع الغلام كانت مفرزة من جيش المسلمين تبحث عن الغلام، فلمَّا التقت المفرزتان، ركنت مفرزة الروم إلى الفرار وولّت الأدبار تاركة الغلام، ولمَّا سألوه عن العبد أخبرهم بما كان، قالوا له: لِمَ لَمْ تُخْبرهم بما يريدون خوفاً على نفسك من الهلاك؟ قال الغلام: الموت لا بدَّ منه سواء أأخبرتهم أم لم أخبرهم، وكيف أشي بكم وأخون الله ورسوله والمؤمنين، فالعرب قومي وحب العرب إيماني.

العربُ قومي وحبُّ العرب إيماني ... لا فرق ما بين قحطان وعدنان
العربُ قوم أبي بكر وصاحبه ... ورَهْط حَيْدرة ثم ابن عفان
يا أمَّةً فرَّ كسرى من فيالقها ... وغادر العرش يبكي حُسْن إيوان
قف سائل الكون عنهم أرضه وسما ... واسْتَنْبئ الخلق من إنس ومن جان
أَهَلْ سمعتم بمثل العرب في كرم ... وفي وفاء وجود ثم إحسان
إن غالبوا غلبوا أو قاتلوا انتصروا ... أو ناظروا فلجوا عرفان عرفان

### كلب الروم:

فلما عُرض النص على إدارة المدرسة أُعجبت به، ولكن رغبت إليه أن يستبدل كلمة (كلب الروم) بـ (ملك الروم) لأن الظروف الحاضرة لا تسمح بذلك، فالمستعمر أحمق، ولربما حدث لنا إشكال بسبب هذه الكلمة؛ فحاول إقناع إدارة المدرسة بأن هذا نصٌّ تاريخي لا يمكن تغييره، فلم تقنع وأصرَّت على رأيها، فوافق على ذلك، وقد أضمر في نفسه سراً، وكان الذي يمثِّل دور هارون الرشيد أحد أخوته، فلما خلا به قال له: عند تمثيل البروفات لا بأس أن تقول: ملك الروم. ولكن - والله ثم والله - عند تمثيل الرواية يوم الحفل إن لم تقل: كلب الروم، لأعذبنَّك عذاباً شديداً، أنت قل: كلب الروم، والعُهْدَةُ عليَّ لا عليك.

فلما كان يوم الاحتفال، وقد حضر نائب المندوب السامي، وأعضاء البعثة الفرنسية، وكبار الهيئات السياسيَّة والدبلوماسية، ورئيس وزراء لبنان، وكان يومئذ - رياض الصُلح رحمه الله - والوزراء وأعيان بيروت، ورفعت الستارة، ومُثِّلت الرواية أروع تمثيل، ثم جاء دور هارون الرشيد للردِّ على بيفور، قال هارون الرشيد لكاتبه: اكتب: من أمير المؤمنين هارون الرشيد إلى كلب الروم بيفور، الجواب ما تراه لا ما تقرؤه.

وما أن انتهى جواب هارون الرشيد، حتى رجَّت القاعة بالتصفيق ممَّا أرغم الرجال الأجانب من الفرنسيين وغيرهم على التصفيق. وكان هذا المشهد محور التمثيلية.

### جرأة إيمانية:

وفي اليوم التالي استدعاه رئيس الوزراء، وهنَّأه على هذا الإخراج الجيد، والجُرأة النادرة، ويومئذ توثَّقت عُرى الصداقة بينهما، وقد نشرت صحف لبنان خبر هذا الاحتفال بالخط العريض، وعلّقت على ما تحلَّت به شخصية هارون الرشيد من جرأة منقطعة النظير.

أرأيت - يا أخي الكريم - هذه الجرأة الإيمانية في مثل هذا الموقف بهذا البلد.



### عنايته بالشباب المؤمن وأثره في توجيههم:

لم يقتصر على دروسه في كلية المقاصد فحسب، بل كان يجمع حوله نخبة من الشباب المؤمن، ويكوّن منهم حلقات يعلِّمهم القرآن والحديث والتفسير والفقه وأصوله ومصطلح الحديث والأدب وفنونه.

كان يحرص على أن يكون التوجيه الصالح منذ البداية، لأنَّ من شَبَّ على شيء شاب عليه. وهذا ما لمسته بنفسي لأنه بدأ بتوجيهي وأنا غضّ الإهاب قبل المراهقة وسنّ الشباب.

### اعترافٌ بالفضل لأهله:

ولا تزال تعليماته وتوجيهاته ممزوجة بدمي ولحمي - وقد شارفتُ على السبعين - فما كان لديَّ من خصال حميدة وأخلاق رشيدة، فالفضل يعود إليه، فأنا حَسَنةٌ من حسناته، وما أكثرها في المسلمين، وقد تعهَّد هذه البذور الطيبة التي زرعها في نفسي الفقيد الغالي، أستاذنا الكبير علامة الشام الجليل الشيخ محمد بهجة البيطار فسقاها من مَعين خلقه الكريم، وروَّاها من علمه الغزير، حتى أصبحت كما أنا عليه الآن، فما بي من خير وفضل وعلم، فالفضل يعود إليهما، وما سوى ذلك من نقص وعيب فمني ومن الشيطان.

رحم الله أستاذي الكريم الشيخ محمد سعدي الياسين رحمة لا تنقطع ما دام المسلمون ينتفعون بعلمه وتآليفه، وألهم ولديه وآله السكينة والسلوان، وبي - واللهِ - من الحُرْقة على هذه الفرقة ما قاله الشاعر:

شيئان لو بكت الدماء عليهما ... عيناي حتى تأذنا بذهابِ
لم يبلغ المعشار من حقَّيهما ... فَقْد الشباب وفرقة الأحبابِ

وأفضل ما يقوله المصابون: إنا لله وإنا إليه راجعون.

□ □ □ □ □

## الشيخ محمد بهجة البيطار رحمه الله[(١)]

**(١٣١١ ـ ١٣٩٦هـ)**

**(١٨٩٤ ـ ١٩٧٦م)**

للشيخ مُسَلَّم الغنيمي

### نعيُ العلامة محمد بهجة البيطار:

نعت رابطة العالم الإسلامي، ورابطة علماء دمشق، ومجمع اللغة العربية بدمشق، فقيد الإسلام والمسلمين بل والإنسانية كلها علامة الشام الشيخ الجليل: محمد بهجة البيطار الذي استأثر الله به ضحوة يوم السبت الواقع **٣٠** جمادى الأولى سنة **١٣٩٦**هـ، الموافق **٢٩** أيار سنة **١٩٧٦**م.

### تشييعه وجنازته:

وشُيّع من داره في الميدان، وصُليَ عليه في مسجد كريم الدين ـ الشهير بـ (الدقاق) ـ والذي أمضى فيه ستين عاماً من عمره إماماً وخطيباً ومدرّساً وداعياً إلى الله، وكان هدفه تغمَّده الله برحمته إيقاظ المسلمين من سُباتهم، شارحاً لهم واقعهم المُؤلم المظلم، وشاداً لهم إلى الطريق السوي، وذلك بالسير على طريق رسول الله ﷺ، منقذ الإنسانية، حاثّاً لهم على

(١) حضارة الإسلام، العدد الرابع، السنة السابعة عشرة: (١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م).



العمل بكتاب الله عزَّ وجل وسنة نبيه العظيم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، قولاً وعملاً.

كانت الجنازة تسير الهوينىٰ محمولة على أعناق الرجال بمهابة وجلال، وكنت أردد بيتاً من قصيدة قيلت في رثاء عبدالحميد الكاتب:

لَيْتَ شعري هل دَرَى حاملوه ما على النَّعش من وفاء وجود

### صدّ وإعراض ومُحَارَبة ثم إقبال ومحبة واعتزاز:

وعدت بالذاكرة خمسين سنة، يوم كان يختار لنا أستاذي الأول الشيخ محمد سعدي الياسين رحمه الله من الشعر أرقاه، ومن النثر أغلاه، وكان الشيخ محمد سعدي وقتذاك يتتلمذ على فقيد الإنسانية الشيخ محمد بهجة البيطار، وكيف حاول أوليائي أن يفصلوني عن الأستاذ الشيخ سعدي لأنه يتردّد على الشيخ محمد بهجة، فأنا بقراءتي على أستاذ يتردّد على الشيخ محمد بهجة أسيء إلى سمعة عائلتي (آل الغنيمي)، وكيف أصبح الحال اليوم من أنَّ مَنْ تتلمذ عليه يعدُّ ذلك مفخرة واعتزازاً، فقد تتلمذ عليه الملوك والأمراء والرؤساء والوزراء والدكاترة وأساتذة الجامعات، ولم يكن هذا الفارق العظيم بين الماضي المظلم المُتدثِّر برداء العلم، والحاضر المشرق بنور العلم والعرفان إلا بسبب جهاده ونضاله وصبره على أذى المغرضين والحاسدين من المتمشيخين الجَهَلة، وسار بالدعوة إلى الله على المنهاج الذي رسمه رب العالمين لسيد المرسلين ﷺ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾. فكانت النتيجة واحدة، صدّ وإعراض ومحاربة في أول الأمر، ثم دخول الناس في دين الله أفواجاً.

### كثرة مُشيِّعيه:

شيَّعه الوزراء والعلماء والأغنياء والفقراء، شيَّعوه بقلوبهم لا بالسير وراء نعشه، شيّعه الوزراء اعترافاً بفضله ونُبله وترفّعه عن طمع المتستّرين بأثواب العلماء، وشيَّعه العلماء لأنه لم يُزاحم أحداً منهم على وظيفته، وشيّعه الأغنياء لزهده عما في أيديهم، وشيَّعه الفقراء لأن جلَّ مُرتّبه كان

لهم، ومن حقِّهم، كان ينفق سراً وعلانية، علانيةً ليكون قدوة للموسرين، وسراً إرضاء لرب العالمين، شيَّعه ممثِّلون عن الجمعيات الإسلامية، ورابطة العلماء، وأعضاء مجمع اللغة العربية، وجمهور غفير من سائر أنحاء دمشق.

## تعداد مآثره وذكر مناقبه:

وما أن توارى الجبل الأشمّ والبحر الخضمّ، في لحده حتى علا جدار المقبرة الخطباء يمثِّلون الهيئات التي ينتسبون إليها، فخطيب يمثِّل العلماء، وخطيب يُمثِّل أساتذة الجامعة، وآخر يُمثِّل الجمعيات الدينية، وغيره يمثِّل الجمعيات الخيرية، وسواه يمثِّل القرَّاء، يعدِّدون مآثره ويذكرون مناقبه، ولكنهم جميعاً لم يذكروا سوى شذرة من سيرته، وخليج من بحر فضله، لأنهم عرفوا شيئاً وغابت عنهم أشياء.

ولئن فاتني شرف الاعتراف بفضله أسوةً بالخطباء لمرضي وشدَّة حزني، فلي أسوة بأنجاله الكرام الدكتور يَسَار، والأساتذة عاصم وعبدالعزيز، أرجو أن لا يفوتني تسجيل بعض مآثره ومفاخره ممَّا لمسته منه، وشاهدته طيلةَ خمسين عاماً لزمته فيها مما لم يطّلع عليه أحد غيري.

شهد له الخطباء، وبعضهم ممَّن كان يناوئه في حياته أنه اجتمعت فيه من خصال الخير والخُلق الحسن ما يندر بعضه لدى الكثير من العظماء، وسأذكر بعضها بغير تخيُّر، ولكن ممَّا يفيض به الخاطر على جري القلم.

## زهده في المال ومحافظته على الصداقة:

حضر لدمشق من الحجاز **١٩٣١**م، بطلبٍ من وزير المعارف الأستاذ محمد كرد علي لتعيينه معلماً في مدارس دمشق، فاستأذن الملك عبدالعزيز بن سعود رحمه الله لزيارة دمشق فأذن له، ولما حَضَر كانت الحكومة الفرنسية أقالت الوزارة، وحلَّ محل الأستاذ كرد علي غيره فلم يتحقق الأمل بتعيينه فظلَّ بلا عمل شهوراً، وكان صرف ما لديه من مال بشراء داره جانب جامع الزيتونة بالاشتراك مع حرمه، وكنت آنذاك معلماً عند المسيو (موريس) في المهاجرين، وكان صديقاً لأستاذنا الفقيد، فاتَّفقا على أن يستبدلا هذه المدرسة الابتدائية بمدرسة ثانوية بمعاونة الأستاذ المرحوم **عز الدين علم الدين التنوخي** عضو المجمع العلمي، والأستاذ



**تيسير ظبيان** رئيس تحرير جريدة الشرق الأردنية الآن، وكان الجميع يعوزهم المال لتأسيس هذه المدرسة، فكان من الأستاذ (موريس) المقاعد والطاولات والكراسي والسبورات، واتفق الثلاثة، الأستاذ الفقيد، والأستاذ عز الدين، والأستاذ تيسير على أن يدفع كل واحد منهم خمس عشرة ليرة عثمانية ذهباً، وكانت هي العملة المتداولة آنذاك ـ رحمهما الله ـ ويدفع المبلغ كله الأستاذ الفقيد على أن يقتطع بعضه مُشَاهَرَة.

ثم استأجروا داراً في جادّة (شورى)، ونقلوا لها المقاعد والأثاث، وكان في المدرسة الابتدائية في المهاجرين مئة وستون طالباً وطالبة في مدرستين متجاورتين منفصلتين، ولما انتقلنا إلى المدرسة الجديدة في جادَّة (شورى) لم يحضر سوى بضعة عشر طالباً وأربع طالبات، وفي أقل من شهر مات المشروع وتعيَّن الأستاذ عز الدين في المعارف، وسافر الأستاذ تيسير إلى الأردن، وعاد شيخنا رحمه الله إلى داره، وعاد الأستاذ (موريس) إلى مدرسته الأولى التي هي داره، وبعد سنة كنت أَسَّست مدرسة خاصَّة، سألته رحمه الله: ما فعل الله بالدراهم التي أقرضتها للأستاذ عز الدين والأستاذ تيسير؟ قال: يا بني المشروع أجهض ولمّا يتم، فإذا خسرت المال هل أخسر صديق العمر الأستاذ عز الدين وتلميذ الصِّبا الأستاذ تيسير، فهذا أخي وهذا ابني، فهل تظنُّ يا بني أنَّ خسارة الأصدقاء تُعوَّض بمال الدنيا، المال يا بني وسيلة لا غاية، ثم رفع يديه وقال: اللهمَّ اشهد أني سامحتهما، اللهمَّ اجعل المال بين أيدينا ولا تجعله في قلوبنا.

## حرصه على الدرس وأسلوبه في عتاب طلابه:

كنت وابن عمِّه الشيخ نعيم نقرأ عليه «**معيار العلم**» لحُجَّة الإسلام الغزالي بعد صلاة الفجر في جامع الدقاق، ووافق في يوم من أيام الشتاء أن تأخر الشيخ نعيم عن صلاة الفجر في الجامع، وحضر الشيخ رحمه الله فوجد الغرفة مغلقة، فخطر له أن يحضر لمسجدي في الساحة، فلما وصل وجد بعض المصلين تحت الرواق، ولما سألهم عني، قالوا: لم يخرج اليوم لصلاة الفجر، فعاد إلى منزله والمطر يهطل، ثم قبيل شروق الشمس،

ذهبتُ مسرعاً فوجدت الشيخ نعيم قد حضر تواً، فانتظرنا حتى طلعت الشمس، ولمّا لم يحضر الشيخ قلنا: لنذهب إليه في الدار لنريه كيف أننا نحرص على الدرس، ولما وصلنا إلى منزله خرج إلينا هاشّاً باشّاً مُرحّباً، فدخلنا باعتزاز نتباهى بحرصنا على الدرس، فلمّا استقرّ بنا المقام اعتذر عن تأخُر الوقت، ورغب إلينا أن نستبدل الدرس بفطور، فوافقنا على أن لا يتكرر مثل هذا الإهمال، ولما حضر الطعام اعتذر بأنه تناول فطوره مع العائلة، فجلسنا نأكل وحدنا، فقال رحمه الله: لا بدَّ مع الطعام أن يكون كلام، فلكم الطعام هنيئاً مريئاً وعليّ الكلام تسليةً لكما ولفتح الشهية.

## قصة محمد الخضر حسين مع الطلبة المتأخرين عن حضور مجالس العلم:

ثم قال: كنا نقرأ على المرحوم السيد الخضر حسين التونسي (المستصفى) للغزالي وصحيح مسلم، وكان منزله جانب الجامع في باب السريجة، فإذا فرغ من صلاة الفجر، ورأى بعض الطلاب جلس للدرس، وإنْ لم يرَ أحداً دخل منزله ولم يخرج، فوافق أن حضرت مرة أنا والشيخ حامد التقي والشيخ مصطفى الحلاق، فوجدناه قد ذهب لداره، فقلنا: نطرق عليه الباب ونعتذر عن تأخرنا، فطرقنا عليه الباب، فأطلّ من غرفة فوق الباب، فلمّا رآنا قال: انتظروا، ثم دخل فظننا أنه نزل يفتح الباب، فلم نشعر إلا وسطل من الماء الباردَ يَنْصَبُّ علينا من النافذة التي أطلّ منها، وقال: هذا جزاء من يتأخر عن الدرس، فذهبنا مخجولين والماء يقطر من جبيننا، ثم ابتسم، فظننا أنه يبتسم لمنظره والماء يقطر منه.

ثم استطرد قائلاً: أنا اليوم ذهبت باكراً إلى الجامع، فوجدت الغرفة مغلقة. ثم ذهبت لعند الشيخ مسلم فأخبرني بعض من في المسجد أنه لم يخرج اليوم لصلاة الفجر، فعدت إلى المنزل والماء يقطر مني، فهذا عذري لعدم أكلي معكما، ثم سكت، وقد أغضى حياءً لهذا العتاب الخفيف والتوجيه اللطيف، فقلت بعد أن جفّ حلقي ويبست اللقمة في فمي: لئن كان الأستاذ السيد الخضر حسين ألقى عليكم سطلاً من الماء البارد، فقد سكبت علينا



بعتابك هذا حُلة، لا من الماء الساخن، بل من القطران المَغْلي، ونحن ـ والله ـ نستحق الصفع بالقبقاب، لا تعريضاً بمثل هذا العتاب.

## موقفه ممَّن يناوئه ويعاديه:

هناك شيخ نَصَّب من نفسه للرد على السلفية والسلفيين برسائل تحوي الكثير من الذمّ والقدح ونَبْز الألقاب، زاره هذا الشيخ مرة ومعه رسائل من هذا النمط، وقدَّمها إليه بكل بساطة، فتقبَّلها شاكراً مُثْنياً، ودفع له بعض المال مُؤازرةً لأنه يُوزِّعها مجاناً، ثم أكرمه بطعام وشراب، وخرج معه واستأجر له سيارة ودفع له أجرتها، وأوصى السائق أن يوصله للمكان الذي يريد.

وكان يزوره بعض الشيوخ ممَّن يخالفونه في رأيه (السلفية)، فإذا خرج من منزله ورآه بعض الناس، يقول متعجباً: ماذا تفعل هنا؟ ألست كنت تذمه بالأمس، يجيب الشيخ: كنت عنده أهديه سواء السبيل، وحوادث من هذا النمط أكثر من أن نذكر.

## رفقه بالموعظة وحُسْن أسلوبه فيها:

أقامت الحكومة السورية حفلاً بالجامعة السورية بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني ـ رحمه الله ـ وكان يوم ذاك ابنه الشيخ تاج الدين رئيساً للحكومة السورية، وحضر الحفل العلماء والوزراء ورئيس الوزراء، ورئيس الجمهورية، وعددٌ من سفراء الدول العربية والإسلامية، وممثّلون عن الطوائف المسيحية، وكان فقيدنا الغالي أحد الخطباء فلما علا المنبر أخذ يُعَدِّد مناقب الشيخ بدر الدين ومزاياه وعلمه وفضله وجرأته بالدعوة إلى الله والنصيحة في دين الله، كانت هيئة الحكومة مع المدعوين خلف الخطيب على المسرح، وفجأة التفت الشيخ رحمه الله نحو هيئة الحكومة، وقال: كان شيخنا الشيخ بدر الدين رحمه الله إذا حضر حفلاً مثل هذا وقليلاً ما كان يحضر، أو زاره رئيس أو كبير مسؤول يقول لهم بكل جرأة وفصاحة:

أيها الرؤساء، أيها الوزراء والأمراء، أيها الأغنياء: أنتم خلفاء الله[1]

---

(١) في هذا التعبير نظر لا يخفى.

في أرضه على عباده، ووكلاء عنه في ماله، فانظروا ماذا تقولون في خلافتكم، وماذا تتصرَّفون فيما وكلتم به، فإن أحسنتم في خلافتكم وأدَّيتم الأمانة فيما اؤتمنتم عليه فنظرتم إلى الكبير نظرتكم إلى الآباء، وإلى الصغير نظرتكم إلى الأبناء، وعاملتم الفقراء بالإحسان وأداء الحقوق، وعدلتم في الرعية، وقسمتم بالسويَّة، ولم تجعلوا رقاب العباد لكم مطيَّة إلى أغراضكم الدنيئة، جعلكم مع عباده الأبرار في جنات تجري من تحتها الأنهار، مع النبيين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقاً، وإن انحرفتم عن الطريق السوي وائتمرتم بأمر الشيطان القوي، ومن مناصبكم مطايا لشهواتكم وأغراضكم، أدخلكم ناراً وقودها الناس والحجارة في يوم شديد، يوم يقال لجهنم: هل امتلأت؟ فتقول: هل من مزيد... واسترسل في نصائح تفوق الدر والجوهر، عند من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ثم عاد إلى وصفه الأول، والتفت نحو الجمهور، وقال: هكذا كان شيخنا الشيخ بدر الدين يقول تغمَّده الله برحمته وأدخله فسيح جنته.

## ذكريات خمسين سنة:

وأخيراً لا يسعني في هذه العجالة أن أذكر ذكريات خمسين سنة قضيتُها في ملازمته، ورُوِّيت من علمه، ورأيتُ من حِلْمِه وكرمه وأدبه ولطفه وعطفه وزهده وصَلاَبة دينه وأصالة خُلقه ورقة قلبه وحنانه ومحاسبة نفسه ومؤانسته وبشاشة وجهه وطلاقة لسانه وفصاحته وبيانه، إلى آخر الجدول من مكارم الأخلاق، فقد تجسَّدت فيه مكارم الأخلاق حتى كانت روحاً وخُلقاً أكثر منها جسداً وخَلْقاً.

ولكن أملنا كبير في أن يقيم المجمع اللغوي العربي بدمشق الذي كان عضواً فيه حفلة تأبين، فهو أجدر من سواه بمثل هذا التكريم، ولعله أقدمُ عضوٍ فيه منذ تأسيسه.

❊ ❊ ❊



## موجز عن حياته العلمية والعملية

١ ـ ولد بدمشق ثاني يوم من رمضان عام ١٣١١هـ.

٢ ـ كانت دراسته الابتدائية في المدرسة الريحانية، والثانوية في الكاملية، واللغة الفرنسية في العازارية، وأجادها على يد المسيو موريس.

٣ ـ تلقَّى علومه العربية والدينية والعقلية على والده الشيخ بهاء، وعلى عالمي الشام: جده الشيخ عبدالرزاق البيطار، والشيخ جمال القاسمي، وعلى المحدث الشيخ بدر الدين الحسني، وعلى العلامة الجليل الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر، وهو خاتمة شيوخه، وله في ذلك أبيات:

يا سائلي عن درس ربِّ الفضل مولانا الإمام
ابن الحسين التونسي محمد الخضر الهمام
سَلْ عنه مستصفى الأصول لليث معترك الزحام
أعني الغزالي الحكيم رئيس أعلام الكلام
وكذاك في فنِّ الخلاف بداية العالي المقام
أعني ابن رشد مَنْ غدا بطل الفلاسفة العظام
وكذلك المغني إلى شيخ النحاة ابن الهشام
وكذا صحيح أبي حسين مسلم حَبْر الأنام
وكذا كتاب أبي يزيد بن المبرد في الختام

## وظائفه وأعماله:

١ ـ انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٣٤٠هـ.

٢ ـ انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي في بغداد عام ١٩٥٤م.

٣ ـ علَّم في مدارس دمشق الخاصَّة والرسمية الثانوية، وفي الحجاز مديراً للمعهد العلمي السعودي، وعضواً بمحكمة مكة الشرعية الكبرى،

ونائباً لرئيس هيئة المراقبة القضائية، ومفتشاً للعلوم الدينية، ومدرساً للتوحيد والتربية العلمية.

٤ ـ خدم في القضاء تطوُّعاً، ثم عاد لدمشق سنة ١٣٥٠هـ، فوجد أعماله مُوزَّعة، وفقد من أعوام التقاعد أكثر من عشر سنين.

٥ ـ دعته جمعية المقاصد في بيروت للتدريس في كليتي البنين والبنات، وانتدبته وزارة معارف الشام لتدريس علوم الدين في تجهيز البنات بدمشق، فجمع بين بيروت ودمشق في أسبوع واحد يغادر دمشق أصيل يوم الجمعة إلى بيروت ثم يعود مساء الثلاثاء من كل أسبوع.

٦ ـ عُيّن مدرساً للعلوم الدينية في تجهيز دمشق للبنين والبنات.

٧ ـ ومدرّساً للتفسير والحديث في كلية الآداب ومدرّساً في كلية الشريعة.

٨ ـ عاد للحجاز ١٣٦٣هـ، وأسس دار التوحيد بالطائف، وأعدَّها لتخريج القضاة والمفتين والدعاة إلى سبيل الله.

٩ ـ وآخر ما قرأنا عليه في جامع الدقاق «الموافقات» للشاطبي، وكان من مراجعنا الآمدي والمستصفى.

وحَسْبُهُ ما قال فيه بعض طلابه الأدباء:

وما أستاذنا البيطار إلا ... وحيد الشام في علم الكتابِ
فيشرح حين يشرح كل صدر ... بمعنى من معانيه العِذَابِ
ويبعث همَّة الآساد فينا ... كأن الشيخ في شَرْخ الشبابِ

## أهم رحلاته إلى البلاد العربية والأجنبية:

١ ـ كانت أولى رحلاته: عام ١٣٣٨هـ، إلى الحجاز ونجد، للدعوة إلى عقد اتفاق عام بين أمراء الجزيرة وأئمتها الكرام، وكلّفه بهذه المهمة الملك فيصل بن الحسين.



٢ ـ الرحلة الثانية: إلى الحجاز بدعوة من المغفور له الملك عبدالعزيز بن سعود لإنشاء معهد ديني في الطائف.

٣ ـ الرحلة الثالثة: إلى مصر، لحضور مؤتمر مواصلة العمل الإسلامي المسيحي لإحلال السلام.

٤ ـ الرحلة الرابعة: إلى روسيا بدعوة من مجمع العلوم الروسي.

٥ ـ الرحلة الخامسة: إلى الولايات المتحدة بدعوة من أصدقاء الشرق الأوسط لتقريب وجهات النظر بين الأمتين الإسلامية والمسيحية.

٦ ـ الرحلة السادسة: إلى باكستان والهند بدعوة من رئيس جامعة بنجاب، وكان رئيساً للوفد السوري.

## مؤلفاته وما أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه:

بلغت مؤلفاته وما حقَّقه وخرّج أحاديثه خمسة عشر كتاباً، نذكر بعضها: نقد عين الميزان، نظرة في النفحة الزكية، الثقافتان، إكمال تفسير سورة يوسف للسيد محمد رشيد رضا، تخريج أحاديث قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث لشيخه القاسمي، نشر مسائل الإمام أحمد وتلميذه الإمام أبي داود السجستاني، تخريج أحاديث البخلاء للجاحظ، كتاب المعاملات في الإسلام، تحقيق كتاب الموفي في النحو الكوفي، شرح كتاب أسرار العربية لأبي البركات الأنباري، حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، الإسلام والصحابة الكرام.

فرحم الله فقيد الأمة الإسلامية والإنسانية علاّمة الشام أستاذنا الجليل الشيخ محمد بهجة البيطار، وأجاد على جدثه فيض الرحمة والغفران، وألهم آله وذويه ومريديه ومحبيه الصبر والسلوان.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑

# العلامة المصلح محمد بهجة البيطار[(١)]

للقاضي سعدي أبو حبيب

العلامة الكبير محمد بهجة البيطار الذي فقدناه، واحد من نجوم الهدى والخير، نبع نورٍ، وفكرٍ، وإرشادٍ إلى السبيل السوي.

## وَصْفُ البيطار لحال الأمة الإسلامية في عصره:

ولد رحمه الله تعالى عام ١٣١١هـ - ١٨٩٤م، في عصر كانت فيه الأمة تحت ظلِّ الخلافة العثمانية، وحين بلغ سن الشباب وصف حال أمته، فقال:

«ألا ترى أنَّا لما كنَّا صالحين لاستعمار الأرض (عمارتها) أيام كان الإسلام في حضارته ونضارته، كيف امتدَّت سلطتنا، وعلت كلمتنا، وقوي نفوذنا، وخضع العالم لقوة سلطاننا.

ولمَّا انحرفنا عن جادَّة الصِّراط السَّوي، كيف انقلب الحال، وساء المآل، وقام أناسٌ من بيننا أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يزعمون أنهم مصلحون، ويشهد الله أنهم مفسدون، وأنهم فيما زعموه من الإصلاح لكاذبون: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ⑪ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ⑫﴾ [البقرة: ١١، ١٢]، نبذوا كتاب الله وراءهم ظهرياً، أضاعوا الصلاة، واتَّبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً، لا صلاة، ولا صيام، ولا حلال، ولا حرام، قصروا همَّتهم على دراسة الكتب الغربية، ونسوا ما لسلفنا من العلوم العربية، وهم الضاربون بأوفر سهم في كل فن وعلم. عشقوا الغرب، وأولعوا بلغته، وصُبغوا بصبغته، ففسدت أخلاقهم، وساءت آدابهم، وصار التفرنج لهم عادة، وذكر أوروبا لهم عبادة. وليت هؤلاء الخفاف العقول قلَّدوا الأوروبيين بالشيء النافع، والعمل الرافع، ولكنهم يقلدونهم بالأزياء، واستحسان تبرج النساء، وإذا نشر الواحد منهم مقالة في صحيفة، توهّم نفسه أنه صار بها المفرد العلم، الذي يشار إليه بالقلم.

إنَّ الزرازير لـمَّا قام قائمها ... توهَّمت أنها صارت شواهينا

يَسْتسمن نفسه، بتخيُّل العلم وهو ذو ورم، نار همّته في طاعة الله خامدة عن الضرم. أما والذي نفسي بيده لا يأخذ الله بيدهم، ولا ينصرهم على عدوهم ما لم يُقْلعوا عن غيِّهم، ويرجعوا إلى رُشْدهم، ويُنيبوا إلى ربهم، ويأخذوا بهدي نبيهم، ويسلكوا سبيل السلف الصالح. ويرحم الله القائل: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

فمن أين لأمثال هؤلاء أن يُصلحوا غيرهم، وهم ليسوا صالحين بأنفسهم فضلاً عن إصلاح غيرهم، وفاقدُ الشيء لا يعطيه. ومن أين لهؤلاء الأحداث الأغرار أن يرثوا الأرض والديار، وهم على ما هم عليه من إباحة المنكرات، وانتهاك المحرمات. وقد قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ - وهؤلاء بينهم وبين الأعمال الصالحات كما بين الأرض والسماوات فلم يكونوا موعودين أن يُسْتَخلفوا في الأرض - ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

بل بُدِّلوا من بعد أمنهم خوفاً، ومن بعد عزِّهم ذلاً، ومن بعد قوتهم

(١) حضارة الإسلام، العدد الرابع، السنة السابعة عشرة: (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م).

ضعفاً. وقد صال ـ وا أسفا ـ عليهم أعداؤهم، فأراقوا منهم الدماء، وأزهقوا نفوس الأبرياء، وهتكوا أعراض النساء، وأهلكوا الحرث والنسل، والأوطان والأهل، ولم يغادروا فظيعة إلا فعلوها، ولا شنيعة إلا ارتكبوها..

نعم صَالَ علينا الأغيار، فَجَاسُوا خلال الديار. أتَوْا أرضنا فنقصوها من أطرافها، وأحاطوا بها من أكتافها، وكادوا أن يذهبوا بالقلب لا سمح الله... يا أسفي على الإسلام والمسلمين، ويا لهفي على البلاد التي افتتحت بدم الأجداد الفاتحين كيف آل أمرها إلى السقوط بأيدي الكافرين»[1].

أسطر ذوات عدد، أرجو ـ أيها الحبيب ـ أن تقرأها مرة، ومرة، وأن تتدبَّر حروفها وفواصلها، لأنها عرض دقيق للواقع المرّ في مطالع هذا القرن، في إطار يحمل من المجد الغابر عبقه، ومن العزّ التليد لونه، لتزيد الصورة وضوحاً وجلاءً.

رسم الفقيد الكبير صورة أمته، وهو لم يدرك العشرين بعد، فدلّ على عُمْق فكره، وإدراكه لما آل إليه الحال. فأيّ نوع من الشباب كان؟.. وأي جهد سيبذل للإصلاح؟.. على قدر أهل العزم تأتي العزائم...

## دعائم الإصلاح عند الشيخ البيطار:

لقد أقام أستاذنا الجليل بناء الإصلاح على الدعائم الآتية:

### ١ ـ الدين:

هو الركيزة الأمّ في إصلاح الفرد والأمة عند أستاذنا الجليل، لأنَّ في أحكامه سعادة الدنيا والآخرة.

ولأن ديناً أخذ بيد العرب من الجاهلية الجهلاء، والضلالة العمياء، فجعل منهم سادة الأمم نوراً، وخُلقاً، وعلماً، وقوة، لقادر من جديد على

---

(١) نقد عين الميزان ـ ص٣١ ـ ٣٣ (سعدي).



إنقاذهم من واقعهم المُؤْلم، وعيشهم النكد في وحل التخلف، ورفعهم إلى سدَّة الرقيّ والمدنية... وما أشبه الليلة بالبارحة.

دعا أستاذنا العلامة إلى العقيدة على مذهب السلف، اقتداء بشيخ الإسلام ابن تيمية، وحثّ على العبادة، والتمسُّك بها، لأنها ترمي إلى إذكاء فكرة محاسبة النفس، ومراقبة الربّ جل جلاله، وتُنمِّي الروح، وفي ذلك الخير، كل الخير، للفرد وللأمة.

قال في وصف الصائم: «فالصائم الذي يغلب عقله شهوته، ولا يخون دينه بالأكل نهاراً، سراً أو علانية، لا يمكن أن يخون وطنه، أو يخدع في أمره، فيبيعه بثمن بخس من غير أهله»[1].

وعلى ذات الوتر الهادف يتحدث عن بقية العبادات.

ولا يمكن للأمة أن تفهم الغاية السامية للعبادات إلا إذا قام العلماء بتنوير أفكار الناس، وتهذيبهم، وترسيخ العقيدة الصحيحة، وتفهيمهم أحكام الحلال والحرام، وأسرار التشريع، و«بأن الشريعة أبر بالإنسان، وأرفق به من أبيه وأمه، وأنّ جميع ما شرعه الله للناس فهو لخير مجتمعهم الإنساني ولدفع الشرور والغوائل عنهم...»[2].

## واجب فقهاء الأمة:

وهو يريد من العالم أن يكون قدوةً صالحة، عاملاً بما يقول، مخلصاً في دعوته إلى سبيل ربِّه، منفتح الفكر ضمن حدود الشريعة، وأحكامها..

ففي رسالة كريمة وجَّهها إليّ نقرأ هذه الجملة: «ولا شك أن واجب فقهاء الأمة مواجهة الحقائق، وبيان الأحكام في جميع ما استحدث من المخترعات إلى اليوم على قاعدة جَلْب المصالح للأمة، ودرء المفاسد عنها. أي أن تكون فتاوى العلماء الواقفين على أسرار التشريع، وكُنه الزمن،

---

(١) كلمات وأحاديث، ص٢٧ ـ ٢٩ (سعدي).

(٢) كلمات وأحاديث، ص١٩ (سعدي).

وحاجة الأمة هادية إلى حفظ وحدتها، وتنمية ثروتها، وحماية حوزتها، ودفع عوادي الشر عنها، مع إثبات أن ذلك هو الذي يقتضيه هدي الإسلام، وترشد إليه آيات القرآن، وأن المسلمين هم أولى بالمسابقة والسبق في هذا المضمار..»[1].

### ٢ ـ المحبة:

إن الأمة لا يمكن أن تشقَّ طريقها في هذا الكون إلا إذا كانت المحبة تلفُّ نفوس أبنائها، فتسمو بهم فوق كل خلاف.

وإذا خلت من هذه المحبة أمة من الأمم، فإنها إلى التمزُّق لا بد صائرة.. ولقد آمن أستاذنا الجليل بذلك ودعا إليه.

### ٣ ـ العلم:

كان العلامة جمال الدين الأفغاني يرى أن إصلاح الأمة لا يكون إلا على يد «**سلطان مستبدّ عادل**».

وكان يجوبُ العالم الإسلامي باحثاً عن رقعة من الأرض الإسلامية يطبِّق فيها تلك النظرة، ولكن دون جدوى.

وكان الإمام محمد عبده، صفيُّ الأفغاني وخليله، يؤمن بنظرية أستاذه، ولكنه بعد أن ذاق مرارة النفي والتشريد، أعرض عن تلك النظرة، وضَرَبَ صَفْحاً عن العمل السياسي، وصار همُّه الأول هو العلم، لأنه طريق النهضة بهذه الأمة، ولا طريق سواه.

## عزوفه عن السياسة والأحداث العظام التي مرَّت بها الأمة:

وأخذ هذه النظرية عنه تلميذه، وصديقه الإمام السيد محمد رشيد رضا، وعنه أخذ شيخنا الكبير ذلك، وظلَّ يدعو إلى هذه النظرية عمره.

(١) رسالة مؤرَّخة في ٢٩ محرم الحرام سنة ١٣٨٧ الموافق ١٩٦٧/٥/١ (سعدي).



وقد بلغ من إيمانه بها، أنه لم يُبْدِ يوماً رأياً في السياسة، ولو في مجالسه الخاصَّة، مع أنه عاش أحداثاً عظاماً مرَّت بها الأمة.

ونحن نعجب لذلك، ونسأل: لَمَ اتَّخذ أستاذنا الجليل هذه النظرة، وعزف عن رأي ابن تيمية في السياسة والإصلاح؟! ولَمَ لَمْ يتأثر بشيخه الكبير الإمام محمد الخضر الحسين التونسي الذي كان مشعل جهاد في سبيل تحرير تونس الحبيبة؟!

لعل ذلك، في رأينا، يعود إلى طبعه الهادئ، وخُلُقه الهيِّن الليِّن.

## دعوته إلى العلوم الدينيَّة والعصريَّة:

دَعَا شيخنا الجليل إلى العلوم الدينية، وليس هذا بدعاً من الأمر، ودعا إلى العلوم العصرية التي هي أسس الحضارة والمدنية..

وكان يستدل على ذلك بالقرآن الكريم، فقد قال في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا..﴾ [البقرة: ٢٩]: «هذا خطاب عام لأمة القرآن يدعوهم، ويُوجِّه نظرهم إلى ما أودع تعالى في جوف هذه الأرض من الكنوز، والمعادن، ويُرشدهم إلى الاستفادة منها، والانتفاع بما بثَّ فيها من الخواصِّ والقوى، ويثبت أن جميع ما استحدثته أمم الغرب من المكتشفات، والمخترعات، هو ممَّا أرشد إليه الإسلام، وسبقت إلى العمل به الأمة العربية في عصورها الذهبية. فردُّه ردٌّ لنصوص القرآن، وتعطيلٌ لأحكامه، وتجريدٌ لهذه الأمة من كلِّ ما يُعزِّز قوتها، وينمي ثروتها، ويدفع عوادي الشر عنها، وأي جناية على هذه الأمة أكبر من هذه الجناية..»[1].

وما دام الغرب قد تقدَّم الأمة العربية في دنيا الحضارة، فما على

(١) كلمات وأحاديث، ص٥١ (سعدي).

شبابنا من ضير إذا سافروا إلى هناك لتعلُّم الفنون، والصناعات، التي تتوقف عليها حياة البلاد ورقيها...»[١].

وعدَّ ذلك السفر هجرةً محمودةً شرعاً..[٢].

## حثه على تعليم المرأة:

وهو في دعوته هذه لا يخصُّ الرجل وحده، بل يحثُّ على تعليم المرأة «ما تحتاج إليه من العلوم، والمعارف، وتدبير المنزل، وإسعاد الزوج، وتربية الأولاد...»[٣].

وهو يصرُّ على أن تبقى للمرأة شخصيتها، وآدابها الإسلامية الرفيعة، وشرفها، وإباؤها..

## رده على من زعم أن حجاب المرأة وتعليمها لا يجتمعان:

وهو يعجب لفئة من رجال الفكر في أوائل هذا القرن، ترى أن حجاب المرأة، وتعليمها، لا يجتمعان.

قال في الردِّ على هؤلاء: «كيف استطاعت الراهبات المُبشِّرات في القرن العشرين أن يُحافظن على حجابهنّ، وآدابهنّ، وأن لا يرى أحد منهم غير وجوههنَّ، وأكفهنَّ، وأن يكُنَّ فوق نساء المتفرنجين علماً، ومعرفة بحال العصر، وبأيديهنَّ تدار المؤسَّسات الدينية، والمعاهد العلمية، والمستشفيات الخيرية العمومية في الشرق والغرب..؟ فهل تكون المرأة المسلمة، المتعلمة أقل حظاً منهنَّ في حجابها وآدابها..»[٤].

---

(١) كلمات وأحاديث، ص٨٥ (سعدي).

(٢) لا تخلو هذه الدعوة إلى الابتعاث للغرب من أخطار، ولا يصح اعتبارها هجرة محمودة.

(٣) المرجع السابق، ص٦ (سعدي).

(٤) المرجع السابق ص٤٧ (سعدي).



قال ذلك في أوائل الثلاثينات من هذا القرن في وقت كان إقبال الرجال على العلم قليلاً. فكيف إقبال النساء..؟

## اهتمامه بالمعلِّمين:

وهو في دعوته إلى العلم، ينظر إلى المعلمين نظرةَ احترام وإكبار، لأنهم يبذرون العلم والمدنية في عقول براعم الأمة، لتثمر بعد حين خيراً، وعطاء، وهو يدرك ما في هذه المهنة الكريمة من مشقة وصبر.

ففي محاضرة ألقاها على مدرج جامعة دمشق في أوائل سنة ١٩٣٦م، خاطب المعلمين قائلاً: «وأنتم معشر المعلمين عليكم أن تطالبوا أنفسكم بالصبر على ما أنتم بسبيله من تربية النشء، وتعليمه إن كنتم في عملكم هذا ورثة الأنبياء..». وطلب في ختام محاضرته من وزير المعارف، وكان بين الحضور، أن يعمل على تحقيق أمرين:

١ ـ تأسيس منتدى للمعلمين، يجمع شملهم، ليبحثوا فيه شؤون التعليم، والنهضة الفكرية في البلاد، ويكونوا بعيدين عن المقاهي، والملاهي التي لا يستفيدون منها، ولا تستفيد البلاد، إلا إضاعة الوقت والمال.

٢ ـ الاهتمام بإيجاد أفلام أخلاقية، علمية، تُعرَض على المعلِّمين، والطلاب بدلاً من ارتيادهم دور السينما التي تُعرض فيها روايات لا تتفق مع الأخلاق في شيء...

دعوة خير لأساتذتنا الميامين، فهل في ناديهم ما كان يرغب شيخهم الذي سَلَخ حياته، وهو يعلِّم، ويعلِّم..؟

وهو في دعوته إلى العلم يصرُّ بعزم على أن يكون الدين هو الأساس الفكري الذي تقوم عليه التربية والتعليم، وأن تكون الأخلاق الفاضلة حية عامرة في ضمير الأمة، أساتذةً، وطلاباً، على وجه الخصوص، لأنَّ جيلاً متعلماً بلا خُلق، ولا دين، لا خيرَ فيه، ولا تجْني أمته على يديه إلا الصاب والعلقم.

### ٤ ـ العمل:

كان فقيدنا الجليل يحثُّ الناس على العمل المقرون بالأخلاق.. وكان يستدل على ذلك بما ورد في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، وكان يعتبر هذه الآية الكريمة باعثة على النهضة والرقي والثروة...

### القوَّة والأمانة صفتان مترابطتان:

فالقويُّ هو ابنُ العمل، أي عمل كان العارف به، المتقن له...

والأمينُ هو المحافظ على الشرف، والأمانة، والاستقامة في العمل.. فلا يغش، ولا يسرق، ولا يخون، ولا يخلف وعداً، ولا ينكث عهداً..

وهما صفتان متلاحمتان، فإتقان العمل ـ إذا كان مُجرَّداً عن الأخلاق ـ لا خَيْرَ فيه، وذو الخلق إذا لم يكن متقناً للعمل لا يمكن أن ينهض على زنده بناء، ولا تقوم صناعة...

وصَدَقَ شيخنا الكبير فيما قال.. فهل يلتزم عمَّالنا، عماد نهضتنا، بإتقان العمل وقواعد الأخلاق..؟

**وبعد**: هذه جولة في الخطوط الفكرية الكبرى التي قامت عليها نظرية الإصلاح عند أستاذنا الجليل الشيخ محمد بهجة البيطار رحمه الله تعالى..

### كلمة العلامة الإبراهيمي في وصف البيطار:

وقد قال العلامة محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله في وصفه:

«الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار عَلَمٌ من أعلام الإسلام، وإمام من أئمة السلفية الحقيقية، دقيق الفهم لأسرار الكتاب والسنة، واسع الاطلاع على آراء المفسرين والمحدثين، سديد البحث في تلك الآراء، أصولي النزعة في الموازنة والترجيح بينها، ثم إن له ـ بعد ـ رأيه الخاص، يوافق ما يوافق عن دليل، ويخالف ما يخالف إلى صواب.



والأستاذ البيطار مجموعة فضائل. ما شئت أن تراه في عالم مسلم من خُلق فاضل إلا رأيته فيه، مجاوز للحدود المذهبية والإقليمية، يزن هذه المذاهب الشائعة بآثارها في الأمة، لا بأقدار الأئمة، ويعطي لكلٍّ ما يستحق، جريء على قوله الحق في العلميات، ولكن الجرأة منه يلطفها الوقار، والوقار فيه تُزيِّنه الجرأة، فيأتي من ذلك مزاج خلقي لطيف، متساوي الأجزاء، ملتحم الخلايا، قلَّ أن تجده من علمائنا المعدودين.

والأستاذ البيطار مفكر عميق التفكير، وخصوصاً في أحوال المسلمين بعللهم، وأدوائهم، طب بعلاجهم ودوائهم.. يعتمد في تحصيله وتربيته على طودين شامخين من أطواد العلم والعمل: أحدهما الإمام عبدالرزاق البيطار، والثاني الإمام المحدث جمال الدين القاسمي، عنهما أخذ، وفي كنفهما نشأ، وعلى يدهما تخرّج، فجاء عالماً من ذلك الطراز الذي نقرؤه في التراجم...»[1].

وصدق فيما قال...

ومَنْ كالبشير الإبراهيمي معرفةً بالرجال؟ عليه وعلى علمائنا الرحمة، والرضوان.

□□□□□

(١) كلمات وأحاديث، ص٩٩ ـ ١٠٠ (سعدي).

# الشيخ محمد سعيد المسعود: مفتي الباب[1]

**(١٣٢٦ ـ ١٣٩٧هـ)**

**(١٩٠٨ ـ ١٩٧٦م)**

للأستاذ: حسن عبدالحميد

## منزلة العلماء:

يقول الإمام ابن القيم: العلماء بمنزلة النجوم في السماء، يهتدي بهم الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض من طاعة الأمهات والآباء بنصِّ كتاب الله قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]، وأولو الأمر هم العلماء كما قال المفسرون.

١ ـ شيَّعت مدينة الباب في الأسبوع الأول من شهر المحرم[2] عَلَماً من أعلام الفقه الإسلامي، ورائداً من روَّاد العمل الإسلامي.

---

(١) حضارة الإسلام، العدد الثاني، السنة الثامنة عشرة: (١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م).

(٢) توفي يوم الأربعاء الثامن من المحرم ١٣٩٧، وكان مولده في ٥ ربيع الأول ١٣٢٦ الموافق ١ نيسان ١٩٠٨ كما في كتاب: «الربانيون الثلاثة» للشيخ محمد زكريا المسعود ص٣٥٨.



## دراسته في المدرسة الخسروية:

٢ ـ درس على يدي كبار العلماء في المدرسة الخسروية بحلب، وكان ترتيبه الأول دوماً. من أساتذته: الشيخ راغب الطباخ، والشيخ أسعد العبجي، والشيخ فيض الله الأيوبي، والشيخ أحمد الزرقا، والشيخ عيسى البيانوني، والشيخ أحمد الشمَّاع رحمهم الله جميعاً. وكان زميله في الدراسة الشيخ محمد الحامد رحمه الله، وتتلمذ في مدينة الباب على الشيخ مصطفى أبي زلام رحمه الله تعالى.

## دروسه ونشره العلم:

٣ ـ شمَّر عن ساعديه لنشر العلم فَوْرَ تخرُّجه، فكانت دروسه إلى يوم وفاته موزَّعة على مساجد البلدة يُدرِّس في اليوم أربعة دروس في الفقه والحديث والنحو.

## إحياؤه رسالة المسجد:

٤ ـ كان كثير الإعجاب بالشيخ عبدالكريم الرفاعي رحمه الله في جعل المسجد ميداناً للحلقات العلمية في مختلف الفنون. وقد افتتح ـ رحمه الله ـ في الصيف الماضي دورةً شرعية للطلاب ظلَّ يدرِّس فيها الفقه الإسلامي بهمّة ونشاط بالرغم من بلوغه سن السبعين.

## تشجيعه طلاب العلم:

٥ ـ أبرز ما فيه ـ رحمه الله ـ حبه لتشجيع طلاب العلم بالنصح، بالمال، بالثناء عليهم في كلِّ مجلس، في حضوره لدروسهم وهو أستاذ لهم.

## في دار الأرقم:

٦ ـ كان رحمه الله من الروَّاد الأوائل في دار الأرقم، مدرسة شباب محمد ﷺ في العصر الحديث، وكثيراً ما حدَّث عن زمَّالته وإعجابه بالشيخ المجاهد مصطفى السباعي رحمه الله، وأنه رفيق دربٍ له.

وكان ـ رحمه الله ـ الأب العطوف لتلاميذ السباعي وأتباع الدعوة الإسلامية الحديثة في الباب.

## نشاطه الاجتماعي:

**٧ ـ وكان رحمه الله ذا نشاطٍ اجتماعيٍّ بارز:**

أ ـ فهو عضوٌ في (جمعية البرّ والأخلاق الإسلامية).

ب ـ وعضو في (جمعية النهضة الإسلامية) في الباب، وله في تأييدها والثناء على رجالها جهاد مبرور.

جـ ـ وهو رئيس لجمعية رفع المستوى الصحي في البلدة.

د ـ كان في زياراته المتوالية للريف يفتتح المساجد الجديدة، أو يفضُّ المنازعات ويعمل للصلح، أو يُحيي ذكرى مولد النبي عليه السلام، وكثيراً ما حدثني أنه يركب الحصان يدعو إلى الله من قرية إلى قرية.

## حُبُّه للشباب المسلم:

**٨ ـ** كان رحمه الله يُحبُّ الشباب المسلم من كلِّ قلبه، ويتواضع لهم، ويرى فيهم أمل الإسلام المشرق.

ـ كان يقيم لهم المسابقات الدينية في السيرة والفقه، ويقدِّم لهم الهدايا والجوائز القيمة.

ـ كان يحضر أعراس الشباب المسلم، ويمشي خلف العرس حتى يوصله إلى بيته بين التكبير والتهليل سانّاً سنةً حسنة في البلدة بجعل الأعراس مهرجاناً إسلامياً، يخطب فيها الخطباء، وينشد فيها الشعراء.

ـ كان يحرص على سلامة عقيدتهم، ولو كانوا في أول الأمر ذوي مظهر غير إسلامي.

ـ أسعد لحظاته عندما يرى شاباً أطلق لحيته في هذا الخضم الهائج بالفتن والشهوات.



ـ تنبَّه ونبَّه لما يُراد بالصغار من إضلال وإفساد، ولطالما صرخ بأعلى صوته في حفلات المولد: «أيها الآباء انتزعوا أولادكم من أيدي الملحدين قبل أن تخسروهم إلى الأبد».

## جمعه بين العلم والسلوك:

**٩ ـ** جَمَعَ الفقيد بين علوم الشريعة والطريقة الصوفية، لكنه لم يتعصَّب لمذهبه الحنفي ولا لطريقته النقشبندية. كانت أمنيته أن يتعاون رجال العلم والطرق، وأن يتَّحد كل العاملين للإسلام. وكثيراً ما نادى شباب الإسلام: لا تختلفوا فالعدو يتربص بكم جميعاً.

ـ كان يتمتَّع بسَعَة أُفق: قلَّ أن تُوجد في غيره، ورَحَابة صدر ندر وجودها إلا فيه.

## سَعْيُه في بناء المساجد:

**١٠ ـ** كان رحمه الله مُغْرماً ببناء المساجد الحديثة وإصلاح القديم منها من جيبه الخاص ومن تبرُّعات الناس، يقوم بنفسه على جمعها، وكان حريصاً أن يرتفع شعار الإسلام (المآذن) عالياً في السماء.

إنَّ أغلب مساجد البلدة ستذكره يوم الدين أنه قام بتشييدها، وآخر مآثره: إصلاح الجامع الكبير وترميمه، وكان في أواخر عمره قد ألقى ثقله ببناء مسجد جديد، وكان يحدثني أنه سيجعل فيه ملعباً رياضياً للشباب ومسبحاً إسلامياً للطلاب... إنه فهمٌ عظيم للمسجد ورسالته.

## كرمه البالغ:

**١١ ـ** ومن أبرز خصاله رحمه الله: الكرم البالغ، والحديث عن كرمه سارت به الركبان، لا تدخل عليه إلا والسِّماط ممدود، ولا يأتي للبلدة غريب إلا ويأخذ طريقه إلى بيته، ولا يرى غريب إلا ويدلّه الناس على بيت المفتي، ولا يأتي موظف للبلدة إلا ويجب أن يذوق طعام المفتي.

- دعاة الإسلام من كل بلد هم ضيوفه وأحبابه.

- مساعداته المالية لطلاب العلم الفقراء لا تنقطع.

- كثيراً ما يطرق عليه الباب فقراء فلا يردُّهم إلا طيِّبة نفوسهم. وما وقف في السوق يشتري حاجة إلا وقف إلى جانبه فقراء حاجتهم في قلوبهم، فيدركها على الفور، ويطلب من البائع أن يزن لهم فاكهة أو خضرة أو لحماً، وكثيراً ما يستدين من البائع ليعطي لهم نقداً.

## اهتمامه بدعوة النساء:

**١٢** ـ اهتمامه بالعنصر النسائي جدير بالنظر، فقد كان يعمل على إقامة دروس لهنَّ، ويشجع على حضورهنَّ حفلات المولد، ويطلب مني أن أقيم للطالبات مسابقات في السيرة والحديث، ويبعث بناته وزوجاته إلى حلقات العلم، ويبعث بمسجلة تسجل كل ما دار في درس النساء.

## اطلاعه على المجلات والكتب الإسلامية المعاصرة:

**١٣** ـ وكان ـ رحمه الله ـ بالرغم من أنه يعيش بين الحواشي الفقهية لا تفوته مجلة إسلامية معاصرة، ولا كتاب إسلامي حديث حتى يدركه بالفهم والنقد.

## منهجه في الفتوى:

**١٤** ـ أما في الفقه الحنفي، فهو من الأعلام البارزين في هذا القطر، وخسارته لن تعوض إلا أن يشاء الله.

كان مرناً في الفتوى يحب التيسير على الناس، ويسعى للصلح بين المتخاصمين.

## موقفه من خصومه:

**١٥** ـ كان ـ رحمه الله ـ لا يقع في خصومِهِ، ويُثني عليهم إذا سمع



تجريحهم له، ويضع نصْب عينيه حديثاً يُردِّده: «**صِلْ من قطعك، واعْفُ عمَّن ظلمك، وأحْسِن إلى مَنْ أساء إليك**»[(١)].

**١٦** ـ لما أدركت الوفاة الإمام ابن عقيل واحتضر بكى الناس، فقال: لقد وقَّعت عن الله خمسين سنة فدعوني أهنأ بلقائه.

ولقد وقَّع شيخنا الشيخ سعيد المسعود عن المولى خمسة وثلاثين عاماً. وآن له أن يفرح بلقاء الله.

**أبا محمد:**

سلامٌ عليك، سلام على تلك المجالس التي كنت أقضيها معك بين الحواشي والمتون.

سلامٌ على تلك الساعات الغالية كنت فيها معك هنا وهناك في مجلس علم أو ذكر أو في حفل مولد.

سلامٌ على ذكريات الأمس في الليالي الخالدة، أسألك عن الفقه عبر الهاتف فلا تملّ الإجابة التي قد تطول ساعات.

**سلامٌ عليك أبا محمد.**

طالما رأيتك تمشي في السوق قبيل عيد الفطر، وفي «البازار» قبيل عيد الأضحى. لسان حالك يقول: هل من سائل؟ هل من مُسْتفت؟

**سلامٌ عليك**: ما ملّت قدمك من الوقوف ساعات مع شيخ يسأل، أو

---

(١) أخرجه البيهقي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**صل من قطعك، واعف عَمَّن ظلمك**» وأخرج ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لن ينال عبد صريح الإيمان حتى يصل من قطعه، ويغفر لمن شتمه، ويحسن إلى من أساء إليه**». وأخرج أحمد والطبراني عن معاذ بن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «**أفضل الفضائل: أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتصفح عمَّن شتمك**».

عجوز تستفتي، ولم تتثاقل من طَرْق الباب الدائم، ولا من رنين الهاتف المتواصل سؤالاً عن حكم الشرع في مسألة.

**سلامٌ عليك**: جاءك الموت بعد ربع ساعة من آخر فتوى أفتيت فهنيئاً لك الشهادة لقد جاءك وأنت تعلم وتعلمه.

وإلى اللقاء أبا محمد إن شاء الله في مَقْعَد صدقٍ عند مليك مقتدر مع الأحبة محمد ﷺ وصحبه.

**أيها الأخوة**: أمِّنوا مع ابن الجوزي:

اللهمَّ لا تُعذِّب يداً دلّت عليك.

ولا رِجْلاً مَشَت إلى طاعتك.

ولا لساناً ذبَّ عن سُنَّة نبيِّك.

## خبر وملاحظة:

أقيم في يوم الجمعة **٢٩** صفر **١٣٩٧**هـ، احتفال كبير عن روح فقيد الإسلام الشيخ محمد سعيد المسعود في مدينة الباب في جامعها الكبير، حضرته وفود من أنحاء سوريا، وتكلّم فيه علماء وشعراء ومنشدين في مقدمتهم الشيخ أديب حسون، والشيخ محمد علي المراد، والشيخ كامل بدر، والشيخ بكري الرجب، والشاعر محمد منلا غزيل، ذكروا مآثر الفقيد، وحثُّوا الناس على الالتفاف حول العلماء.

□ □ □ □ □



# الدكتور تيسير رمضان الحصّاد رحمه الله[1]

## (١٣٦٥ - ١٣٩٧هـ)

## (١٩٤٦ - ١٩٧٧م)

للأستاذ محسن خرابة[2]

## الفقيد في سطور:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسلام على سيدنا محمد قائد المجاهدين وإمام المتَّقين وعلى آله وصحبه وكل مَنْ سار على نهجه، ودعا بدعوته، وجاهد في سبيل شريعته إلى يوم الدين.

أما بعد: أيها الأخوة لا بدَّ لي قبل أن أتحدَّث لكم عن بعض الخواطر التي أملتها عليَّ روابط الأخوة ودوافع الوفاء والإخلاص للفقيد رحمه الله من أن أقدِّم لكم الفقيد في سطور.

---

(١) حضارة الإسلام، العدد الثالث، السنة الثامنة عشرة: (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م).

(٢) من تلاميذ العلامة أحمد راتب النفاخ، ومحقق كتاب «المسائل البصريات» لأبي علي الفارسي، وهي رسالته الماجستير في جامعة دمشق، واشترك مع مروان العطية في تحقيق «فضائل القرآن» لأبي عبيد، و«جمال القراء» لَعلم الدين السخاوي، وصدر سنة ١٤١٨ عن دار المأمون للتراث.

## ولادته ونشأته:

ولد الفقيد رحمه الله عام **١٩٤٦م**، في قرية الشدادي على نهر الخابور قرب مدينة دير الزور، حيث كان والده يعمل مزارعاً فيها، وكان أهله يخرجون إليها من دير الزور باستمرار.

تعلَّم في مدارس دير الزور الابتدائية والثانوية، وكان من الأوائل في دراسته دائماً لأنَّ الله أنعم عليه بعقل نقّاذ وذكاء نادر.

كان نور الإيمان والهدىٰ يشعّ في وجهه منذ نعومة أظفاره، فقد لازم الصلاة وهو في الصف الثاني الابتدائي ولم ينقطع عنها إلى أن لقيَ وجْهَ ربه الكريم.

## تعلُّق قلبه بالمساجد:

كان رحمه الله من الذين تعلَّقت قلوبهم بالمساجد، وارتبطت أرواحهم بها منذ صغره، وحدث مرة أنه كان ذاهباً إلى صلاة الفجر في المسجد، فقُطع حذاؤه، فحمله تحت إبطه وأكمل طريقه إلى المسجد حافياً خشية أن تفوته صلاة الفجر جماعة لو عاد ليستبدل الحذاء.

## تَحَسُّسه قضايا المسلمين:

عندما بلغ سن الخامسة عشرة بدأ يتحسَّس قضايا المسلمين، وما يعانون من ضعفٍ وتخاذل، وما يلاقيه أهل الإسلام من مكايد ومؤامرات لإقصائه عن ساحة الحياة.

كان في هذه السن القدوة الحسنة والأسوة المثلى العلمية والدينية لأفراد عائلته جميعاً.

## دراسته في كلية الطب:

بعد أن نال الشهادة الثانوية بتفوُّق، دَخَل كلية الطب في جامعة دمشق عام **١٩٦٣م**، وكان من الأوائل المتفوقين خلال مسيرته العلمية، وكان كثيراً



ما ينال المكافآت المالية بسبب هذا التفوق، وكان أول شيء اشتراه هو كتابه المحبَّب **(في ظلال القرآن)**، وكان فكره العلمي ووعيه الإسلامي وتصوُّره الإسلامي الصافي وإيمانه يزداد باطّراد خلال دراسته في كلية الطب، وكان من هذا الباب قدوة لزملائه.

تخرّج يحمل لقب الدكتوراه بتقدير جيد جداً عام **١٩٧٠ ـ ١٩٧١م**.

## متابعته الاختصاص في طب الأطفال:

عمل طبيباً عاماً في منطقة (الميادين) ما يقرب من شهرين، ثم يمَّم وجهه شَطْرَ الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر عام **١٩٧١م**، لينهل من معين العلم هناك، وليتابع دراسة الاختصاص في طب الأطفال. وهناك في أمريكا كان شعلة من النشاط والعمل الدائب للإسلام، فكان يسافر لحضور المؤتمرات الإسلامية، ويكتب ويحاضر ويخطب في قضية الإسلام. كان سكرتيراً لمنظمة الأطباء المسلمين في الولايات المتحدة وكندا.

بعد بضع سنوات من العمل والعلم نال شهادة البورد في طب الأطفال عام **١٩٧٦م**، وعُيِّن مباشرة أستاذاً لتدريس طب الأطفال في جامعة اللينوى قرب شيكاغو بعد أن أبدى ضروباً من التفوق العلمي حتى على الأمريكيين أنفسهم.

## وفاته بحادث سيارة:

وفي **١٦** شباط عام **١٩٧٧م**، خرج من بيته في الساعة الثامنة والربع صباحاً، وفي الساعة التاسعة والنصف في رابعة النهار قُتل بسيارته بحادث قيل: إنه صدم قطاراً في هذه الساعة الواضحة من النهار بعد ساعة وربع من خروجه من بيته مع أن مسافة الطريق من بيته إلى مكان الحادث لا تستغرق أكثر من عشر دقائق.

## نقل جثمانه إلى بلده دير الزور:

نقل جثمانه الطاهر من شيكاغو إلى بلده دير الزور، حيث دُفن في دير

الزور وهو في عمر الورد وريعان الشباب، وقد خلَّف وراءه ولدين وبنتاً رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

**أخي تيسير**: إنّ العين لتدمع، وإنّ القلب ليخشع، وإنا على فراقك يا أبا عمر لمحزونون، ولا نقول إلا ما يُرضي ربنا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

**أخي الحبيب تيسير**: ما كان يدور في خَلَدي، ولم يخطر على بالي في يوم من الأيام أنني سأمسك بقلمي الراعش لأخط كليمات في نعيك، وأحمل يراعتي المضطربة لأتحدث عنك وأرثيك، ولكن القدر إذا حلّ والقضاء إذا نزل فما للقلوب المفجوعة الثكلى إلا التسليم المطلق والرضا الكامل بما يقدّر الله ويفعل. ولكن أيُّ بيان ـ مهما عظم ـ قادر على أن يوفيك حقَّك أيها المجاهد، وأي كلام وأي قلم يقوى على أن ينطق بما يعتمل في الصدور ويختلج في القلوب، وشهد الله أن الخبر المحموم الفاجع حينما قرع آذاننا كادت قلوبنا أن تنفلق، وأفئدتنا أن تتمزَّق، وكأنَّ صاعقة نزلت عليها من السماء، وكاد صوابنا أن يطير من هول الصدمة وكبر الكارثة وفداحة الفاجعة لولا تمسُّكنا بحبل الله المتين واستعصامنا بإيماننا.

وفجأة تقفز إلى أذهاننا أنَّ الصهيونية الآثمة والصليبية الحاقدة لم يقرّ لهما قرار، ولم يرتح لهما ضمير إلا إذا ذاق تيسير وأحبابه ومن هم على طريقه الموت الزؤام لأنه لم يكن شوكة في عيونهما فحسب، وإنما كان سهماً مدمياً في قلوبهما.

**أخي الحبيب أبا عمر**: لا أدري عن أيِّ شيء أتحدَّث من حياتك؟!! أعن طفولتك البريئة؟ أم عن شبابك المؤمن الصلب؟

## نفسٌ توَّاقة:

لا زلت أذكر تلك الأيام التي قضيناها معاً في الثانوية والجامعة، حيث كنت تحمل بين جنبيك نفساً توَّاقة، وروحاً عالية لا تعرف إلا معاني الجد حتى في أوقات الراحة.

لا زالت تلك الأيام التي كنا نذهب فيها إلى نهر الفرات مع بعض



الأحباب لقضاء المتعة والراحة، ماثلةً أمام عيني، وكنت دائماً تتأبط كتابك الحبيب **«في ظلال القرآن»**، وبعد قضاء فترة وجيزة سرعان ما كان صوتك المؤمن النَّدي ينادي إخوته: أن تعالوا واسمعوا صوت السماء، أيها الأحباب فكانت نفسك لا ترتاح وروحك لا تطمئن إلا في ظلال الظلال.

لا زلتُ أذكر العهد الذي قطعته على نفسك مع بعض أحبابك وطبَّقته زماناً طويلاً إلى أن ذهبت إلى أمريكا، وهو قضاء فترة ما بين المغرب والعشاء بحفظ القرآن الكريم.

## دعاؤه بالشهادة في سبيل الله:

لا زال دعاؤك الخالد الذي كنت دائماً تردده صادقاً يرنُّ في أذني وفي أذن الزمان: **«اللهمَّ ارزقنا الشهادة في سبيل دينك وإعلاء كلمتك»**، ونسأل الله الكريم أن يكون هذا الدعاء قد استجيب، وهذا السؤال قد تحقَّق وأن تكون في سلسلة الشهداء الأبرار الخالدين.

**أخي الغالي تيسير**: لم تبقَ عيْنٌ من العيون المؤمنة إلا أسْبَلَت عليك الدموع قائلة:

تبكيكَ يا فِلذة الأكباد أعيننا ... دماً يسيل على الخدين مدرارا
خلَّفت بعدك أكباداً مقرَّحة ... تبقى على الحزن آماداً وأدهارا

ولم يبق قلب ينبض بذكر الله إلا ذاق لوْعة الحرقة، واكتوى بنار المصيبة، لم يبق فم إلا انطلق يلهج بذكرك الطيب ويتحدث عن خلالك الكريمة، ويروي أخبارك العذْبة حتى أولئك الناس الذين يخالفونك في الرأي والفكر، لم يَبْقَ مجلس من مجالس البلد إلا نعاك وحَزِنَ عليك بكل حرقة وأسًى.

لقد بكيناك يا أخي، بكيَنا فيك الكرم والوفاء والإخلاص والصدق والإيمان والتقوى والورع والعمل الدائب والتفكير الواعي والشجاعة في الحق...

إنَّ كل هذه المعاني التي يكاد الإنسان المسلم في هذا الزمان يكون أحوج إليها من الماء والطعام بكيناها فيك، ويحقُّ لنا أن نقول فيك:

بموتك قد فقدنا اليوم عزاً ... وكنزاً لا يُحدّد بالحساب
فَقَدنا اليوم شمساً قد أضاءت ... وعلماً فيضه غمر السحاب
وفهماً ثاقباً ومدًى بعيداً ... ولبّاً دونه لبّ اللباب
وصدراً واسعاً وتقى وفضلاً ... وعقلاً دونه ثقل الهضاب
لقد خسرت بك الأشبال ليثاً ... منيعاً ساحُهُ في كلِّ غاب
لقد خسرت بك الأحلام طوداً ... تطأطئ تحته شمّ الروابي

**قافلة الشهداء:**

**أخي المجاهد**: لم تكن أول شهيد أريق دمه في سبيل الله، فقافلة الشهداء لا تزال تجود بالأرواح والأنفس رخيصةً في سبيل الله، وإننا نعاهدك يا أخي، نعاهد روحك الطيبة الطاهرة أننا على دربك سائرون، وبنهجك عاملون، فلتقرَّ عينك في جنان الله، ولتعلم أنَّ دماءك الزكية التي أريقت هناك ستبقى تشعّ نوراً لنا ولدربنا الطويل فتُكسِبُنا مزيداً من الثبات على الطريق.

**أثره في ديار الغربة:**

**أخي**: لقد كنت مُعلِّماً في الطريق، تهدي السائرين في دروب الحياة وبخاصَّة في ديار الغربة، لقد كنت الظلال الدافئة التي يرتاح إليها أحبابك في أمريكا. لقد كنت نبراساً يضيء الطريق للغافلين، لقد كنت مجاهداً بحق يرفع شعار الإيمان في ديار الكفر ولواء النور في بلد الظلام. ولئن حاولت النفوس المظلمة والأرواح المنتنة أن تقضي على هذه المعالم، وأن تطفئ هذا النور، خسئت وخابت، لأن هذه الشعلة من النور تستمدُّ نورها من نور ربِّ الكون، وإنَّ الله متمّ نوره ولو كره الكافرون المجرمون الظالمون.

يا صاحبَ القلب الكبير، ويا صاحبَ العقل المنير، وأنت الأستاذ في



الجامعة، الدكتور المختصّ في طب الأطفال، كنت دائماً تذهب إلى مدارس أطفال المسلمين الخاصَّة في شيكاغو وغيرها، لتعلمهم مبادئ القراءة والكتابة العربية، حفاظاً على دينهم ولغتهم فمن يفعل ذلك إلا أولئك الأبطال الذين يتحسَّسون قضايا أمتهم ومصيرها صباحَ مساء، وكنت واحداً منهم.

لا أدري مرة ثانية عن أيِّ شيء أتحدَّث؟ وماذا أقول؟ القلم عاجز، وإنَّ البيان قاصرٌ عن الوفاء بحقك.

**ترفُّعه عن متاع الدنيا:**

لقد غادرت يا أخي هذه الدنيا الفانية الزائلة التي لا يتعلق بها إلا ذوو النفوس الصغيرة المهزومة، وكنت فوقها وفوق متاعها الزائل وزخارفها الفانية، وكم كنا نتمنى أن تعود إلى بلدك لتلقِّن أولئك الناس الذين أعمتهم المادة، وارتكسوا في حمأتها في هذا المجتمع المادي المسعور، أنَّ السعادة ليست في جمع المال، ولا في الانكباب على الدنيا، والتعلق بها، ولكن السعادة في التقوى الحقيقية والاستعلاء على زخارف الدنيا كما يقول الشاعر:

وَلَسْتُ أرى السُّعادةَ جَمْعَ مالٍ ... ولكنَّ التقيَّ هو السَّعيدُ

لقد رحلت - يا أخي - عن هذه الدنيا وأنت مرفوع الرأس عالي الجبين، لم تطأطئ رأسك إلا للواحد القهار، ولم تَحْن جبهتك إلا للعزيز الغفار، لقد متّ موتَ الفُرسان الشجعان الأشاوس الذين لم يعرفوا معاني الذلّة والهوان والصَّغار، التي يَرْزح الناس في نَيْرها، والذين تخرَّجوا في مدرسة البطولة والفروسية مدرسة محمد ﷺ، وبحق لقد تخرَّجت في مدرسة محمد ﷺ، أذكرتني حياتك وزهدك بالجيل الأول الذي تربّى في مدرسة محمد ﷺ. لقد كنت شعلة من الإيمان الراسخ، ونبراساً من التقوى الصادقة، وطاقة هائلة من الحركة والعمل، ومثلاً أعلى في حُبِّ الآخرين ونكران الذات.

أيُّ كلام بعد هذا الكلام يا أخي. والله إنها لفاجعة كبيرة، ولكن الذي

يُخفِّف من هولها وعظمها هو اعتقادنا بأنك شهيد من الشهداء، ويقيننا بأن جنة الله الواسعة ستكون مأواك مع محمد وصحبِهِ والأنبياء والشهداء ومع شاعرك الحبيب الذي قال:

أخـي إنْ نَـمُـتْ نَـلْـقَ أحِـبـابَـنـا ... وجَـنَّـاتُ ربّـي أُعِـدَّت لـنـا
وأطـيـارهـا رَفْـرَفـت حَـوْلـنـا ... فَـطُوبى لنا في ديارِ الخلود

طُوبى لك يا أخي وحُسْن مآب، وإلى الخلود في قلوبنا وفي أرواحنا وفي جنان الله الواسعة إن شاء الله.

لن تموت يا أخي تيسير، صحيح أن جسدك الطاهر فارق الدنيا ورحل عنا، ولكن روحك الزكية التي تحمل كل معاني الإباء والإيمان والعمل سوف تبقى خالدة في قلوبنا خلود هذه المعاني في كل زمان ومكان.

إنَّ الدموع السخيَّة التي ذرفناها عليك ستكتب اسمك في أفئدتنا، وسترسم صورتك في قلوبنا، وستخلِّد ذكراك في أرواحنا.

وأنتم يا آل الفقيد وأخوته لستم وحدكم في المصيبة، ولستم وحدكم الذين فقدتم أبا عمر، وإنما فقده كل مسلم وكل مؤمن.

وختاماً أخي الحبيب: نسأل الله الكريم أن يُكرم مَثْواك، وأن يرحمك رحمة واسعة، وأن يجعلك في أعالي الجنان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقاً، ونسأله تعالى أن يكرمنا بأن نسير على طريقك طريق الشهداء والأتقياء والعاملين.

فللّه ما أخذ، وله ما أعطى، وكلُّ شيء عنده بأجل، نصبر ونحتسب، ولا نقول إلا ما يُرضي ربَّنا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑



# الشيخ أحمد الدقر رحمه الله تعالى[1]

## (١٣٢٥ - ١٣٩٧هـ)

## (١٩٠٧ - ١٩٧٧م)

للأستاذ: عبدالغني الدقر

### أخي في ظلال أبي:

يرحم الله أخي أنفق نحواً من خمسين سنة هي زهرة عمره في سبيل الله، ونُصرة دينه، وفي سبيل ما لا يشك أنه الحق.

### مرشد بلاد الشام الشيخ علي الدقر:

كان إمامه وقدوته ومعلمه أبوه وشيخه مرشد بلاد الشام العالم الجليل الشيخ علي الدقر، الذي دخل إرشاده وعلمه وإخلاصه وغيرته كل دار في دمشق، بل كل قلب إلا من ران الضلال أو الكفر أو الانحراف أو الحسد على قلبه.

كان سلطانه على أفئدة الناس بالله ولدين الله لا يوازيه سلطان، مهما

(١) حضارة الإسلام، العدد الرابع، السنة الثامنة عشرة: (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م)، وينظر: «تاريخ علماء دمشق» (٢/٩٢٦ - ٩٣١).

يبلغ من القدرة والنفوذ، وسرُّ ذلك: أنه ـ رضي الله عنه ـ لم يعش حياته كلها لذرة من دنياه، سواء أكانت مالاً أم جاهاً أم نفوذاً، وإنما كانت حياته وقفاً على الدعوة إلى الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣]، والانتصار لدينه، والغيرة الثائرة أن يقتحم الكفر والاستعمار وذيول الاستعمار ديار المسلمين وعقولهم ونفوسهم فيسرق دينهم ومروءتهم وشهامتهم وعزتهم. وما زال لذلك يصرخ وينادي ويبشر وينذر حتى أسكته الموت حميداً، مرفوع العمل الصالح إلى الله إن شاء الله، ولكنه وإن مات جسده فما برح يحيا بعلمه وروحه وإرشاده في نفوس كثيرة من تلاميذه، وتلاميذ تلاميذه ومَنْ بعدهم حتى يأتي أمر الله، فكلُّ هؤلاء لن ينسوه عالماً مرشداً مقداماً غيوراً لم تطلّ شمس عصره على مثله، كلا لن ينسوه، بل يذكروه في كل مناسبة وفاءً واقتداء، ومَضْرب مثل للزهد والتقوى والإخلاص والتضحية والبذل، والفناء في الله والدعوة إليه.

## مَوْضع الشيخ أحمد الدقر من جهاد أبيه وإرشاده:

وما كنت أريد هنا أن أكتب عن والدي، فما يكفي للتحدُّث عنه بضعة أسطر في مقال ولا بضع مقالات، فحياته تستوعب أكثر من ذلك بكثير، وإنما أكتب هذا القليل لأضع أخي المرحوم الأستاذ الشيخ أحمد في موضعه من جهاد أبيه وإرشاده وعمله، فلقد أدرك فجر نهضة أبيه، بل رافقها يوم لم يكن من حوله إلا أقل من ثلاثين رجلاً من إخوانه الدمشقيين يُعلِّمهم النحو والفقه وبعض علوم الدين والعربية الأخرى، ويحرص على إرشادهم ليقرنوا إلى العلم العمل، وكان أخي ـ رحمه الله ـ أحدهم.

## بروز مظاهر التَّديُّن بين الناس:

إلى أن تفجَّرت دعوة أبيه الشيخ الكبير فملأت الآفاق، وأقبل الناس عليها إقبالاً لم يُعرف مثله لأحد ممَّن عاصره، فبرزت مظاهر التديُّن بين الناس، فتوّج الشباب والشيوخ رؤوسَهم بالعمائم، واحتَجَب النساء بالأزر البيض، وامتلأت المساجد بالمصلين. حتى شَعَر المستعمر حينذاك أن في البلاد حَدَثاً لم يكن يعهده، فارتاعَ لذلك، وحرص على لقاء الشيخ الكبير



ليسأله عن هذا الحدث الخطير الذي ظهر فجأة: هل من ورائه شيء يراد؟ فأجاب المرشد الكبير: إنا لندعو إلى دين الله، ونحث الناس على الالتزام بأوامره فروضاً وسنناً، واستجاب كثير من الناس ـ والحمد لله ـ لهذه الدعوة، والذي ترون من مظاهر الاستجابة. واكتفى المستعمر من الشيخ الكبير بهذا.

## العدوُّ الأول والأمضى للمستعمر:

ولو أراد أن يعرف حقيقة ما ينادي به الشيخ الكبير، ومبلغ تأثيره لأدرك أنه العدو الأول والأمضى للمستعمر، ذلك أنه لا يجتمع في قلب رجل واحد دين حق راسخ مع أيِّ لون من ألوان الاستعمار مادياً كان أو معنوياً أو فكرياً، خصوصاً والقاعدة الفقهية تقول: إذا اقتحم عدو بلداً مسلماً، وجب وجوباً عينياً على الكبير والصغير والرجل والمرأة أن ينهضوا جميعاً لردّ الغزو الاستعماري الكافر والمرتد.

## دعوة الشيخ علي الدقر للجهاد وتحذيره من أعداء الدين والوطن:

ولقد كانت الكثرة من المؤمنين يتسابقون ويتزاحمون ليجدوا مكاناً ـ ولو بقدر مفحص قطاة ـ في المسجد الذي كان الشيخ الكبير يعظ فيه ليسمعوا منه كلاماً يهزّ قلوبهم، بل يهزّ وجودهم، كلاماً يتفجَّر من قلب ملتهب بحرارة الإيمان، والصدق، والغيرة، والإخلاص، ثم ما يزال بالناس يُحذِّرهم ويُنذرهم ويحضُّهم على الجهاد حتى يخرجوا من المسجد، ويتمنَّى أحدهم لو قاتل وحده، وكثير من الحضور حفظ منه قولاً حتى صار مأثوراً، وهو قوله في المستعمرين أعداء الوطن والدين: «**إن السرَّاق دخلوا دياركم، يريدون أن يسرقوا دينكم وأموالكم وأعراضكم فاستيقظوا وتنبهوا واحذروا**»، وحفظوا منه قولاً آخر وهو قوله: «**إنَّ هده المدارس مصانع الكفر**» يريد بذلك المدارس التي كانت صنيعة الكفار المستعمرين، فقد كانت تشكِّك الناس في دينهم وأخلاق أسلافهم.

## أثر دروس الشيخ علي الدقر:

ولقد نتج عن دروس الشيخ الكبير الوالد ثلاث نتائج، كل واحدة منها

كان لها الأثر الكبير في بناء مجد الأمة: الجهاد في سبيل الله، ونشر العلم الشرعي، وفتح مدارس لأبناء المسلمين، وكلها كان لأخي المرحوم السهم الأوفر بعد أبيه في تنظيمها وتهيئتها.

## الجهاد في سبيل الله:

**أما الأولى**: وهي الجهاد فمن حقِّ والدي الشيخ الكبير على التاريخ أن يذكره أحد القليلين الذين أعدوا لتفجير الثورة السورية، وذلك أنه ـ يرحمه الله ـ كان يوقد في النفوس باسم الدين الحماس ويُغْريهم بالشهادة، حتى اجتمع منهم ثلة ممَّن عُرفوا بالبسالة والإقدام والرغبة في الجهاد على أخي المرحوم ليقرأ عليهم كتاب «**فتوح الشام**» للواقدي الذي امتلأ بالحديث عن بطولات الصحابة رضوان الله عليهم، وخصوصاً سيف الله خالد بن الوليد، وكانت قراءة هذا الكتاب في إحدى المدارس القديمة التي كانت بإدارة الشيخ الكبير والدي، وهي (**مدرسة العداس**)، وكانت خلف القصر العدلي في الزاوية الغربية الجنوبية، واستؤصلت في تنظيم الشارع، وعهدي بهذه المدرسة بعد قليل من ذلك، ملئت سلاحاً، ثم بعد فترة ملئت بطلبة العلم الذين أصبحوا بعد ذلك علماء تقرُّ بهم عين الشريعة، منهم: **الفقيه الكبير الشيخ أحمد البصروي، والعالم التقي الفقيه الشيخ عبدالكريم الرفاعي، والعالم المرشد الشيخ عبدالرحمٰن الطيبي**، رحمهم الله تعالى وغيرهم والحمد لله كثير.

## صُحبته العلامة بدر الدين الحَسَني في رحلته إلى بلاد الشام للحثِّ على الجهاد:

ثم إن والدي الشيخ الكبير وبعض العلماء قام بصحبة شيخه حافظ عصره وعلامة زمنه الشيخ محمد بدر الدين الحسني برحلة إلى بلاد الشام. وكان والدي اللسان الناطق المؤثِّر في هذه الرحلة، وكان يهتبل كل فرصة ليحثَّ فيها على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله.



## اندلاع ثورة سنة ١٩٢٥:

وبعد نحو شهرين عادوا وخرجت دمشق بشبابها وشيبها ونسائها وأطفالها لاستقبالهم، ما لبثوا بعد أوْبتهم إلا قليلاً حتى اندلعت الثورة سنة ١٩٢٥م، وكان أولئك النفر الذين كانوا يجتمعوا ليسمعوا كتاب «فتوح الشام» من أخي عليه رحمة الله من أوائل من خرج للجهاد في سبيل الله، وكلٌّ منهم كان قائداً لجماعات من الثوار، وخرج على أثرهم كثير من تلاميذ الشيخ الكبير والدي، خرجوا لله والاستشهاد في سبيله لا طمعاً في دنيا، ولا شهوةً في زعامة أو رياسة، ولا رغبة في أن تُسمَّى الشوارع بأسمائهم، ولا في أن يعلن عنهم في الكتب والصحف، بل خرجوا تلبية لأمر الله، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدَّلوا تبديلاً.

## نَشْرُ العلم الشرعيِّ:

**وأما الثانية** من النتائج الثلاث: فقد نظر والدي الشيخ الكبير عليه رحمة الله، فرأى أنَّ البلاد كادت تخلو من العلماء، العلماء العاملين الذين يحرصون على عقائد الناس وأخلاقهم ودينهم، ففتح الباب للراغبين في طلب العلم على طريقته، مع قلَّة الاستعداد وضيق الأماكن.

## إرسال الطلبة المرشدين إلى قرى دمشق ووصاياه لهم:

ولم يكتف الشيخ الكبير بالواردين عليه، بل كان يرسل في كلِّ رمضان من إخوانه مَنْ يُرشد الناس في القرى والأرياف من دمشق وحوران والجولان والأردن والبقاع، ويُزوِّدهم بوصاياه، ومن أهم وصاياه لهم: **أن يزهدوا فيما عند الناس فلا يقبلوا عطاء أحد، وأن يصبروا على إعراض الناس عنهم، وأن يصدقوا مع الله في أقوالهم وأفعالهم**، ولما رأى منهم الناس ذلك حتى أقبلوا عليهم إقبالاً ما كانوا ينتظرون بعضه، فإذا أتمُّوا ما أُرسلوا من أجله عادوا مُصْطحبين معهم العشرات من الراغبين حتى قلَّ بلد ذهب الطلبة المرشدون إليه لم يأت منه مَنْ يطلب العلم، حتى بلغوا أكثر من سبعمائة طالب كلهم على طريقة شيخهم: علمٌ وعمل، والغريب أنَّ

أحدهم لا يكاد يبلغ في طلب العلم فترة ستة أشهر حتى يجد أن عنده ما يعظ به الناس وما يؤثر به عليهم.

## فتح المدارس لأبناء المسلمين:

**وأما الثالثة** فقد كان الشيخ الكبير يحسّ زمن الانتداب أن أطفالنا في خطر من جهة تربيتهم وأخلاق أمتهم ودينهم، فرأى أن يفتتح مدارس للبنين والبنات تُعنى بتعليم كتاب الله، والاهتمام بالدين تدريساً وتسليكاً، مع باقي العلوم التي تشارك فيها المدارس الأخرى.

## ظهور الجمعية الغرّاء:

ولهذه النتائج ظهرت الجمعية الغرّاء من عِلْيةِ الناس الموثوقين في دينهم وأمانتهم لِتُعينَ والدي الشيخ الكبير فيما نهض به من تعليم الكبار الوافدين: الشريعة والعربية ومهمة الإرشاد، ومن تعليم الصغار في مدارس ابتدائية.

ولهذه الجمعية التي خدمت أغراض شيخها المرشد الكبير، تاريخ حافل نأتي منه هنا بهذا العرض بأقل من القليل.

وكل من تخرَّج في المعهد الشرعي - ويعدون بالآلاف - ومن تخرَّج في المدارس الابتدائية لا يزالون - والحمد لله - يحافظون على ذلك الروح الذي بثَّه فيهم مُدرِّسوهم ومعلموهم الذين تلقَّوا إرشاد الشيخ وتعليمه وتوجيهه مباشرة، بل إن تلاميذ المتخرِّجين يسير معظمهم على هذا المنهج وهو تحقيق الإسلام روحاً ومعنى وشرعاً، لا الاكتفاء بالنسبة إليه، وما الحديث عن الجمعية الغرّاء في جميع فروع نشاطها إلا الحديث عن عَلَمين كبيرين مقدامين هما: الأستاذ المرحوم أخي الشيخ أحمد الدقر، والأستاذ المرحوم الشيخ عبدالحميد الطباع[1]؛ فهما حَمَلا أمانة الشيخ الكبير بجدّ وإخلاص وتفانٍ صغَّر لقاءها عمل كل عامل.

---

(١) هو العالم الفاضل الشيخ عبدالحميد الطباع، المولود سنة ١٣١٦، والمتوفى سنة ١٣٧٢ عن ست وخمسين سنة. وهو أخو الشيخ مراد الطباع، وابن خالة والدة الشيخ علي الطنطاوي كما أفادني بذلك شيخنا العلامة علي الطنطاوي.



## اهتمام الشيخ علي الدقر بابنه أحمد:

ولست بسبيل الحديث عن ثانيهما المرحوم الأستاذ الطباع، ولكنّي في معرض الحديث عن الأول منهما أخي الأستاذ الدقر، فقد اهتمّ به والده فتعهَّده بتربيته وعنايته، فكان صحيح العقيدة، صحيح العقل، صحيح النفس، جيدَ الرأي، محافظاً على تراث أبيه، خادماً لمصلحة المسلمين.

وكان دون العشرين من العمر حين أضحى عَضُد أبيه، حَمَل أعباءه كلها بمعونة أخيه وزميله الشيخ عبدالحميد الطباع، وأبقيا للشيخ الكبير مهمة التوجيه والإرشاد والقطع بالأمر له وجهات نظر متعددة.

## أثر الشيخ أحمد الدقر في الجمعيَّة الغرّاء ومعهدها الشرعي:

وما إن أنشئت الجمعية الغرّاء حتى كان من أوائل أعضائها، بل كان بالحق قريناً للقروم من الرجال بعقله ورأيه وهو دونهم بالسن، ثم كان بعد ذلك المنفذ الفعلي لقرارات الجمعية وأعمالها، وحمل جميع مسؤوليات المعهد الشرعي بتنظيم الطلبة في دراساتهم وأساتيذهم ونظمهم في مبيتهم وفي طعامهم وشرابهم، وحرص كلَّ الحرص على المحافظة على أخلاقهم ودينهم وعلمهم ومطالعاتهم، ولقد حفظ رحمه الله جميع وصايا أبيه ورغباته وعمل بها وطبَّقها على الطلبة في المظهر والمخبر.

واتَّجه مع ذلك إلى تنظيم المدارس الابتدائية التابعة للجمعية، فكانت بحق من خيرة المدارس تحفظُ للصغير دينه، وتعلمه القرآن، ولا تقصر به في جميع العلوم الأخرى.

وهذا يستدعي كل ما عنده من جهد وطاقة، ويستدعي أعواناً كثيرين ومع ذلك قام به وحده.

ولا يعرف أحدٌ من مرجع لكلِّ مشكل في جميع أعمال الجمعية الداخلية غيره، أما الأعمال الخارجية فليس لها أحد غيره أيضاً بعد وفاة زميله وأحد خاصَّة أبيه المرحوم الأستاذ الشيخ عبدالحميد.

وهذا البناء الشامخ الذي بناه الشيخ الكبير، وبذل ابنه المرحوم الشيخ

أحمد في سبيل بقائه ونموه أكثر من أربعين سنة، هذا البناء الضخم هدمه بجرَّة قلم من لا يخاف الله، ومَنْ لا يأبه بمصلحة المسلمين، ولا يبالي بلعنة التاريخ.

وبعد فالحديث عن أخي المرحوم الأستاذ الشيخ أحمد حديث عن جميع أعمال الجمعية الغرّاء، وهذا لا تحصره كلمات في موضوع، بل ذلك محتاج إلى مقالات إن لم نقل: إلى كتب، وعسى أن يسمح الزمن فنكتب دور كل أحد ونضعه مكانه من غير إسراف ولا تقصير حتى بعض الجنود المجهولين الذين لهم الأثر الكبير في تطوير المعهد وتقدمه.

## صفاته الذاتيَّة:

**أما صفات أخي الذاتية**: فقد كان ـ رحمه الله ـ مَصُوناً ديِّناً، طيب السريرة، ذكياً عاقلاً، ذا رأي وفهم، كان إذا حَزَبَ الناسَ أمرٌ يتعلق بدينهم أو وطنهم، كان من أوائل من يُطلب لمداولة الرأي معه، وكثيراً ما أخذ برأيه، وكان يكره الوقوف بأبواب الرؤساء والوزراء إلا إذا اقتضت المصلحة ذلك، وإذا اضْطر لذلك فلا يُداري ولا يُماري ولا يُداجي، بل يقول ما يرى صريحاً من غير لفّ ودوران.

وكان يؤخذ عليه الصلابة واليبوسة فيما يقتنع أنه الحق، وهذا ممَّا يشرِّفه، وليأخذ عليه مَنْ شاء ما شاء ما دام يصرُّ على ما يعتقد وما يقنع به.

## مَرَضُه وصبره ورضاه:

ولقد أقعده المرض في الفراش نحواً من اثنتي عشرة سنة، فكان غايةً في الصبر، غايةً في الرضا عن الله، لا يفْتُر لسانه عن الحمد لله تعالى. وهكذا وافاه أجله مؤمناً صادقاً، قدَّم أمامه من جليل الأعمال لله، ما يجعله ـ إن شاء الله ـ رفيق والده في عليين في صُحْبة الأنبياء والعلماء والعاملين المخلصين، وحَسُنَ أولئك رفيقاً.

□ □ □ □ □



# الدكتور محمد أمين المصري(1)

## (١٣٣٣ ـ ١٣٩٧هـ)

## (١٩١٤ ـ ١٩٧٧م)

أعدّها واختارها مَجْد مكّي

## ولادته ونشأته ودراسته:

ولد الدكتور المصري ـ رحمه الله تعالى ـ في دمشق، وبعد إنهاء دراسته الثانوية عمل في سلك التدريس، ونشأ مع فتيةٍ من جيله على حب الإسلام ومطالعة كتبه.

وقد أثَّر فيه كتاب «إحياء علوم الدين» كثيراً حتى آخر حياته، وكان يتميَّز بإرادة صلبة، جعلته يُطبِّق كثيراً ممَّا يمرُّ معه في «الإحياء» للغزالي، مهما كان هذا الذي يُطبِّقه.

## دراسته وشيوخه:

وقد ساهم ـ رحمه الله تعالى ـ في الندوات العلمية إسهاماً جيِّداً، وكان يحضر دروس عالم الشام الشيخ محمد بدر الدين الحَسَني، ودروس الشيخ أبي الخير الميداني وغيرهما.

---

(١) نشرت بتاريخ: ٢٠٠٨/٠٦/٢٤م، في موقع: (الإسلام في سورية) .www.islamsyria.com

حصل على الشهادة الجامعية في الأزهر بعد عام **١٩٤١**م، ومن ثَمّ حصل على تخصُّص التدريس، ثم عمل مدرساً في ثانويات دمشق.

وكان له صلة طيِّبة بالدعوة الإسلامية في مصر، كما كان حريصاً على حضور محاضرات الأستاذ «حسن البنا» ـ رحمه الله تعالى ـ والعلامة محمد الخضر حسين.

## عنايته بتدبّر سورة الأنفال:

وكان يركِّز في دروسه ومحاضراته على سورة الأنفال وتفسيرها، يريد من وراء الأنفال أن يذكر بدراً، والقلة المؤمنة، القلة التي تُنقذ الموقف... وألقى محاضرات عديدة في مسجد المرابط بحي المهاجرين بدمشق، وفي مسجد الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة حتى ظنّ الظانّون أنه لا يحسن غير سورة الأنفال، وكان يمازح من يعرفه ويقول: «أنا لا أعرف إلا تفسير سورة الأنفال!».

## اهتمامه بالتربية:

وكان توّاقاً إلى تخريج دعاةٍ ومجاهدين، لا موظَّفين وأصحاب شهادات، فكان كثير الاهتمام بعلوم التربية، يرى أن المشكلة الأساسية والأولى هي: كيف نُربّي؟ هل نُربّي الأطفال والشباب على الخوف وحب الوظيفة أم على الجهاد؟ ويذكر دائماً السيدة عفراء التي قدَّمت للإسلام سبعة من أولادها الشباب، استشهدوا في المعارك الأولى في الإسلام.

## تعيينه ملحقاً ثقافياً للسفارة السورية بباكستان:

وفي عام **١٩٥١**م، عُيِّن مُلحقاً ثقافياً للسفارة السورية في باكستان، وبقي هناك خمس سنوات، وقد اضطلع خلال هذه الفترة بجهود طيبة في نشر اللغة العربية لغير أهلها، وتعرَّف على علماء باكستان، لاسيما المحدثين منهم، كما توثقت صلته بالشيخ أبي الأعلى المودودي.



## حصوله على شهادة الدكتوراه من بريطانيا:

وفي عام **١٩٥٦**م، سافر إلى بريطانيا للتحضير لرسالة الدكتوراه، وحصل عليها عام **١٩٥٩**م، كان موضوعها «معايير النقد عند المحدثين»، ورجع مدرساً في كليَّة الشريعة في جامعة دمشق.

ومما يذكر هنا أنَّ المستشرقين أَبَوْا أن يكون موضوع دراسته نقد «المستشرق شاخت» فاختار موضوعاً في الحديث. وكان له ـ رحمه الله تعالى ـ أثناء رحلته لأوروبا وقفات لا تنسى مع المستشرقين، وعندما ترأس قسم الدراسات العليا في كليَّة الشريعة بمكة المكرمة، كان يُحذِّر من ابتعاث أبناء المسلمين إلى ديار الغرب.

## إقامته في السعوديّة وتأسيسه قسم الدراسات العليا في مكّة المكرمة:

وفي عام **١٩٦٥**م، سافر إلى السعودية للتدريس في جامعة الملك عبدالعزيز ـ كليَّة الشريعة ـ في مكة المكرمة، وقد شارك في تأسيس قسم الدراسات العليا فيها.

وقبل وفاته بثلاث سنوات، انتقل إلى الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، رئيساً للدراسات العليا فيها، وكان له دورٌ في وضع مناهجها.

## دروسه في التفسير والسيرة:

ولم ينقطع عن دروسه ومحاضراته، وكلها في التفسير والسيرة النبوية، وكانت دروسه في التفسير تدور حول سورة الأنفال أو سورة آل عمران للحديث عن غزوة بدر أو غزوة أحد.

وكان الموضوع الرئيس الذي تدور حوله دروس الشيخ وفكره هو التربية، والتربية الجهادية خاصة، وكان يكثر من الحديث عن غزوات الرسول ﷺ وسيرة أصحابه رضي الله عنهم.

## أبرز كتبه ومؤلَّفاته:

١ ـ الطرق الخاصَّة للتربية الإسلامية.

٢ ـ من هدي سورة الأنفال، دار الأرقم بالكويت ١٤٠٠هـ.

٣ ـ لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها، بيروت دار الفكر، ١٣٩٨هـ، ط٤.

٤ ـ المسؤولية، طبعة (٢)، الكويت، دار الأرقم، ١٤٠٠هـ.

٥ ـ المجتمع الإسلامي: وجهة التعليم في العالم الإسلامي، ط٤، الكويت، دار الأرقم ١٤٠٦هـ.

٦ ـ وله أيضاً: محاضرات في فقه السيرة، ومحاضرات في العقيدة لم تطبع حتى الآن.

### وفاته:

توفي في سويسرا في شهر رمضان **١٣٩٧هـ** على إثر عملية جراحية في أحد مستشفياتها، ونقل جثمانه إلى مكة المكرمة، حيث دفن فيها، رحمه الله تعالى رحمة واسعة[1].

□ □ □ □ □

---

(١) علماء الشام في القرن العشرين وجهودهم في إيقاظ الأمة، للأستاذ محمد حامد الناصر، ص١٩٣ ـ ١٩٩.



## الشيخ زين العابدين الحسين التونسي[1]

## (١٣٠٦ ـ ١٣٩٧هـ)

## (١٨٨٨ ـ ١٩٧٧م)

**بقلم ابنه: المحامي علي الرضا التونسي**

### سلامُ الله ورحمته عليك ورضوانه:

ما أسعده من يوم ولدتَ فيه تحت سماء تونس وفوق أديمها الأخضر، وما أجلها من ساعة مباركة ميمونة من عام ١٨٨٨م من تلك الساعات الخالدة التي يتفضَّل بها الله جلّ جلاله على خلقه برجال مختارين من بطون أمهات طاهرات صالحات.

### أسرة علم وعمل:

سلام عليك يوم نشأت في أسرة علم وعمل، والدك الزاهد العالم الشيخ حسين بن علي بن عمر، وجدك المنعم ذاك الذي ما برح المئات من أبناء الجزائر كل عام ومنذ أكثر من مئة وخمسين عاماً وحتى يومنا هذا، يتخرجون من دار القرآن التي شيَّدها في (طولقة) حفظةً لكتاب الله العظيم، وشباباً نشؤوا في طاعة الله.

---

(١) حضارة الإسلام، العددان ٩ـ ١٠ من السنة الثامنة عشرة: (١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م).

ووالدتك العابدة الناسكة **السيدة حليمة بنت العلامة مصطفى بن عزُوز،** وفي حجرها الطاهر، ربا جسمك على العبادة، وأشرقت نفسك على الدنيا بعد أن تشربت حلاوة الإيمان. لقد لقنتك تلك الأم البارة - وما أحوج المسلمين لأمهات تقيات - القراءة والكتابة مع لبانها، وكانت قدوتك في الخلق الكريم، والطبع السمح، والأدب الجم.

وشقيقك الأكبر **العلامة محمد الخضر حسين** شيخ الجامع الأزهر الذي عرفه العالمان شرقه وغربه حجة الإسلام. فكان لك أخاً وصديقاً وأستاذاً، وخالك **العلامة الأجل محمد المكي بن عزوز** الفقيه والمحدِّث والأديب، وشقيقك الأصغر العلامة اللغوي **محمد المكي بن الحسين.**

دوحة فيَّاضة، رُبِّيت في أحضان أمهات فاضلات، وبين أخوة علماء وأدباء، وأخوال أفذاذ فقهاء.

## في جامع الزيتونة:

وأقبلت إلى جامع الزيتونة لطلب العلم، وهو أكبر معهد إسلامي في تونس، فأخذت عن أساتذته الأجلاء روائع كتب التفسير والحديث والسيرة والفقه والأدب.

وما إن بلغت شأوك، حتى كان التضييق والإرهاب قد بلغ أشدّه على أخيك الإمام محمد الخضر لنضاله عن الهدى وكفاحه ضد الباطل، فصَدَر الحكم عليه بالإعدام لدعوته للتحرير ضد المستعمر، فخرجت أسرتك فراراً بدينها مهاجرةً في سبيل الله لتبحث عن بلد مطمئن آخر، وهل غير دمشق المدينة المسلمة المؤمنة الصَّامدة من مهبطٍ للأفئدة ودارٍ للفضيلة ودعوة إلى الحق؟

## خروجه مع أسرته مهاجراً في سبيل الله إلى دمشق:

انتقلت أسرتك بكلِّ علمها وفضلها عام ١٣٣٠هـ، الموافق لعام ١٩١٢م من تونس إلى دمشق، فنزلت أهلاً ووطأت سهلاً. وكانت الروضة



التي بدأت فيها رحلة الإخلاص في العمل لله، ومن هذه المدينة الماجدة انطلقت - يا سيدي - في درب الهداية الإسلامية والتربية الخلقية.

بدأت جهادك الطويل الشاق من موقعين عظيمين - المسجد والمدرسة - وأشرفت على أبناء دمشق من خلالهما، لأنك كنت ترى صلاح الأمة مرتبطاً بهاتين القلعتين الشامختين فإذا ثلمتا فقل على الأمة السلام.

## نشره العلم في مساجد دمشق:

عرفك مسجد بني أمية عالماً، وجامع سيدي صهيب مدرساً، وجامع منجك موجهاً، وجامع الخانكية مربياً فاضلاً. وطيلة سبعين سنة كاملة أعطيت دمشق كل ما لديك من آداب نبويَّة وأخلاق السلف الصالح.

## جهاده العلمي في مدارس دمشق:

ومدارس دمشق بمراحلها الابتدائية والثانوية ودور المعلمين، وعلى مرِّ خمسين عاماً، سَقَيْتَها من جُهدك وتوجيهك وإرشادك فأثمرت العديد من الوزراء الشرفاء، والقادة الحكماء، والرجال كبار النفوس من أبناء الأمة.

## التوجيه والوعظ والإرشاد:

ودور دمشق في أحيائها القديمة والحديثة، فتحت لك ذراعيها طيلة أيام الأسبوع للتوجيه والوعظ والإرشاد: فكانت ليلة الشباب المثقف، وليلة تجار المدينة، وليلة أبناء الريف، وليلة الأميين البسطاء، وليلة الدعاء والصلوات، فكنت توفي كل جماعة حقَّها بما يلائم مستواها ومشربها، فجعلت الأيام أحب إليهم من أهليهم والدنيا وما فيها.

## تأليفه «المعجم المدرسي» و«المعجم في النحو والصرف»:

وفي أوقات كنت تقتنصها اقتناصاً، انصرفت إلى وضع **(المعجم المدرسي)** طيلة خمس سنوات. فأسعدت اللغة العربية وخدمتها الخدمة

الجلى، وكان المعين للطالب والأديب والمعلم. ثم قدمت (المعجم في النحو والصرف) فأزلت به الجفاء بين الطالب وقواعد اللغة، وحبَّبتها له حباً جماً، وما كانت خدمتك للغة إلا لأنها لغة القرآن.

## مؤلفاته الكثيرة:

زوّدتَ المكتبة الإسلامية بالعديد من كتب التوجيه السديد، فها هو كتاب (دروس الوعظ والإرشاد)، وكتاب (الدين والقرآن)، وكتاب (القرآن القانون الإلهي)، ثم (المعجم في القرآن)، و(آداب المؤمن)، و(الأربعون الميدانية). كما زوّدت المكتبة المدرسيّة بما ينفع الناشئة مثل كتاب (الطرف)، و(المفردات والمحادثة)، و(الإملاء).

والسلامُ على أخلاقك مع أهلك وجيرانك ومعارفك، ولن أوفيك حقك في هذه الكلمة، وإنما لقاؤنا في كتاب سيرتك ـ إن شاء الله ـ لا لأنك والدي، بل لأني أتمنَّى لكل إنسان مسلم أن يكون مثلك إنساناً مسلماً، لتكون العزة للإسلام.

## رثاء الأستاذ علي الرضا التونسي لأبيه:

**وإلى روحك الزكية أرفع هذه الأبيات:**

لَسْتُ أبكيك ولا الدمع هَمَى ... إنما أذرف من عيني الدما
ليس في الصَّدر فؤاد إنما ... ألم يعصر مني الألما
ليس في الآذان وقر إنما ... بعد همس (الزين) عافت نغما
كنت بالأمس على أقدامه ... ألثم النور وأفدي القدما
أتملَّى طلعة ريَّانة ... أشرقت هدياً وكانت بلسما
فأتى داعي الرَّدى في لحظة ... ـ راعني هولاً ـ وهزَّ المعصما
وكأنَّ الشيخ إذ رافقه ... قد رأى روضته فابتسما
جفَّت العبرة لما أعلنوا ... نبأ أضرم قلبي ضرما
صرخة محمومة أخفيتها ... ثم أطبقت على المُرِّ الفما



رائدَ النَّعش ترفَّق يا فتى ... إنَّ فوق النعش شمساً عَلَما
فاسأل الشام وسَلْ مَيْدانها ... هل رأت مثل صفاه شيما
كم بنى صرحاً لعلم شاهقا ... ينشر الخير ويرعى الحكما
شرف العرفان والعلم به ... وسَنَا الإيمان يمحو الظلما
كم نواد عطِّرت ساحتها ... بأريج (الزين) طابت نسما
لغة القرآن كم قدَّسها ... فأتى المعجم يهدي العجما
عانق القرآن من غدوته ... وانتضى نحو الضلال القلما
دوحةٌ طاهرةٌ فيَّاحة ... قد رَبَا فيها عزيزاً ونَمَا
قبسٌ من جدِّه عظَّمه ... فهو ابن المصطفى قد عُظِّما

* * *

يا سُقَاة القبر هاكم مهجتي ... فاجعلوها إن تشاؤوا سُلَّما
واهبطوا في اللَّحد هَوْناً إنه ... جلّ هذا الشيخ حتى عظما
واجعلوا بعض جفوني مرقداً ... وانشروا من زفراتي غمما
قد تولَّى عن عيوني عَلَمٌ ... صافح النَّجمَ سمواً وسما
ومَضَت تسعون عاماً حُلُماً ... لَيْتَها تسع قرون حلما

* * *

إيه يا زين لقد علَّمتنا ... خشيةَ الله وأن نرعى الحِمَى
ولقد لقَّنتنا من صغر ... عِزَّة الإسلام حتى ارتسما
وعَلِمْنَا منك أنَّ الله لا ... يُخْزِي من كان به مُعتصما
هذه آثاره تذكرنا ... أنه حيٌّ يُضاهي القِمَما

□ □ □ □ □

# الشيخ محمد يوسُف البنُوري وجهوده العلمية[1]

## (١٣٢٦ ـ ١٣٩٧هـ)

## (١٩٠٨ ـ ١٩٧٧م)

للأستاذ الدكتور: عبدالعزيز عزَّت عبدالجليل

### نسبته وبيئته:

هو محمد يوسف بن محمد بن زكريا البنُوري.

والبنُوري نسبة إلى بلدة ـ «بَنُور» ـ قرية من قرى «البنجاب الشرقي» من ولاية (بتيالة) من ولايات الهند.

ولقِّب كذلك بالبشاوري، نسبة إلى مدينة «بشاور» عاصمة الحدود الشمالية الغربية في «باكستان» المتاخمة للحدود مع «أفغانستان»، وتقع على مسافة ثلاثة عشر ميلاً من ممر «خيبر» المعروف في التاريخ.

وممَّا هو معروف أنَّ للبيئة أثرها في تكوين الفرد، فقد نشأ الشيخ محمد يوسف البنُوري في أسرة علمية حملت لواء العلم، وورَّثته الأبناء والأحفاد.

---

(١) مجلة الأزهر، العدد ٤، السنة الرابعة والستون: (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م).



### طلبه للعلم:

حفظ العلامة البنُوري القرآن الكريم في صغره، وتلقَّى مبادئ العلوم على أبيه وخاله، ثم رحل مع أبيه إلى «أفغانستان»، وبعد العودة إلى «بشاور» تلقى دروسه على أشهر العلماء هناك في ذلك الوقت، ثم رحل إلى مدينة «جلال آباد» في أفغانستان، وانتقل بعد ذلك إلى «الهند»، والتحق بمدرسة **دار العلوم ديوبند** التي لقبت «بقرطبة الهند»، و«أزهر آسيا».

وبعد ذلك توجَّه إلى ـ «دابهيل» ـ من أعمال «بومباي» محط كبار العلماء، ومَوْئلهم، ولا يخفى على أيِّ مُهتمّ بالدراسات الإسلامية دور رجال «الجامعة الإسلامية» في «دابهيل» وشُهرتهم في علوم الشريعة، وكانت رحلته فيما بعد إلى «كشمير»، ولم يمكث بها طويلاً.

### مناصبه العلمية:

كان الشيخ البنُوري شخصية علمية بارزة، وقد تبوَّأ مناصب عديدة أذكر منها الآتي:

(١) رئيساً لجمعية العلماء في إقليم «بشاور».

(٢) رئيساً لجمعية علماء الهند في «كجرات».

(٣) عُيِّن عضواً بارزاً في المجمع العربي «بدمشق».

(٤) عُيِّن كذلك عضواً في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.

(٥) اختير عضواً بجامعة كراتشي في لجنة انتخاب المدرسين بكلية الدراسات الإسلامية والعربية.

وغير ذلك من المناصب التي بلغت أكثر من ستة عشر منصباً علمياً.

### ثناء العلامة الشيخ عبدالفتاح على شيخه البنُوري:

قال عنه الأستاذ المحدِّث عبدالفتاح أبو غدة: «كان ـ رحمه الله ـ كنز العلوم والفضائل لكلِّ مستفيد وسائل، وكان رأيه ثاقباً، وفكره مصباحاً

وضَّاءً، ينير السبيل للسالكين والمُسْتَهدين. أما غزير علمه ومكنون حفظه، فهو البحر العذْب النمير، والكوثر الصافي المورود، وهو الذي كانت تزدان به صدور مجالس أهل العلم والصلاح والقلوب، ولقد كان لي ـ والله ـ الرَّوحَ والبلسمَ والمنهلَ العذْب الذي لا يشبع منه الناهلون، ولا يظفر بمثله الطالبون. يوسُف هذا العصر! في علمه ودينه وجهاده وجهوده وكفاحه في وجه كلِّ عادٍ ومُغيرٍ على الإسلام والمسلمين»[1].

## المُحدِّث المفسِّر:

كان ـ رحمه الله ـ مُحدِّثاً، وكان في منهجه يهتم بالسند والرجال، والدقَّة في الرواية والبحث والتأمُّل، وكان صاحب باع طويل في شرح الحديث الشريف وتدريسه.

كما كان الشيخ البنُوري مُفسِّراً، وكانت له مواقف من السير سيد أحمد خان بسبب التفسير الذي ألفه، وكذلك مع مولانا أبو الكلام آزاد، وردَّ على كتابه ـ «ترجمان البيان» في كتابه ـ «يتيمة البيان في علم القرآن»، كما انتقد أبا الأعلى المودودي فيما كتبه في تفسيره «تفهيم القرآن».

## العالم الفقيه:

والبنُوري كذلك كان فقيهاً له اهتمام بالغ بعلم الفقه وأصوله، وقد وصفه من ترجم له بالفقيه، وكان حنفي المذهب، يفتي به، ويُرجِّحه على غيره دون تعصُّب.

(١) وقال شيخنا العلاَّمة عبدالفتاح أبو غدة في إهدائه لكتاب «مبادئ في علوم الحديث» ـ مقدمة فتح الملهم ـ لشبِّير أحمد العثماني: إلى روح شيخنا العلاَّمة المُحدِّث الضابط المُتقن النبيل، الفقيه المحقِّق الدرَّاكة البارع الأصيل، الداعي إلى الله بحالِهِ ومَقَالِهِ، وسلوكِهِ وأعماله، الشيخ محمد يوسف البنُوري، مؤسِّس (جامعة العلوم الإسلامية) في مدينة كراتشي، أعلى اللهُ مقامَه لديه، وأكرم جائزةَ وفادته عليه، آمين.



## الأديب الشاعر:

وكان البنُوري أديباً وشاعراً، وله آثار في الأدب العربي، وأذكر هنا نموذجاً من قصائده في مدح النبي ﷺ:

كأنَّ نجوماً أوْمَضَتْ في الغياهب    عيون الأفاعي أو رؤوس العقارب
إذا ما أتتني أزمة مُدلهمة    تحيطُ بنفسي من جميع الجوانب
تطلَّبت هل من ناصر أو مساعد    ألوذُ به من خوف سوء العواقب
فلستُ أرى إلا الحبيب محمداً    رسول إله الخلق جمّ المناصب

وغير ذلك من القصائد في مختلف أغراض الشعر العربي.

## مؤلفاته:

وللشيخ البنُوري مؤلفات عديدة في مختلف العلوم الدينية والأدبية.

ومن ذلك في علم الحديث الشريف الآتي:

ـ مقدمة «فيض الباري» وتحقيقه.

ـ تحقيق «نصب الراية» للزيلعي[1].

ـ مقدِّمة «أوجز المسالك في موطأ مالك».

ـ مقدِّمة «لامع الدراري على جامع البخاري».

ـ مقدِّمة «بذل المجهود في حل أبي داود».

ـ مقدِّمة «السنة ومكانتها في التشريع»[2].

ـ ترتيب وتبويب مع إخراج وتصحيح «العرف الشَّذي شرح الترمذي»[3].

(١) لم يحقق الأستاذ البنوري فيض الباري ولا نصب الراية، وإنَّما قدَّم لهما.

(٢) هذه المقدمة والثلاثة التي قبلها لا نعرف أن الشيخ قدَّم لها.

(٣) وهو مجموع أمالي شيخه محمد أنور شاه الكشميري في تدريسه لسنن الترمذي.

- التعليق على «سنن أبي داود»، لا زال مخطوطاً.

- تحقيق وتخريج لـ «معاني الآثار» للطحاوي(١).

- «لب اللباب في تخريج ما يقول الترمذي: وفي الباب»(٢) - وغير ذلك كثير وكثير أتركه خوف الإطالة.

**آثاره في الفقه:**

- «الفتاوى» على مدى سنوات طويلة.

- «بغية الأريب في أحكام القبلة والمحاريب».

- «مقدمة للسعاية في كشف ما في شرح الوقاية».

- «مقدمة في عِقْد الجِيد في أدلة الاجتهاد والتقليد».

- «الأسماع إلى خصائص حَجَّة الوداع».

**وله في العقائد:**

- موقف الأمة الإسلامية.

- مقدمة عقيدة الإسلام، وعدّة مقدِّمات أخرى.

## دوره في الدعوة الإسلامية:

وللشيخ البنُوري دورٌ هام في بناء المراكز الإسلامية والمساجد وإيفاد المبعوثين إلى جهات مختلفة لنشر الدعوة الإسلامية خاصَّة في «أفريقيا» و«أوروبا» و«أمريكا».

(١) لا يعرف أن الشيخ رحمه الله تعالى حقَّق وخرَّج «معاني الآثار».
(٢) ابتدأ العمل به، ولم يكمله.



ومن أبرز خدماته: مواجهته للقاديانية بالكلمة والتحرُّك المضاد والمباشر، ودوره الفعَّال في حركة - ختم النبوة - حتى انتخب بالإجماع رئيساً لمجلس خَتْم النبوَّة الأولى.

## تأسيس جامعة العلوم الإسلامية بكراتشي:

وقد أسَّس - عليه رحمة الله - «جامعة العلوم الإسلامية» - بمدينة «كراتشي» في الثالث من شهر المحرم سنة ١٣٧٤هـ = ١٩٥٣م، وتعد الآن من المفاخر الإسلامية في باكستان لما تتمتَّع به من سمعة علمية وثقة المجتمع الباكستاني فيها، وكانت قبل ذلك تسمى المدرسة العربية الإسلامية أسسها بعد تقسيم الهند وباكستان.

## وفاته ورثاؤه:

وكانت وفاته - رحمه الله - في الثالث عشر من شهر أكتوبر سنة ١٩٧٧م، وقد وافته المنية وهو يتهيأ للسفر إلى القاهرة لحضور مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية.

ومما قيل في رثائه:

رضينا بالقضاءِ من القدير          إلَـهِ الخَلْقِ علّامٍ خبيرِ
بموت الشيخ يوسُف بن بنور          نظيف البشرة الصَّافيّ الضمير
حَوَى علماً ورُشْداً ثمَّ تقوى          قنُوعاً في المعيشة باليسير
وما أحدٌ يُضَاهيه بوصف          ولا يَدْنُوه في علم غزير

رحمه الله رحمة واسعة وجزاه خير الجزاء(١).

□ □ □ □ □

(١) ألحقت ترجمة ضافية محرَّرة للبنوري، سدّاً لجوانب الضعف في هذه الترجمة، وتعريفاً بمكانة العلامة الشيخ يوسف البنوري رحمه الله تعالى.

# المحدِّث الأديب السيد
# محمد يوسف البنوري الحسيني[(١)]

اختيار وإعداد: مجْد مكّي

## سلالة دوحة مباركة:

هو محمد يوسف بن السيد محمد زكريا بن المير مزمل شاه بن المير أحمد شاه البنُوري الحسيني، يتصل نسبه بسيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما[(٢)].

## مولده:

ولد في ٦ ربيع الآخر ١٣٢٦هـ =١٩٠٨م يوم الخميس وقت السحر.

---

(١) هذه الترجمة مستلّة من كتاب «دراسة حديثية فقهية عن معارف السنن شرح سنن الترمذي»، بقلم الأخ الكريم الدكتور محمد يحيى بلال منيار، ص٦٩ ـ ٨٧. وقد جعل ترجمته في خمسة مطالب: الأول: في سيرته ومسيرته، والثاني: في التعريف بمدرسته (المدرسة العربية الإسلامية)، والثالث: في موقفه التاريخي الخالد في القضاء على القاديانية، والرابع: جمال البيان واللغة عند البنوري، والخامس: عَلَم من الأعلام. وقد اقتصرت على المطلب الأول.

(٢) مجلة «بينات» ص٩ و١٠٥ ونفحة العنبر ص٢٦٧. و(بَنُور) هي قرية من قرى بنجاب الهند بالقرب من مدينة (سَرْهِنْد). وتضبط (بَنُور) بالتخفيف كـ(صبُور) أو بالتشديد كـ(التنّور)، لكن السائر على الألسنة اليوم كما يقول البنُوري، هو التخفيف. نفحة العنبر ص٢٦٨ وبغية الأريب للبنُوري ص١٨ (يحيى).



## أسرته الراشدة:

كان أبوه الشيخ محمد زكريا البنُوري عالماً جيداً، طبيباً حاذقاً، صالحاً زاهداً، يجيد تعبير الرؤى، وكان أيضاً يكتب العربية الجيدة. وله مؤلفات مختصرة في موضوعات (الروح) و(المعجزات) و(الرؤى). توفي سنة ١٣٩٥هـ رحمه الله تعالى[(١)].

وكان جدّه المِير أحمد شاه رحمه الله تعالى رجلاً وجيهاً في غاية الصلاح والاستقامة. وممَّا يُؤْثَر عنه أنه أنشأ منطقة سكنية، لا يَسمح بالسكنى فيها إلا لمن كان محافظاً على الصلاة![(٢)].

## نشأته العلمية ومراحل دراسته المختلفة:

قرأ القرآن الكريم على والده وخاله، وتلقَّى التعليم الأوَّلي في مسقط رأسه بشاور، ثم في كابل عاصمة أفغانستان.

ثم ارتحل سنة **١٣٤٥هـ ـ ١٩٢٧م** إلى (المدرسة الإسلامية الديوبندية) التي تقع بمدينة (ديوبند) شمال دهلي بمئة ميل، فدَرَس فيها باقي العلوم من سنة **١٣٤٥** إلى سنة **١٣٤٧**.

ثم ارتحل منها سنة **١٣٤٧ ـ ١٩٢٩** إلى (مدرسة تعليم الدين) بقرية (دابهيل) في منطقة كُجرات فأكمل فيها دراسته التخصصية في الحديث الشريف وعلومه المعروفة في مدارس الهند بمرحلة (دورة الحديث الشريف)[(٣)]، ونجح فيها بتفوق ممتاز جداً.

---

(١) «بينات» ص٨٧ و٢٤، وإتمام الأعلام لنزار أباظة ورياض المالح ص٢٣٦ (يحيى).

(٢) «بينات» ص٢٤ (يحيى).

(٣) وهي دورة لدراسة الكتب الحديثية الستة، والموطأ، وشرح معاني الآثار، دراسة مكثفة في عام واحد، يتخرج الطالب على إثرها حائزاً على شهادة تقارب أو تعادل شهادة (البكالوريوس) أو (الليسانس) في أيامنا (يحيى).

**وكان أبرز شيوخ هذه المدرسة الذين تأثر بهم البنُوري وتخرج عليهم في الحديث الشريف وعلومه، اثنان:**

**أحدهما:** محقق العصر الشيخ شبير أحمد العثماني شارح صحيح مسلم بكتابه الفخم: «فتح الملهم شرح صحيح مسلم».

**والآخر:** إمام العصر المحدِّث الكبير العَلَم الشهير الشيخ محمد أنور شاه الكشميري. وهو يعدُّ عمدة البنُوري في التخريج والتكوين العلمي، فقد أخذت شخصيته بمجامع قلب البنُوري لأنه رأى فيه ما ملأ عينه من الفحولة العلمية والضلاعة والمتانة وامتلاك نواصي العلوم والفنون كافة، فألقى إليه بمقاليد نفسه، وأحبه بقلبه وقالبه، ولازمه ملازمة الظل للشاخص مدة سنة كاملة لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً ولا سفراً ولا حضراً، وشامّه مشامَّة تامَّة حتى كان يُعدُّ من أخصِّ تلامذته مع كونه أقلَّ واحدٍ وآخِرَ واحدٍ مصاحبةً له واستفادة منه.

## نشاطُه المتنوِّع بعد التخرج:

ثم من سنة ١٣٤٨ ـ ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٠ ـ ١٩٣٤م بقي في وطنه بشاور يؤدي النشاط التدريسي، إلى جانب بعض الاشتراكات الاجتماعية والسياسيَّة.

ثم اختارته مدرسة دابهيل سنة ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٤م مدرّساً بها، وأيضاً عضواً في إدارتها التأليفية التي تسمَّى بـ«المجلس العلمي»، وأُسند إليه حينئذ خدمة كتاب «العَرْف الشَّذي على جامع الترمذي» وهي مجموع أمالي شيخه الكشميري في تدريسه لسنن الترمذي، فكُلف البنُوري بتخريج نصوص هذا الكتاب وتوثيقها وضبطها وتحريرها، وكانت مهمة علمية صعبة جداً، لكن حسن كفاءة البنُوري في هذا العمل، أثمر له بعد ذلك إنتاج كتابه الفخم الحافل «معارف السنن».

ومن أهم أحداث هذه الفترة: ابتعاث «المجلس العلمي» له إلى بلاد مصر، لطبع كتابَيْ «نصب الراية» للزيلعي، و«فيض الباري على صحيح



البخاري». وكانت رحلة ممتعة طويلة استغرقت مدة سنة وزيادة[١].

وبعد عودته من هذه الرحلة، أُسند إليه منصب (مشيخة الحديث الشريف) بمدرسة دابهيل، وهو أعلى منصب بمدارس الهند، فبقي مُتصدِّراً بها إلى حين هجرته إلى باكستان عام ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م[٢].

## أبرز مشايخ العصر الذين أجازوه في الحديث الشريف:

التقى البنُوري في رحلاته بمشايخ كبار فاستجاز منهم في الحديث الشريف، ومن أعيانهم: الشيخ محمد زاهد الكوثري، والشيخ خليل الخالدي المقدسي، والمحدث الشيخ عمر بن حمدان المحرسي المالكي المغربي، والشيخ محمد بن حبيب الله ابن مايأبى الجكني الشنقيطي أستاذ كلية أصول الدين بمصر، وقد التقى بهؤلاء جميعاً في مصر سنة ١٣٥٧ في أثناء رحلته إليها. واستجاز من المحدّثة المعمّرة العالمة أمة الله بنت الشاه عبدالغني الدهلوي في المدينة المنورة.

## النشاط التدريسي والتلامذة:

قام البنُوري بالتدريس مدة أربعين سنة منذ تخرجه إلى أواخر حياته، درّس فيها مختلف الفنون، ولكن كان يرتاح وينشرح جداً لتدريس مادتي تفسير القرآن الكريم وعلومه، والحديث الشريف وعلومه. وكان ذا ذوق منفرد في معرفة لطائف التفسير واستنباط نكات القرآن الكريم. وأما الحديث، فقد شهد له العارفون من كبار معاصرين بأنه يُعدُّ من جهابذته المحقِّقين المبرزين في عصره.

---

(١) ذكر الدكتور يحيى تفاصيلها في المبحث الثاني من التعريف بالبنوري، بعنوان: صلة البنُوري بمصر ص٨٩ ـ ٩٨.

(٢) ينظر: العناقيد الغالية من الأسانيد العالية، لمجيزنا العلامة الفقيه المحدث محمد عاشق إلهي البرني ص٨١ (مجد).

وتخرج عليه في هذه المدة الطويلة جَمْعٌ كثير من الطلبة، وجميعهم من أهل الهند والباكستان. وإليك بعضاً منهم ممن اشتهرت أسماؤهم في الأوساط العلمية والعربية:

**الدكتور محمد حبيب الله مختار رحمه الله تعالى،** نال العالمية من جامعة البنُوري بكراتشي، وهو خَتَن الشيخ البنُوري. وقد استُشهِد قريباً وهو شاب، مغتالاً بالأيادي الأثيمة في باكستان، رحمه الله تعالى.

**الدكتور محمد أحمد قمر،** نال العالمية (الدكتوراه) من جامعة كراتشي بباكستان[1]. وهو شقيق الدكتور محمد حبيب الله مختار السابق.

**الدكتور عبدالقيوم عبد رب النبيّ،** نال العالمية (الدكتوراه) من جامعة الأزهر أيضاً، بأطروحته «تحقيق القسم الأخير من سنن الدارمي»[2].

**الدكتور عبدالرزاق سكندر،** نال العالمية (الدكتوراه) من جامعة الأزهر، بأطروحته «فقه عبدالله بن مسعود» بإشراف فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة. وهو مدير جامعة البنُوري حالياً.

## أبرز الشخصيات التي استجازت من البنُوري في الحديث وعلومه:

المُحدِّث الشيخ حسن المشَّاط المكي، والعالم الجليل الشيخ عبدالفتاح أبو غدة الحلبي، والشيخ عبدالعزيز عيون السود الحمصي، والشيخ إبراهيم خُتَني بالمدينة المنورة، والشيخ سليمان بن عبدالرحمٰن الصَّنيع، رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمكة المكرمة، والدكتور مصطفى السباعي الدمشقي.

---

(١) وهو مقيم بمكة المكرمة، وكان باحثاً برابطة العالم الإسلامي إلى عهد قريب. وهو ختن شيخنا العلامة المحدث محمد عبدالرشيد النعماني رحمه الله.

(٢) وهو مقيم أيضاً بمكة المكرمة، وكان باحثاً بمركز البحوث والدراسات لجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ثم انتقل قريباً إلى مكتبة الحرم المكي الشريف.



## تصانيفه:

«**بغية الأريب في أحكام القبلة والمحاريب**». طبع في مصر سنة **١٣٥٧** في **١٨٣** صفحة. ألّفه للردّ على ما أثاره الملحد عنايت الله خان المشرقي من بلبلة حول صحَّة اتجاه محاريب مساجد الهند، وقد وفّى البنُوري البحث فيه من جميع المناحي مع صعوبة الموضوع، مما جعل كبار علماء عصره يعترفون له بالإجادة فيه. وقد قرّظه له بمصر الشيخ الكوثري.

«**نفحة العنبر في حياة الشيخ الأنور**»، في سيرة شيخه محمد أنور شاه الكشميري. طبع بباكستان سنة **١٣٨٩هـ** في **٣٣٧** صفحة. ومع كونه ألفه في «شَرْخ شبابه وعنفوان فتوتهِ»، إلا أنه بَهَرَ كبار شيوخه وأدباء عصره من حيث المادة القيمة، ومن حيث الأسلوبُ الرفيع المعجب فيه. وما زال الكتاب بطراوته وطلاوته يَجْذبُ القرَّاء، فما يكاد يبدأ المرء قراءته إلا ويجد نفسه مأخوذاً بمتعة بيانه حتى يأتي على قراءته بكامله.

«**يتيمة البيان على مشكلات القرآن**»: هي في الأصل مقدمة لكتاب شيخه الكشميري: «مشكلات القرآن»، وقد حَوَت مادة حافلة في علوم القرآن الكريم وموضوعات التفسير مع إطلالة على مؤلفات علماء الهند في التفسير، جاءت في نحو **١٣٩** صفحة، وطبعت مع أصل الكتاب في دهلي سنة **١٩٣٦**.

«**الأستاذ المودودي ونتائج بحوثه وأفكاره**»: انتقد فيه بعض النظريات الخاطئة، التي توجد في فكر المودودي وكتاباته، ويجهلها عامة القراء.

«**معارف السنن**»: شرح لسنن الترمذي في ضوء إفادات الشيخ المحقق الكشميري، وهو تاج مؤلفاته[1].

«**لُب اللباب في تخريج ما يقول الترمذي (وفي الباب)**»: هذا كتاب

---

(١) وهو الذي اختاره للدراسة الأخ الكريم الشيخ محمد يحيى بلال في رسالة الدكتوراه في الأزهر، وطبع الكتاب في المكتبة المكية سنة ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٦م، وصدر في ٧٧٤ صفحة.

قيم جداً كان البنُوري ابتدأ العمل فيه لتخريج الأحاديث التي اشتهرت عند الترمذي بعنوان «وفي الباب عن فلان وفلان»، ولم يكتمل هذا الكتاب، ولو كمل لكان تحفة علمية حديثية نافعة جداً في خدمة سنن الترمذي[1].

**وللبنُوري مقدِّمات قيِّمة ماتعة لبعض الكتب، من أبرزها:**

- مقدِّمة نصب الراية، ط في **٢٠** صفحة.

- مقدِّمة فيض الباري، ط في **٢٠** صفحة.

- مقدِّمة مقالات الكوثري، ط في نحو **١٠** صفحات. وهذه المقدمات الثلاثة مشهورة متداولة، وتعتبر من أنفس كتاباته من حيث المادةُ العلمية ومن أنصعها ديباجة وأسلوباً.

- مقدِّمة كتابه «معارف السنن» سمَّاها: «عوارف المنن». وهي أحفل المقدمات، حيث تُقدّر بنحو **٥٠٠** صفحة، لكنها مجهولة حتى الآن[2].

## مناصبه وامتيازاته:

- أُسندت إليه صدارة المدرسين ومشيخة الحديث الشريف في مدرسة دابهيل سنة **١٣٥٧**هـ - **١٩٣٨**م، وبقي فيها إلى أن هاجر إلى باكستان.

- كان عضواً في «المجلس العلمي» بدابهيل، وهو إدارة للنشر.

- اختير رئيساً لرابطة اتحاد المدارس العربية الإسلامية في باكستان.

---

(١) ينظر تعريف مفصَّل عنه مع نماذج من تخريج البنُوري فيه، في فصل التخريج في بحث (تخريج أحاديث وفي الباب) من الكتاب المذكور سابقاً، ص**١٩٤ - ٢١٠**.

(٢) وقد أشار البنُوري إليها بإجمال، في بعض المواضع من معارف السنن وبيّن قيمتها في احتوائها ترجمة بديعة للإمام الترمذي، مع دراسة تفصيلية عن سنن الترمذي. وكانت مسودّتها موجودة عند ختنه الشيخ محمد حبيب الله مختار الذي استشهد مغتالاً قبل سنوات، رحمه الله تعالى، فلا ندري إلى من انتقلت بعده تلك المسودّة، وقد اسْتَفْسَرتُ عنها الشيخ تقي العثماني، فأشار إلى احتمال فقدانها، مما ثبّط همتي بالأمل في العثور عليها. والأمل كبير أن نجد يوماً ما السبيل إليها بإذن الله تعالى (يحيى).



- رُشح لصدارة منصب الإفتاء بمدرسة ديوبند، فلم يقبل.

- اختير أميراً لمجلس تحفظ ختم النبوة في باكستان سنة **١٩٧٤**م. وفي عهد رئاسته لهذا المجلس، وُفِّق لإصدار قرار البرلمان الباكستاني باعتبار القاديانية أقلية غير مسلمة في باكستان.

- كان أحد أعضاء مجموع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.

- اختير عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق.

## وفاته:

«لقد كان البنُوري من جنود الله حقاً الذين وقفوا حتى آخر لحظة من حياتهم يذودونَ عن حِمى الإسلام وأرضه ودينه، ويكافحون في كلِّ موقع نزل فيه كفر، أو عمّت فيه بدعة، أو ظهر فيه زنديق، لقد ظلَّ رحمه الله تعالى مجاهداً، حتى سقط وهو في ساحة الميدان، حينما توفاه الله وهو يسعى لتحكيم شريعة الله في باكستان»[1]، حيث أُصيب بنوبة قلبية في أثناء اشتراكه في مؤتمر تحكيم الشريعة في باكستان، توفي على إثرها في **٣** ذي القعدة **١٣٩٧**هـ.

وعزّته صدور الشخصيات الإسلامية، وعزّاه مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر أيضاً.

□ □ □ □ □

---

(١) مقتبس من خطاب الشيخ أحمد عبدالعزيز آل مبارك، رئيس القضاة بالإمارات العربية المتحدة، مجلة بينات ص**٧٩٠ - ٧٩١** (يحيى).

## الأستاذ محمد غسان المراد[1]

**(١٣٦٥ - ١٣٩٧هـ)**

**(١٩٤٦ - ١٩٧٧م)**

للأستاذ: عبدالقادر حداد[2]

**أيها الغائب الحبيب:**

سلامُ الله عليك حيث كنت، فهذه ساعة ذكر وذكرى تحملنا إليك، إلى رُوحك الطيِّبة اللطيفة بعد مرّ الأيام السريع جاءنا النعي يوم السادس

(١) حضارة الإسلام، العدد الخامس، السنة الثامنة عشرة: (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م).

(٢) من كبار شعراء الدعوة الإسلامية، ولد في مدينة حماة عام ١٩٤٥، وتلقى تعليمه في مدارسها، وحصل على شهادة دار المعلمين، ثم التحق بكلية الآداب في جامعة دمشق، ونال إجازة اللغة العربية وآدابها عام ١٩٦٩، وحصل على دبلوم الدراسات الإسلامية من القاهرة عام ١٩٨٤. عمل معلماً لمادة اللغة العربية في عدد من مدارس حماة، ثم أعيد للتدريس في السعودية، ثم انتقل للعمل في الكويت لدى وزارة الأوقاف، ودرّس في مدارس دور القرآن الكريم، حتى وافته المنية في مدينة عمان بالأردن في ٢٠ محرم ١٤٠٩هـ، الموافق ١٩٨٨/٨/٢٥، وله عدد من الآثار الأدبية المطبوعة، منها: من وحي المولد، وبستان الأناشيد للبراعم، وملاحم للبطولة الخالدة، وملحمة بدر.



والعشرين من آذار لهذا العام، فدافعناه بالأمل البعيد، ولكن القضاء كان أمضى.

وعلى مثل الجَمْر بات قلب أخيك تلك الليلة، وإنّ الأذن لتدفع النبأ مستريبة: أصحيح هذا؟ والقلب ليهتف بالعقل: هذا غير معقول.

الشباب الناضر، والروح العَذْبة، والآمال العريضة، كلها تنقضي هكذا؟ وبلا سابق إنذار؟! ولكن ما إن انجلى الشك حتى كان اليقين أبلغ من أن يكذب، فغالبت فيك الأسى وهو أغلب!

### ولادته ونشأته العلمية:

يرجع فقيدنا الغالي بتاريخ ميلاده إلى عام ستة وأربعين ميلادية في حماة، والده الفقيه الحنفي المرحوم الشيخ ظافر المراد[1] من الأسرة المعروفة بالحفاظ على تراث الشريعة بحماة. وقد درس عليه الفقه الحنفي، كما سمع من أستاذنا الشيخ محمد الحامد رحمه الله بعض الدروس المعروفة عنه.

ولكنه جمع إلى ذلك كله، الدراسة في كلية الشريعة بجامعة دمشق وقد تخرج فيها عام واحد وسبعين للميلاد، وقد حضر لدراسة الدبلوم في التربية، ولكنه لم يتمّها لأنه سافر إلى السعودية مدرّساً [في مدينة أبها] منذ أول عام ستة وسبعين، وهكذا بقي هناك ما يقرب السنة والنصف حتى وافاه الأجل في [مدينة الرياض في] السادس والعشرين من آذار. وقد دُفن هناك رحمه الله تعالى.

### مزايا الفقيد رحمه الله تعالى:

يمتاز الفقيد بروحه الطيبة وتفاؤله العريض وأخوته السامية، هذه الأخلاق الرضية التي تصل به إلى النموذج المثالي للشاب المسلم الواعي في هذه الأيام!.

(١) الشيخ محمد ظافر بن الشيخ محمد علي المراد الأول المولود سنة ١٣٠٩ والمتوفى سنة ١٣٨٩ رحمه الله تعالى.

قيمة الفقيد في المثال الكامل ـ أو السّاعي نحو الكمال، المتفائل ـ والمؤمن دائماً كذلك ـ بنصر الله، وبصلاح هذه الشريعة لكلِّ زمان ومكان!.

قيمته في النموذج الصالح لطلاب كلية الشريعة في جامعة دمشق، الدأب والجد والمثابرة مع الدماثة والرقة واللين لإخوانه، التي هي من صفات المؤمنين أسوة برسولهم عليه الصلاة والسلام: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

**أخي، أيها الراحل الحبيب**: أنت في قلبنا جزء من روحنا، مرضت لفقده، لا أقول مرضت بل حزنت... الحزن الذي لا تدفعه طبيعة البشر ولا تقدر عليه، هو في قول معلمنا ﷺ في إبراهيم: «... **وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون**»(١).

وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا...

## أبيات الشاعر عبدالقادر حداد في رثائه:

**ويا أخي**: لك عليَّ حقٌّ كبير، فهل تفي ببعضه هذه الأبيات المتواضعة في رثائك؟ وإني لأعجب من نفسي الساعة: كيف يقول المرء أبياتاً في رثاء نفسه؟؟ لقد كنت مرآة أخيك، وها أنا أرفع أبياتي لتراها في مرآتك، واقبل عذري إن قصرت فهذا الموقف ثقيل عليّ يا أخي أبا نافع!..

| | |
|---|---|
| لَيْسَ لأمرِ اللَّهِ من دافعِ | فَلْيَرْحَمِ اللَّهُ أبا نافعِ!! |
| مَضَتْ بغسَّان إلى ربِّه | كفُّ الرَّدى في مدِّها النازعِ |
| إذا أطلَّ الأجلُ المُنْتَهي | أرداك أدنى مَلْمَسٍ صارعِ |
| لن يمنع الإنسان من يومه | ولو ثوى في حصنه المانعِ! |

(١) أخرجه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥) من حديث أنس بن مالك.



| | |
|---|---|
| ويقرع المقدور أبوابنا | ونغفل ـ العمر ـ عن القارع |
| حتى إذا حانت لنا صحوة | تفلت العمر من الهاجع!!؟ |
| هل تنفع الأحزان في ذاهب | إذا تولته يد «النافع»؟ |
| يا حُسْنَهُ في المجمع المرتضى | أنس المنى، ريحانة الجامع |
| يا طِيبَهُ في المجلس المُشْتَهى | يا لطفه في ذوقه الرائع |
| مصابنا فيك عظيم الشجى! | لكننا نؤمن بالصانع |
| أبكيك؟! جفّ الدمع في ناظري | لو أسعفتني فورة النابع!! |
| يبكيك قلبي، يا منى قلبه | ألم تكن في روضة الراتع؟ |
| يبكيك في المسجد محرابه | ومجلس الذكر والخاشع |
| قد كنت فينا زهرة المنتدى | وبهجة الناظر والسامع |
| هجرت دنياك خفيف الهوى | من ربقة الغافل والطامع!! |
| وعفتنا في همِّها، يا أخي | تضربنا في لجها الدافع |
| سبقتنا في الدرب ما ضَرَّنا | والملتقى في رحمة «الواسع» |
| أكرم بمثواك لدى تربة | طابت بمثوى المصطفى الشافع |

□□□□□

## الشيخ محمد سيادي المراد رحمه الله تعالى[١]

**(١٣٢٨ - ١٣٩٧هـ)**

**(١٩٠٨ - ١٩٧٧م)**

**بقلم الشيخ: محمد بشير المراد ــ مفتي حماة[٢]**

بسم الله الرحمٰن الرحيم الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي اختاره مولاه إلى الرفيق الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته وسار على نهجه إلى يوم الدين. **وبعد:**

### المصيبة بفقد العلماء:

فإنَّ فقد الأحباب فاجعةٌ أليمة، وكوْن الفقيد من العلماء أشدّ ألماً وأبلغ أثراً، إنَّ فقد العلماء كارثة مريرة، وكون الفقيد من الأتقياء أشدّ مرارة وأفدح خسارة، وفقد العلماء ثلمة لا تعوض، ولفقد قبيلة أهون على الله من فقد عالم، والله تعالى لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العباد، ولكن ينتزعه بقبض العلماء.

(١) حضارة الإسلام، العدد الثاني، السنة التاسعة عشرة: (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).

(٢) المولود سنة ١٣٤٠، والمقتول شهيداً بحماة سنة ١٤٠٢ رحمه الله تعالى وهو شقيق المترجم.



والمؤمن لا يستغرب وقوع الموت لأنه المصير المحتوم لكل مخلوق وقد أذعن له البشر كافةً مؤمنهم وكافرهم إلا أنَّ المؤمن يأخذ منه العبرة والعظة ويرضى بقضاء الله وقدره.

وقد كان حزننا على الراحل كبيراً، وفاءً بحقِّ الأخوة والعلم والتقوى، وافتقاداً للخلال الحميدة والخصال الرفيعة، وانسجاماً مع فطرة النفس البشرية التي تحزن وتسرّ، وترضى وتسخط، وترغب وترهب، ولكنها تضع كل أمر في موضعه، ولا تقول إلا ما يرضي ربها.

### القاضي الفقيه:

نعم لقد كان أخي الشيخ محمد سيادي من العلماء العاملين، والقضاة الشرعيين العادلين الذين يتوخون الحق أينما كان، ويتَّبعونه أينما دار وسار، فقد كان رحمه الله عَلَماً من أعلام الفقه في العصر الحاضر، ومع أن القضاء شغله طوال حياته إلا أنه كان لا يترك المطالعة والدرس وخصوصاً الفقه الحنفي.

ولما انتقل في آخر مدة وظيفته إلى مديرية التعليم الشرعي بوزارة الأوقاف كان المسؤولون في إدارة الإفتاء العام يكلّفونه باستخراج النصوص الشرعية والتحقيق فيها، ويعتمدون عليه ولا يطمئنون إلى الفتوى التي تصدر إلا إذا كان موافقاً عليها، وهذا قبل أن يُكلِّفوا مفتي القنيطرة بإفتاء دمشق.

### ولادته ونشأته:

ولا بأس بهذه المناسبة أن أذكر طرفاً عن حياة الراحل وفاءً بحق الأخوة فأقول: إنَّ أخي الشيخ محمد سيادي هو ابن الشيخ أحمد بن الشيخ سليم المراد، ولد في حماة عام **١٣٢٨هـ**، الموافق لعام **١٩١٠م**، ونشأ في بيئة علمية متدينة، فوالده الشيخ أحمد[١] كان من مشاهير علماء حماة علماً

(١) أحمد بن محمد سليم المراد المولود في حماة سنة ١٢٩٨، والمتوفى سنة ١٣٧٩ رحمه الله تعالى.

وفقهاً وورعاً وتقوى وزهداً في الدنيا حتى اجتمعت حوله القلوب، وكان إلى جانب ذلك من أهل الصلاح المرشدين، وكان قد أخذ العلم والسلوك عن أخيه وشيخه الشيخ محمد علي المراد(١) الذي كان عالم زمانه مربي السالكين وقدوة العلماء والمتبحِّر في كلِّ علم وفن، وهذا بدوره كان أخذ العلم وطريق المعرفة والسلوك عن شيخه ووالده الشيخ سليم المراد(٢) الذي بلغ في العلم درجة رفيعة، والحمد لله.

## طلبه العلم:

أعود فأقول: إنَّ أخي الشيخ محمد سيادي ابتدأ طلب العلم على والده، وعلى أخيه الشيخ عبدالعزيز(٣) حينما كان صغيراً، ثم دخل مدرسة (دار العلوم الشرعية) في حماة، وتلقى العلم عن أساتذتها، وكانوا أكابر علماء حماة في ذلك الوقت، وعلى رأسها الشيخ **توفيق الصباغ الشيرازي** مدير المدرسة، رحمه الله.

## في المدرسة الخسروية بحلب:

وبعد أن نال شهادتها ذهب إلى المدرسة الخسروية في حلب، وتلقى العلوم الشرعية المختلفة على شيوخها الأكارم الأكابر، أمثال الشيخ أحمد الكردي مفتي الحنفية، والشيخ أحمد الزرقا، والشيخ عيسى البيانوني، والشيخ أسعد العبجي مفتي الشافعية، والشيخ إبراهيم السلقيني، والشيخ محمد الناشد، والشيخ راغب الطباخ، والشيخ أحمد الشماع، والشيخ فيض الله الأيوبي الكردي، والشيخ عبدالله حماد.

---

(١) الشيخ محمد علي بن محمد سليم المراد الأول المتوفى في حماة سنة ١٣٤٣ رحمه الله تعالى.

(٢) المتوفى بحماة يوم الإثنين ١٢ سنة ١٣٠٨ رحمه الله تعالى.

(٣) الشيخ عبدالعزيز بن أحمد سليم المراد المولود سنة ١٣٢١ بحماة، والمتوفى سنة ١٣٨٥ بحماة، الموافق ١٩٦٥ رحمه الله تعالى.



## دراسته في كلية الشريعة بالأزهر:

وبعد أن نال شهادتهما تيسَّر له أمر الذهاب إلى مصر إلى الأزهر الشريف، ودخل كلية الشريعة، ثم تخصَّص بالقضاء الشرعي على أيدي شيوخها الأفاضل، أمثال الشيخ مأمون الشناوي، والشيخ يوسف السنهوري، والشيخ عيسى منون، والشيخ إبراهيم خمروش، والشيخ محمد الجمل، والشيخ محسن أبو دقيقة، والشيخ محمد السايس، وكان على رأسهم في حينها الشيخ مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر.

وكان يتردَّد على كثير من العلماء أمثال الشيخ يوسف الدجوي، والشيخ مصطفى أبو سيف الحمامي، والشيخ محمد زاهد الكوثري، والشيخ حبيب الله الشنقيطي، وغيرهم من العلماء الأجلاء، وقد كان لي شرف المثول بين أيدي هؤلاء العلماء معه ـ رحمه الله ـ في آخر مدَّته في مصر.

## تعيينه قاضياً في الحسكة وتنقله في المحافظات السورية:

ولما انتهى من مصر، وعاد إلى بلده حماة لم يمكث إلا برهة يسيرة عُيّن بعدها في القضاء الشرعي، وأول بلدة عُيّن بها هي الحسكة، وكان ذلك عام ١٩٤٣م، وبعدها بسنة تقريباً تزوَّج بابنة نقيب أشراف اللاذقية الشيخ محاسن الأزهري رحمه الله تعالى.

ثم إنَّ أخي ـ الراحل ـ ما زال ينتقل بوظيفته إلى المدن والبلاد حتى طاف أكثر محافظات سورية.

## تعيينه مديراً للتعليم الشرعي في سورية:

وانتهى به المطاف في آخر الأمر إلى أن انتقل من وزارة العدل إلى وزارة الأوقاف، وعُيّن مديراً للتعليم الشرعي في سورية.

## انتقاله إلى دمشق ووفاته في بلده حماة:

وعلى أثر ذلك انتقل بأسرته إلى دمشق، واستوطن بها إلى أن

توفاه الله تعالى عصر يوم الاثنين ثاني أيام عيد الأضحى أي في الحادي عشر من ذي الحجة **١٣٩٧**هـ، الموافق ليوم **٢١** تشرين الثاني **١٩٧٧**م، في بلده حماة، حيث كان في زيارة أهله وإخوانه لأنه اعتاد أن يزورهم في الأعياد والمناسبات.

وفي أول يوم من أيام عيد الأضحى بعد أن صلَّى العيد إماماً وخطب خطبة العيد في «الجامع الجديد» ذهب وأنا بمعيَّته لزيارة ومعايدة الأقارب والأحباب، وكانت كأنها زيارة مودِّع.

وفي اليوم الثاني أي: في يوم الوفاة ذهب إلى حمص، وزار وودّع أصحابه وأحبابه، وعاد إلى حماة، وعند أذان العصر، وبعد دخوله إلى البيت بدقائق فاضت روحه إلى بارئها فجأة بدون سابق إنذار من مرض أو غيره، وهكذا انتهت حياة هذا العالم الجليل في أهون سبب وبدون سبب، مُخلِّفاً وراءه اللوعة والأسى والحزن.

رحم الله الفقيد رحمةً واسعةً، وأسكنه فسيحَ جنَّانه، وجعله من المقرَّبين ورثة جنة النعيم.

أنجب المرحوم ستَّةً من الأولاد: اثنين من الذكور، وأربعاً من الإناث.

## علمه وأخلاقه:

كان رحمه الله ـ كما أسلفت ـ عالماً جليلاً، وفقيهاً حنفياً كبيراً بالفروع والأصول، واسعَ الاطلاع في الحديث والتوحيد والتفسير، وخصوصاً آيات الأحكام إلى غير ذلك من العلوم الشرعية المختلفة.

وكان رحمه الله خطيباً بارعاً ومرشداً، وموجِّهاً وداعياً إلى الله بحاله ومقاله.

وكان من الذاكرين الله كثيراً، ومن المستغفرين بالأسحار، الحريصين على آداب السلوك والحفاظ على السنة.



وكان ـ رحمه الله ـ يمتاز بروح طيبة، ونفس متواضعة، وأخلاق عالية رضيَّة، وأدب جمّ، وكرم وسَخَاء مع دماثة ولين جانب.

وكان صُلْباً في الحق، يقرع الحجة بالحجة، يُحبُّ لله ويكره لله، سليم الظاهر، طاهر السريرة، يحبُّ أهل الخير والسماحة والصفاء، ويكره أهل المكر والحقد والخبث والالتواء، لسان حاله أبلغ من لسان مقاله، كان صادقاً في حديثه، بارّاً رحيماً بإخوانه وأولاده وأهل بيته، بعيداً عن التكبُّر والتجبُّر، عبداً لله حقاً من عباد الرحمٰن الذين يمشون على الأرض هَوْناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً.

رحمك الله يا شيخ سيادي رحمةً واسعة، وجمعنا بك وبمن سبقك من الصَّالحين في مستقرِّ رحمته.. والحمد لله رب العالمين.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑

# العلامة المجاهد الشيخ حسن حبنّكة رحمه الله
## هكذا عرفت أبي[(١)]

**(١٣٢٦ ـ ١٣٩٨هـ)**

**(١٩٠٨ ـ ١٩٧٨م)**

للأستاذ عبدالرحمن حسن حبنكة المَيْداني[(٢)]

### العلامة المربّي المجاهد الربَّاني:

في ليلة الاثنين الرابع عشر من شهر ذي القعدة عام **١٣٩٨** للهجرة الموافق لـ **١٩٧٨/١٠/١٥**م، مات أبي العلامة المربِّي المجاهد الربَّاني المجاهر بالحق، والداعي إلى الحق على بصيرة الشيخ حسن حبنكة الشهير بالميداني بعد عمر زاد على السبعين عاماً بعامين أو أكثر قضاها في العلم

---

(١) حضارة الإسلام، العددان الثامن والتاسع، السنة التاسعة عشرة: (**١٣٩٨**هـ ـ **١٩٧٨**م).

(٢) لأستاذنا العلامة المفسِّر الشيخ عبدالرحمٰن حبنكة الميداني، النجل الأكبر لفضيلة الشيخ حسن رحمهما الله تعالى كتاب حافل في ترجمة أبيه سمَّاه: «الوالد الداعية المربِّي الشيخ حسن حبنكة الميداني: قصة عالم مجاهد حكيم شجاع» صدر سنة **١٤٢٣**هـ ـ **٢٠٠٢**م عن دار القلم بدمشق في **٤٠٦** صفحة.
وشيخنا عبدالرحمٰن ورث الكثير من علم أبيه، وانطبع بجميل أخلاقه وسمّو نفسه، وهو إلى جانب علمه أديب شاعر، مرهف الحس، وسترد ترجمته في هذا الكتاب.



والتعليم والجهاد والإصلاح ومختلف أعمال الخير، ومقاومة الطغيان والفساد والإفساد والإلحاد والردة، ومناصحة الحكام والمحكومين في كلِّ مناسبة، غفر الله له ورفعه إلى مَقْعَد صدق عنده مع النَّبِيِّين والصِّدِّيقين والشهداء والصَّالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً.

### الفجيعة بموته:

مات أبي ففُجعت بموته ملايين قلوب مؤمنة، ونعته المآذن والمنابر والإذاعات والصحف ووكالات الأنباء، وخلَّف بموته فراغاً ضخماً جداً شعرت به جماهير الأمة في بلاد الشام (سورية والأردن ولبنان)، وجماهير أخرى في العالم الإسلامي الكبير، وأقامت معظم مساجد العالم الإسلامي صلاة الغائب على روحه، وبكته عشرات الألوف من المؤمنين المحبين له والمعظِّمين لحَمَلة العلم الربَّاني والمجاهدين في سبيل الله.

### تشييع جنازته ودفنه في حُجْرة ملحقة بجامع الحسن:

وبالاندفاع الذاتي اكتظَّ بمشيِّعي جنازته مسجد بني أمية الكبير وشوارع دمشق على امتداد خط سَيْر مَوْكب الجنازة حتى مثوى جسده الذي قضى الله دون سابق تفكير من أهله وذويه، ودون سابق تدبير أن يكون في حُجرة من ملحقات جامع سيدنا الحسن في حيِّ الميدان، وهذه الحجرة لم تكن مُخَصَّصة في المخطَّطات مسجداً، وقد تمَّ الدفن فيها بضغط من جماهير مُحبِّيه ومُقَدِّري جهاده.

### انتصار الشيخ لقضية الإيمان وعصمته من مكايد أعدائه:

وجامع سيدنا الحسن هذا آخر جامع كان الشيخ الوالد يُشرف على إنشائه إلى جوار المعهد الديني الكبير الذي سبق أن أنشأه قبل خمس عشرة سنة من وفاته، وامتدَّت إليه يد المصادرة والاستيلاء أثر انتصار الشيخ الوالد ـ عليه الرحمة من الله ـ لقضيَّة الإيمان بالله تعالى، وإعلانه رفض الأمة الإسلامية في بلاد الشام والعالم الإسلامي أجمع مخطَّطات الإلحاد بالله

والردة عن دينه، وإعلانه غضبه وغضب الجماهير المسلمة لله، وقد قدَّم يومها روحه وكل ما يملك طائعاً مختاراً؛ لئلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، إلا أن الله تعالى قضى يومئذ أن يُسلِّمه ويعصمه من الناس، فأجرى أحداثاً ألجأت الذين يُدبِّرون لقتله أن يُفرِجُوا عنه ويعتذروا منه.

## خروجه من السجن ومتابعته جهاده ودعوته:

وخرج من السجن، وعاد إلى عرينه أسداً هَصُوراً يكافح ويناضل على بصيرة من الله، حتى وافته منيَّتُهُ وهو على فراشه بعد إحدى عشرة سنة من المكيدة المدبَّرة التي كان قد أراد بها أعداء الإسلام قتله ليتخلَّصوا من صوته الناطق بالحق، والمُجَاهر بالحق، والمدافع عن دين الله.

## ولادته وأسرته:

وُلد أبي في دمشق في أواسط العقد الثالث من القرن الرابع عشر الهجري الموافق لأواخر العقد الأول من القرن العشرين الميلادي، في أسرة من أسر حي الميدان بدمشق، وقد ذكر لنا بعض أهل المعرفة من كبار السن أنها أسرة قادمة إلى دمشق من عرب بادية (حماة)، ومن العرب المعروفين بني خالد، وقد شاهدنا الصفات والخصائص المؤكِّدة لهذا الأصل العربي البدوي ظاهرة في جيل جدِّنا من هذه الأسرة.

## نشأته وعصاميَّتُه:

نشأ أبي عصامياً في بيئة يقلُّ فيها العلم إلى حدِّ النُّدرة، إذْ كان علماء العلوم الإسلامية قلة في بيئته، وإن كان بعض الموجودين منهم على علم جمّ. وكان دارسو العلوم الأخرى شبه مُنعدمين باستثناء طلائع المُتنوِّرين الذين أخذوا يدرسون على طريقة الثقافة الأوروبية، وشقُّوا طريق النهضة العلمية الحديثة.

## تعلُّق قلبه بالعلم:

وفي هذه البيئة نشأ أبي ـ عليه رحمة الله ـ وليس من حوله مُؤسَّسات



تحتضنه وتعطي تطلُّعاته إلى العلم والعمل ما تصبُو إليه، إلا أن يد العناية الربانية علقت قلبه بمَجْد العلم وبحُب المعرفة إلى حدِّ الشغف، وعلقت فكره ونفسه بالتعلم والتعليم والتربية والتقويم إلى حدِّ ملء نهاره وليله دائباً عاملاً مجاهداً، مع ما يرافق ذلك من أمر عام بالمعروف ونهي عام عن المنكر، ومشاركة في مختلف أنواع الخيرات والمبرات، وفي دأب منقطع النظير.

## تلقيه العلم:

أخذ يتلقَّى العلم من علماء زمانه، ويأخذ عن كلِّ واحد منهم العلم الذي هو مختصٌّ به، وكان يعقد في الوقت نفسه حلقات تعليم يجمع فيها طلاب العلم، وحلقات توجيه وموعظة يجمعُ فيها طلاب العلم والعامة، مع الخطابات المنبريَّة التي كان يخطبها مُلهباً بها العواطف الإيمانية، ودافعاً بها إلى الاستقامة وطاعة الله، والسَّيْر على صراط الله المستقيم.

## منهجه في دروسه وخطاباته:

وكان من منهجه في دروسه وخطاباته أن يتعرَّض للمشكلات المعاصرة الاجتماعية والدينية والسياسيَّة، فيأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، وينصح للجميع دون استثناء، لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يُحابي ولا يُدَاجي في الحقِّ أحداً.

## مشاركته في الثورة السورية:

وانطلقت الثورة السورية على الاستعمار الفرنسي، فخرج مع الثوار محارباً دولة الاستعمار، وعندما ضعُفت الثورة واشتدت شوكة المستعمر لجأ مع مَنْ لجأ إلى الأردن، دون أن ينقطع عن العلم والتعليم.

## استئناف الجهاد العلمي:

ثم لما هدأت الأوضاع، عاد إلى دمشق ليستأنف فيها جهاده العلمي مُعلِّماً ومُتعلماً، يعقد الحلقات لطلابه، ويلتقي بشيوخه جلة علماء الشام

فيأخذ عنهم ويكون بهم براً، وكان من دَيْدنه أن يأخذ حلقات طلابه إلى شيوخه يعلمهم بطريقة عملية أن يحترموا ويبرُّوا آباءهم وأجدادهم في نَسَب العلم.

## النهضة التعليمية في دمشق:

وقامت النهضة التعليمية في دمشق بتوجيه من مُحَدِّث الشام الشيخ **محمد بدر الدين الحسني** وهمَّة تلميذين من تلاميذه هما: العالم الناصح الصَّالح الورع **علي الدقر** ـ عليه رحمة الله ـ والعالم الصَّالح الجريء بالحق الشيخ **هاشم الخطيب** ـ عليه رحمة الله ـ.

## مع الجمعية الغرَّاء:

وأسَّس الشيخ علي الدقر وإخوان له من طلابه وتلاميذه ومحبيه «الجمعية الغرّاء» للقيام برسالة التعليم، وتخريج الفقهاء والوعاظ والدعاة، فكان أبي ـ عليه رحمة الله ـ أحد الأركان الكبرى لقطاع التعليم في هذه المؤسَّسة، وتخرَّج على يديه فيها جيلٌ من طلاب العلوم الإسلامية، كان لهذه المؤسَّسة المباركة نفع امتدَّ في بلاد الشام وغيرها، وثمرات طيبات شهد بها المخلصون.

## انقطاعهُ لحلقاته الخاصَّة في جامع منجك:

وكان لأبي مع ذلك حلقاته الخاصَّة التي ما انقطعت في بيته وفي جامع الحي الذي يقع فيه وهو (جامع منجك).

ثم ألجأت الضرورة الاجتماعية أبي أن ينقطع لحلقاته الخاصَّة به، ومشايخُه راضون عنه، يدعونَ له بالتوفيق والسَّداد، ويُعلِّقون عليه آمالاً جساماً.

## تأسيسه جمعية التوجيه الإسلامي:

ولما عظُمَ عمله واتَّسع، أسَّس جميعة له باسم «**جمعية التوجيه**



**الإسلامي**» أخذت على عاتقها نشر العلوم الإسلامية، وتخريج الدعاة من حَمَلة الشهادات الشرعية، مع ما تقوم به من أعمال خيرية أخرى.

وكان لهذه الجمعية برئاسة والدي المغفور له نشاط كبير في المهمَّات التي جعلتها من أهدافها الأساسية، فأسّست معهداً شرعياً في (جامع منجك) باسم «**معهد التوجيه الإسلامي**» بَنَتْ له في الجامع بناءً مناسباً. ثم قامت ببناء مدرسة كبيرة له فتحوَّل طلاب معهد التوجيه الإسلامي إليها، وبقي المكان الأول داراً للقرآن.

## طلاب معهد التوجيه الإسلامي:

وقد كان طلاب المعهد قد بلغوا خمسمئة طالب ويزيدون، وهم طلاب داخليون يتعلَّمون وتُقدَّم لهم مطالب حياتهم المعاشية، وتخرَّج في هذه المؤسَّسة التعليمية التي أسَّسها المغفور له أبي متخرِّجون كثيرون انتشروا في كثير من أقطار العالم الإسلامي، وكان لهم نفع عظيم، وما يزال علماء كثيرون من حَمَلة أعلى الشهادات يفتخرون بأنهم قد تخرجوا في مؤسسة الشيخ الوالد ـ عليه رحمة الله ـ وبأنهم كانوا من تلاميذه وطلاب حلقاته.

## مصادرة الجمعية والمعهد:

واستمرَّ الحال كذلك حتى وقعت واقعة مصادرة الجمعية وأملاكها، والمعهد وطلابه، وحَجْز أموال الشيخ الخاصَّة لما سبق أن أشرت إليه. لكن أبي ـ رحمة الله عليه ـ لم ينقطع عن عمله الدائب بعد ذلك فظل ملازماً عمله الذي عاش عليه طوال حياته.

## مشاركته في تأسيس رابطة العلماء في سورية:

وفي خِضَمِّ أعماله الاجتماعيّة الواسعة والمحدودة، شارك في تأسيس رابطة العلماء في سورية، وكان الأمين العام لها، والرجل العامل فيها مع إخوانه الشيخ أبي الخير الميداني، والشيخ محمد مكي الكتَّاني، والشيخ

أحمد الدقر وغيرهم، وكان لهذه الرابطة نشاطٌ توجيهيّ عام شهدته سورية من أقصاها إلى أقصاها.

وأسَّس عدَّة جمعيات خيرية منها: جمعية أسرة العمل الخيري.

وانتُخب عُضْواً للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وساهم في أعمال هذه الرابطة.

## مناصحته للحكام ومكافحته لأعداء الإسلام:

وفي خِضَمِّ مناصحته للحكام، ومكافحته لأعداء الإسلام، وجرأته في الحق ونضاله الحكيم، أذكر النبذ التالية:

١ ـ حرّك الجماهير المسلمة لإلغاء **قانون الطوائف** الذي وضعته الدولة الاستعمارية الفرنسية ليطبَّق على المسلمين في سورية ولبنان، ويتضمَّن هذا القانون أحكاماً تُخالف أحكام الشريعة الإسلامية فيما يُسمَّى بالأحوال الشخصية، وكان من توفيق الله له أن تراجعت الدولة عن قرارها فأوقفته، وتحرَّرت البلاد بعد ذلك من الاستعمار الفرنسي المباشر.

٢ ـ ساهم وحرّض على تحرير البلاد من المحتلين المستعمرين، وناصر الوطنيين المخلصين.

٣ ـ جاهد الإلحاد والمُلحدين والردة والمرتدين، وكان له في هذا مواقف دلَّت على بطولته النادرة، وشجاعته العجيبة الدالة على صدق يقينه بالله وثقته به، فما لانت قناته، ولا اضْطرب فؤاده ولا ضعفت حُجَّته، والحديد والنار من حوله، وهو في أسر خصومه، وقلوب الناس واجفة من وراء الأسوار خوفاً عليه من القتل.

وأنجى الله أبي من أعدائه ومن خصومه، بعد كلِّ الشدائد التي تعرَّض لها. حتى وافته منيته كما قضى الله وهو على فراشه، وكنت بعيداً عنه في مكة، مترقِّباً وصوله يوم الاثنين **١٤** من ذي القعدة **١٣٩٨**هـ، ليشارك في أعمال المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، إذا بالهاتف يدق عليّ صباحاً من دمشق، ويُبلِّغني ابني محمد حسن أن جدَّه قد توفي، وأن عليّ



الحضور فوْراً، فيسَّر الله لي الأمر، ولكن الطائرة تأخَّرت عن موعدها فلم أصل إلا بعد الدفن وعودة المُشيِّعين.

## رثاء الشيخ عبدالرحمٰن حبنكة لأبيه:

وبينما كنت أنتظر الطائرة ودموعي تنهمر كتبت الرثاء التالي:

وَاحَزَناً مَاتَ أبي ... وغابَ ذُو القَلبِ الأبي
شَمْساً سَمَتْ في أُفْقِهَا ... لِلعَالَمِ مُحَبَّب
لِمَقْعَدِ قُدْسٍ لدىٰ ... ربٍّ مَليكٍ طيِّب
شَمْساً طَوَتْ سَمَاءَهَا ... بِقُضُبٍ وكُتُب
بِالعلمِ والجهادِ رُكْنَـ ... ـيْ كُلِّ حَقٍّ أغْلَبِ
غَابَتْ كَمَا غَابَتْ شُمُو ... سٌ قَبْلَهَا في الحِقَبِ
وخَلَّفَتْ في أرضِنَا ... لَيْلاً شديدَ الغَيْهَبِ
كَمْ أشْرَقَتْ كم جَاهَدَت ... كم طَارَدَتْ مِنْ وَصَبِ
كَمْ صَارَعَتْ مِنْ ظَالمٍ ... ولم تَخَفْ من عَطَبِ
قد كَادَهَا أعدَاؤُهَا ... في العَصْرِ قَبْلَ المَغْرِبِ
لكنَّ ربِّي قدْ أبَى ... مَا مَكَروا من سَبَبِ
وَردَّ كَيْدَهُمْ إلَيْـ ... ـهِمْ بِقَضَاءٍ عَجَبِ
فاضْطَدَمُوا واقْتَتَلوا ... وبَانَ مَحْضُ الكَذِبِ
وَعَادَتِ الشَّمْسُ إلى ... مَكَانِهَا لَمْ تَغِبِ
وانْقَشَعَتْ غَمَامَةٌ ... عَنْ وَجْهِهَا المُحْتَجِبِ
حتى أتى أُفُولُهَا ... في وَقْتِهَا المُحْتَسَبِ
في سَاعَةٍ كَمَا أرا ... دَ ذو القَضَاءِ الأغْلَبِ
وَضَمَّهَا أفقُ شمو ... سٍ في سَمَائِهِ النَّبي
في كَنَفِ الرحمٰنِ ذي الجُو ... دِ العَزيزِ الأرْحَبِ

* * *

يا إخْوَتي هذا أبي ‏ ‏ عُذْرُ الفتى المُنْتَجِبِ
وعُذْرُ كلِّ مُسْلم ‏ ‏ رأى بِهِ عَطْفَ الأبِ
مُعَلِّماً في أدبٍ ‏ ‏ مُرَبِّياً في حَدَبِ
وَبَطَلَ الإقْدامِ لِلْمَوْ ‏ ‏ تِ بِعَصْرِ الهَرَبِ
لِنَصْرِ دينِ اللَّهِ لا ‏ ‏ لِلْمَجْدِ أو لِلْنَّشَبِ

* * *

يَا رَبِّ إنّي عَبْدُكَ المحزونُ ‏ ‏ فاغْفِرْ لأبي
وارْفَعْ مَقَامَهُ إلى ‏ ‏ جوار طَهَ العربي

❑ ❑ ❑ ❑ ❑



# الشيخ حسن حَبَنَّكة ظاهرة وتاريخ[(1)]

للدكتور عدنان زرزور

- ١ -

## من عالم الغيب إلى عالم الشهادة:

ما سمعت مرةً بنبأ وفاة إنسان، وبخاصَّة إذا كان عالماً أو قريباً أو شاباً، إلا فكّرت بما بعد الموت، أو استحضرت في ذهني ونفسي صورة ما بعد الموت، وذكرت قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «كفى بالموت واعظاً».. وتمثَّل لي عالم الغيب بوصفه حقيقة الحقائق وخاتمة المطاف: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٦]. ولكنني حين سمعت بنبأ وفاة فضيلة الأستاذ العلامة المجاهد الشيخ حسن حبنكة وجمت وأطرقت، ورأيتني بعد أن ثُبْت إلى نفسي أستعرض في ذاكرتي تاريخ الأمة الإسلامية الحديث منذ مطلع هذا القرن الهجري إلى الآن.

كنت أعيد النظر وأتأمل في جزء من ماضي عالم الشهادة، ولا أفكر في عالم الغيب: لقد ردني موت الشيخ رحمه الله إلى الماضي، ولم يحملني على النظر في المستقبل، ثم لازمتني هذه الصورة وأنا أسير مع

(١) حضارة الإسلام، العددان ٨ ـ ٩ من السنة التاسعة عشرة: (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م).

عشرات ألوف المشيعين واجماً مُطْرقاً حزيناً على الرغم من بعض المظاهر الكفيلة بنقل المرء من العالم الذي يعيش فيه إلى عالم آخر من الصور والأفكار، والتي كان من بينها منظر بعض الشيوخ المسنّين الذين ربما جاوز بعضهم الثمانين ـ ولا أقول الستين أو السبعين ـ وقد حنت حانيات الدهر ظهره، يسير في وسط المشيعين هذه المسافة الطويلة يتَّكئُ على نفسه وصمته وأحزانه.. وكأنه يسعى في واجب عيني يهمه هو وحده ولا يهم أحداً سواه! بل لعلَّ الكثير من هؤلاء الشيوخ أن يعفوا أنفسهم من تشييع أقل مشقة وجهداً لو كان الأمر يتعلق بقريب يتصلون به بروابط الدم والنسب.. ولكنهم ـ شهد الله ـ لم يفعلوا ذلك وهم ينتسبون إلى الشيخ المجاهد بوشائج التاريخ، وروابط العقيدة والدين، وواجب احترام العالم العامل بوصفه حاملاً لأمانة هذا الدين ومُمثِّلاً له، مدافعاً عنه... هذا الدين الذي أراد هؤلاء الشيوخ وغيرهم من سواد المشيِّعين أن يقولوا: إننا له ومعه في جميع مراحل الحياة، وفي جميع الظروف! كان شيئاً عَجَباً هذا الاندفاع، وهذا الحب، وهذا الشعور، وهذا التعبير العميق البعيد!.

## توديع تاريخ حافل:

ولكن سرعان ما خطر لي أنَّ هذه الصور التي أراها في هذا الموكب المهيب ليست إلا جزءاً من الصورة التي ملكت عليّ شعوري وتفكيري طيلة ذلك اليوم الحزين: إن الأمة تودّع اليوم تاريخاً من تاريخها الحافل لتستقبل على أرض هذا البلد الذي درج فيه الشيخ، وعلى ترابه نشأ وترعرع وتعلم وعلم وجاهد، لتستقبل مرحلة جديدة خالية من هذه الشخصية الكبيرة الفذة! والغد المأمول، والحاضر المنظور، كأمس الذاهب: كل ذلك بيد الله العلي القدير.

وحين نودع التاريخ، أو نحمل على وداعه بمشيئة الله وقدره الذي لا يُرد، نجد أنفسنا نتأمل فيه ونفكر، وحين نستقبل منه مرحلة جديدة نقف كذلك أمامها نفكر، بل قد نطيل التفكير، أما شخص الفقيد العظيم فهو «دلالة» هذا التاريخ قبل أن يكون رجلاً كبيراً يقطع الرحلة إلى عالم الغيب ليذكرنا بهذا العالم، ولنضرع للفقيد بالرحمة والغفران.



## الإحساس بمرارة فقده:

كانت الدعوات للشيخ بالرحمة والرضوان حارة وغزيرة لأن رحمة الله تعالى هي أساس الفوز والنجاة بين يدي العليم الخبير.. ولكنني كنت أقرأ في هذه الدعوات كذلك معنى الرثاء والإشفاق من الغد القريب المجهول وقد خلت الديار من الشيخ المهيب الجليل، ولهذا فإن الإحساس الحقيقي بمرارة فقده ـ رحمه الله ـ كان والجنازة يدلف بها إلى القبر والمؤذن يؤذن للمغرب: الله أكبر.. الله أكبر؛ عندها شعرت بالدموع الحارة تنساب من مآقيّ ومآقي ألوف المشيّعين.

## حياته للإسلام والمسلمين:

لقد غربت شمس هذا العالم الذي عاش لقضية الإسلام، فغربت الشمس في نفوس أبناء هذا البلد مساء ذلك اليوم لتشرق في اليوم التالي على القضيَّة التي عاش لها الشيخ، والتي قضى في سبيلها.. فقد كانت حياته للإسلام والمسلمين، ولم تكن في يوم من الأيام لأهله وذويه. رحمه الله رحمة واسعة، وأعلى مقامه في عليين.

ـ ٢ ـ

## مراحل التاريخ المعاصر:

مثلت حياة الشيخ المجاهد جميع مراحل التاريخ الحديث أو المعاصر بدءاً من عصر الصِّدام مع الحضارة والفكر الأوروبي إلى مرحلة ما بعد الاستقلال السياسي، وما تعاني منه شعوب العالم الإسلامي في هذه المرحلة من قهر لأبنائها، ومطاردة لعقيدتها ودينها.

ولد الشيخ حسن حبنكة بعيد وفاة الشيخ الإمام محمد عبده رحمهما الله. وقد كان الشيخ الإمام علامة بارزة في ذلك الصدام حين استطاع أن يقف في وجه الافتتان بهذه الحضارة وبمنجزاتها المادية.. ليقول: لا، إنَّ الإسلام لا يغل العقل الإنساني، وهو صالح لكل زمان

ومكان... ولكم دينكم ولي دين؛ على ما أخطأ فيه ـ رحمه الله ـ من تجاوز في تطبيق هذا المنهج، لم يحمل عليه فيما يبدو سوى موقع الدفاع أو موقف المحامي الذي اتخذه من قضايا الإسلام والمسلمين.

**العلماء الأفذاذ الذين تأثر بهم:**

وتتلمذ الشيخ حسن حبنكة رحمه الله على رعيل من العلماء الكبار في دمشق في وقت كان الجهل يلف السواد الأعظم من الناس، والعجيب أن هذه النسبة العالية من الجهل والأمية في ذلك الوقت ـ في أواخر العهد العثماني ـ كان يقابلها تلك الدرجة العالية من العلم لدى نفر من العلماء الأفذاذ.

**عدم استفادة علماء الشام من تجربة الإمام محمد عبده:**

وكان للظروف التي مرت فيها بلاد الشام في أوائل هذا القرن الميلادي دورها في عدم استفادة علماء الشام من تجربة الإمام محمد عبده، فضلاً عن تصحيحها أو تجاوزها! بل لعل معظمهم إذا أشار إليها كان يضعها موضع الزراية والريبة بوصفها تمثِّل انحرافاً، وتجاوزاً، وجرأة، وفتحاً لأبواب يصعب إغلاقها... كيف لا!؟ والجديد الذي تردَّد في بلاد الشام لم يكن أكثر من جرأة على الإسلام، بل لعلي لا أبعد إذا قلت: إنَّ الحلقات التي قرأ فيها الشيخ حسن رحمه الله، وتتلمذ على أصحابها الأعلام كانت تمثل «**الأصالة**» أو تمثل فروع العلم الإسلامي على النحو الذي توضع عند العلماء منذ عدة قرون، بعيداً عن أي محاولة أخرى كتلك التي كانت في مصر أو الهند على وجه الخصوص. ولكنها كانت أصالة من نوع فريد لأن تلك الطبقة من العلماء الكبار، الذين أخذ عنهم الشيخ حسن حبنكة وأبناء جيله؛ لم نرها تعاد، ولا ندري إذا أعيدت في يوم من الأيام هل ستبذل العلم للناس، وتسعى إلى تعليمهم بمثل تلك الهمَّة والحماسة والتجرُّد، والسعي إلى الثواب ومرضاة الله عزَّ وجل؟!



**العامل الأول: في التكوين العلمي للشيخ هو الأصالة والإحاطة بفروع العلم:**

كانت هذه «**الأصالة**» هي العامل الأول في التكوين العلمي والعقلي للأستاذ الشيخ حسن حبنكة رحمه الله الذي انطلق في الإحاطة بأركان هذه العلوم الإسلامية بذكاء نادر، وعقل راجح، وهمَّة عالية... كما يحدثنا أقرانه وزملاؤه، وكما ظهر في عمله العلمي الذي قاده هو فيما بعد.

**العامل الثاني: ظروف العمل الوطني والسياسي:**

أما العامل الرئيسي الثاني، فهو **ظروف العمل الوطني والسياسي** الذي خاضه الشيخ رحمه الله في ظروف مبكرة، لعلها كانت بُعيد طلبه للعلم وتردده على حلقات العلماء والشيوخ، وربما كانت مصاحبةً له على وجه التقريب، فحمل السلاح وانخرط في سلك الثوار والمجاهدين، وانتقل من مسجد إلى مسجد، ومن حيّ إلى حيّ، ومن بلد إلى بلد، وتردَّد طويلاً بين دمشق وبين قرى غوطتها الواسعة، وهو في كل ذلك يحمل كتابه في يد، ويحمل سلاحه في اليد الأخرى، ويقرأ شخصيات الناس، ويعرف قدراتهم وعوائدهم.

**ذاكرته الهائلة ومعرفته العميقة:**

ولقد سمعت منه رحمه الله صوراً كثيراً بخطوطها الدقيقة والمعبِّرة عن الكثيرين من القادة والعلماء وطلاب العلم الذين صحبهم وعمل معهم.. تدلُّ على ما كانت تختزنه ذاكرته الهائلة من تاريخ وملاحظات ومعرفة عميقة بالطبائع والأحوال.

وأخشى ـ بهذه المناسبة ـ أن نكون قد فقدنا بوفاة الشيخ المجاهد رحمه الله كثيراً من تفاصيل حركة الجهاد ومقاومة الاستعمار الفرنسي في سورية، وأسماء الكثيرين من طلاب العلم الشرعي وغيرهم ممَّن استشهد في هذه الحركة...

## دور العلماء في مقاومة الاستعمار:

وليس يشك مؤرخ، أو باحث منصف بعيد عن الغرض والهوى، أن الوطنية والدينية في جميع أجزاء العالم الإسلامي، لا في هذه الصُورة المحدودة أو الصغيرة في دمشق فحسب، كانتا تسيران جَنْباً إلى جنب، أو أن الجهاد ومقاومة الاستعمار كان واجباً دينياً لا يقبل التهاون أو المساومة أو التأخير.

وعلى الذين يتجاهلون هذه الحقيقة أو يحاولون طمسها وتشويهها أن يعودوا لقراءة تاريخ جهاد المسلمين في الهند، وتاريخ الجهاد الذي قاده الأزهر ودعاة الإسلام في مصر، بل ليقرؤوا تاريخ الثورة الجزائرية الكبرى، وما سبقها في هذا البلد من عشرات الثورات والحركات؛ فضلاً عن غيره من البلاد والأصقاع...

## التربية العملية العالية:

ولكن الذي أحب أن أشير إليه هو هذه التربية العملية العالية، أو التربية والإعداد من خلال الواقع التي أتيحت للشيخ المجاهد رحمه الله، والتي سعى هو إليها، والتي لم تتكرر كثيراً في إعداد القادة والشيوخ في هذا البلد العريق.

ـ ٣ ـ

## الأصالة العلميَّة:

ثم يتابع الشيخ رحمه الله ليصبح مرجعاً وموئلاً في كلا الجانبين أو العاملين السّابقين[(١)] مع اختلاف الظروف والأحوال. مثّل رأس الأصالة العلمية في حلقات التدريس التي كان يعقدها في **«جامع منجك»** في حي الميدان، وفي بيته كذلك. ثم في المعهد العلمي الذي أسَّسه في الجامع

(١) وهما: الأصالة في التكوين العلمي، والثاني: ظروف العمل الوطني والسياسي.



المذكور باسم **«معهد التوجيه الإسلامي»**، والذي كان يضمُّ بين جدرانه طائفة غير قليلة من الطلاب المسلمين غير العرب، وبخاصَّة الأتراك منهم الذين كان الشيخ رحمه الله ـ فيما لاحظت ـ يُوليهم اهتمامه الخاص، ولعل ذلك كان الرد العلمي والعملي جميعاً على العلمانية والتغريب الذي قاده «أتاتورك» في بلادهم.

وربما كانت هذه الأصالة بحاجة إلى شيء من الإضافة والإفادة في بعض التجارب الإسلامية التي تمَّت في مصر أو الهند ـ وربما سورية ذاتها ـ في سبيل مقاومة أفضل لهذه العلمانية التي أريد لها في ذلك الحين أن تعم أجزاء العالم الإسلامي، ولكن شيئاً من ذلك لم يتم على نحو ملائم وفي الوقت المناسب فيما يبدو.

## الجهاد والعمل العام:

أما في جانب الجهاد والعمل العام فقد مثل فيه الأستاذ الشيخ رحمه الله رأساً كبيراً في السياسة والاجتماع والاهتمام بشؤون الإسلام والمسلمين.

شارك في تأسيس **رابطة العلماء في سورية**، وكان الأمين العام لهذه الرابطة، كما أسَّس بعض الجمعيات الخيرية الاجتماعية. وبقي يخطب الناس في مسجده الجامع يوم الجمعة أكثر من ربع قرن! ويخطئ من يظن أن هذا كان عملاً علمياً أو دينياً ـ بالمفهوم الغربي لهذه الكلمة ـ فحسب، بل كان منبره من أكبر الأعمال العلمية الاجتماعية التوجيهية السياسيَّة الوطنية.

## خطيب من طراز خاص:

كان الشيخ رحمه الله خطيباً من طراز خاص، أُوتي القدرة الفائقة على هذا المزج بأسلوب تربوي تثقيفي رشيق، ولم يُلهب حماسة المصلّين ضدَّ طاغية ظالم أو وضع فاسد، في الخطبة التي يأخذهم فيها بأسباب التربية

والتهذيب، ويقص عليهم فيها من قصص الصحابة وسائر العلماء العاملين حتى تجري منهم المدامع... لم يفعل ذلك مرة أو مرات... بل لعل أكثر خطبه رحمه الله تحمل هذا الطابع الفريد على وجه العموم. وكم قالت دمشق، بل سورية كلمتها على لسان الشيخ رحمه الله من فوق منبره في جامع منجك بحي الميدان. وكم سعى الناس ليسمعوا هذه الكلمة في الحوادث البارزة والخطوب الجسام!.

ـ ٤ ـ

## بُعده عن الانفعاليَّة وسرعة التأثر والاستهواء:

لقد ترددت على سماع خطبه رحمه الله نحواً من عشر سنوات بدءاً من أوائل الخمسينات إلى ما بعد تخرّجي في الجامعة في صيف عام ١٩٦٠م، ولكنني لم أفكر طويلاً في آفاق هذه الشخصية الكبيرة إلا في عام ١٩٥٤م، يوم سعيت مبكراً لسماع كلمة البلد على لسان الشيخ في الأسبوع الذي غادر فيه حاكم سورية أديب الشيشكلي البلاد إثر تمرّد أو انقلاب أو تهديد!

كنت أتوقع أن أسمع تشفياً من الطغيان والديكتاتورية التي كانت تتحكّم في البلاد والعباد، كيف لا وقد وقع في حسّنا ونحن شبّان صغار في سنِّ المراهقة أن ما كانت تعاني منه البلاد في ذلك الحين يمثِّل قمة التسلُّط والاستعباد ـ وكم كنا واهمين أو متفائلين مع الأسف الشديد ـ وكنت قد سمعت قبل أسابيع، فيما أظن، عن مقابلة الشهيد نواب صفوي لحاكم سورية، وماذا قال له في تلك المقابلة، بل كنت قد وَعَيْتُ الكثير من خطب الشيخ حسن نفسه رحمه الله في انتقاد الأوضاع، والجهر بكلمة الحق، ولا يزال يتردَّد في خاطري حتى الآن قوله في مستهل بعضها، وقد تسامع بما عرض على بعض المسارح من سخرية «برجال الدين» أو العلماء وحملة الإسلام... فبدا الشيخ مغضباً، وبدأ بقوله: «أيها الناس إن الوقت جدّ فلا تهزلوا!!» ثم أفاض في حديث



الجد والهزل، مشيراً بأصبع الاتهام إلى من يضيّع البلاد والعباد، وكان يومها ـ رحمه الله رحمة واسعة وجزاه أحسن ما يجزي عباده الصالحين ـ قمة في البيان والتأثير، وَعَيْتُ هذا وأمثاله وسَعَيْتُ لسماع خطبته في اليوم المذكور، وغصّ المسجد ـ مع ملحقاته ـ بالمصلّين، ثم فوجئت بالشيخ لا يشمت ولا يفرح! بل يتحدَّث عن المستقبل بروح لا تَخْلو من الامتعاض والتشاؤم، حدَّث الناس عن الأصول والمبادئ، ولم يحدّثهم عن الأشخاص والأعلام.

أدركتُ يومها أن من أبرز صفات الشيخ رحمه الله أنه أبعد ما يكون عن الانفعالية وسرعة التأثر والاستهواء ـ وهي الصفة التي طالما جرّت علينا المشكلات والويلات لدى كثير من الخطباء والنقباء! ـ وأنه يُؤَثِّر في الحوادث ولا يتأثَّر بها، وأنه يحاول أن يكون فاعلاً لا منفعلاً.

## إغراق العوام في حُبِّهم لا يفتح باب التجاوز عن الثوابت:

ويتردَّد في خاطري الآن وأنا أكتب هذه الكلمات: لو أنَّ هذا الخُلق أو هذا المبدأ أخذ به وعمل عليه جميع العلماء والخطباء كم يكون الأثر محموداً، والنتائج طيبة حسنة! بل لو أخذ به أولئك العوام وأشباههم ممَّن عاصروا الشيخ وصحبوه طويلاً، ولكنهم لم يفقهوا عنه إلا القليل، لو أخذوا بهذا المبدأ وعملوا به لما أساؤوا إلى الشيخ رحمه الله، وأساؤوا إلى أنفسهم، وخالفوا أمر نبيهم ﷺ حين أصرّوا على دفن الشيخ ضمن مخطط مسجد سيدنا الحسن البصري رضي الله عنه، وقد قضى الله ورسوله أن تكون المساجد لله عزَّ وجلّ وحده! هذا حكمٌ شرعيٌّ واضح لا مجال فيه للتأويل والتعليل!

ومن زعم أنَّ إغراقه في حُبِّ بعض الأشخاص يفتح له باب التجاوز عن بعض الأحكام الشرعية الثابتة المقرَّرة، وأن يكون ولاؤه للأشخاص لا للمبادئ، أو للشيخ وليست للإسلام، من زعم ذلك فقد كذب في حبّه وفهمه لدينه جميعاً.

ـ ٥ ـ

## حياته تلخيص لتاريخ البلاد المعاصر:

لخصت حياته ـ رحمه الله ـ تاريخ البلاد المعاصر، لا بحكم تاريخ ولادته ووفاته، بل بما مثّلته هذه الحياة من أدوار التفاعل والتأثير في البيئة والمجتمع، والحياة والناس!

نشأ في ظل الحكم العثماني يافعاً، وجاهد الاستعمار الفرنسي شاباً، ومضى يكافح هذا الاستعمار وسائر أعداء الإسلام كهلاً، واستوى على مقعد القيادة الدينية والسياسيّة والاجتماعية كهلاً وشيخاً، ووقف في وجه الاستبداد والطغيان، والزندقة والعمالة والإلحاد شيخا مهيباً جليلاً كبير النفس، عالي الهمة، صلب العود، قويَّ الشكيمة؛ يجهر بكلمة الحقّ لا يخشى في الله لومة لائم، ويفيء إليه العلماء وطلاب العلم وعامة الناس كلما حزبهم أمر، أو ألمّ بهم مكروه؛ فيجدون فيه الملجأ والملاذ؛ يجدونَ فيه الحكمةَ المتأنية، والنفس الكبيرة، والأب العطوف، ويجدونَ فيه قبل ذلك وبعده: عزّة المؤمن، وكبرياء المجاهد، الذي باع لله نفسه فلم يعد يخيفه تهديد أو وعيد، رحمه الله وأعلى مقامه.

## الاستجابة العفويَّة للشيخ من الجمهور:

وأحبُّ أن أشير هنا ـ من باب الاعتبار والإفادة من تجارب الشيخ رحمه الله في ميدان الإصلاح الاجتماعي والعمل العام ـ أنَّ الاستجابة العفوية التي كان يجدها الشيخ رحمه الله ويلقاها من الجمهور وهو يحضُّه على الجهاد ضد الفرنسيين، أو يُلهب شعورهم الديني ضد قانون الطوائف على سبيل المثال، بقي الشيخ رحمه الله يقدِّر هذه الحماسة قدرها أو لا يسقطها من حسابه حتى عندما ضعفت أو ذبلت فيما يبدو، أو عندما تغيَّرت الظروف والأحوال؛ وتغيَّرت تبعاً لذلك وسائل المكر بالإسلام والمسلمين، ووسائل العدوان عليهم في تربية أولادهم وقيادة أمتهم ومجتمعهم!



## الحاجة إلى تطوير الوسائل في العمل والإصلاح:

أقول: بقي الشيخ المجاهد رحمه الله حيث وضع نفسه فارساً صادعاً بكلمة الحق، لا يخشى إلا الله واليوم الآخر، ولكن أثره في الحياة الاجتماعية، وقدرته على المقاومة والتغيير يمكن أن تكون أفضل لو أن وسائله في العمل والإصلاح العام أدخل عليها بعض التطوير والتعديل بحيث تُعنى على سبيل المثال بتدبير مُسْبَق أو نظام ملحوظ.

وإذا كان مثل هذا يقع على عاتق الأجيال التي ربَّاها الشيخ رحمه الله، إلا أن تقاعسهم عن ذلك قلَّل مدى الإفادة من آفاق الشيخ الواسعة، ومواهبه المتنوعة، وصوَّره في بعض سنيّ حياته أقرب ما يكون إلى زعيم شعبي تاريخي في حيٍّ مجاهد عريق، وقد علم كل من له صلة به رحمه الله أنه أكبر من ذلك بكثير.

## الحجم الحقيقي لدور الشيخ الاجتماعي والسياسي:

ولهذا فإنَّ دوره الحقيقي، أو بعبارة أدق: الحجم الحقيقي لدوره الاجتماعي والسياسي كان يعود إلى الظهور حين يبلغ التوتر الاجتماعي أَوْجَهُ، وحين تجد الأمة نفسها محمولة على مثل تلك الاستجابة العفوية السابقة أو القديمة، حينذاك كان يعلم الحكام والمحكومون من هو الشيخ المجاهد حسن حبنكة رحمه الله. ولكن هذه المواقف كانت معدودة، وحين جدَّ الجد في بعضها، وتعرَّضت حياة الشيخ للخطر بعد أن زُجَّ به في السجن، ولفّق له من التُّهم ما يتناسب مع الحكم الذي أرادوه به رحمه الله، انتهت استجابة الجمهور السابقة إلى السّلبية والقعود والتهاون.

ولكنَّ الشيخ الذي لم يتطرق اليأس إلى نفسه في يوم من الأيام كان يبقى على حُسْن ظنه بالناس، لأنه إنما كان ينتظر العون والجزاء من الله سبحانه وتعالى، وليس من أحد سواه، ولأنه كان يعامل الناس من موقع الأبوة والقيادة، ومن مقام عُلوّ الهمة الذي لا يسمح له بالإحجام والتأخر ولو أفرد وحده في الميدان!

ـ ٦ ـ

## صلته واحتكاكه بالعاملين للإسلام:

كان لنبوغ الشيخ المبكِّر، وتَصَدِّيه لحمل مسؤولية القيادة والزعامة الدينية الشعبية من بين الكثير من أقرانه وزملائه، أثره في صلته واحتكاكه بسائر القائمين على رأس العمل الإسلامي العام، كلٌّ في موقعه، وفي الثغرة التي أقامه الله تعالى عليها من ثغور الإسلام، كان ذلك والشيخ المجاهد رحمه الله في سنِّ الكهولة، أو ما بين الأربعين والخامسة والأربعين على وجه التحديد، وكان في ساحة العلماء والشيوخ من هو أكبر منه سناً. وربما أغزر مادة في بعض فروع العلم ومسائله الكثيرة، ولكن أحداً منهم لم يكن مهيئاً ليقوم على الثغرة التي كان يقوم عليها الشيخ حسن رحمه الله، ولا ليؤدي الدور الكبير الذي كان مُناطاً به في ذلك الحين؛ بحكم الإعداد والتكوين، وبحكم المواهب والاستعداد، وقد جرَّ ذلك على الشيخ رحمه الله شيئاً غير قليل من حسد الزملاء والأقران! كما أنه أوقع الشيخ نفسه ـ رحمه الله ـ في خطأ التعامل مع سائر القائمين على العمل الإسلامي العام من موقع الزعامة الشعبية التي تسنّمها الشيخ بحق، ولكن ما كان له أن يتعامل على أساسها مع سائر العاملين المجاهدين من إخوانه رحمهم الله جميعاً، وجزاهم عن دينه أحسن الجزاء.

## الاختلاف في وجهات النظر مع القائمين على العمل الإسلامي:

أذكر بهذه المناسبة طرفاً من حديث طويل سمعته من أستاذنا الشيخ السباعي رحمه الله عن المعركة التي خاضها مع إخوانه في المجلس النيابي التأسيسي حول دين الدولة، وما انتهوا إليه حول هذه المادة من مواد الدستور بعد طول مناقشات ودراسات وزيارات واجتماعات وندوات..!!

يقول الأستاذ السباعي رحمه الله ـ وكانت عنده شدّة في الحق، وحدّة في الطبع ـ: وعندما اجتمعنا إلى الأستاذ الشيخ حسن حبنكة، وجدنا الاجتماع أقرب إلى المحاكمة منه إلى الحوار وتقليب وجوه الرأي... لقد



كره الأستاذ السباعي رحمه الله أن يوضع موضع الريبة والاتهام في موضوع لا يمكن له أن يُفرّط فيه، أو يَتهاون، أو يُقصِّر عن طلب الأفضل والأمثل. ولكن الأمر فيما يبدو أن هذا «الاختلاف» في وجهات النظر كان يصعب الخروج منه في ذلك الحين من طريق «حق» السَّبْق والتقدم الذي أصابه الشيخ حسن في بيئته على سائر الزملاء والأقران. رحم الله الجميع سابقين ومسبوقين، ومخطئين ومصيبين، وعوض المسلمين خيراً عن هؤلاء العلماء العاملين الأعلام.

## سفينة النجاة في الساحة الإسلامية:

هذا الموقف، وأمثاله، يذكرنا بالعامل الثاني السابق[1] الذي أشرنا إليه وأثره في شخصية الأستاذ الشيخ حسن رحمه الله؛ فإن تعامله مع تلك الصورة الشعبية الاجتماعية أمر هام وحسن، ولكن تعامله على أساسها ـ حتى عندما تغيَّرت ظروف العمل والمجتمع ـ أمر يُولِّد بعض العوائق أو بعض الخلاف في وجهات النظر، ولهذا كان الشيخ المجاهد رحمه الله في صورة العمل الإسلامي العام، وعلى رأسه كذلك، بمقدار تجاوزه للصورة السابقة، أو بمقدار رؤيته للساحة الإسلامية بكل أبعادها ورجالاتها، وهو ما يمكن ملاحظته بسهولة عند الشيخ في سنواته الأخيرة، حتى غدا رحمه الله أقرب ما يكون إلى سفينة النجاة في هذا الخِضَمّ الواسع، تتعلَّق به القلوب والأنظار، وتلتقي عنده الآراء والأفكار، كلما نزل بالناس ـ جميع الناس ـ ظلم، أو لحقهم ضيْم أو ألمّ بهم مكروه، وله من جهاده وترفعه وعفّة ذات يده، ومن نفسه التي وهبها لله عزَّ وجل، له من كل ذلك ما يشفع له فيما يرجونه عنده، ويأمِّلونه لديه، ولم يكن له ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ من شرط يشترطه لنفسه، وإنما كان يشترط لدينه، ولكرامة هذا الدين أن تُذل أو تُهان مُمثَّلة في شخصه الكريم رحمه الله.

---

(١) أي: ظروف العمل الوطني والسياسي.

ـ ٧ ـ

## حرصه على كرامة الدين من أن تُذل أو تُهان:

لا أريد أن أسترسل أكثر من ذلك في الحديث عن هذا العامل، وعن أثره في كثير من المواقف العامة التي كان يتخذها الشيخ رحمه الله، أو في تفسير المواقف السياسيَّة المتوازنة التي كان يقفها في بعض القضايا والمسائل. ولكن ممَّا لا شك فيه أنه عاش ـ رحمه الله ـ لا يخالف قناعاته بوجه من الوجوه، حتى ولو خرج عن مألوف الرأي العام، أو رأي الأوساط الإسلامية الأخرى في بعض الأحيان ـ وبخاصة إذا لاحظنا أثر العاملين السابقَين مجتمعين في وقت واحد ـ مثل موقفه الاجتهادي يوم مسألة صاحب الظلال رحمه الله، ولكن علينا أن نذكر أن ذلك كان يسمح له أن يقول كلمة الحق، وأن يُواجه بها الباطل في ظروف أخرى، فتكون الكلمة ـ كما يقدر الشيخ فيما أظن ـ مسموعة ومؤثرة. أو بعبارة أخرى: كان يقف الشيخ رحمه الله في بعض الأمور الحاسمة في خط الدفاع الأخير، وما اشتراطه لكرامة دينه التي أشرنا إليه قبل قليل إلا حفاظاً على هذا الخط ألا يسقط أو ألا يقتحم بحال!.

## بُعده عن المناصب الرسميَّة:

وأذكر ـ بهذه المناسبة ـ أن الكثيرين من مُحبِّي الشيخ وعارفي فضله ومكانته ومواقعه سُرُّوا لبقائه طيلة حياته بعيداً عن المناصب الرسمية، السياسيَّة أو الدينية، وبخاصة عندما بدا أن مثل هذا الأمر قريب المنال أو وشيك الوقوع، لأن الشيخ رحمه الله أكبر عندنا من هذه المناصب ـ تكبر هي به، ولا يكبر هو بها ـ ولأن مثل هذا الأمر لو كُتب له الوقوع لكان فيه تضييق لساحة عمل الشيخ، وانتقاص لها من أطرافها، فوق ما كان مُعرَّضاً فيها لعوامل الخصومة والصدام! فكان قدراً مقدوراً أن يبقى حيث هو يؤدي رسالة الله وواجب الدعوة إليه، بعيداً عن أيِّ عامل من عوامل الضغط والتأثير. حتى أذن الله سبحانه لهذه الروح الكبيرة أن تنطلق من عقالها عشية



حديث له مؤثّر عن الرحلة إلى الله، وفي ليلة استعداده للسفر إلى أرض الحجاز! ومَنْ يدري؟ فلعل موعده مع سيدنا رسول الله ﷺ لم يتخلف. رحمه الله رحمة واسعة، وعوض المسلمين خيراً.

ـ ٨ ـ

## ظاهرة وتاريخ:

كان «ظاهرة» بعدت بنا الآن عوامل نشأتها وظهورها، وكان «تاريخاً» حافلاً بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، ومن الصعب على المؤرخ لبلاد الشام في القرن العشرين ألا يجد للشيخ حسن حبنكة رحمه الله دوراً أو ذكراً في جميع الحوادث البارزة التي مرت بها البلاد على الصعيد الديني والسياسي والاجتماعي، وغير ذلك من وجوه النشاط الأساسية العامة.

وإننا في الوقت الذي لا نطمع فيه في تكرار هذه الظاهرة مرة أخرى، لا يأساً من رحمة الله فإن ذلك ليس من صفات المؤمنين، ولكن لأن عوامل نشأته وظهوره ـ علماً وجهاداً وريادة ـ لا نراها تعاد اليوم مرة أخرى؛ وفي الكون سنن ربانية ليس لها من تبديل ولا تحويل إلا إرادة العزيز العليم ـ جلَّ وعلا ـ فإننا نطمع ألا ينقطع خط العمل والجهاد على النحو الملائم لطبيعة القائمين بواجب الدعوة والإعداد، ولطبيعة سائر الظروف والملابسات الأخرى في الزمان والمكان. أما قيادة أستاذنا الشيخ حسن رحمه الله وسائر القيادات التاريخية الأخرى، فسوف تبقى على الدوام معالم على الطريق، ومثلاً يهتدي به في حالكات الأيام.

## سجاياه النفسيَّة العالية:

أما سجاياه النفسية العالية التي توّجت تلك العوامل وتفاعلت معها، وكانت تسير به صُعُداً نحو مَعَارج الكمال يوماً بعد يوم؛ فما أظن إلا أنها معروفة للجميع، ولكن إذا نسي الناس شيئاً فلا ينسون في الشيخ رحمه الله أنه كان دمث الطبع، ليّن العريكة، لطيف المعشر، حاضر الطرفة والبديهة،

مهيب الطلعة، مُحبَّباً إلى النفس، مُحكم الإجابة والتعليق ومجاذبة أطراف الحديث، يُقبل على جُلسائه ويُؤْنسهم جميعاً على اختلاف درجاتهم وثقافاتهم. وأنه كان قوياً في ذات الله.. يغضَبُ للحق، ولكنه يملك نفسه عند الغضب.. وقد يعلم الكثيرون أنه كان من أبرع من يبتسم في وجه العاصفة، ولكنه ما يزال بها حتى يهدئها ويكفكف من غلوائها، ثم يبدأ بالنُّصح والإرشاد والتوجيه، وَوَضْع الأمور في نصابها وفي موضعها؛ يستوي عنده في ذلك ـ كما لمست ذلك بيدي أكثر من مرة! ـ عواصف الرجال «والأولاد»! وعواصف المبادئ والأفكار. أما ذكاؤه وألمعيته و«حضوره» فناهيك به!.

رحم الله شيخنا الكبير الراحل، ورضي عنه وأرضاه، وحشره يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحَسُن أولئك رفيقاً. ولا حَوْل ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وأنا إليه راجعون[1].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(1) ونشرت مجلة «حضارة الإسلام» في العددين (٨ ـ ٩) من السنة التاسعة عشرة: شوال ـ ذو القعدة: (١٣٩٨) مرثيَّة شعرية ونثرية للأستاذ محمد خالد حبيب بعنوان: سلطان العلماء، ومرثيَّة شعرية للأستاذ محمد علي الحريري، وقد نشرهما أستاذنا الشيخ عبدالرحمٰن الميداني في كتابه عن والده في الفصل السادس: ما قيل فيه ص٣٦٠ ـ ٣٦٨.



# فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالعزيز عيون السود[1]

**(١٣٣٥ ـ ١٣٩٩هـ)**

**(١٩١٦ ـ ١٩٧٩م)**

**بقلم الأستاذ الشيخ محمد علي مشعل**

في صباح السبت **١٣** صفر الخير **١٣٩٩**هـ، الموافق **١٣** كانون الثاني **١٩٧٩**م، أصيبت حمص مدينة ابن الوليد وسوريا والعالم الإسلامي بموت عالم ربانيّ هو الشيخ عبدالعزيز عيون السود عن عمر يناهز الستين. قضى هذا العمر في العلم والتعليم، والدرس والتدريس، فهو قدوة للعاملين المخلصين، ومنار للأجيال في طريق الحق المبين. والعلماء العاملون يحيون بعد موتهم أو استشهادهم بذكرهم ومآثرهم وآثارهم.

## ولادته وأسرته ونشأته:

ولد الشيخ عبدالعزيز عيون السود في حمص عام **١٩١٦**م، في أسرة عريقة في العلم والفضل، فآل عيون السود معروفون بحمص بالتقى والعلم؛ فجدّه الشيخ عبدالغني عيون السود من العلماء، وعمُّه الشيخ عبدالغفار عيون

(1) حضارة الإسلام، العدد الأول، السنة العشرون: (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).

السود شيخ مشايخ حمص المشهورين، وهو عَلَم من أعلام الفقه دان له علماء عصره وفقهاء زمانه، وهو عَلَم من أعلام تفسير القرآن والحديث، وكتابه «**الرياض النَّضرة في تفسير سورتي الفاتحة والبقرة**» زادُ العلماء والوعاظ، وكنز الموجهين والمربين؛ يذكر فيه أصح التفاسير عن علم وفهم ورواية ودراية، ويستشهد بالأحاديث ويُخرّجها ويشرحها، ويذكر آراء الفقهاء فيها بعيداً عن التطويل الممل والاختصار المخلّ.

## دراسته في دار العلوم الشرعيَّة بحمص:

وقد تلقى الشيخ عبدالعزيز عيون السود العلم في دار العلوم الشرعية التابعة للأوقاف عن العلماء الفضلاء: الشيخ زاهد أتاسي، والشيخ أنيس كلاليب، والشيخ محمد الياسين، والشيخ أحمد صافي، ووالده العالم العظيم الشيخ محمد علي عيون السود، وهو أستاذ أصول الفقه والفقه. وتخرَّج الفقيد في دار العلوم الشرعيَّة عام **١٩٣٦**م. كما تلقّى العلوم عن عمِّه الشيخ عبدالغفار، والشيخ عبدالقادر الخوجة، والشيخ طاهر الرئيس، والشيخ عبدالجليل مراد، وغيرهم.

## حفظه للقرآن وعبادته وعلمه:

أصابه مَرَضٌ قطعه عن الناس فحفظ القرآن الكريم، وكان يطبق العلم بالعمل، وكان يتمثَّل به الإسلام إيماناً وعبادة ومعاملة وخلقاً وسلوكاً، فأعطاه الله علماً يزيد على المكتسب، ومنحه قلباً نيِّراً وفيضاً غزيراً، وهذا أمر يجب على طالب العلم أن لا ينساه؛ فمن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم.

وكان كثير التلاوة للقرآن وفي الصلاة، وكان يديم التهجد قبل الفجر، ويُحيي ما بين المغرب والعشاء، ويُحيي ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس، ويحرص على تطبيق السنة في عبادته وأكله وشربه ونومه، كل تصرفاته، ويحرص على صلاة الضحى، وكان كثير الصلاة على النبي ﷺ،



وكثير الزيارة للصالحين طمعاً بالحصول على السعادة عملاً بقوله ﷺ: «**هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**»[1].

وكان يرى النَّبيَّ ﷺ في المنام في أكثر الليالي، وكان وَقُوراً مُهَاباً من رآه لأول وَهْلة هابه، ومَنْ خالطه عن قُرب أحبه.

## علوم القراءات:

تلقَّى علم القراءات السبع بمضمَّن الشاطبية عن الشيخ **سليمان الفارس كوري** المصري، ثم حفظ الدرة والطيبة، ونزل إلى دمشق فقرأ على الشيخ محمد سليم الحلواني شيخ القراء في دمشق وقتئذ، وأخذ عنه القراءات العشر بمضمَّن الشاطبية والدرة.

وفي الوقت نفسه كان يذهب إلى قرية عربين (قرية قرب دمشق) ليأخذ عن الشيخ **عبدالقادر قويدر العربيني** القراءات العشر بمضمن الطيبة.

ثم رحل إلى الديار الحجازية حاجاً في خدمة والده، وحفظ (الفوائد المعتبرة في القراءات الأربع الزائدة على العشرة).

وقرأ في مكة المكرمة بعد الحج على الشيخ **أحمد حامد التيجي** شيخ القراء في الديار الحجازية القراءات الأربع عشرة بمضمَّن الشاطبية والدرة والطيبة والفوائد المعتبرة.

ثم استأذن والده للذهاب إلى مصر وتلقى القراءات عن شيخ عموم المقارئ المصرية الشيخ **علي محمد الضبَّاع** فأذن له ورحل إليه، وقرأ القراءات الأربع عشرة من طريق الشاطبية والدرة والطيبة والفوائد المعتبرة، وتلقى عنه المقدمة في التجويد لابن الجزري، ومنظومتي (عقيلة أتراب القصائد) و(ناظمة الزهر) كلاهما للإمام الشاطبي في علم الرسم والضبط والآي. وقد أجازه كلٌّ منهم وهم علماء القراءات في العالم الإسلامي.

---

(١) أخرجه مسلم (**٢٦٨٩**) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وبينه وبين النبيِّ ﷺ ستة وعشرون رجلاً كلٌّ منهم مشهور بشيخ قراء زمانه، مشهود له بالتحقيق والتدقيق. وهذا إسناد لا يوجد اليوم في الدنيا أعلى منه ولا أقرب منه إلى النبي ﷺ. وهذا الإسناد مفخرة الأمة الإسلامية والميزة التي فضلها الله بها على سائر الأمم، والخصوصية التي خصَّها الله بها.

وكان الشيخ رحمه الله تعالى مع ذلك كله عالماً بالتفسير ومحققاً. وله تحقيقات وأبحاث لها شأنها، وله استنباطات خاصة في الفتن والملاحم وعلامات الساعة الصغرى والكبرى عسى أن تنشر في مدينة حمص بعد نشر هذه الإجازات.

وقد أصبح شيخ القراءات في العالم الإسلامي كلِّه دون منازع، وعرف فضله شيوخ القراءات، فاعترفوا له بالسَّبْق روايةً ودرايةً، وبالنُّطق.

## دار الإقراء بحمص:

وافتتح دار الإقراء بحمص، وأخذ عنه الكثيرون علوم التجويد ومخارج الحروف والقراءات والرسم والآي، وأجاز بالقراءات السبع عن طريق «الشاطبية» والقراءات الثلاث فوق السبع من طريق «الدرة» الشيخ عبدالغفار الدروبي[(١)]، وقد تلقى عنه الشيخ سعيد العبد الله[(٢)] شيخ قرَّاء حماة ـ الذي يقوم على دار الإقراء بحماة الآن في جامع الدلوك ـ القراءات الثلاث فوق السبع بمضمن الدرة والقراءات السبع بمضمَّن الشاطبية عن طريقه وأجازه. وقد أجاز المحدِّث النعيمي الجزائري[(٣)] الذي وفد خصِّيصاً من الجزائر

(١) المولود في حمص سنة ١٣٣٨ الموافق ١٩٢٠، والمتوفَّى بجدة قبيل صلاة الجمعة ٢٠ محرم ١٤٣٠ عن تسعين عاماً رحمه الله تعالى. وستأتي ترجمته في آخر تراجم هذا الكتاب.

(٢) المولود في حماة سنة ١٣٤١ الموافق ١٩٢٣، والمتوفَّى بمكة المكرمة بعد ظهر الثلاثاء ٨ رجب ١٤٢٥، الموافق ٢٤ آب ٢٠٠٤ رحمه الله تعالى.

(٣) هو العلامة المحدِّث الشيخ نعيم النعيمي بن أحمد بن علي المولود سنة ١٣٢٧هـ الموافق سنة ١٩٠٩، والمتوفَّى سنة ١٣٩٣ الموافق ١٩٧٣ رحمه الله تعالى. وقد أوردت ترجمته في هذا الكتاب، لوثيق صلته بعلماء الشام عامَّة، وعلماء حمص خاصَّة.



للقراءة على الشيخ عبدالعزيز، وتلقَّى عنه القراءات الأربع عشرة بمضمن الشاطبية والدرَّة والطَّيبة والفوائد المُعتَبَرة. وقرأ عليه الشيخ **محيي الدين الكردي**[(١)] ختمةً كاملة لورش من طريق الأصبهاني من طريق الطيِّبة وأجازه. وقرأ عليه آخرون، وأجازهم.

## علوم الحديث:

له باعٌ في علم المصطلح، وفي قواعد الجرح والتعديل، وحفظ الكتب الستة والأحاديث المُسلسلات، وأُجيز من قبل النعيمي الجزائري المُحدّث. وعنده عدَّة إجازات في رواية بعض الأحاديث.

## علم أصول الفقه والفقه والعربية:

تلقى هذا العلم من منابعه الأصيلة بالسند المتَّصل بأبي حنيفة النعمان عن عمِّه الشيخ عبدالغفار، ووالده الشيخ محمد علي، وشيخه الشيخ عبدالقادر خوجة، وهؤلاء الثلاثة الأجلاء فقهاء بالتلقِّي، فهم في أعلى مرتبة دراية ورواية، وكان الشيخ عبدالعزيز يشبههم إلى حد بعيد حتى في لباسه والهيئة والأسلوب والخلق والسلوك والتحقيق والتدقيق.

وكان متمكِّناً يُرجع إليه في الفتوى وحلِّ المعضلات، وقد أصبح من أعلى المراجع في حمص في هذا الميدان يجله علماء حمص، ويُشار إليه بالبنان في سوريا والعالم الإسلامي كله.

وله اطلاع واسع لا ينكر على علوم اللغة العربية، ومحفوظاته ثلاثة عشر ألف بيت من الشعر في العلوم كالشاطبية والألفية.

## علم التوحيد:

كان دقيق التعبير عن عقيدة السلف، يميل إلى الأخذ دوماً بطريق

(١) هو الشيخ المقرئ الصالح، المعمَّر محيي الدين بن حسن الكردي المولود في دمشق سنة ١٣٢٩ الموافق ١٩١٢، والمتوفى بعد مغرب يوم الجمعة ١٦ شعبان ١٤٢٩ الموافق ٧ آب ٢٠٠٩ رحمه الله تعالى وأثابه رضاه.

الفطرة عن الكتاب والسنة بعيداً عن التعقيد، ويكره إدخال العامة في أبحاث المتكلمين.

## تحفّظه في الفتوى:

كان متحفظاً كثيراً، وإذا سأله طالب علم مسألة أرشده إلى مطالعتها في كتاب، وكان قويَّ الحجة حاضر البديهة سريع الإجابة في الدليل، حنفي المذهب عليماً بمذهبه أدلة وأحكاماً، مطلعاً على بقية المذاهب، ويحب الرجوع إلى ذوي الاختصاص.

## أخلاقه:

جمع مع العلم التواضع للعلماء والمعلمين، والبساطة في المأكل والمشرب والمجلس، كان حسنَ المعاشرة حسن الصحبة، يهتم بجلسائه ومرافقيه وتلاميذه ويعتني بهم ويُحسن رعايتهم.

كان باراً بوالديه وأعمامه مُحترماً موقَّراً، حريصاً على خدمتهم والرفق بهم، وعلى الرغم من مرضه فقد كان يخدمهم بنفسه ممَّا يغرس في قلب من يراه بر الوالدين عملياً، وكان يكثر من زيارتهم بعد الممات، ويذكرهم دوماً مع الاحترام والتوقير.

وكان باراً بشيوخه وحسن الخدمة لعلماء عصره، يحرص على رضاهم ويزور من يظهر فيه الصلاح والخير.

وكان قليل المزاح، وإذا مزح لا يقول إلا حقاً. وكان كثير الذكر كثير الصلاة يحافظ على الصلوات في أوقاتها، ولا يصلي إلا جماعة. وقد نقل عنه الثقات أنه لم يصل منفرداً ألبتة لا في حضر ولا سفر!.

## حُسْن خاتمته:

وفي ليلة وفاته أتمَّ صلاته قبل النوم ونام، إلا أنه أحسَّ مَنْ حولَه بتعبه، وقام للتهجد كعادته وتوضأ ثم بدأ الصلاة، ومات وهو في الصلاة في الساعة الرابعة قبل الفجر، وهذه منحة عظيمة.



وإنا لنرجو الله سبحانه أن يجمعنا به في مستقر رحمته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين مع العلماء العاملين.

**أيها الأخوة المؤمنون** في حمص والعالم الإسلامي كله: فقدنا عالماً مرشداً مقرئاً فقيهاً مُحدِّثاً مربياً، ولنا في النخبة من علماء حمص، وفي النخبة من علماء سورية، وفي النخبة من طلاب العلم، وفي النخبة من تلاميذ الشيخ عبدالعزيز وفي أولاده خير عزاء إن شاء الله تعالى.

والأمل أن تشحذ العزائم من جديد لحَمْل الراية والسَّيْر في طريق الإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة، وأن تبقى دار الإقراء في حمص مركز إشعاع، وأن تفتح في المساجد دور الإقراء ودور العلم في كل مكان من العالم الإسلامي، ويكون ذلك إحياء لذكرى عالمنا الجليل وشيخنا العظيم، وستظل سيرة هذا العالم وعلم هذا العالم شعلة هدى تضيء للأجيال الطريق.

وإذا فقدنا عالماً فسيكون بعده علماء، وإذا غربت شمس طلعت شموس، ولن نجزع لأمر الله، وإنَّ العين لتدمع، وإنَّ القلب ليحزن، ولا نقول ما يغضب الرب.

ولنا في رسول الله ﷺ أكبر عزاء، وقد وقف أبو بكر الصديق الخليفة الأول والمؤمن الأول رضي الله عنه يقول:

«أيها الناس من كان يعبد محمداً فإنَّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت، وإن الله قد تقدَّم إليكم في أمره فلا تدعوه جزعاً فإن الله اختار لنبيه ﷺ ما عنده على ما عندكم، وقبضه إلى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه ﷺ، فمن أخذ بهما عرف، ومن فرق بينهما أنكر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [النساء: ١٣٥]، ولا يشغلكم الشيطان بموت نبيكم، ولا يفتنكم عن دينه، وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه، ولا تستنظروه فيلحق بكم فيفتنكم».

ولا يجوز ـ أيها الأخوة المؤمنون في كل مكان ـ أن تشغلنا مصيبتنا

عن أمر الدين، ويجب أن لا يزيدنا فقد العلماء إلا يقظة لنتدارك الفائت، ونتابع التحصيل، ونغتنم الوقت فنستفيد من علماء عصرنا، فالمحروم من حُرِمَ من خير أهل زمانه، إنَّ في الله خلفاً عن كلِّ أحد، ودَرَكاً لكل رغبة، ومجازاً من كل مخافة، فالله أرجو، وبه ثقوا.

إنَّ في الله عزاءً عن كلِّ مصيبة، وعِوَضاً عن كلِّ رغبة، فاللَّهَ فأطيعوا وبأمره فاعملوا، وحَسْبنا الله ونعم الوكيل[1].

□□□□□

(١) ولشيخنا العلامة المحدث المحقق الأستاذ محمد عوامة ترجمة ضافية كتبها عن الشيخ عبدالعزيز عيون السود، وأرسلها لمجلة «الحضارة» بعد وفاته، فاعتذرت المجلة عن نشر ترجمته لأنه سبق لها أن نشرت مقالة الشيخ محمد علي مشعل، وكنت قد تشرَّفت بزيارة الشيخ عبدالعزيز في منزله بحمص بصحبة شيخنا محمد عوامة مع والدي رحمه الله تعالى، ورأيت الشيخ مرَّات في زياراته لحلب، وقد طلبت من شيخنا محمد عوامة تلك الترجمة لأوردها في هذا الكتاب فلم يقف عليها، ولعلَّ الله سبحانه يُيسِّر العثور عليها، ونشرها، ففيها من الفوائد والتحقيقات ما لا تجده في غيرها كعادة شيخنا فيما يكتب ويحقِّق حفظه الله ونفع به.



# الشيخ بكري رجب في ذمة الله[1]

## (١٣٣١ - ١٣٩٩هـ)

## (١٩١٢ - ١٩٧٩م)

بكري رجب

للأستاذ الشيخ عبدالله علوان

منذ شهور فقدت الشام عالمها الفذّ، وفقيهها الجريء، ورجلها الشجاع.. فضيلة الشيخ **حسن حبنكة** تغمَّده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته.

وبالأمس القريب فقدت حمص رجل العلم والفقه والعمل والإخلاص.. فضيلة الشيخ **عبدالعزيز عيون السود** أعلى الله مقامه وجعل الجنة مأواه.

واليوم تفقُد حلب الشهباء عالماً فاضلاً من علمائها، وداعية مخلصاً من دعاتها.. هو فضيلة الشيخ بكري رجب رحمه الله الذي توفاه الله سبحانه ضحى يوم الخميس الأول من شهر جمادى الأولى، الموافق **٢٩** آذار **١٩٧٩**م.

(١) حضارة الإسلام، العدد الرابع، السنة العشرون، **١٣٩٩**هـ - **١٩٧٩**م. وتنظر ترجمته في كتاب «علماء من حلب في القرن الرابع عشر» للأستاذ محمد عدنان كاتبي ص٣٦٦ - ٣٧١.

وإذا كان لا بد من كلمة رثاء أسطرها في يوم وفاته، فلتكن الكلمة في تبيان فضائله، وتعداد مآثره إن أردنا أن نكون أوفياء لهذا الفقيد الغالي، وأن نكون مخلصين في محبته، مقدِّرين لفضله...

**يمتاز فقيدنا رحمه الله بثلاث مزايا رئيسية:**

**يمتاز بكونه عالماً.**

**ويمتاز بكونه متواضعاً.**

**ويمتاز بكونه مرشداً.**

**أما كونه عالماً**، فقد قضى رحمه الله حياته كلها في العلم والتصنيف، والشعر والمطالعة والتدريس.. ويشهد لعلمه وتآليفه وأدبه وشعره تلامذته الذين تخرَّجوا على يديه، وقد درسوا عليه العلوم الشرعية، واللغة العربية، وعلم العروض. وتشهد لعلمه وتدريسه «الشعبانية» وعلماؤها، والخسروية القديمة والحديثة وأساتذتها، ويشهد لعلمه مَنْ عرفه من إخوانه من أهل العلم والمعرفة، ومن حضر عليه من الخاصة والعامة.

**أما كونه متواضعاً**، فالقريب والبعيد يعرف عنه هذا الخلق الأصيل، وهذه الصفة المميزة وتواضعه هذا كان شاملاً لجميع مظاهر حياته.

شاملاً لملبسه، فإذا لبس لا يُرى عليه آثار التكلف والتنمُّق، ومظهر الزهو والخُيلاء.

وشاملاً لمطعمه، فإذا أكل يأكل ما حَضَر، وما عُرف عنه رحمه الله أنه تفنَّن في أنواع المآكل، وأطايب الطعام.

وشاملاً لمشيته، فإذا مشى مشى على الأرض هَوْناً، وسار بين الناس في تواضع وخفض جناح.

وشاملاً لمن يلقاه من الناس أو من يلتقي بهم، فإذا اجتمع بأحد أو التقى به سلَّم عليه، واستنار وجهه ببشاشة حلوة، وإذا سمع أن إنساناً مرض



عاده أو مات شيعه، وإذا دعاه إنسان إلى بيته أجابه، أو قصده في حاجة نَفَّس كُرْبَتَهُ، وإذا جاءه فقير يطلب شيئاً أعانه، وإذا جاءه إنسان يستفتيه في مسألة أفتاه وعلَّمه، وإذا أراد أحد تلامذته أو محبيه أن يحمل عنه متاعه فيمتنع ويقول له: صاحب الحاجة أحق بحملها!

وهكذا كان التواضع خُلقاً أصيلاً من أخلاقه، وصفةً بارزة من صفاته رحمه الله.

**أما كونه مرشداً** فالإرشاد في الحقيقة كان ميزة ظاهرة من مزاياه.

كان رحمه الله لا يَفْتُر ولا يكل في تبليغ الدعوة الإسلامية، وإرشاد أمة الإسلام إلى الحق والخير أينما كان وحيثما ارتحل.

هذه الظاهرة في تبليغه وإرشاده يعرفها عنه إخوانه العلماء، وتلامذته النجباء، والخاصة والعامة من الناس.

## خروجه للدعوة وجولاته المستمرة:

فمن ملامح إرشاده وتبليغه: أنه كان يخصص له يوماً من كل أسبوع يخرج فيه مع زمرة من العلماء الأفاضل إلى القرى القريبة أو النائية. وكان يقوم بالتدريس الوعظي والإرشادي في مساجد حلب بشكل دائم، وأوقات مخصصة، وكان يقوم أيضاً بجولات مستمرة على البيوت في مناسبات الموالد والأفراح والمآتم وعودة الحجيج من الأراضي المقدسة.. ليؤدي في هذا كله رسالة التبليغ والتوجيه، ومهمة التعليم والدعوة.

## مجالس وعظه المؤثرة:

وقد أُوتي رحمه الله ثقافةً عجيبةً في الوعظ، وقدرةً فائقة في التأثير، ففي جلسة وعظه وإرشاده يروي لمُحدِّثيه من القصص والشواهد وروائع الشعر والأمثلة التاريخية، ما يلفت النظر، ويثير الانتباه، وفي كثير من الأحيان يبلغ التحزُّن والتخشُّع في الحاضرين أقصى مداه، وما ذاك إلا لقوة تأثيره، وجاذبية حديثه، وَصِدْقِ قاله وحاله، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما

يدل على إخلاصه الصَّادق، وذكائه النادر، وذاكرته الفريدة، وموهبته العجيبة، وأسلوبه المؤثر البليغ..

رحم الله شيخنا الجليل، وأغْدَقَ عليه من سحائب رحمته ورضوانه، ورفع مقامه في الآخرة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

سلامٌ عليك يا أبا عبدالله إلى يوم نلقاك عندما يقوم الناس لرب العالمين.

وألهم أهلك وأولادك وإخوانك العلماء وتلامذتك جميعاً الصبر والسلوان والرضا.. وعَوَّض الله المسلمين من يقوم مقامك في الدعوة إلى الله، وتبليغ الناس رسالة الإسلام، إنه بالإجابة جدير.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نقول: إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى فلنصبر جميعاً ولنحتسب، إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله.

❐❐❐❐❐



# الشيخ بكري رجب
## (عالم فقيه، شاعر أديب)[١]
## (١٣٢٨ - ١٣٩٩هـ)
## (١٩١٠ - ١٩٧٩م)

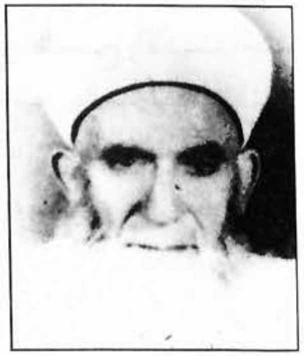

بقلم: فيَّاض العبسو

### نسبه ومولده ونشأته:

هو الشيخ العلامة الفقيه الشاعر الأديب، أبو عبدالله بكري بن عبده بن عمر بن رجب، الحنفي، البابي الحلبي. ولد في مدينة (الباب)، التابعة لمحافظة حلب، بسورية، سنة ثمان وعشرين وثلاثمئة وألف للهجرة[٢].

وتلقَّى تعليمه الأوَّلي في أحد كتاتيب بلدته، فأتقن تلاوة القرآن الكريم، وحفظ الكثير منه، كما حفظ بعض المتون في الفقه والعربية، وكثيراً من الشعر العربي في الجاهلية والإسلام، وحضر حلقات بعض شيوخ البلدة، أمثال الشيخ مصطفى أبو زلام.

(١) نشرت بتاريخ: ٢٠٠٧/٤/٢٥ في موقع (الإسلام في سورية) مع إضافات من كتاب الأستاذ عدنان كاتبي.

(٢) أرَّخ ولادته الأستاذ عدنان كاتبي في كتابه «علماء من حلب» ص٣٦٧ سنة ١٣٣١هـ الموافق ١٩١٢م.

**دراسته وشيوخه:**

دخل المدرسة الخسرويَّة، بحلب، وتلقى العلم عن علمائها الأفاضلها وشيوخها الأجلاء، أمثال العلامة الفقيه الكبير الشيخ أحمد الزرقاء، والشيخ العلامة المفسر أحمد الشماع، والشيخ الصالح الشاعر عيسى البيانوني. دفين البقيع، والشيخ المحدِّث المؤرخ محمد راغب الطباخ، والشيخ الفقيه الأصولي محمد أسعد العبجي. [وتخرج مع الدفعة السادسة، وذلك صيف سنة ١٣٥٠هـ = ١٩٣١م].

كما حضر على مفتي مدينة الباب السابق، الشيخ الأديب أحمد النعساني، وحضر كذلك على عالم حلب الكبير ورئيس المدرسين، الشيخ محمد نجيب سراج الدين الحسيني. وسلك على يد العالم الجليل الشيخ المربِّي الفاضل محمد أبي النصر الحمصي النقشبندي، رحمه الله تعالى. كما درس سنة واحدة في الجامع الأزهر بمصر.

**أقرانه وأصدقاؤه:**

وكان من أقرانه وأصدقائه، الشيخ الأديب العلامة اللغوي أحمد القلاش الحلبي، والشيخ العلامة الفقيه محمد السلقيني الحلبي، والشيخ الفقيه مصطفى مزراب الحلبي، والشيخ العلامة محمد نجيب خياطة (فرضي حلب، وشيخ قرائها)، والشيخ محمد السيفي، والشيخ الشاعر محمود الفحام الحموي ثم الحلبي، والشيخ محمد الشامي البابي الحلبي، والشيخ العلامة ناجي أبو صالح، والشيخ محمود الصابوني الحلبي، والشيخ حسن هاشم، والشيخ الفقيه محمد الغشيم، والشيخ محمد المسلاتي.

ومن خارج سورية، العلامة الكبير حكيم الهند سماحة السيد الشيخ الداعية أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى، والشيخ العلامة المحدث الهندي حبيب الرحمٰن الأعظمي، والشيخ السيد علوي المالكي المكي، والشيخ السيد الشاعر محمد أمين الكتبي، والسيد الشاعر عبدالله بن أحمد الهدار الحضرمي الحسيني، والشيخ حسن فدعق المكي، والشيخ



الشاعر أمين الكتبي المكي، والشيخ الشاعر محمد الخطيب الطنطاوي... والسيد نور الشيخ أمين، وغيرهم كثير.

**عمله:**

درّس العلوم الشرعية والعربية، في المدرسة الخسروية، ومعهد العلوم الشرعية (المدرسة الشعبانية)، والثانوية الشرعية للبنات، والمدرسة السلطانية التي أسَّسها صديقه الشيخ الشاعر الأديب محمد خير الدين إسبير، كما افتتح الشيخ بكري رجب وصديقه الأثير الشيخ أحمد القلاش، مدرسة دينية في حلب استمرت لمدة عشر سنوات، بالإضافة إلى عمله إماماً وخطيباً لمدة أربعين سنة، في عدة مساجد بحلب، منها جامع هارون داده، في قاضي عسكر، وجامع الميدان، وكان مدرس محافظة، يعطي دروساً في الجامع الأموي الكبير بحلب، وجامع بنقوسا، ومسجد الصاخور، كما ألقى عدداً من المحاضرات في عدة محافظات، كمدينة دمشق وحمص، في سورية، ومدينة بيروت في لبنان الشقيق. وكان يذهب إلى القرى، داعياً إلى الله تعالى، وكان يوزع المال على الفقراء والمساكين.

**صفاته وأخلاقه:**

كان الشيخ عالماً، مرشداً، وواعظاً مؤثراً، وعابداً، زاهداً، ومتواضعاً، مخلصاً في عمله، محباً لله تعالى، ولرسوله الكريم ﷺ، محبوباً لدى الناس، وكان كثير الرؤيا الصالحة، ويراه الناس في رؤى صالحة، تبشر بالخير. وكان صبيح الوجه أنوه، ذا لحية بيضاء قبضة، يلبس عمامة بيضاء على طربوش أحمر.

**أسرته وأولاده:**

تزوج امرأتين، ورزقه الله تعالى بتسعة أولاد، ستة منهم بنات، وثلاثة منهم ذكور، أكبرهم، الشيخ عبدالله، وبه يكنى، والذي درس في الخسروية، ثم تخرج في كلية الحقوق، وكلية الآداب بحلب، وعمل في المساجد والمحاكم، ثم ولده رضوان، الذي تخرج في الخسروية أيضاً، ثم اتجه إلى الإنشاد والموسيقى والغناء، وآخرهم الشيخ عبدالباسط، والذي يعمل في مجال الدعوة والإرشاد.

## كثرة حَجِّة:

وكان الشيخ كثير الحج، فقد حجَّ ثلاثاً وأربعين حجَّة، ولما لامه بعض الناس على ذلك ردَّ عليه بقوله:

يروم عذولي صدَّ قلبي عن الحِمَا ... وأنْ ألزم القلب المُلوَّع بالصبرِ
فقلت له كُفَّ الملام فإنني ... أرى الصبر عن حبي أمرّ من الصبرِ

## مؤلفاته وآثاره:

ترك الشيخ العديد من الكتب والمؤلفات، المطبوعة، والمخطوطة، ومن كتبه المطبوعة:

١ ـ الرسالة الشافية في الشعر والعروض والقافية. ٢ ـ الدليل إلى مناسك الحج والزيارة. ٣ ـ المثل العليا في الحب للجناب المحمدي، طبع سنة ١٣٩٣هـ. ٤ ـ المولد النبوي في الترغيب والترهيب. ٥ ـ ردود على بعض الفرق، نظماً. ٦ ـ هداية المريد إلى جوهرة التوحيد، طبع سنة ١٩٦٥م، وهو شرح متوسط لجوهرة التوحيد، في العقيدة الإسلامية.

٧ ـ شرح قصيدة السفور والصهيونية، للشيخ الشاعر محمد خير الدين أسبير. ٨ ـ ديوان شعر، بعنوان: ديوان المدائح النبويَّة والأشعار الحكمية. طبع سنة (١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م). اشتمل على كثير من المدائح النبوية، والرثاء، والدفاع عن عز الإسلام ومجد العروبة والأقصى وفلسطين والحجاب الشرعي، والرد على المغرضين الحاقدين.

## وأما كتبه المخطوطة، فهي:

١ ـ الدرر اللمَّاعة في شرح بيان السنة والجماعة. ٢ ـ الفيض الهامي في الرد على رسالة «أدوار التصوف الإسلامي». ٣ ـ القول المنيف في الرد على «النقد والتزييف» للشيخ محمد سعيد الجابي الحَمَوي. ٤ ـ ردود على بعض الفرق، نثراً. ٥ ـ تقريرات على شرح الشيخ خالد الأزهري.



## وفاته:

عاش الشيخ سبعين سنة، قضاها في العلم والتعليم والدعوة والعبادة والوعظ والإرشاد، ثم فارق الحياة مأسوفاً ومحزوناً عليه من الجميع، وذلك في ضحى يوم الخميس ١ جمادى الأولى ١٣٩٩هـ، الموافق ٢٩ آذار ١٩٧٩م، ودُفِنَ في مقبرة كرزة دادة، بحلب رحمه الله تعالى[1].

❒ ❒ ❒ ❒ ❒

(١) مصادر الترجمة: هذه المعلومات مستفادة من: الشيخ العلامة أحمد القلاش، في لقاء معه، في مسجده بباب النصر، بحلب. ومن ولده البار الشيخ عبدالباسط، في اتصال هاتفي معه، بحلب، بتاريخ ١٩٩٩/٧/٧م. ومؤلفات الشيخ المطبوعة، وديوان شعره، الذي طبع في عام (١٩٧١م). ويُنظر أيضاً: مجلة حضارة الإسلام الدمشقية، العدد الرابع، السنة العشرون، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. ومقدمة كتاب: إتحاف المريد بجوهرة التوحيد، لمؤلفه عبدالسلام اللقاني، كتبها تلميذه، الأستاذ الشيخ محمد علي إدلبي الحلبي. وتكملة معجم المؤلفين (لعمر كحالة)، صفحة (١٠١)، للأستاذ الشيخ محمد خير رمضان يوسف. ومعجم المؤلفين السوريين، صفحة (٥٢)، لمؤلفه الأستاذ عبدالقادر عياش. وتنظر ترجمته أيضاً في كتاب «علماء من حلب في القرن الرابع عشر» للأستاذ عدنان كاتبي ص٣٦٦ ـ ٣٧١.

# وفاة الأستاذ المودودي رحمه الله[1]

## (١٣٢١ ـ ١٣٩٩هـ)

## (١٩٠٣ ـ ١٩٧٩م)

أبو الأعلى المودودي

فُجِعَ العالمُ الإسلامي بنبأ وفاة سماحة الأستاذ العلامة الداعية المجاهد أبي الأعلى المودودي رحمه الله عن عُمر يناهز الخامسة والسبعين، قضاها في الدعوة والجهاد وتبصير المسلمين ـ في كلِّ مكان من أنحاء العالم، وبخاصَّة في شبه القارة الهندية ـ بشؤون دينهم ومجتمعهم وثقافتهم الخاصَّة بهم، ولم تقعد به همة ـ رحمه الله ـ عن الكتابة والتأليف وإلقاء المحاضرات حتى في أيامه الأخيرة.

## تاريخ الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية:

وقد مثَّلت حياته الكريمة الخِصْبة ولخَّصت تاريخ الإسلام والدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية في العصر الحديث، أو في التاريخ المعاصر، بدءاً من الصِّراع مع الاستعمار البريطاني الذي كان يجثم على

(١) حضارة الإسلام، العددان الثامن والتاسع، السنة العشرون: (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).



صدر الهند والكثير من البلاد الإسلامية ـ حتى كان هذا الاستعمار أشرس ألوان الاستعمار الأوروبي، وأشدها حقداً على الإسلام والمسلمين، وأكثرها خُبثاً وكيداً لهم في حاضرهم ومستقبلهم كما اتَّضح لكلِّ ذي عينين في فلسطين وكشمير، وكما حذر منه، ونهض لمقاومته دعاة الإسلام في الهند وفلسطين ومصر والعراق وسائر البلاد الإسلامية الأخرى ـ وانتهاءً بمقاومة الظلم الاجتماعي والطغيان السياسي، والعمالة الحضارية التي مارسها حكام باكستان وغيرهم في بلاد المسلمين في عصر ما بعد الاستعمار السياسي والعسكري، والذي يُطلق عليه عادة اسم عصر الاستقلال!.

## ولادته ونشأته وعمله في الصحافة:

ولد الأستاذ المودودي في مدينة أورنج آباد في جنوبي الهند في **٢٥** كانون الأول **١٩٠٣**م، والتحق في عام **١٩٢٠**م ـ بعد أن توفي والده ـ بجريدة «المدينة» التي كانت تصدر في مدينة «بنجور».

ثم تولَّى بعد ذلك إدارة تحرير مجلة «تاج» اليومية في مدينة «جبلبور».

وفي العام التالي أصبح رئيس تحرير جريدة «مسلم» الأسبوعية التي كانت تصدر في نيودلهي، ثم رأس تحرير جريدة «الجمعية» اليومية في عام **١٩٢٤**م. واستمرَّ منذ ذلك التاريخ في كتابة المقالات وإلقاء المحاضرات وتأليف الرسائل.

## مجلة «ترجمان القرآن»:

وفي عام**١٩٣٢**م، بدأ بإصدار مجلة «ترجمان القرآن» الشهرية التي كانت من أعظم الوسائل في توجيه مُسلمي شبه القارة الهندية، وفي تعبئة شعورهم الديني أمام التحدِّي الهندوسي المُتَزايد، والذي كان يلقى العطف والتشجيع من قبل الاستعمار البريطاني.

## مشاركته في إعداد خطة الحكم الإسلامي لدولة باكستان:

حتى إذا اتخذ حزب الرابطة الإسلامية ـ الذي كان يعبر عن شعور مسلمي شبه القارة الهندية وأمانيهم في الحياة ـ قراره التاريخي في آذار

١٩٤٠م، بإنشاء دولة خاصَّة لهم في الهند باسم باكستان، يحكمون فيها بشريعة الإسلام، كان الأستاذ المودودي رحمه الله عضواً في اللجنة التي كُلِّفت بإعداد خطة الحكم الإسلامي لدولة المستقبل. وكان له رحمه الله رأيٌ في أسس الدولة وشروط المواطنة والرعوية فيها قد بسطه في محاضرته القيمة عام ١٩٣٨م، «منهاج الانقلاب الإسلامي»، ثم صدَّقت الأحداث والوقائع صحَّة نظرته العميقة وفكره الثاقب رحمه الله.

### دعوة الأستاذ المودودي على صفحات مجلته:

وفي خريف ذلك العام ١٩٤٠م، كانت دعوة الأستاذ المودودي على صفحات مجلته تلك تصل إلى عيون المسلمين في شبه القارة وأسماعهم، يحثُّهم فيها على تكريس جميع جهودهم وطاقاتهم على الصعيد الفردي والجماعي لفهم الإسلام حق الفهم، وإقامته في نفوسهم ومجتمعه ودولتهم على نحو ما كان في عصر الخلافة الراشدة المجيدة.

### تأسيس الجماعة الإسلامية في باكستان:

ثم بلور برنامجه هذا وأخرجه إلى حَيِّز الوجود في مؤتمر عام دعا إليه في عام ١٩٤١م، في مدينة لاهور حيث نشأت «الجماعة الإسلامية» ووضع لها قانونها الخاص، وانتخب الأستاذ المودودي أول رئيس لها.

وقد تعرضت الجماعة للهجوم من القوى البريطانية المسيطرة منذ أول ظهورها، ولم يستطع الإنكليز - والشعور الديني الوطني الجهادي كان عند المسلمين في الهند في ذلك الوقت على أقوى ما يكون - أن يبلغوا من الجماعة ما بلغه الحكم في باكستان بعد التقسيم!

### رئاسة الجماعة الإسلامية في باكستان:

هاجر الأستاذ المودودي إلى باكستان بعد تقسيم الهند في آب ١٩٤٧م، وتولى مهام رئاسة الجماعة الإسلامية في البلد الجديد، وفي كانون الثاني ١٩٤٨م، بدأ حملته الواسعة لوضع الشريعة الإسلامية والنظام



الإسلامي موضع التنفيذ، ونشط في الكتابة والخطب والأحاديث الإذاعية، ولكن ما لبث في تشرين الأول من ذلك العام أن ألقي عليه القبض وزجَّ به وبزملائه في السجن بتهمة معارضة الحكومة وتحريض الجمهور.

ولم يُطلق سراحه إلا في حزيران ١٩٥٠م، بعد حبس دام عشرين شهرًا!

### مطالبته بتنفيذ الدستور الإسلامي وتآمر الحكومة العسكريَّة عليه:

وفي عام ١٩٥٢م، قدم الأستاذ المودودي مطالبه الشهيرة المؤلفة من تسعة بنود لنفاذ الدستور الإسلامي. هذا الدستور أو هذا الإسلام الذي قُسِّمت الهند على أساسه، وقامت دولة باكستان لتطبيقه، وإعادة بناء الفرد والأمة والدولة على هُداه، ولكن الحكومة العسكرية تآمرت على هذه المساعي، واسْتَغلَّت مساعي الأستاذ المودودي - وبخاصَّة مساعيه ضد القاديانية - لتحقيق أهدافها، فشجعت عملاءها على إثارة موجات العنف وخلق جو الفوضى، واعتقلت الأستاذ المجاهد - رحمه الله - في عام ١٩٥٣م، بتهمة إثارة العنف.

### استبدال حكم الإعدام بالسجن مدى الحياة:

وفي الحادي عشر من شهر أيار - مايو - في هذا العام أصدرت حكمها بإعدام المودودي، وكان هذا الحكم نهاية هذه الأحداث المثيرة، ومقدِّمة لاضطرابات واحتجاجات واسعة داخل باكستان وخارجها في أرجاء العالم الإسلامي الذي كان قد عَرَف الأستاذ رحمه الله عن طريق مؤلفاته ومحاضراته وتاريخ جهاده، فاضطرت الحكومة إلى استبدال حكم الإعدام بالسجن مدى الحياة.

### إطلاق سراحه ومساعيه في تحكيم الدستور الإسلامي:

ثم أصدرت المحكمة العليا في ٢٩ نيسان ١٩٥٤م، حكمها بإطلاق سراحه رحمه الله.

وفي شهر آذار من عام **١٩٥٦**م، لقيت مساعيه نجاحاً جزئياً، وأعلنت الحكومة دستوراً شبه إسلامي.

## سفره إلى الأقطار الإسلامية:

وفي هذا العام سافر إلى بعض الأقطار الإسلامية، وناشد المسلمين من خلال خطبه إلى توحيد صفوفهم، والجمع بين كلمتهم. وبعد عودته من سفره وجَّه مطالبه إلى الحكومة بأن تسعى إلى إنشاء كتلة إسلامية.

## الحَظْر على الجماعة الإسلامية:

في ٦ كانون الثاني **١٩٦٤**م، عادت الحكومة إلى فرض الحظر على الجماعة الإسلامية، وزجَّ بالأستاذ المودودي وأعضاء مجلس الشورى للجماعة في السجن، ثم أطلق سراحه في **٢٥** أيلول بناء على حكم المحكمة العليا.

## أداء فريضة الحج وتعريفه بقضية كشمير:

وفي نيسان **١٩٦٦**م، سافر الأستاذ المودودي رحمه الله لأداء فريضة الحج، وعرَّف العالم الإسلامي مُجدَّداً بقضية كشمير فوزَّع كتيباً عن هذه المشكلة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية.

في ٤ آذار **١٩٦٩**م، أجرى التلفزيون الإيطالي مقابلة شخصية معه حول موضوع «الإسلام في العالم».

## استقالته من رئاسة الجماعة الإسلامية وتفرغه للتأليف:

في عام **١٩٧٢**م، استقال من رئاسة الجماعة الإسلامية لأنَّ حالته الصحية لم تعد تسمح له بمتابعة مهمات هذا المركز، وكرَّس وقته للتأليف، وتابع في تأليف تفسيره للقرآن الكريم الذي كان قد بدأ العمل به في عام **١٩٤٣**م، في مجلة «ترجمان القرآن» ـ تحت عنوان «تفهيم القرآن» ـ حتى تم له إنجازه بحمد الله في حزيران من هذا العام.



ثم عكف في سنواته الأخيرة ـ بعد إنهاء التفسير ـ على التأليف في سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام، واستكمل منها مجلدين اثنين تضمَّنا حياة النبيِّ ﷺ في مكة قبل الهجرة. رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين أفضل ما يجزي عباده الصالحين.

## مزاياه الشخصيَّة

هذه خطوط عامة، ومعالم بارزة في حياة الفقيد العظيم رحمه الله، يقابلها في باب مزاياه الشخصية ذلك العقل القوي الهائل الذي وهبه الله سبحانه، وتلك القوة العجيبة في المنطق والتحليل، والقدرة على التصوير الذهني الدقيق، وعلى المناقشة والجدل والإقناع.. إلى جانب ما عُرف عنه خلال حياته الطويلة بجلائل الأعمال من الصَّلابة في الحق، وعدم المهادنة مع الباطل في جميع الظروف والملابسات والأحوال، والجهر بما يرى أنه حق في باب الفقه والاجتهاد، وفي باب السياسة والاقتصاد، وفي جميع أبواب الفكر النظري، والتعامل اليومي، رحمه الله وأعلى مقامه.

ونحن إذ نضع هذه الخطوط العامة بوصفها مقدّمات وأرقاماً يحسن الوقوف عليها من قِبَلِ جميع الأخوة القراء والدارسين والكاتبين فإننا نأمل أن تصل إلينا طائفة من المقالات تتناول النواحي المختلفة في حياة الأستاذ الفقيد رحمه الله، وفي مؤلفاته ورسائله الكثيرة، وفي منهجه التربوي والإصلاحي، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑

# الشيخ خيرو ياسين(١)

## (١٣٣٤ ـ ١٤٠٠هـ)

## (١٩١٦ ـ ١٩٨٠م)

للأستاذ محمد عيد البغا(٢)

### مصيبة فقد العلماء:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن ينتزعه بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتَّخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**» متفق عليه(٣).

إنَّ فقد الأحباب فاجعة أليمة، ولكن فقد العلماء أشد ألماً وأبلغ أثراً! فهو كارثة مريرة، وفقد العلماء الأتقياء أشدّ مرارة وأنكى خسارة! وإن فقد

(١) حضارة الإسلام، العدد الأول، السنة الحادية والعشرون: (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م). وينظر: «تاريخ علماء دمشق» (٢: ٩٤٦ ـ ٩٥٢).

(٢) المولود بدمشق سنة ١٣٤٨هـ = ١٩٣٠م، وتخرج في مدارس التربية، وأصبح مديراً لمدرسة ابتدائية في حي الميدان الوسطاني، ثم أمين سر لجنة المعلمين، وتتلمذ على يد الشيخ خيرو ياسين، وحسن حبنكة الميداني، وزين العابدين التونسي، وافتتح مكتبته وسط دمشق سماها: (دار الفتح) ونشر بعض الكتب الإسلامية، وغادر دمشق في بدايات أحداث الثمانينات، وأقام في الأردن، وتوفي في عمان يوم الخميس ١٧ محرم ١٤٣١ رحمه الله تعالى.

(٣) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه.



الأتقياء نذير سوء في الأمة، ولعل أقل ما يمليه علينا الواجب تجاه عالم جليل، أمضى حياته في خدمة العلم والعمل للإسلام أن نسجل بعض مآثره، رحمه الله لعلها تكون منارة للجيل يهتدي بهديها وينسج على منوالها، ولا بد لنا ـ قبل الحديث عن صفاته ومآثره وعمله الجاد المثمر في حقل التعليم وما تركه من آثار في هذا المجال ـ لا بد لنا من نبذة مختصرة عن حياته.

### نبذة مختصرة عن حياته:

ولد الشيخ خير ياسين رحمه الله في دمشق عام **١٩١٦م**، وتوفي في **١٩** صفر **١٤٠٠**هـ، الموافق لـ **٧** كانون الثاني **١٩٨٠م**، وتلقى مبادئ العلوم الشرعية في جامع منجك في حيِّ الميدان بدمشق الذي كان يشرف عليه الشيخ حسن حبنكة الميداني رحمه الله، وبدأ بحفظ القرآن الكريم في سنٍّ مبكرة على يد القارئ الحافظ الشيخ عز الدين العرقسوسي رحمه الله. والتزم في حلقته مدارسة وتدريس التفسير حتى وفاته.

### تدريسه في معهد التوجيه الإسلامي:

ولقد أحبَّ رحمه الله مهنة التعليم تأسياً برسول الله ﷺ: «**إنما بُعِثْتُ معلماً**»(١)، وَوَهَبَ حياته للعلم الشرعي، فكان أحد مدرِّسي معهد التوجيه الإسلامي البارزين. وحياته العامة تكاد تكون محصورة في الإطار العلمي والتعليمي، حيث درّس العلوم الشرعية (القرآن ـ علوم اللغة العربية ـ الفقه..) فقد حوّل بيته إلى معهد ومَنْهلٍ للعلم الشرعيّ، يبدأ فيه النشاط العلمي منذ الفجر وحتى الظهيرة، ومن المغرب إلى ما بعد العشاء، يُمسي ويُصبح مع طلابه وكتبه ودروسه، ويعيش غالب وقته لطلاب العلم ولم يكن ليوصد بابه في وجه طالب علم أبداً.

(١) رواه ابن ماجه (٢٢٩) في المقدمة، والدارمي (٣٤٩)، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص. قال الحافظ السخاوي: هذا حديث غريب ضعيف، لضعف راوٍ في سنده، هو (زياد بن أنْعُم الإفريقي) لسوء حفظه، ولكن للمتن شواهد. انتهى. ومن شواهده الصحيحة: حديث صحيح مسلم (١٤٧٨) في قصة تخيير النبيِّ ﷺ زوجاته الشريفات رضي الله عنهن، وقوله ﷺ لعائشة: «**إنَّ الله لم يبعثني مُعنِّتاً ولا متعنِّتاً، ولكن بعثني معلِّماً ميسِّراً**».

## إقامته حلقات تحفيظ القرآن:

وقد تنبّه مُبكِّراً رحمه الله إلى أهمية حفظ وتحفيظ القرآن الكريم فكانت حلقات تحفيظ القرآن الكريم لطلاب العلم من الجيل الناشئ إذ حفظ على يديه العدد الكثير.

## استمراره على التدريس والتعليم في مرضه وشيخوخته:

ولم يترك رحمه الله العلم والتعليم حتى في سنيّ حياته الأخيرة رغم تقدم سنه وفقد بصره، حيث كان يحتمل مرضه وعجزه وكف بصره، ويتابع تعليمه صابراً محتسباً الأجر والثواب، فكان بهذا معلماً وقدوة في حالة الصحة والمرض، حيث لم ينقطع عن حلقات التدريس والتعليم حتى وافته المنية وانتقل إلى جوار ربه.

## تيسيره العلم لطلابه:

ولعلَّ من أبرز صفات منهجه التعليمي رحمه الله: رغبته في أن يقدِّم العلم لطلابه وتلامذته سهلاً مُيسَّراً، وبعيداً عن التعقيدات النظرية، وعن الخوض في الجزئيات المتكلفة، وبعيداً عن الأمور الخلافية والجدلية، وبعيداً عن التعصُّب لرأي إذا ظهر الدليل الشرعي بخلافه.

## تواضعه وزهده:

ولم تكن هذه السجيَّة من سجاياه تُمثِّل موقفاً نظرياً فحسب، بل كانت تُمثِّل خلقاً أصيلاً فيه كان يعرف ببساطته وتواضعه وزهده في الدنيا ومظاهرها، وبذلك كان رحمه الله دليلاً صادقاً على إسلامه وصورة عملية للأمة بسلوكه، فالإسلام ليس ثوباً له مواصفات خاصة يلبس في المناسبات. فقد عاش حياته زاهداً في متاع الدنيا الفاني مؤثراً ما عند الله عزَّ وجل تاركاً هذا المتاع الزائل للاهثين وراءه حيث لم تثقل الدنيا كاهله ولا أقعدته عن أداء رسالة العالم العامل فلم يكن لها من قلبه نصيب.

إلى جانب هذا كله كان رحمه الله لطيف المعشر، دمث الطبع، مُحباً



لإخوانه وطلابه، كريماً سخياً عليهم. كان ترجمة حيَّة لحديث رسول الله ﷺ: «المؤمن يَألف ويُؤلف»(١).

## خدمته لأصحابه في رحلاته الكثيرة إلى الحج:

ولعل ذلك من أبرز صفاته التي ما اقتصرت معرفتها على أقرانه وإخوانه وتلامذته الأقربين، بل شملت كل مَنْ عرفه أو رافقه في سفر أو جالسه على طعام، فقد كان رحمه الله المعلم والمرشد والمُؤْنس والخادم لمن يلازمه في رحلاته الكثيرة وبشكل خاص حجه إلى بيت الله الحرام طيلة ما ينوف عن ربع قرن تقريباً، وبصحبته العدد الكثير من حجاج بيت الله، يعلمهم مناسك الحج ويرشدهم إلى السنة، ويعينهم على وعثاء السفر ومشقة الطريق، ويُؤْنسهم بحديثه العذب الصافي. ليس هذا فحسب بل يكاد يتحمَّل ـ وبكل سرور ـ كل أعباء تحضير الطعام لهم.

رحم الله الفقيد الكريم وأسكنه جنَّات الفردوس، وعوّض الأمة خيراً بالسائرين على دربه المتَّبعين هدي الله، العالمين المتقين، ولله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل، ولا نقول إلا ما يُرضي ربنا، وإنا لله وإنا إليه راجعون(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٩١٩٨)، والحاكم في «المستدرك» ١: ٢٣، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٦٥٨) من حديث أبي هريرة ولفظه عند أحمد والبيهقي: «المؤمن مؤلف، ولا خير فيمن لا يَألف ولا يُؤلف». ولفظ الحاكم: «إن المؤمن يألف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف».
وأخرجه أحمد (٢٢٨٤٠)، والطبراني في «الكبير» (٥٧٤٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨١٢٠) من حديث سهل بن سعد بلفظ: «المؤمن مألفة، ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلف» وهذا الحديث والذي قبله حسَّنه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

(٢) هذه آخر ترجمة نشرت في مجلة «حضارة الإسلام» التي توقَّفت عن الصدور بعد العدد الثاني من السنة الثانية والعشرين: (ربيع الآخر ١٤٠١هـ، شباط ١٩٨١م)، وألحقت بهذه المجموعة عدَّة تراجم كتبتها ونشرتها في بعض المناسبات والمجلات تتميماً للفائدة، ونفعاً للقارئ.

## الأستاذ الكبير الشيخ محمد المبارك أبو هاشم العالم والداعية والمفكر(١)

**(١٣٣١ - ١٤٠١هـ)**

**(١٩١٢ - ١٩٨١م)**

**بقلم العلامة الشيخ مصطفى أحمد الزرقا**

هو النَّجل الأكبر لأستاذ الجيل الشيخ عبدالقادر المبارك. كان والده الشيخ عبدالقادر أستاذ الأدب العربي، واللغوي المرجع في دمشق لكل سؤال يتعلق باللغة العربية، وعضواً في المجمع العلمي في دمشق.

### في مدرسة عنبر:

١ - أول معرفتي بالأستاذ محمد المبارك كان في مدرسة عنبر الثانوية الرسمية في دمشق في العشرينات من هذا القرن العشرين.

ففي سنة **١٩٢٩** جئت أنا من حلب إلى دمشق للالتحاق بمدرسة عنبر (الثانوية) في الصف الثاني عشر (صف الفلسفة والرياضيات). وكان هو الصف الوحيد فيها للسنة الثانية عشر لسائر المحافظات الأخرى في البلاد السورية. كان محمد المبارك إذ ذاك طالباً في السنة العاشرة من الدراسة الثانوية، وكان متميِّزاً مرموقاً بين رفاقه.

---

(١) نُشرت بتاريخ ٢٠/٧/٢٠٠٦م، في موقع (الإسلام في سورية) www.islamsyria.



### في كلية الآداب في جامعة السوربون:

٢ - لما أكمل دراسته الثانوية وتخرج فيها، فتحت مسابقة في وزارة المعارف لإيفاد طلاب إلى فرنسا ليدخلوا الجامعة في باريس، ويعودوا أساتذة في الثانويات السورية. فاغتنم محمد المبارك هذه الفرصة، ودخل المسابقة في فرع الأدب العربي، ونجح فيها بتفوق فأوفدته الدولة على حسابها في جملة من أوفدت إلى باريس العاصمة الفرنسية ليدخل كلية الآداب (قسم الأدب العربي) في جامعة السوربون بباريس في منتصف الثلاثينيات، وعاد مجازاً إلى دمشق، في الأدب العربي وفي علم الاجتماع. وتمَّ تعيينه بعد عودته أستاذاً للأدب العربي في المدرسة الثانوية بمدينة حلب.

كان من أبرز أساتذته في باريس: الأستاذان المستشرقان المشهوران؛ مارسيه، وماسينيون، وخلال وجوده في هذه المرحلة من حياته في حلب تزوج زوجته الحلبية من آل البيانوني، وهي أم أولاده أحسن الله عزاءها.

### أستاذ الأدب العربي في حلب:

وقد ظلَّ في حلب في وظيفته هذه مدة طويلة، تعرَّف خلالها إلى إخوانه العاملين في الحقل الإسلامي، كالأستاذ معروف الدواليبي، وعمر بهاء الأميري، والمحامي عبدالقادر السبسي، وغيرهم.

### عودته إلى دمشق ونشاطه في الحقل الإسلامي:

ثم نقل إلى دمشق وتابع فيها مهمته. وتعرَّف على بقية إخوانه الذين يتلاءمون معه، ويتعاونون فكرياً وعملياً في الحقل الإسلامي، كالأستاذ نهاد القاسم، والأستاذ عبدالوهاب الأزرق، والأستاذ مصطفى السباعي المراقب العام للإخوان المسلمين في سورية، والأستاذ عصام العطار.

### نجاحه في الانتخابات النيابية:

ثم لما أجريت أول انتخابات نيابية بعد استقلال سورية وخلاصها من

الانتداب والاحتلال الفرنسي خاض الانتخابات النيابية، ونجح فيها هو والأستاذ مصطفى السباعي، فكانا مع بعض النوَّاب الآخرين دعامة الجبهة الإسلامية في مجلس النوَّاب الذي اعتبر مجلساً تأسيسياً لوضع الدستور السوري.

## المعركة بين الجبهة الإسلامية وخصومها:

وفي هذه المرحلة اشتدّت المعركة بين الجبهة الإسلامية التي كان أبرز قياديها في المجلس التأسيسي هو والأستاذ مصطفى السباعي حول الموضوع الخطير الذي أثير في المجلس وهو النص في أوائل مشروع الدستور على أنَّ: دين الدولة السورية هو الإسلام، وبين خصوم هذا النص وهم المسيحيون والعلمانيون والشيوعيون. وقد حمي الوطيس بن الفريقين. ثم انتهت المعركة بالنص في المادة الثالثة من المشروع على أنَّ الإسلام مصدر رئيسي للتشريع في سورية. هذه كانت أهم المواقف الصعبة التي واجهها الأستاذان المبارك والسباعي في مجلس النواب، ومن يساندهم خارج المجلس.

## تسلُّمه منصب وزارة الأشغال العامة:

٣ ـ وبعد انتهاء هذه الدورة التشريعية للمجلس ومدتها أربع سنوات أُلفت وزارة مؤقتة لأجل انتخابات المجلس النيابي، فأدخل الأستاذ محمد المبارك في هذه الوزارة المؤقتة، وأعطي وزارة الأشغال العامة، فشهدت منه خير وزير منحها كل اهتمامه، وقام على إدارتها خير قيام.

## الجبهة الإسلامية في مجلس النوَّاب:

ثم في سنة ١٩٥٤ لما أُجريت الانتخابات النيابية لأجل دور تشريعي جديد، دخلها الأستاذ محمد المبارك عن دمشق، ودخلتها أنا عن حلب، ونجحنا كلانا فيها، فألفنا مع بضعة نواب آخرين في مجلس النواب الجبهة الإسلامية.



وقد نجح في هذه الدورة خالد بكداش عن الشيوعيين وعدد وفير من البعثيين، فكانت الجبهة الإسلامية مع مَنْ تحالفت معه من الآخرين جداراً استنادياً في وَجْه خصوم الإسلام من العلمانيين والبعثيين والشيوعيين في المجلس النيابي.

وقد عانينا في هذه المرحلة أنا والأستاذ المبارك، ولاقينا الأهوال من هذه الفئات الثلاث ومؤامراتهم، وكنت وإياه نتعاون ونتناوب المواقف الصعبة في المجلس. ثم انتهى هذا الدور التشريعي عام ١٩٥٨، بالوحدة بين مصر وسورية التي دامت ثلاث سنوات، ثم فشلت وانفرطت، فقد عقدها العسكريون ونقضها العسكريون أنفسهم!!

## مزايا الأستاذ محمد المبارك:

٤ ـ كان ـ رحمه الله ـ جمَّ المواهب الفكرية، واسع الثقافة العصرية إلى جانب ثقافته العميقة، وحُسن التحليل للقضايا المعقدة، سريع البديهة، خطيباً كاتباً باحثاً متعمقاً، حسن التمييز بين الأولويات الإسلامية، قوي الحجة في المناقشة والمناظرة، بعيداً عن الشبهات والمواقف المريبة، صادق الوطنية في عهد الاستعمار الفرنسي للبلاد، متواضعاً يحب البساطة في حياته ويكره التكلف.

إنه بين إخوانه الذين كان يتعاون معهم على الواجبات الإسلامية والعلمية يعدُّ ثروة لهم يغني عن كثيرين، ولا يقوم مقامه كثيرون.

## مادة (نظام الإسلام):

كان أول من فكر من علماء العصر الإسلاميين بوجوب تدريس مادة في الجامعات العربية على المستوى الجامعي لكل الكليات باسم: نظام الإسلام، يعرض فيها الإسلام بمفهومه العام ونظرته الشاملة لله تعالى والكون والإنسان، وينظِّم حياة الإنسان فرداً ومجتمعاً في هذه الحياة الدنيا على أساس أنها طريق إلى الآخرة ليوم الحساب، وتوزع المعلومات في كتاب نظام الإسلام على هذه الأركان الثلاثة: الله، والكون، والإنسان.

ـ ففي البحث عن «**الله تعالى**» يلخِّص للطلاب خلاصة من علم التوحيد عن وجود الله وصفاته وكتبه ورسله واليوم الآخر بأسلوب جديد.

ـ وفي البحث عن «**الكون**» يعرض ما في الكون من آيات ناطقة عن الله ونظام معجز مُحيِّر للعلماء كلما تبحَّروا فيه، وإنه كله إلى زوال ويبقى وجه الله ذو الجلال والإكرام.

ـ وفي البحث عن «**الإنسان**» تبين نظرة الإسلام إلى هذا الإنسان المتميز عن سائر المخلوقات، وما يجب أن يكون عليه البشر في حياتهم الفردية والاجتماعية والاقتصادية، وتعرض هنا خلاصة عن النظام القانوني الذي جاء به الإسلام لتنظيم حياة الإنسان وسلوكه من جميع جوانبها الحقوقية والجنائية والأسرية أفراداً ومجتمعات وفقاً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾.

وقد بدأ رحمه الله بوضع كتاب باسم نظام الإسلام تطبيقاً لفكرته، وتولى تدريس هذه المادة في الجامعة الأردنية.

## إعادة النظر في علم الاجتماع:

٥ ـ كذلك كان الأستاذ محمد المبارك رحمه الله أول من فكر بضرورة إعادة النظر في علم الاجتماع الذي يدرس بصورته المستمدة من آراء العلماء والفلاسفة الأجانب الملحدين، ويدرس في الجامعات العربية بوضعه الحالي المعروف الذي يؤدي إلى الإلحاد.

فيرى الأستاذ المبارك ضرورة لكتابة علم اجتماع إسلامي متَّفق مع مُسلَّمات الإسلام وثوابته في القرآن والسنَّة النبوية.

وقد كُلِّف في آخر حياته في الجامعة الأردنية بتدريس علم الاجتماع الإسلامي على صعيد الجامعة للطلاب من جميع الكليات، وقام بذلك فعلاً في عام واحد أو أكثر، ولكنه لم يبدأ بوضع كتاب كما فعل في موضوع نظام الإسلامي، بل توفاه الله قبل أن يبدأ بتنفيذ فكرته.



## مواهب متنوِّعة:

٦ ـ أن الأستاذ محمد المبارك كان يُعَدُّ بمفرده وفي ذاته فريقاً من العلماء والدعاة ذوي المواهب المتنوعة. وقد خسر العالم الإسلامي بوفاته خسارة كبيرة لا أظنّ أنها تُعوَّض في مئة عام.

## تولِّيه عمادة كلية الشريعة في جامعة دمشق:

تولَّى عمادة كلية الشريعة في جامعة دمشق بعد وفاة عميدها الأول الأستاذ الدكتور مصطفى حسني السباعي رحمه الله، فأدارها خير إدارة، وخلف الدكتور السباعي خير خلافه.

وقد ترك لنا من مؤلفاته العديدة وكتاباته ما يدلُّ على مدى ما كان يتمتَّع به رحمه الله من فكر متميِّز، وبصيرة إسلامية نيِّرة، وأُفق واسع.

## من شواهد حفظ الله تعالى لكتابه:

حدَّثني عن أستاذه المستشرق (ماسينيون) أنه ذكر لمجموعة من طلابه، وفيهم الأستاذ محمد المبارك كانوا في زيارته في بيته بباريس، قال لهم: نحن المستشرقين بذلنا جهوداً كبيرة خلال ثلاثة أجيال في تتبع مخطوطات القرآن الكريم من أقدم ما هو محفوظ في دور الآثار والمكتبات العالمية، حتى الأوراق المفردة المقطوعة من مصاحف قديمة فُقدت، وقارنا كل ذلك بالمصاحف المطبوعة، لكي نعثر على أيِّ اختلاف بين المصاحف من مصحف عثمان إلى مختلف العصور حتى المصاحف في عصرنا، ولو كان اختلافاً في آية أو جملة أو كلمة، فلم نجد أي اختلاف، ما جعلنا نعتقد مستيقنين أن القرآن الذي نطق به محمد باق إلى اليوم كما نطق به لم يتبدل فيه شيء!!

أقول: وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾.

أسأل الله أن يُجيز أخانا المبارك الذي سبقنا إلى لقاء ربِّه، عن جهاده في سبيل الله، خير ما يجيز به عباده الصالحين في جنات النعيم المقيم، فإننا إذا أردنا أن نعد المجاهدين في سبيل الإسلام في العصر الحاضر يبرز الأستاذ محمد المبارك رحمه الله في طليعتهم.

□ □ □ □ □



# الشيخ محمد صالح الفرفور

## مؤسس جمعية الفتح الإسلامي ونهضتها العلمية[1]

**(١٣١٨ - ١٤٠٧هـ)**

**(١٩٠١ - ١٩٨٦م)**

حرّرها واختصرها: مجد مكي

### اسمه ونسبه:

العلامة المربِّي الكبير الشيخ محمد صالح بن عبدالله بن محمد صالح الفرفوري الدمشقي الحنفي، من ذرية بني فُرفُور - بضم الفاءين - الذين كثر فيهم العلماء والأدباء والقضاة والمفتون في القرن الثامن فما بعده.

### ولادته ونشأته:

ولد بدمشق سنة (١٣١٨هـ)، الموافق (١٩٠١م)، ونشأ بين أبوين صالحين، دفعه والده في سِنِّ السادسة إلى المكتب ليتعلَّم فيه القرآن والقراءة والكتابة والحساب، وكان شيخه في المكتب هو الشيخ أنيس الطالوي (ت١٣٢٧)، ثم أدخله المدرسة الكاملية، فدخلها وهو ابن ثمانية سنين

(١) نُشرت بتاريخ ٢٠٠٧/٥/٣٠م، في موقع: (الإسلام في سورية) www.islamsyria.

بتاريخ ١٤ شوال ١٣٢٨، وتخرج في المدرسة سنة ١٣٣٥ بدرجة علي أعلا.

## عمله وكسبه الدنيوي:

توفي والد الشيخ صالح، السيد عبدالله (ت١٣٣٦هـ) وترك ذُرِّيَّةً تحتاج إلى مَنْ يعولها ويقوم عليها، فاضطر الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ إلى الاكتساب لئلا يمد يده إلى أحد، فعمل بصنعة النجارة في سوق القباقبية الملاصق لدار المسجد الأموي.

وقد تحدَّث صديقه الأستاذ الكبير علي الطنطاوي عن عمله هذا، فقال في «الذكريات» ٢: ١٨٢: «وكان نجاراً بارعاً، يأكل من كسب يده مالاً حلالاً، كما كان شأن كبار الصحابة، وكبار العلماء، وكان يغدو إلى درس الشيخ هاشم الخطيب في المسجد، ثم يؤمُّ دكانه في السوق، يُحْسن عمله، وينصح مَنْ يعامله، ويقنع بالقليل من الحلال، لم يكن غشَّاشاً ولا طمَّاعاً ولا مُدَّعياً في صناعته».

## صفاته الخِلْقيَّة والخُلقيَّة:

**١ ـ صفاته الخِلْقيَّة:**

كان الشيخ رَبْعة من القوم، إلى الطول أقرب، تغلب عليه السمرة، واسع العينين، وفي وجهه سيماء المهابة ونور الصَّالحين. اعتمَّ في شبابه بالعمة الصفراء، وارتدى الجبة والقنباز، ثم لبس العمة البيضاء على الطربوش الأحمر قبيل سن الأربعين والتزمها طوال عمره.

**٢ ـ صفاته الخُلقية:**

كانت أخلاق الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ أخلاق الكُمَّل من الرجال، فقد كان يحبُّ معالي الأمور، ويكره سفسافها، حكيماً يضع الأمور في مواضعها، يتواضع من غير مَذَلَّة، عزيز النفس من غير كبرياء، يصدع بكلمة الحق ولا يخشى فيها أحداً، يغضب لله ولا يغضب لنفسه، كل ذلك مع الحكمة وحُسْن التصرُّف وبُعْدِ النظر.



وكان ـ رحمه الله تعالى ـ لين الجانب، كثير الإحسان والتودُّد إلى الناس، لا سيما تلامذته، يحنو عليهم ويهش لهم، حتى يحسب كلُّ طالب منهم أنه أحب إليه من غيره، فإذا ما وجّه لأحدهم تأنيباً أو تأديباً فإنما يكون ذلك في سبيل تربيته، ومع ذلك فإنه سرعان ما يسترضيه، فيشعر الطالب بذلك أنه بين يدي أب رؤوف حنون.

ومن أخلاقه ـ رحمه الله تعالى ـ: أنه كان كريم النفس، سخيَّ اليد، كثير الإنفاق في سبيل الله، في شتى أبواب الخير، لا سيما إطعام الطعام، فكرمه في هذا الباب من أشهر شيء، أما إنفاقه على تلاميذه فحدِّث عن البحر ولا حرج.

ومن أخلاقه ـ رحمه الله تعالى ـ: الوفاء لجيرانه ومعارفه، ولكل من مدَّ يد العون في سبيل نهضته، والوفاء لأبناء شيوخه، فكان يقدرهم قدرهم، وينزلهم منازلهم، ويكرمهم غاية الإكرام.

ومنها: أنه كان لا يستخدم أحداً من طلابه في شؤونه الخاصة، فيشتري حوائجه، ويخدم نفسه بيده، وكان كثيراً ما يقول: ليست هذه السنة لتروى على المنابر فحسب بل لنعمل بها، حتى إنه لمّا مرض ولزم الفراش كان يتحرَّج من خدمة أبنائه له.

ومنها: أنه كان أبيَّ النفس عفيفها لا يمدُّ يده إلى أحد، ولا يذلُّ إلا لِلَّهِ، أسَّس (جمعية الفتح) وترأسها ثلاثين سنة وما دخل عليه قرشٌ واحد من أموالها، وكان في ذلك ورعاً نزيهاً غاية النزاهة.

ومن مناقبه ـ رحمه الله تعالى ـ: الرقة والبكاء من خشية الله، والقلب الحاضر، والمراقبة الدائمة لله عزَّ وجلَّ، والإخلاص في أقواله وأفعاله، والإكثار من الذكر والعبادة، وتلاوة القرآن، مع فكرٍ دائمٍ واهتمام بشؤون المسلمين، تغمده الله بواسع رحمته.

## مزاياه وخصائصه الذاتية:

جمع الشيخُ ـ رحمه الله تعالى ـ في شخصيته أصنافاً من المكارم،

كالشجاعة والإقدام، والجرأة والصبر، والعزَّة والإباء، بل كان ذلك يجري منه مَجْرى الدم في العروق، يعرف ذلك منه كل مَنْ عاشَرَهُ ولازَمَهُ.

ومن شجاعته ـ رحمه الله تعالى ـ: مشاركته في الثورة السورية ضد الفرنسيين، فقد أبلى فيها بلاءً حسناً، ونَجَا فيها من الموت مراتٍ عديدة.

وشارك أيضاً في المقاومة الشعبية عام **١٩٥٦**م ضدَّ العدوان الثلاثي على مصر مع ثلة من طلابه، حيث تدربوا على السلاح الحديث آنئذٍ، وشارك في هذا التدريب كثير من علماء دمشق.

وجمع ـ رحمه الله تعالى ـ إلى ذلك اهتمامه بممارسة الفتوة بأنواعها، كالفروسية، والرماية، والسباحة، والمصارعة، والصيد، والأخذ بالسيف، وغير ذلك، بل كان يُشَجِّع أولاده وتلاميذه على ممارستها ليبني لهم بذلك شخصيةً متكاملة، تجمع بين العلم والدين والدنيا.

يقول الأستاذ علي الطنطاوي ـ رحمه الله تعالى ـ واصفاً فتوَّة صديقه المترجم: «كان من أرباب الفتوة لاعب سيف، وكانت لعبةُ السيف والترس مما يفخر به الرجال، وكان البطل فيها يمسك بيديه سيفين وينازل خصمين، وكذلك كان هذا الصديق، وكان يحطُّ على الأرض قاعداً القرفصاء، ثم يثب من قعدته في الهواء، كما يفعل أهل القوقاز».

## شيوخه وتحصيله العلمي:

قرأ رحمه الله على أجلّة علماء دمشق، في مقدِّمتهم العلامة المحدِّث الأكبر الشيخ محمد بدر الدين الحسني (١٢٦٧ ـ ١٣٥٤هـ)، فقد لازمه ملازمة تامَّة سنوات، قرأ عليه خلالها علوم الحديث والتفسير والفقه والأصول والعقيدة وعلوم العربية وعلوم الفلسفة، وعلوم الفلك والميقات والرياضيات، وغيرها من العلوم الشرعيَّة والعربيَّة والعصريَّة، وانتفع به كثيراً، وقيَّد عنه كثيراً من الفوائد والإملاءات.

وقرأ على العلامة الفقيه الزاهد الشيخ صالح بن أسعد الحمصي (١٢٨٥ ـ ١٣٦٢هـ)، وتخرَّج عليه في علوم الفقه الحنفي وأصوله



التصوف، وانتفع به وبعلومه وزهده، وكان له أكبر الأثر في حياته.

وحضر أيضاً في الفقه الحنفي على مفتي الشام الشيخ محمد عطاء الله الكسم (١٢٦٠ ـ ١٣٥٧هـ).

وقرأ علوم الفلك والميقات على مفتي الشراكسة في مرج السلطان ـ شرقي دمشق ـ الشيخ محمد الساعاتي، وبه تخرَّج في هذه العلوم.

وقرأ القرآن الكريم على العلامة المقرئ الشيخ محمد سليم الحلواني شيخ قراء دمشق (١٢٨٥ ـ ١٣٦٣هـ).

كما حضر دروساً مختلفة عند عدد من علماء الشام، كالشيخ محمد بن جعفر الكتاني (١٢٧٤ ـ ١٣٤٥هـ)، والشيخ محمد أمين سويد (١٢٧٣ ـ ١٣٥٥هـ)، والشيخ عبدالكريم الحمزاوي (ت١٣٤٦هـ)، والشيخ محمد نجيب كيوان (١٢٨٧ ـ ١٣٥٢هـ)، والشيخ محمد هاشم الخطيب (١٣٠٤ ـ ١٣٧٨هـ)، والشيخ عبدالرزاق الأسطواني (١٢٧٠ ـ ١٣٦٣هـ)، والشيخ محمود العطار (١٢٨٤ ـ ١٣٦٢هـ)، والشيخ محمد شريف اليعقوبي (١٢٨٢ ـ ١٣٦٢هـ)، وغيرهم.

واشتغل رحمه الله بنفسه فَجَدَّ واجتهد في تحصيل العلوم مطالعة وبحثاً وتحقيقاً، واعتزل الناس من أجل ذلك اقتداءً بعُزْلة شيخه البدر، فقرأ خلال عزلته الكثير من الكتب العلمية والأدبية، وحفظ من أشعار العرب الشيء الكثير.

## نهضته العلمية وتأسيسه جمعية ومعهد الفتح الإسلامي:

وبعد أن أتمَّ تحصيله على الشيوخ، التفت إلى التعليم والإرشاد، فدرَّس أولاً في الكلية الشرعية في بيروت سنوات، ثم تركها وأسَّس في دمشق نهضة علمية، بدأت في المساجد لا سيما المسجد الأموي ومسجد فتحي في القيمرية، واستمرَّت هذه النهضة سنوات، نبغ خلالها عددٌ جمٌّ من طلبة العلم، استطاع أن يعتمد عليهم في التأسيس لنهضة علمية كبيرة.

وفي سنة (١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م) أسَّس **جمعية الفتح الإسلامي** مع نُخبة

من كبار تلاميذه، وثلّة من صُلحاء التجار، ثم أسَّس **معهد الفتح الإسلامي** ليضمَّ طَلَبَة العلم فيُعلِّمهم فيه أصناف العلوم، ويفقِّههم في دينهم، ويربِّيهم على الصلاح والتقوى، وينفق عليهم من أموال الجمعية ليتفرغوا عن مشاغل الدنيا، ويصرفوا سائر أوقاتهم إلى تحصيل العلوم.

وفي سنة (١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م) أسَّس معهداً خاصاً بالإناث، لِيُعَلِّمَهُنَّ العلومَ الشرعية، وهي أول نهضة من نوعها تُقام في دمشق آنئذ.

ولا زال هذا المعهد المبارك بفرعيه قائماً مستمراً بفضل الله، يخرج المئات من طلبة العلم والدعاة والداعيات.

## نشاطه التعليمي:

وفي سنة (١٣٩١هـ)، الموافق (١٩٧١م)، افتتح الشيخ قسم التَّخصُّص في معهد الفتح الإسلامي، وكان هدفه منه تقوية الطلبة المتخرِّجين خلال ثلاث سنوات، يَتَخَصَّص الطالب في علم من العلوم التي قرأها في المعهد، وجعله ثلاثة فروع: فرع الفقه واوصول، وفرع اللغة العربية وعلومها، وفرع الحديث والتفسير، وقد أثمر هذا القسم ثمراتٍ طيبةً مباركة.

وكانت للشيخ رحمه الله نشاطات أخرى في مجال التعليم والإرشاد، فعقد حلقات علمية في بيته تضمُّ تلامذته ومعارفه ومُحبيه، وعَقَدَ حلقات للتجَّار في حوانيتهم وبيوتهم، كما كان يَتَردَّد على السجون ويعقد فيها الدروس الوعظيَّة يذكِّر أهلها بالتوبة والإنابة، واهتمَّ أيضاً باللاجئين الفلسطينيين، فأرسل عدداً من طلابه إلى مُخيماتهم لتعليمهم وتفقيههم، كما أرسل كثيراً من الطلاب إلى القرى والأرياف وأماكن البدو، لتعليمهم وتفقيههم وفتح المساجد المغلقة.

## أهم الكتب التي أقرأها:

أقرأ رحمه الله خلال نهضته الكثير من الكتب العلمية:

فمن كتب التفسير: أقرأ النسفي والبيضاوي والكشاف وغيرها.



ومن كتب الحديث وعلومه: الترغيب والترهيب للمنذري، ومقدمة ابن الصلاح، وتدريب الراوي للسيوطي.

ومن كتب الفقه الحنفي: مراقي الفلاح للشرنبلالي، والاختيار للموصلي، والهداية للمرغيناني، وحاشية ابن عابدين وبعض رسائله.

ومن كتب الأصول: المنار للنسفي وشروحه، والتوضيح لصدر لشريعة، والمستصفى وشفاء الغليل للغزالي، والفروق للقرافي.

ومن كتب العقيدة: شروح الجوهرة لا سيما الباجوري، وشرح بدء الأمالي لملا علي القاري، والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي.

ومن كتب التصوف: الرسالة القشيرية، وإحياء علوم الدين للغزالي، وشروح الحِكَم العطائيَّة ولا سيما شرح ابن عبَّاد.

وأقرأ من كتب العربية: شروح الألفية لا سيما ابن عقيل والأشموني، ومغني اللبيب، وشرح قطر الندى، وشذور الذهب لابن هشام.

ومن كتب البلاغة: دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة للجرجاني.

ومن كتب الأدب: الكامل للمبرد، والأمالي لأبي علي القالي، والمثل السائر لابن الأثير.

## أشهر تلاميذه:

من أشهر تلاميذه الذين لازموه السادة الأعلام:

الشيخ عبدالرزاق الحلبي (حفظه الله وأطال عمره في عافية وسرور)، والشيخ رمزي البزم - ت(١٤١١هـ)، والشيخ محمد أديب الكلاس (١٤٣٠هـ)، والشيخ إبراهيم اليعقوبي ت(١٤٠٦هـ)، والشيخ صبحي القيسي البغجاتي ت(١٤١٣هـ)، والشيخ شعيب الأرناؤوط (حفظه الله ونفع بتحقيقاته العلمية)، والشيخ عبدالقادر الأرناؤوط ت(١٤٢٦هـ)، والشيخ سهيل الزبيبي،

والشيخ سعيد طناطرة، والشيخ أحمد رمضان، والشيخ نور الدين خزنه كاتبي، والشيخ موفق النشوقاتي ت(١٤٢١هـ)، والشيخ صبحي النمر، والشيخ عبدالفتاح البزم مفتي دمشق، وغيرهم.

ومن تلامذته: أبناؤه الأكارم، لا سيما الدكتور محمد عبداللطيف، والدكتور حسام الدين، والدكتور ولي الدين، والسيدة فاطمة، والسيدة لطفية، وسائر أبنائه وبناته.

## وظائفه الدينية ونشاطاته العلمية:

تولى رحمه الله عدداً من الوظائف الدينية، أبرزها:

١ ـ وظيفة التدريس الديني في مساجد دمشق. ٢ ـ وظيفة الإمامة في مسجد سنان آغا في المناخلية. ٣ ـ وظيفة الخطابة في المسجد المذكور عام ١٩٤٤، ثم انتقل منه سنة ١٩٥٩ إلى مسجد السادات أقصاب. ٤ ـ رئاسة جمعية الفتح الإسلامي منذ تأسيسه لها سنة ١٩٥٦م. ٥ ـ عضويته في جمعية العلماء بدمشق، ثم في رابطة العلماء، وهو من أعضائها المؤسِّسين، وقام بالتدريس في كليتها الشرعية (الثانوية الشرعية فيما بعد).

## أبرز مؤلفاته:

لم يلتفت الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ إلى التأليف إلا متأخِّراً، لانشغاله بتربية الطلاب، وتأسيس معهد الفتح الإسلامي. فمن أبرز تصانيفه:

١ ـ النسائيات من الأحاديث النبوية الشريفة. طبع بدمشق عدة مرات، آخرها في دار الفرفور سنة ١٤١٨هـ. ٢ ـ من مشكاة النبوَّة شرح الأربعين النووية. طبع بدمشق سنة ١٣٨٩ ـ ١٩٦٨م، ثم في دار الفرفور سنة ١٤١٨هـ. ٣ ـ الرسالة النافعة والحجة القاطعة في التوحيد. طبعت بدمشق في دار الفرفور سنة ١٤١٧هـ.

٤ ـ المحدث الأكبر وإمام العصر العلامة الزاهد الشيخ محمد بدر الدين الحسني كما عرفته. طبع بدمشق سنة ١٤٠٦هـ، ثم أعيدت طباعته ١٤١٨هـ، في دار الفرفور. ٥ ـ الدر المنثور على الضياء الموفور



في أعيان بني فرفور. الدر المنثور للشيخ محمد جميل الشطي (ت١٣٧٨هـ). ٦ ـ سلسلة الخلود: مجموعة مقالات أدبية وقصص تاريخية، في ثلاثة أجزاء: (من نفحات الخلود، من نسمات الخلود، من رشحات الخلود). طبع الكتاب بدمشق مراراً آخرها سنة ١٤١٨هـ في دار الفرفور.

## ومن أبرز تآليفه المخطوطة:

٧ ـ الإفصاح في شرح الاقتراح للسيوطي في أصول النحو. ٨ ـ تهذيب نور الإيضاح مع شرحه في الفقه الحنفي. ٩ ـ شرح جوهرة التوحيد في علم العقائد. ١٠ ـ تاريخ مسجد الأقصاب ومن دفن فيه من الأصحاب. ١١ ـ ترجمة العلامة الزاهد الشيخ عبدالحكيم الأفغاني. ١٢ ـ ديوانه الشعري واسمه «آلام وآمال». وغيرها من المؤلفات، وقد كتب رحمه الله مقالات في عدد من المجلات من أبرزها: مجلة التمدن الإسلامي بدمشق.

## شعره:

عُنِيَ الشيخ رحمه الله بقرض الشعر مُبكِّراً منذ الخامسة عشر من عمره، لكنه كان آنذاك مبتدئاً في هذا الباب، فلما نمت مواهبه وصقل شعره أتلف الكثير من نظمه القديم.

واعتنى في شعره بأغراض عدّة، من أبرزها: المديح والرثاء والحماس والإصلاح وغير ذلك، وقد جمع له ولده الدكتور عبداللطيف أشعاره في ديوان خاص، اسمه: «آلام وآمال» لم يطبع حتى الآن.

## من أشهر قصائده:

١ ـ قصيدة في مدح سيدنا رسول الله ﷺ مطلعها:

أحيانا حُبُّك يا مختار أحيانا ... وأصبح القلبُ من ذكراك نشوانا

في نيف وأربعين بيتاً، ألقاها في حفل المولد النبوي الذي أقامته جمعيته التمدن الإسلامي سنة ١٣٥٤هـ، ونشرت في مجلتها.

٢ ـ قصيدة في وصف حادثة الفيل، مطلعها:

يا راعي السود قد خابت أمانيه     وراكب الفيل يطوي البيد في تيه

في نحو أربعين بيتاً. ألقاها في حفلة المولد النبوي، في جامع التوبة سنة ١٣٧٣هـ.

٣ ـ قصيدة في وصف حال العرب والمسلمين، وما حلَّ بهم من ضعف وهوان، يدعوهم فيها إلى الجدِّ والعمل والإخلاص، وهي بعنوان: «همات وأفعال»، مطلعها:

إنَّ الحياةَ لآلامٌ وآمَالُ     وناشِدُ العزِّ لا يعروهُ إهمالُ

٤ ـ ومن شعره: القصيدة التي سمَّاها (معلَّقة أو ملحمة)، مطلعها:

بني العُرب لا تبقوا على الهون باقيا     ولا تذروا الآمال صرعى الأمانيا

وهي تشبه سابقتها في موضوعها.

وله في الرثاء قصائد كثيرة، من أبرزها: مراثي الشيخ بدر الدين الحسني (ت١٣٥٤هـ)، والشيخ عبدالقادر الخطيب (ت١٣٥١هـ)، والشيخ نجيب كيوان (ت١٣٥٢هـ)، والشيخ محمد هاشم الخطيب (ت١٣٧٨هـ)، والشيخ عبدالرحمٰن الخطيب، والشيخ محمود العطار (ت١٣٦٢هـ)، والشيخ حسن حبنكة الميداني (ت١٣٩٨هـ)، وغيرهم.

## وفاته:

عاش الشيخ رحمه الله حياةً مليئة بالجهاد في سبيل نشر العلم والفضيلة، إلى أن وافاه الأجل صبيحة يوم الثلاثاء في الخامس من المحرم سنة (١٤٠٧هـ)، الموافق للتاسع من أيلول سنة (١٩٨٦م)، وصُلِّيَ عليه في المسجد الأموي، ودفن في مدفن مسجد الشيخ أرسلان الدمشقي، في قبر قاضي القضاة ولي الدين ابن الفرفور أحد أجداد الأسرة، وأبَّنه عددٌ من علماء الشام، كالشيخ عبدالرزاق الحلبي، والشيخ محمد كريِّم راجح،



غيرهما. ورثاه شعراً كلٌّ من الشيخ صادق حبنكة، والشيخ محمد كريِّم راجح، والأستاذ أنور الكاوردي. تغمده الله بواسع رحمته ورضوانه[1].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) هذه الترجمة مقتبسة باختصار شديد من كتاب: «العلامة المربِّي الكبير الشيخ محمد صالح الفرفوري: حياته العلمية ونهضته وآثاره» بقلم الأخ الكريم الشيخ عمر بن موفق النشوقاتي. الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، دار الفرفور.

# محمد أبو الفرج الخطيب الحَسَني
## الخطيب المؤرِّخ النسّابة(1)
## (١٣٣٧ - ١٤٠٧هـ)
## (١٩١٩ - ١٩٨٦م)

بقلم: مَجْد مكي

### ولادته ونشأته ودراسته:

ولد في حي القيمريَّة بدمشق ليلة الثلاثاء ٨ رجب ١٣٣٧هـ، الموافق ٨ نيسان ١٩١٩م.

(1) نُشرت بتاريخ ٢٠٠٧/٥/٣٠م، في موقع: (الإسلام في سورية) www.islamsyria. وقلتُ في تقدمة هذه الترجمة: «هذه الترجمة لعالم من علماء دمشق الأخيار، المؤرخ النسَّابة، المدرس الخطيب، مدرس دمشق بالإفتاء، وشيخ دار الحديث النورية، خطيب جامع بني أمية، الأستاذ محمد أبو الفرج الخطيب، وقد أكرمني الله بلقائه في غرفته بدار الحديث النورية، بالعصرونيَّة، التي أسَّسها وأوقفها السلطان نور الدين الشهيد، عندما كنت أدرس في كلية الشريعة بدمشق، وأتردَّد على تلك المدرسة العظيمة، وآثارها الخالدة، وقد قام فضيلة الشيخ محمد أبو الفرج بكتابة دراسة عن دار الحديث النورية بدمشق، وتاريخها وتراجم شيوخها، واعتنى ابنه النجيب الأخ الكريم العالم المحدِّث المحقق الأستاذ محمد مجير بكتاب والده وأتمه، وأعاد صياغته، وكتب في آخره ترجمة لوالده الكريم فضيلة الشيخ محمد أبو الفرج بن عبدالقادر بن محمد أبو الفرج الخطيب الحَسَني الشافعي الدمشقي - رحمه الله تعالى - وقد أحببنا أن نتحف القرّاء بهذه الترجمة بعد اختصار يسير لها» انتهى.



والدته السيدة مَسَرَّة بنت الشيخ صالح المُنيِّر الحسني سبط الكزبري الحسني.

نشأ في بيت والده، وكان أزيز الرصاص ودوي القنابل ولهب الحرائق سنة ١٩٢٥م، في أثناء الثورة الكبرى من أوَّل ما تفتَّحت عليه مداركه.

ولما بلغ الرابعة عشرة من عمره سنة ١٣٥١هـ، انتقل والده خطيب الأموي ومدير الأوقاف الإسلامية إلى رحمة مولاه.

ونشأ - رحمه الله تعالى - في رعاية أمه وأخيه الأكبر نذير.

فأتمَّ مراحل الدراسة النظاميَّة في عدة مدارس أهلية وحكوميَّة، وهو إلى جانب هذا يلازم دروس بعض علماء الأسرة، وعلى رأسهم الشيخ محمد هاشم رشيد الخطيب في دروسه الصباحية في الجامع الأموي، وابن عمه الشيخ توفيق بن حسن بن أبي الفرج في مدرسة الخياطين ودار الحديث النُّوريَّة، والشيخ محمد سهيل بن عبدالفتاح، كما أنه شارك في كثير من الأنشطة الكشفية والرياضية والثقافية والاجتماعية التي كان يقوم بها آل الخطيب، لما كان المجال مفتوحاً لذلك.

### حضوره الحلقات العلميَّة في جامع بني أمية:

وفي جامع بني أمية العامر - وقتها - بالحلقات العلمية، جلس إلى كثير من مدرسيه، كالشيخ أحمد النويلاتي، والشيخ عبدالقادر الإسكندراني الكيلاني، والشيخ عبدالوهاب الحافظ، والشيخ محمد أحمد دهمان، الذي استمرَّت صلته العلمية به إلى آخر حياته، وغيرهم.

كما استفاد من الشيخ عبدالحميد القابوني في التجويد والقراءة، والشيخ صالح الحمصي في اللغة والنحو والصرف.

### مجالسته طبقة عالية من العلماء:

وجالس على صغر سنه طبقة عالية من العلماء الذين كانوا يزورون والده أو يزورهم، وفي مقدمتهم الشيخ المحدث الأكبر محمد بدر الدين

الحسني، والقاضي الشيخ عبدالمحسن الأسطواني، ومفتي الديار الشامية الشيخ عطا الله الكسم، والشيخ محمد سعيد الباني، والشيخ عبدالجليل الدرَّا، والشيخ عزيز الخاني.

إضافة إلى هذا كله كانت مطالعاته الخاصَّة في مكتبة والده العامرة رافداً مهماً في مسيرته العلمية.

## خطيب جامع بني أمية:

ولما كان قانون توجيه الجهات معمولاً به وقتها، وُجِّهت خطابه جامع بني أمية إليه بعد وفاة والده، على أن يُثبت أهليَّته عند بلوغه سنَّ الرشد وإمكان قيامه بها، وقد ناب عنه في الخطابة نائب أبيه من قبل الشيخ عبدالرحمٰن رشيد الخطيب.

ومنذ أن بلغ العشرين بدأ بالخطابة في مساجد متفرِّقة، وكان أكثر ذلك بالمدرسة النُّوريَّة الكبرى في الخيَّاطين، فلما آنس من نفسه القدرة على الخطابة، تقدَّم إلى مجلس الأوقاف العلمي يطلب فيه تحديد موعد الفحص والمقابلة، فاجتاز امتحاناً عاماً لإثبات كفاءته أمام أعضاء المجلس، وفي مقدمتهم رئيس المجلس قاضي القضاة الشيخ عبدالمحسن الأسطواني، وقاضي دمشق الممتاز الشيخ عزيز الخاني، والقاضي الشرعي الفرضي الشيخ سليم الطيبي، ونقيب السادة الأشراف الشيخ محمد سعيد الحمزاوي.

وصدر قرار المجلس بإثبات أهليَّته وكفاءته لهذا المنصب بتاريخ ١٣٦٣/١/٢٥هـ.

وفي يوم الجمعة ١٣٦٣/٢/٢٤هـ، ألقى ـ رحمه الله تعالى ـ أول خطبة له في الجامع الأموي، وقد صادفت عودة الحجَّاج من موسم الحج المنصرف، فتحدَّث طويلاً عن الخط الحديدي الحجازي وأهميته.

ولما كانت خطبته الثالثة في ٧ ربيع الثاني ١٣٦٣هـ، كان من بين مستمعيها رئيس الجمهورية شكري القوتلي ورئيس وزرائه، وكان من جملة



الأماني التي ذكرها الشيخ في خطبته إقامة جيش يتوطَّد به استقلال البلاد على أُسِّ الأخلاق القويمة والدين الصحيح.

## دراسته في الجامع الأزهر:

وفي أواخر ١٣٦٣ توجَّه نظره ـ رحمه الله تعالى ـ إلى الجامع الأزهر محطِّ أنظار أهل العلم في ذلك الوقت، فسافر إلى مصر، واجتاز امتحان معادلة الشهادة الثانوية الأزهرية، ومن ثم التحق بكليَّة أصول الدين التي أنهى دراسته فيها، وكان في أثناء دراسته قد انتسب أيضاً إلى كلية الشريعة بالأزهر، وإلى كلية الحقوق الفرنسيَّة بالقاهرة إلا أنه لم يُكتب له إتمام دراسته في هاتين الكليتين، إذ غادر مصر مُضْطراً إلى دمشق سنة ١٣٦٨.

## أساتذته في الأزهر:

وفي مصر عاصمة الثقافة وقتها، التقى ـ رحمه الله تعالى ـ بشخصيات كثيرة، وفي مقدمتهم أساتذته في الأزهر: الشيخ عيسى منون، والشيخ أبو زيد شلبي، والشيخ صالح موسى شرف، وله منه إجازة علمية بالمعقولات، والشيخ سليمان دنيا، وغيرهم.

ومن الذين جالسهم: الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر مصطفى عبدالرازق باشا، والشيخ محيي الدين عبدالحميد، والشيخ رشيد الحواصلي، والشيخ محمد الخضر حسين التونسي، وغيرهم من أعلام مصر ووارديها.

وكان له لقاءات دوريَّة مع ابن عم والده صاحب الفتح والزهراء السيد محب الدين الخطيب الكاتب الإسلامي الشهير.

كما أنه اهتمَّ بتأسيس اتِّحاد للطلاب السوريين بمصر سنة ١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م مع مجموعة من زملائه وكان الأمين العام له.

## أعماله العلمية والدعوية:

بعد عودته إلى دمشق لزم الخطابة في الجامع الأموي لا يبرحه،

وخطب آخر خطبة له قبل وفاته بثلاثة أيام ـ رحمه الله تعالى ـ، ودرس مدة طويلة في الصفوف الإعدادية والثانوية في بعض مدارس دمشق الخاصَّة والخيرية، ومنها مدرسة التهذيب والتعليم في المدرسة المجاهدية الجوانية بسوق القلقجية التي كان يدرس فيها ثلة من علماء آل الخطيب، وعلى رأسهم العلامة الشيخ محمد هاشم رشيد الخطيب، ودرس في غيرها من الثانويات إلى جانب حلقات علميَّة شرعيَّة خاصَّة كان يعقدها ـ رحمه الله تعالى ـ في دار الحديث النُّورية، وفي بيته، وفي مسجد البادرائية، وفي بعض الجمعيات الأدبية والخيرية التي كانت مفتوحة للأنشطة الثقافية.

## مشاركته في الجمعيات العلمية:

وفي العقد الثامن من القرن الرابع عشر الهجري، كانت دمشق تزخر بالهيئات الإسلامية والجمعيات العلمية التي كان لها أثر في توجيه المجتمع وإعلان لأحكام الإسلام في الأمور المستجدَّة والأحداث العامَّة، وكان له ـ رحمه الله تعالى ـ إسهام كبير في تلك الجمعيَّات. فكان عضواً إدارياً في جمعية التمدن الإسلامي، ثم عضواً مؤسِّساً في مرحلتها الثانية، وعضواً مؤسِّساً في جماعة أرباب الشعائر الدينية، وهو الذي وضع قانونها الأساسي ونظامها الداخلي سنة **١٣٦٩**، وكان أول أمين سر لها، ورأسها الشيخ حسن الشطي ـ رحمه الله تعالى ـ، وأمين سر لجمعية العلماء ـ وكان أصغرهم سناً ـ فكان محل ثقة رئيسها الشيخ محمد كامل القصاب ـ رحمه الله تعالى ـ، كما كان عضواً إدارياً ثم أميناً للسر في جمعية الهداية الإسلامية، وعضواً مؤسِّساً وأميناً للسرِّ في هيئة العلماء **١٣٧٢**. وغيرها من الجمعيات التي لم يعمَّر بعضها أكثر من جلستين أو ثلاث.

## مشاركاته في المؤتمرات الإسلامية:

وشارك في مؤتمر الهيئات الإسلامية بالقدس، والمؤتمر الإسلامي المنعقد بدمشق الَّذين حضرهما كبار الشخصيات الإسلامية آنذاك إلى أن ظهرت نظم ومقرَّرات حالت دون متابعة تلك النشاطات والمساعي.



## انتسابه إلى كلية الشريعة ورحلته إلى الحجاز ونجد:

ولما افتتحت كلية الشريعة في جامعة دمشق، كان ـ رحمه الله تعالى ـ من أوائل المنتسبين إليها، ثم آثر بعد سنتين الانسحاب منها، وقد شارك في رحلتها إلى الحجاز ونجد، وأدى فريضة الحج بعد ذلك في موسم ١٣٧٧هـ.

## ترشُّحه للمجلس النيابي وتعيينه مدرساً دينياً:

وفي سنة **١٣٨١هـ = ١٩٦١م**، رشَّح نفسه في الانتخابات لعضوية الجمعية التأسيسية والمجلس النيابي عن دمشق، وحاز أصواتاً كثيرة، لكن جرى ما ذكره خالد بك العظم في مذكراته، وكان قبل ذلك قد نال وسام الإخلاص من الدرجة الأولى منحه إيَّاه رئيس وزراء الجمهورية السورية **١٩٥٨/٢/٢٩م** قبيل قيام الوحدة.

ثم عُيِّن عام **١٩٦٢م** مدرساً دينياً في دائرة الفتوى العامة.

## عميد الجامع الأموي:

فلما كان عام **١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م** تألفت هيئة استشارية عليا لجامع بني أمية، كان أحد أعضائها، ثم سُمِّي عميداً لجامع بني أمية، وشغل هذا المنصب طيلة عام **١٣٨٦**، من **١٩٦٦/١/١٠** وحتى **١٩٦٧/١/١٥**، ولا يُعرف هذا اللقب لغيره ـ رحمه الله تعالى ـ منذ أن كان جامع بني أمية إلى اليوم، وقد أُلغي هذا المنصب بإقالته ـ رحمه الله تعالى ـ منه إثر بعض مواقفه الصَّارمة، فقد وضع مُخطَّطاً إصلاحياً شاملاً لإعادة المكانة الإسلامية المعهودة للمسجد الجامع الأموي بدمشق، ووقف في وجه حَمَلات التنقيب المُغْرِضَة في صحن المسجد، كما وقف بقوَّة في وجه من يحاولون تحويل المسجد إلى متحف أو مقصف، وله مواقف كثيرة شهيرة.

وقد أُقيل من منصبه في العمادة بتاريخ **١٩٦٧/١/١٥م**، ثم أوقف عن الخطابة أيضاً إثر ظروف مرت آنذاك. فلما كان عام **١٣٩١هـ = ١٩٧١م** عاد إلى الخطابة.

ولما كانت الانتخابات لعضويَّة مجلس الشعب سنة ١٩٧٣م، رشَّح نفسه عن مدينة دمشق إذ رأى ذلك من الواجبات آنذاك.

وفي عام ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م دُعي إلى المشاركة في مؤتمر الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض.

## عكوفه على كتب التاريخ والتراجم:

وبعد أن انبلج فجر القرن الخامس عشر الهجري، عكف ـ رحمه الله تعالى ـ على كتب التواريخ والتراجم، فَسَرَدَ كتباً كاملة لا يُغادر منها حرفاً، وشرع في أخرى، واعتنى بأنساب الأشراف وغيرهم من أسر دمشق العريقة.

## مدير جمعية التمدن الإسلامية وجمعية التهذيب والتعليم:

وفي الوقت نفسه أُسندت إليه أمور التمدن الإسلامي جمعيها ومجلتها بعد مرض الأستاذ الكبير أحمد مظهر العظمة، وسفر ابن عمه الأستاذ محمد بن كمال الخطيب، فمكث ـ رحمه الله تعالى ـ مديراً للتمدن الإسلامي إلى أن تُوفي ـ رحمه الله تعالى ـ.

كذلك ترأس جمعية التهذيب والتعليم إلى وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ.

## زيارته للحرمين الشريفين ومصر وحضوره موسم الحج:

وفي عام ١٤٠٦هـ تحرَّك فيه داعي الشوق إلى الحرمين الشريفين، فشدَّ إليهما الرحال.

ومرَّ في عودته على مصر، مصر التي سكنها في عنفوان شبابه في الأربعينيات فرآها كيف أمست في الثمانينيات!

وعاد إلى دمشق فلم تمض أشهر حتى دخلت أشهر الحج، فعاوده الشوق والحنين إلى البلد الأمين، فحجَّ موسم ١٤٠٦هـ وزار النبيَّ ﷺ.



## وفاته:

لم يلبث بعد عودته من الحج إلا قليلاً حتى وافاه الأجل فُجْأة مساء الاثنين ٢ صفر ١٤٠٧هـ، الموافق ٦ تشرين الأول ١٩٨٦م، ثم صَلَّى عليه بعد عصر الثلاثاء بالجامع الأموي ولده الأكبر الشيخ أحمد معاذ، ثم أتى فضيلة شيخ القرَّاء الشيخ حسين خطاب ـ رحمه الله تعالى ـ بعد انقضاء الصلاة فصلَّى عليه ثانية في الجامع الأموي، ثم انطلقت جنازته مُسْرعةً إلى الباب الصغير، حيث دفن بجوار طائفة من كبار علماء دمشق في تربة الشيخ القدوة العارف بالله الشيخ إبراهيم الغلاييني ـ رحمه الله تعالى ـ.

## أخلاقه وسجاياه:

كان متواضعاً أبيَّ النفس رافع الرأس، وكان حُلوَ المنطق، حَسَنَ اللقاء، حَسَن الهدي والسَّمْت، فَطِناً ليس بالخَبّ ولا الخَبُّ يخدعه، فما استطاع أحد على تقلُّب الأيام والمفاهيم أن يُكدِّر بياض عمَّته، شهده الناس على منبر الأموي وسمعوه في عصور شتَّى وعهود مختلفة، فكان قوله واحداً، ولقد فاقه كثير من أقرانه بالعلم والتعليم والتدريس، لكنه فاق كثيراً منهم بالثبات ووضوح الرؤية.

لم يكن منغلقاً على الكتب والطلاب، بل كان عارفاً بعصره وما يجري فيه، وما يُحاك للمسلمين هنا وهناك، وله مع الحكام مواقف مشهودة.

وكان أمَّاراً بالمعروف نهَّاءً عن المنكر، يباشر ذلك بنفسه، ولا يخاف في الله أحداً، فقد كان مرَّةً يتجوَّل بمفرده في بستانه بجمرايا فرأى عند العين جماعةً من الأشرار، وقد وضعوا في جدول الماء زجاجات الخمر، فأهوى عليها بعصاه يكسرها، والقوم في دهشة وذهول لم يَنْبس واحد منهم ببنت شفة!.

وكثيراً ما كان ينكر على بعض الناس في مسجد بني أمية ممَّن لا يُراعون حرمة المسجد بنوم غير لائق أو دخان أو تبرُّج أو غير ذلك، وكان

إذا دخل المسجد يوم الجمعة من الباب الذي كان يدخل منه السيَّاح الأجانب إلى مشهد عثمان يطلب من الموظف إغلاق الباب.

ولما سمع أن بيت الخطابة تهبُّ عليه رياح تريد هدمه مع جملة ما هُدم من ملاصقات الجامع الأموي، كتب إلى وزير الأوقاف كتاباً بتاريخ ١٤٠٤/٤/٧هـ قال في آخره: «وإني إذ أتقدَّم إليه بهذا الرجاء أضع المسؤولية الفقهية والتاريخية والأثرية والقومية في عنقه وإني لمطالبه بها يوم أسأل عنها...» فلم يهدم بيت الخطابة ـ بحمد الله ـ وهو باق ما شاء الله.

ولم يكن في حياته العلمية منذ نشأته خاضعاً لأحد من الشيوخ ينظر بنظره، ويسمع بأذنه، ويفكِّر بعقله، ولم يُربِّ أحداً ممَّن لازمه أو واظب على دروسه على هذا المنهج.

وقد كان ـ رحمه الله تعالى ـ الله صوفياً في أخلاقه وسلوكه، وإن لم يمش في طرق المتصوفة، على أنه قرأ وطالع كثيراً من كتب التصوف حتى نسخ بخطه بعض النوادر منها.

وكان في الفقه مرناً في الفتوى والعمل ـ والمرونة لا تعني التسيُّب أو التَّساهل ـ يعمل بمذهبي الشافعي وأبي حنيفة رحمهما الله، ولم يكن يُحبُّ التعمُّق والتقعُّر في المسائل، ولا يرتضي الظاهريَّة في التفكير والفهم والعمل.

## حُبُّه للحديث النبويِّ الشريف وإجازاته:

وكان ميَّالاً إلى الحديث الشريف، وهو أكثر ما كان يقرؤه في دروسه، ويبدو أنه لم يكن يَتَتبَّع الإجازات والأسانيد، لو تَتَبَّعها لحصَّل أسانيد عالية نادرة على أنه قد حصل على إجازات ثمينة هي:

١ ـ إجازة الشيخ محمد صالح بن أحمد بن عبدالرحمٰن الخطيب الحسني بخطه بعموم مروياته مؤرخة ٦ شعبان ١٣٦٣، ثم أجازه ثانية بثبته «موجز الدرر الغالية» سنة ١٣٩٠هـ.



٢ ـ إجازة الشيخ محمد علي ظبيان مؤرخة بـ٣ جمادى الأولى ١٣٧٧هـ.

٣ ـ إجازة الشيخ محمد أحمد دهمان مؤرخة بـ١٣٨٤هـ، وعمدته في الرواية: الشيخ محمد أمين السفرجلاني.

٤ ـ إجازة نقيب السادة الأشراف السيد الشريف الشيخ محمد سعيد الحمزاوي ـ رحمه الله تعالى ـ بخطه الجميل مؤرخة بـ١٣٨٩/٧/١١هـ.

٥ ـ إجازة الشيخ محمد سامي الملا الكيالي القاضي الشرعي المتقاعد بحلب وملحقاتها العشر مؤرخة بـ١٤٠٢/٤/١٧هـ.

٦ ـ إجازة شفهية من الشيخ رفيق السباعي عن المحدِّث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني عندما زاره الشيخ أبو الفرج ـ رحمه الله تعالى ـ بمعيَّة بعض الفضلاء بعد صلاة الجمعة ١٤٠٢/٧/٢١هـ.

٧ ـ إجازة الشيخ أحمد القاسمي مدير الأوقاف الإسلامية ـ رحمه الله تعالى ـ مؤرخة بـ١٤٠٣/١٢/١هـ.

٨ ـ أما الإجازة المهمة وهي شهادة علمية وإذن بالتعليم، وليست من قبيل إجازة الرواية، فهي إجازة أستاذ التوحيد والمنطق بكلية أصول الدين الأستاذ الشيخ صالح موسى شرف إذ أجاز الشيخ أبا الفرج بتدريس التوحيد والمنطق بعد أن تلقَّى عنه هذين الفنين في منزله بانتظام عامين كاملين. وهي مؤرخة بـ١٣٦٦/٧/٢٧هـ.

## تآليفه:

للشيخ أبي الفرج مؤلفات كثيرة، لكنه لم يكن ممَّن يعكف على تأليف كتاب حتى يتمّه، وإنما ينتقَّل إلى غيره، ولذلك لم يتم أكثر مؤلفاته، وترك جُذاذات كثيرة تصلح لتكون تأليفاً، وكلَّما مرَّ معه شيء له تعلق بها أودعه فيها. وهذا ثبت بأهم مصنفاته حسب الموضوعات التي ألف فيها.

**أولاً: الجامع الأموي:**

١ ـ الخطابة والخطباء في جامع بني أمية خلال أربعة عشر قرناً، في طبقات خطباء الأموي من الفتح الإسلامي حتى الآن. ٢ ـ عمادة جامع بني أمية ومن تولى نظارة الجامع. ٣ ـ مدرسون تحت قبة النَّسر. ٤ ـ جامع بني أمية الكبير: المسجد الجامع بدمشق.

**ثانياً: آل البيت السادة الأشراف، وهو في ثمانية أقسام:**

١ ـ في معرفة النسب وفضله وضرورة الحفاظ عليه، وفضل آل البيت وخصائصهم. ٢ ـ نقابة الأشراف في الشام ونقباؤها: فيه تراجم ما يقرب من ٥٦ نقيباً. ٣ ـ السيد النقيب محمد سعيد الحمزاوي. ٤ ـ أشراف الشام. ٥ ـ أشراف الحجاز، وهو كتابٌ ضخم حافل. ٦ ـ أشراف العراق. ٧ ـ أشراف المغرب ومصر واليمن. ٨ ـ ذريَّة الشيخ عبدالقادر الجيلاني.

**ثالثاً: الأنساب:**

١ ـ أُسرٌ دمشقيَّة تَتَابعت أنسابها: يريد بها الأُسر الحسنيَّة أو الحسينية المنسوبة إلى آل بيت النبيِّ ﷺ. ٢ ـ أُسر دمشقيَّة تتابعت أجيالها: يريد بها الأسر العريقة التي لها انتساب إلى أحد الصحابة أو المتقدِّمين، أو لها في دمشق عراقة تمتد زمناً طويلاً. ٣ ـ أسرتي آل الخطيب الحَسَني، وتراجم أعلام من نُبهائها. ٤ ـ سلاسل أُسر تاريخية وتراجم أعلام منها.

**رابعاً: الخطب والكلمات:**

١ ـ من على المنبر تحت قبة النَّسر: وهو ديوان خطبه الأُمويَّات، من أول خطبة خطبها في الأموي إلى آخر خطبة ١٣٦٣هـ ـ ١٤٠٧م، يأتي في خمس مجلدات. ٢ ـ من على المنبر: يتضمَّن خطبه وكلماته ـ رحمه الله تعالى ـ في مناسبات شتَّى في غير جامع بني أمية. ٣ ـ الخطابة علم وفن وسجيَّة. ٤ ـ فن الخطابة وأهليَّة الخطيب. ٥ ـ في مجرى الحياة في مواضيع أدبيَّة إنشائيَّة.



**خامساً: كتب شتَّى:**

١ ـ دار السنة دار الحديث النوريَّة بدمشق، اعتنى به إتماماً وصياغةً ابنه العالم الفاضل المُحدِّث المؤرِّخ المحقِّق الشيخ محمد مُجير الخطيب الحَسَني وفقه الله، وطبع بدار البشائر بدمشق، وصدرت الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م في ٣٦٧ صفحة. ٢ ـ المدرسة الأمينيَّة. ٣ ـ أعلام في ذمَّة الله: عبدالقادر الخطيب، محب الدين الخطيب.

ولعلَّ الله سبحانه وتعالى يُيسِّر لابنه العالم النجيب المحقِّق الأستاذ مجير الخطيب ـ حفظه الله ورعاه ـ القيامَ بإتمام أعمال والده العلمية ونشرها.

**أولاده:**

أما أولاده ـ رحمه الله تعالى ـ فهم: أحمد معاذ العالم الداعية الموهوب، المشرف على موقع (دربنا)، والعالم الفقيه الخطيب الشيخ محمود عبدالقادر، والعالم المحدِّث المحقق الأستاذ محمد مجير، ولهم أختٌ تُضَارِعُهم في طلب العلم وفي التعليم، حفظهم الله تعالى ورعاهم، وأولاهم وتولاّهُم ونفع بهم.

# الشيخ عبدالله علوان
## العالم الداعية المربي
## (١٣٤٧ ـ ١٤٠٨هـ)
## (١٩٢٨ ـ ١٩٨٧م)

بقلم تلميذه: مَجْد مكي

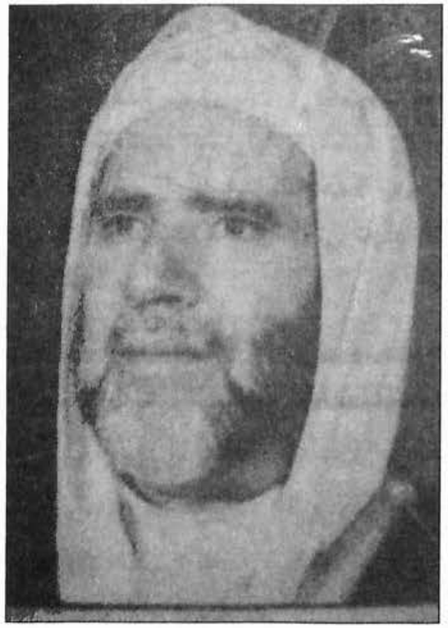

### ولادته ونشأته:

ولد رحمه الله تعالى في حيّ قاضي عسكر بمدينة حلب سنة ١٣٤٧هـ = ١٩٢٨م في أسرة متدينة معروفة بالتُّقى والصلاح، وتربى في ظلّ والده الصالح الشيخ سعيد علوان ـ رحمه الله ـ وكان بعض الناس في حلب وغيرها يقصدون الشيخ سعيداً طلباً للتداوي بالأعشاب، وكان لسانه لا يَفْتُر عن ذكر الله وقراءة القرآن، وكان يدعو ربه أن يجعل من أبنائه العالم الحكيم والطبيب المسلم، وقد أجاب الله دعاءه.



### في الثانوية الشرعية (الخسروية):

عندما أنهى دراسته الابتدائية، وجَّهه والده عام ١٩٤٣م إلى دراسة العلم الشرعي في الثانوية الشرعية، وكانت تعرف في ذلك الوقت بـ(الخسروية) نسبة إلى بانيها خسرو باشا، وكان يقوم بالتدريس في تلك المدرسة علماء كبار وأساتذة أكْفاء وهبوا حياتهم للعلم وأخلصوا في عملهم، ومنهم: محمد راغب الطباخ، أحمد الشماع، محمد سعيد الإدلبي، عيسى البيانوني، عبدالرحمٰن زين العابدين، ناجي أبو صالح، نجيب خياطة، عبدالله حمَّاد، رحمهم الله جميعاً.

وقد تأثَّر بأستاذه العلامة المحدث المؤرخ الشيخ محمد راغب الطباخ، كما تأثَّر بعد ذلك بالدكتور الشيخ مصطفى السباعي ـ رحمه الله ـ وكان يتخذه نموذجاً وقدوة.

عُرف بين زملائه بالجرأة في الحق والشجاعة في مواجهة الأحداث. كما عرف بالخطابة والقلم المعبِّر عن أحاسيس المسلمين، وكان بيته في حلب منتدى ومجمعاً لأصدقائه ولأساتذته، وكان الكرم يشمل الجميع من والد الفقيد ـ رحمه الله ـ.

### دراسته في الأزهر:

بعد أن حصل على شهادة الثانوية الشرعية في سنة ١٩٤٩م، وبتوجيه من والده سافر إلى مصر لاستكمال تحصيله في علوم الشريعة الإسلامية في الأزهر، ونال شهادة كلية أصول الدين سنة ١٩٥٢م، ثم حَصَل على شهادة تخصُص التدريس، وهي تُعادل الماجستير سنة ١٩٥٤، كان له في مصر نشاط إسلامي واسع وزيارات مُتَبادَلة مع كبار رجال الدعوة الإسلامية. وعندما اشتدّ البلاء بالإسلاميين في مصر سنة ١٩٥٤، ووقعت المحنة أصابه الأذى، فاعتقل، وكان قد بقي له عدّة مواد حتى يُؤدِّيها ويتخرج في الجامعة، فكان يُؤْتى به إلى الاختبار مقيَّد اليدين، وحين انتهت الاختبارات اقتيد إلى الطائرة لتنقله إلى وطنه، ولم تسمح له حكومة مصر حينذاك أن يكمل دراسته العليا ويحصل على شهادة الدكتوراه.

وقد حصل الشيخ ـ رحمه الله ـ على شهادة الدكتوراه بعد مدة طويلة من جامعة السند في باكستان، وكان موضع رسالته: (فقه الدعوة والداعية)، وهو بعلمه ومؤلفاته أرفع من هذا اللقب بكثير.

## عمله في مجال التدريس والدعوة:

عمل الشيخ عبدالله منذ عام **١٩٥٤**م مُدرِّساً لمادة التربية الإسلامية في ثانويات حلب، فكان خيرَ مُرَبٍّ للأجيال، غرس في طلابه حُبَّ الإسلام والعمل على نُصْرة شريعة الله في الأرض، وكان لمادة التربية الإسلامية في سورية حصّة واحدة في الأسبوع، وكان طلبة الشهادات لا يُخْتَبرون فيها، فسَعَى مع إخوانٍ له على جعل حصتين في الأسبوع لمادة التربية الإسلامية، وإدخال تلك المادة في امتحانات الشهادات في سورية.

وفي تلك الفترة انتشرت بين صفوف الطلبة الأفكار العلمانية والدعوات الإلحادية، فتصدَّى مع إخوانه العلماء لمُروِّجي هذه الأفكار الهدامة التي تُشوِّه معالم الدين، وكانت له مواقف مشهودة عرفها طلابه في تلك الأيام.

وكان ـ رحمه الله ـ مُربياً ومعلِّماً وواعظاً في المدرسة، وكان يقوم بدور كبير في بيوت الله، لا يعرف الملل، ولا يشكو الكلل، بل كان يُجهد نفسه بالعمل مع شعورٍ بالرضا والسعادة، ولم يتخلَّف أو يعتذر عن أي دعوة توجَّه له لإلقاء كلمة في مناسبة إسلامية أو حفلة خاصَّة.

## دروسه في جامع عمر بن عبدالعزيز وأبرز تلاميذه:

وكان للشيخ دروسه الدورية في مسجد (عمر بن عبدالعزيز)، درّس فيه الفقه والسيرة، وقد علّم الكثير من الشباب الخطابة وإلقاء الدروس، وكان يجلس أمامهم مُصْغياً وموجِّهاً ليستقيم لهم البيان، فتربَّى في هذه المدرسة عدد كبير من الشباب، بعضهم قضى نحبه أيام المحنة، ومنهم من ينتظر. ومن أبرز تلاميذه: الداعية الملهم الخطيب المصقع الشهيد السعيد الشيخ موفق سيرجية رحمه الله تعالى، والأستاذ الشيخ أحمد فيصل، والأستاذ عبدالجبار الزيدي، والشيخ مَجْد مكي.



## صلاته مع علماء سورية:

كان الشيخ على صلة طيِّبة وثيقة مع جُلِّ علماء سورية، وكان يتنقل من مدينة إلى أخرى داعياً إلى توحيد كلمة العلماء، وتماسك بنيانهم أمام الأعاصير التي تعصف بالمسلمين.

## هجرته وإقامته بالسعودية وتدريسه بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة:

وحين اشتدَّت المحنة في أوائل الثمانينيات، خرج من مدينة حلب سنة (**١٤٠٠**هـ = **١٩٧٩**م) مهاجراً بدينه، وأقام عدة أشهر في الأردن، ثم توجَّه إلى السعودية، وتابع عمله العلمي والتربوي والدعوي بمشاركته في العديد من المحاضرات والمخيّمات الطلابية، وكذلك مقالاته العديدة في المجلات الإسلامية، ودروسه التربويّة في إذاعة القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية، مع عمله أستاذاً في قسم الدراسات الإسلامية في جامعة الملك عبدالعزيز في جدة، منذ **١٤٠١**هـ إلى أن لقي ربَّه سنة **١٤٠٨**.

## أخلاقه وصفاته:

عُرِفَ رحمه الله تعالى بالكرم، فكان بيته موئلاً لخلاَّنه ولطلابه وللمحبين، يجدون عنده ما يسرهم من ابتسامة مشرقة إلى كلمة هادفة، إلى موعظة وعبرة، يتخلل ذلك كرم الضيافة.

وكان دائب السعي إلى توثيق روابط الصَّداقة ووشائج المحبة مع إخوانه ومُحبيه، فكان يسارع إلى زيارتهم ومشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم، وإذا طُلب منه المساعدة في أمر ما فإنه لا يعتذر، بل يسارع إلى المساعدة ويَعُدُّ هذا الموضوع موضوعاً شخصياً له، ويبذل كل جهده حتى ينجزه.

وكان متواضعاً في نفسه، دعوباً حاضر النكتة، حسن المعاملة مع الناس، يحبُّ الخير والنصح للمسلمين.

## مؤلفاته:

ترك الشيخ عدداً وفيراً من الآثار العلميّة والدعويّة والتربويّة منها:

١ ـ التكافل الاجتماعي في الإسلام. ٢ ـ تعدُّد الزوجات في الإسلام. ٣ ـ صلاح الدين الأيوبي. ٤ ـ تربية الأولاد في ازسلام في مجلدين. ٥ ـ فقه الدعوة ومدرسة الدعاة في مجلدين. ٦ ـ قصة الهداية في مجلدين أيضاً. وقد أصدر من كتابيه الأخيرين العديد من الرسائل المفردة. ٧ ـ إلى كلِّ أب غيور يؤمن بالله. ٨ ـ آداب الخطبة والزفاف. ٩ ـ الإسلام والجنس. ١٠ ـ الإسلام والقضية الفلسطينية. ١١ ـ إلى وَرَثة الأنبياء والدعاة إلى الله. ١٢ ـ تعدُّد الزوجات في الإسلام. ١٣ ـ حتى يعلم الشباب. ١٤ ـ الشباب المسلم في مواجهة التحديات. ١٥ ـ دور الشباب في حمل رسالة الإسلام. ١٦ ـ حكم الإسلام في وسائل الإعلام. ١٧ ـ حين يجد المؤمن حلاوة الإيمان. ١٨ ـ شبهات وردود حول العقيدة الربانية وأصل الإنسان. ١٩ ـ معالم الحضارة الإسلامية وأثرها في النهضة الأوروبية.

وغيرها من المؤلفات النافعة بالإضافة إلى المحاضرات والمقالات التي كان ينشرها في المجلات الإسلامية.

## مرضه:

صارع شيخنا المرض قرابة ثلاث سنوات، فقد أصيب بمرض عضال في الدم إثر عودته من باكستان، وسافر إلى بريطانيا ليتمَّ العلاج، ففعل، ولكن بدون جدوى.

ومع حالته الصحيَّة الحرجة أبى مُحبّو الشيخ في بريطانيا إلا أن يستمعوا إلى محاضرة للشيخ، في مخيم صيفي، فلم يتأخر عن الاستجابة، وكان عنوان المحاضرة: (الشباب المسلم في مواجهة التحديات)، وصدرت فيما بعد في كتاب حافل واسع.

ورجع الشيخ إلى جُدة، فبدأت تظهر عليه الأمراض المتلاحقة حتى



ذبل عوده وتضاءل جسمه، وكان دائم التردُّد على العيادات الطبية طالباً المشورة والعلاج، ولكن نفسه لم تَهُن ولم تضعف، بل بقي عالي الهمة متوثب العزيمة محافظاً على مهماته الدعوية، يقوم بمسؤوليته الاجتماعية، لا يعتذر عن قبول أية مناسبة يُدعى إليها، وحين يُطلب منه التحدّث كان يتكلم وينفعل وينسى حالته المرضية التي لا تسمح له بإرهاق نفسه.

وأثناء المدة التي قضاها الشيخ ـ رحمه الله ـ راقداً في المستشفى، كان يخلع ثوب المستشفى، ويلبس ثيابه ويذهب إلى الجامعة لإلقاء المحاضرات، ثم يعود مرة أخرى إلى المستشفى ليتلقّى العلاج من الأطباء، وبجوار سريره ترتفع مجموعات من الكتب، فهو يجد السعادة في التأليف والنصح فيما ينفع الأمة ويرفع من شأنها.

وكان يضع (المخدة) أمامه، ويكتب فصولاً من كتاب سلسلة «مدرسة الدعاة» الذي كان قد بدأه قبل مرَضه رغم نصائح الأطباء والمحبين بالابتعاد عن القراءة والكتابة، والإخلاد إلى الراحة، لكن نفسه الطموحة وهمّته العالية تأبى أن تُلقي القلم من يدها مهما اشتدَّت وطأة الألم.

## وفاته:

وكانت وفاته في الساعة التاسعة والنصف صباح يوم السبت الخامس من شهر محرَّم عام ١٤٠٨هـ، الموافق ٢٩ من آب /١٩٨٧م في جدة بمستشفى جامعة الملك عبدالعزيز، وقد شُيِّع جثمانه يوم الأحد في السادس من محرم الموافق الثلاثين من آب، ونُقل من جُدة إلى مكة، وصُلِّي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة العصر، ودُفن في مقبرة المعلاة، وشيَّع الفقيد عددٌ كبير من العلماء والدعاة والإخوة والشباب والطلاب، كما ألقى بعض أحبة الفقيد الكلمات المعبِّرة عن حبِّهم ومُصابهم في فقيدهم العالم المربِّي الداعية رحمه الله تعالى وأجزل ثوابه.

# عمر بهاء الدين الأميري..
# إلى رحمة الله[(١)]

**(١٣٣٧ - ١٤١٣هـ)**

**(١٩١٨ - ١٩٩٢م)**

بقلم: الأستاذ باسل رفاعي

## فقيد الأدب الإنساني والفكر الإسلامي:

بين غُربة الروح وغُربة المَوْطن والديار، أمضى فقيد الأدب الإنساني والفكر الإسلامي عمر بهاء الدين الأميري سنيّ حياته التي جاوزت الخامسة والسبعين مجاهداً ومكابداً ومُعنًّى، قبل أن يرحل عن دنيانا مساء السبت الماضي إلى لقاء الله البرّ الرحيم.

## ولادته وأسرته ودراسته:

وُلد الأميري عام **١٩١٥**[(٢)] في أسرة من كرائم الأسر بمدينة حلب السورية، فوالده محمد بهاء الدين نائب المدينة في «مجلس المبعوثان العثماني»، ووالدته ابنة رئيس محكمة الاستئناف فيها..

---

(١) جريدة الاتحاد الإماراتية (الملحق الديني) ١٩٩٢/٥/١.

(٢) كتب الأستاذ باسل رفاعي بحثاً دقيقاً بعنوان: «الأميري ورحلة البحث عن شهادة الميلاد» ورجح أن يكون تاريخ ميلاده هو عام **١٩١٨م**.



وبعدما أتمَّ دراسته الثانوية، ارتحل إلى العاصمة الفرنسية ليدرس الأدب وفقه اللغة بجامعة «السوربون»، ثم عاد إلى موطنه ليدرس الحقوق كما تمنى له والده، وليتجه بعد تخرجه إلى تدريس علوم الاجتماع والنفس والأخلاق والحضارة في جامعتي حلب ودمشق علاوة على عمله في المحاماة.

## إسهامه في انطلاق العمل الإسلامي المعاصر:

وقد أسهم - رحمه الله - في انطلاق العمل الإسلامي المعاصر في سورية، وكان من الأعضاء المؤسسين لجماعة الإخوان المسلمين فيها، كما شارك في الدفاع عن القدس مع جيش الإنقاذ خلال حرب فلسطين عام **٤٨**.

وقد مثَّل بلاده سفيراً في دولة الباكستان عام **١٩٥٠**، وفي السعودية عام **١٩٥٤**.

وفي عام **١٩٦٦** دُعي إلى المغرب، وعُيِّن أستاذاً لكرسي الإسلام والتيارات المعاصرة بدار الحديث الحسنية بالرباط، كما درّس بجامعة الملك محمد الخامس بفاس، واستمرت إقامته هناك منفياً عن بلاده حتى أواخر أيامه، عاكفاً على الكتابة ونظم الشعر.. ينافح عن دين الله، وينفعل بقضايا أمته، ويُرفرف بروحه شوقاً لحضرة مولاه وهياماً بمُصْطَفَاه صلوات الله وسلامه عليه.

## شاعر الإنسانيَّة المؤمنة:

والأميري شاعر مفطور منذ بواكير عمره، بدأ نظم الشعر وهو في التاسعة، وعلى مدى هذا العمر المبارك طبع له أكثر من ثلاثين أثراً في الشعر والفكر والنثر، وتُرجم عدد منها إلى لغات عديدة، كما أُلفت في دراسة شعره وأدبه أطروحات جامعية عدة، وقد اهتم في عطائه بقضايا الثقافة والدعوة الإسلامية، وبالمعاني الوطنية، وبالمشاعر الإنسانية حتى لُقب بشاعر الإنسانية المؤمنة.

**ومن أشهر دواوينه المطبوعة**: «مع الله»، و«أب»، و«أمي»، و«من وحي فلسطين»، و«حجارة من سجيل»، و«نجاوى محمدية»..

**ومن أبرز مؤلفاته**: «الإسلام وأزمة الحضارة المعاصرة»، و«الإسلام في المعترك الحضاري»، و«في الفقه الحضاري»[1].

كتب الأميري رحمه الله بريشة الروح شعره، وخطَّ بمداد القلب ورعشات الفؤاد أحاسيسه وبَوْحه، من رياض الحب الإلهي اغترف، وفي رحاب الجمال المُبدع حطَّ وارتحل، وعند كل معنىً من معاني النبض الإنساني توقَّف فأنشد، وبرغم اعتلال صحته أواخر سني حياته وتباطؤ دفق القلب لديه، واجتماع المحن والأدواء عليه إلا أنه لم يكف عن العطاء وعن الإبداع، حتى قضى نحبه[2] كما قدّر الله وقضى، وصدى أبياته لا ينفك يتردَّد، وهو يقول:

إذا كفّ قلبهُ عن وجيب    ظلَّ حيّاً بباقيات عطائه
وإذا غيض في غيابة رَمْسٍ    طاول النجم روحه في علائه
فدعوني في الله أبذل نفسي    وأداوي قلبي به.. بشفائه
والذي في الإله.. في النور يفنى    يتجلَّى بقاؤه في فنائه

❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) للأخ الكريم البحاثة الطُّلَعة الأستاذ باسل رفاعي دراسة واسعة عن الأستاذ الأميري وتعريف بآثاره، ستصدر بعون الله تعالى قريباً.

(٢) انتقل أستاذنا الأميري إلى رحمة الله تعالى مساء السبت ١٤١٣/٣/٢٨هـ، الموافق ١٩٩٢/٩/٢٥، إثر عارض صحيٍّ لازمه في الأشهر الأخيرة، وأدخله أواخر أيامه حالة من الغيبوبة شبه التامَّة، حيث قضى نحبه في أحد مستشفيات الرياض. ونُقل جثمانه الطاهر إلى المدينة المنورة، ودُفن بالبقيع قريباً من قبر الإمام مالك بن أنس، وقد حضر تشييعه طائفة من أهل العلم، كان في مقدمتهم أستاذنا الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمهما الله تعالى.



# لمحات من حياة العلامة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة[1] رحمه الله تعالى

## (١٣٣٦ ـ ١٤١٧هـ)
## (١٩١٧ ـ ١٩٩٧م)

**بقلم تلميذه: مَجْد مكي**

هو العلامة المُحدِّث الفقيه الأصولي الأديب الشيخ عبدالفتاح بن محمد بن بشير أبو غدة.

## ولادته ونشأته ودراسته:

ولد ـ رحمه الله تعالى ـ في مدينة حلب بسورية سنة **١٣٣٦هـ ـ ١٩١٧م**، ودرس في المدرسة العربية الإسلامية الخاصَّة الدراسة الابتدائية، ودرس في المدرسة الخسروية التي أنشأها خسرو باشا ـ رحمه الله تعالى ـ بحلب، والتي سُمِّيت فيما بعد: الثانوية الشرعيَّة، من عام **١٩٣٦** حتى عام **١٩٤٢**.

## أبرز أساتذته في الثانوية الشرعية:

وكان من أبرز أساتذته فيها المشايخ: الشيخ محمد راغب الطباخ،

(١) مجلة الأزهر، العدد الأول من السنة السبعين: (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

وعيسى البيانوني، وإبراهيم السلقيني الجدّ، رحمهم الله تعالى، إلى جانب الشيخ محمد السلقيني[1] والشيخ مصطفى الزرقا[2] مدَّ الله تعالى في عمرهما بالعافية والسلامة، كما لازم الأستاذ الفقيه الحنفي المتقن الشيخ محمد الرشيد ـ رحمه الله تعالى ـ تلميذ العلامة الفقيه الكبير الشيخ محمد الزرقا، وابنه الفقيه الجليل الشيخ أحمد الزرقا والد الشيخ مصطفى الزرقا.

## انتسابه إلى كلية الشريعة في الجامع الأزهر وأبرز شيوخه فيها:

ثم دخل كلية الشريعة في الجامع الأزهر بمصر في عام ١٩٤٤م، ومن أبرز من درَّس له فيها المشايخ: الشيخ محمود خليفة، وعبدالرحيم الفرغلي، وعبدالرحيم الكشكي، ومحمد الخضر حسين التونسي، وعبدالحليم محمود، ومحمود شلتوت، وقد تولى ثلاثتهم مشيخة الأزهر فيما بعد.

## دراسته خارج الأزهر بمصر وأبرز شيوخه:

ودرس خارج الأزهر على الشيخ عبدالله بن الصدِّيق الغماري، وحضر محاضرات الأساتذة عبدالوهاب خلاف، ومحمد أبو زهرة، وعبدالوهاب حمُّودة ـ رحمهم الله تعالى ـ، وكانت له تلمَذة خاصة لشيخ الإسلام مصطفى صبري، ولوكيل شيخ الإسلام الشيخ محمد زاهد الكوثري ـ رحمهما الله تعالى ـ، لازمهما لمدَّة ست سنوات ملازمة تامة.

وتخرج في عام ١٩٤٨ حائزاً على الشهادة العالية من كلية الشريعة، ثم درس في «تخصص أصول التدريس» في كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر ـ أيضاً ـ لمدة سنتين، وتخرج سنة ١٩٥٠م.

## تدريسه في ثانويات حَلب وتأليفه كتباً منهجية دراسيَّة:

وبعد عودته لسورية عمل مدرساً بوزارة المعارف لعام ١٩٥١م، ودرس

(١) توفي يوم الأربعاء ٢ صفر ١٤٢٢ الموافق ٢٠١٠/٤/٢٥.
(٢) توفي يوم السبت ١٩ ربيع الأول ١٤٢٠ الموافق ٣ يوليو ١٩٩٩.



لمدة إحدى عشرة سنة في ثانويات حلب مادة التربية الإسلامية كما درَّس العلوم الشرعية المختلفة في المدرسة الشعبانية والثانوية الشرعيَّة التي تخرج فيها، وألَّف خلالها ستة كتب دراسية للمرحلة الثانوية بالاشتراك مع الأستاذ الشيخ أحمد عز الدين البيانوني ـ رحمه الله تعالى ـ.

## انتخابه في المجلس النيابيّ وانتدابه للتدريس في كلية الشريعة بدمشق:

ثم انتُخب عضواً في المجلس النيابيّ بسورية في سنة ١٩٦٢ للمدة التي سمحت الظروف السياسيَّة فيها ببقاء المجلس النيابي، ثم انتدب للتدريس في كلية الشريعة بجامعة دمشق، فدرس فيها لمدة ثلاث سنين: الفقه الحنفي وأصول الفقه والفقه المقارن بين المذاهب، ثم قام بعدها بإدارة (موسوعة الفقه الإسلامي) في كلية الشريعة بدمشق لنحو سنتين قام خلالها بإتمام وإنجاز كتاب (معجم فقه المحلي لابن حزم)، وكان قد سبقه إلى العمل فيه بعض الزملاء، فأتمَّه وأنهى خدمته، وطبعته جامعة دمشق في ضمن مطبوعاتها في مجلدين كبيرين.

## رحلته إلى الهند وباكستان وكثرة شيوخه:

ورحل لمدَّة نحو ثلاثة أشهر رحلة علميَّة شخصيَّة خاصَّة إلى الهند وباكستان سنة ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م والتقى بأجِلَّة الشيوخ والعلماء في تلك الديار من أمثال المشايخ: الشيخ محمد شفيع مفتي باكستان، والمفتي عتيق الرحمٰن كبير علماء دهلي بالهند، وأبو الوفاء الأفغاني رئيس دائرة المعارف النعمانية، رحمهم الله تعالى، ويبلغ عدد شيوخه الذين لقيهم وأخذ عنهم واستجاز منهم أكثر من مئة وخمسين شيخاً.

## انتقاله إلى السعودية وتدريسه في جامعة الإمام محمد بن سعود:

وفي سنة ١٣٨٥ تعاقد مع كلية الشريعة بالرياض التي غدت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لاحقاً، ودرَّس فيها وفي المعهد العالي للقضاء، ثم درَّس نحو عشر سنوات في الدراسات العليا في كلية أصول

الدين من الجامعة نفسها للحديث الشريف وعلومه، وكان عضواً في المجلس العلميّ فيها، وبقي يعمل مع جامعة الإمام مدَّة ثلاث وعشرين سنة إلى عام ١٤٠٨، ولقي فيها من إدارة الجامعة ومنسوبيها كلَّ تكريم وتقدير.

## تعاقده مع جامعة الملك سعود بالرياض:

ثم تعاقد مع جامعة الملك سعود بالرياض فدرَّس علوم الحديث في كلية التربية لمدَّة سنتين لطلاب السنة الأخيرة من الكلية وفي الدراسات العليا، ثم تقاعد عن التدريس في ١٤١١.

## مشاركته في وضع مناهج دراسية:

وشارك في وضع مناهج وخطط دراسيَّة في سورية، ثم في مناهج المعهد العالي للقضاء، وكلية الشريعة في جامعة الإمام الإسلامية.

## انتدابُه أستاذاً زائراً لعدد من الجامعات:

وانتدب أستاذاً زائراً للتدريس في جامعة أم درمان الإسلامية في السودان لعام ١٣٩٦، وأستاذاً زائراً لليمن عام ١٣٩٨، وأستاذاً زائراً عام ١٣٩٩ لجامعة ندوة العلماء في «الكنو» بالهند التي يرأسها سماحة الشيخ أبو الحسن الندوي.

وانتفع بعلمه الآلاف من التلاميذ وطلبة العلم في حلب وجامعات دمشق والرياض والهند وباكستان والسودان واليمن وغيرها.

## مشاركاته في عدد من المؤتمرات والندوات:

وشارك في مؤتمرات وندوات كثيرة جداً في سورية والعراق واليمن وقطر والمغرب والسودان والهند وباكستان وتركيا وأندونيسيا وأفغانستان وطشقند وسمرقند، وفي أوروبا وأمريكا وكندا وغيرها.

## خدماته العلمية وعضويته في عدد من المجامع العلمية:

وله من الخدمات العلمية والآثار المطبوعة ما بين محققات ومؤلفات



أكثر من ٧٠ كتاباً في الحديث والمصطلح والرجال والفقه والأخلاق والتاريخ.

هذا، والأستاذ أبو غدة ـ رحمه الله تعالى ـ إلى جانب هذه الآثار التي خدمها تأليفاً وتحقيقاً وطبعاً وإخراجاً: عضو في المجمع العراقي في بغداد، وعضو في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، ونال جائزة سلطان بروناي لخدمة الحديث النبويّ الشريف في عام ١٤١٥هـ، وكان أول من منح الجائزة.

## مرضه ووفاته:

أَجْهَدَ الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ نفسه في نشر العلم وتحقيق الكتب النادرة، حتى ضَعُفَ بصره، وأجريت له عملية جراحية في مستشفى العيون التخصُّصي بالرياض في شعبان ١٤١٧هـ ضعفت صحته على إثرها، ونُقل إلى مستشفى الملك فيصل التخصُّصي في أواخر رمضان، وتوفي سحر ليلة الأحد التاسع من شوال سنة ١٤١٧هـ، وصلى عليه جَمْعٌ حاشد من طلابه ومحبيه في مسجد الراجحي بالرياض بعد صلاة الظهر يوم الاثنين العاشر من شوال، ثم نُقل إلى المدينة المنورة بطائرة خاصَّة أرسلها سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز جزاه الله خيراً، وصُلِّيَ عليه بعد صلاة العشاء في المسجد النبويّ الشريف، وشيَّعه مئات المحبّين الذين توافدوا إلى المسجد النبويّ الشريف من شتَّى أنحاء المملكة، ودُفن في البقيع بجوار سيدنا رسول الله ﷺ الذي أمضى عمره في خدمة سنته، وبجواره أصحابه الكرام ـ رضي الله عنهم ـ الذين أحبَّهم ونشر فضائلهم.

وبموت فضيلة الشيخ تنطوي صفحة مضيئة مشرقة من صفحات العلم التي تُذكِّر بعلماء السلف في عُلوِّ الهمَّة والحرص على الزمن، والصبر على طلب العلم وتحصيله.

رحمه الله رحمةً واسعة، وعوَّض المسلمين خيراً، وجمعنا به في مستقرِّ رحمته.

# العلامة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة[1]
## قلَّ نظيره في علمه وأدبه
## (١٣٣٦ ـ ١٤١٧هـ)
## (١٩١٧ ـ ١٩٩٧م)
## ـ ١ ـ

بقلم تلميذه: حسن قاطرجي

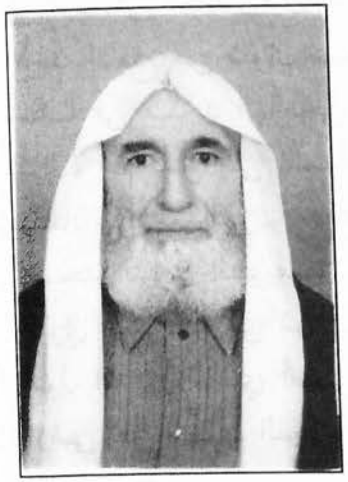

### لمحات من علمه وأدبه:

باديءَ ذي بِدْء أعتذر من الله ـ جلّ جلالُه ـ عن الحديث أو الكتابة عن سيدي الشيخ رحمه الله، وما أصدق كلمة الإمام الحُجّة البحر أحد القُرّاء السبعة أبي عَمْرو بنِ العلاء البَصْري ـ مع أنه من التابعين ـ: «ما نحن فيمن كان قَبْلنا إلا كبَقْلٍ في أصول نَخْل طِوال» والتي سمعتُها من الشيخ رحمه الله أكثر من مرة في سياق المقارنة بين العلماء في العصور المتأخرة وبين علماء السلف الصالح. وأنا أحقّ بها وأجدر في مقامي من سيدي الشيخ تغمّده الله برضوانه وأنزل عليه شآبيب رحمته.

(١) نشرت بتاريخ: ٢٠٠٧/١/١٩م، في موقع: (الإسلام في سورية) www.islamsyria.com، ونُشرت من قبل في مجلة «منبر الداعيات» البيروتية.



**أولاً**: أكتب بعضَ ما أعرفه عن شيخنا رحمه الله وفي النفس حَسْرةٌ جامحة على جسامة الخسارة التي ألمّت بالعِلم وبالعالم الإسلامي وليس ذلك من باب التوقّف في قبول قضاء الله تعالى، معاذَ الله، ولكنه أولاً للشعور الطبيعي عند فَقْد الأعزّاء. **وثانياً**: لأن خسارته ليست خسارة شخصية ولكنها خسارة عامة سرعانَ ما يحتاج الخاطرَ بحلولها ظلالُ نبوءات الرسول ﷺ: «**...حتى إذا لم يبقَ عالمٌ اتخذ الناسُ رؤساءَ جُهّالاً فسُئلوا فأفتَوْا بغير علم فضلّوا وأضلّوا**»، و«**بين يدي الساعة سنون خَدّاعة... يتكلّم فيها الرُّوَيْبِضة: التافه يتكلَّم في أمر العامّة**».

إنني أستطيع أن أقول من خلال صلتي المباشرة بالشيخ والتلمذة عليه ومرافقتي له وصحبتي لشخصه الكريم طيلة ثلاث سنوات أثناء دراستي في كلية أصول الدين ـ قسم السُنَّة وعلومها، بالرياض ـ فضلاً عن صلة المراسلة والتعلّق بكتبه منذ ما يزيد على **(١٥)** سنة، أستطيع أن أقول: لئن كان الشيخ رحمه الله يشاركه غيره من أهل العلم والدعاة في بعض الخصال بل ربما تميَّز عنه بعضهم ببعض الجوانب العلمية أو الدعوية أو القيادية أو السياسيَّة إلا أن سيدي الشيخ في تقديري قلّ نظيره في تعلُّقه بالعلم واحتراقه في تحصيله والحرص على إتقان تحقيقه وفي حرصه على الأوقات بل اللحظات لئلا تضيع في غير العلم، كما أنه رحمه الله قلّ نظيره في أدبه حتى إن المعاشر له ليتعلم من أدبه تماماً كما يتعلّم من علمه. وفي هذين الجانبين سأحصر كلامي عنه رحمةُ الله عليه مع الحاجة الملحّة إلى ترجمة شاملة لحياته، واستعراض عام لمراحل سيرته، ودراسة تقويمية معمّقة للجوانب الأخرى من نشاطه في المجالات الدعوية والاجتماعية والسياسيَّة، مما يتطلّب تضافر جهود عدد من عارفيه وإخوانه وأقاربه وتلامذته. وسيظل هذا الجهد أمانةً ثقيلة في أعناقهم لا يُعفيهم منها إلا أداؤها.

### شواهد تفوّقه في العلم:

#### كثرة شيوخه:

ومما يشهد لقوّة تعلّقه بالعلم وتفوّقه في تحصيله كثرةُ شيوخه الذين تلقى عنهم فقد بلغوا **(١٨٠)** شيخ على ما أحصاه الأخ الشيخ محمد الرشيد

النَّجْدي ـ أحد خواصّ تلاميذ الشيخ ـ في كتابه «إمداد الفتّاح بأسانيد ومرويّات الشيخ عبدالفتاح»، علماً أنهم يتوزَّعون على مساحة جغرافية مترامية الأطراف من بلاد الشام إلى مصر إلى الحجاز واليمن والهند وباكستان والمغرب، وهذا نادر جداً في عصرنا.

**كثرة الكتب التي خدمها:**

كما أنه يشهد لذلك كثرة الكتب التي خلّفها ـ ما بين تحقيق وتأليف ـ فقد بلغت حوالَيْ ٧٠ كتاباً من العلم المُصفّى المُحقَّق المُوثّق وليست مجرَّد كتب إنشاء، وحتى في رسائله الصغيرة مثل «السنّة النبويّة وبيان مدلولها الشرعي» أو «منهج السلف في السؤال عن العلم وفي تعلّم ما يقع وما لا يقع» أو في مقدماته لكتب غيره مثل مقدمته الحافلة لكتاب «التعليق الممجَّد» أو مقدمته لكتاب «شرح القواعد الفقهية» لا يأتي إلا بالممتع النافع مع التحقيق والتدقيق والإتقان. ولا يخفى على المتتبِّع لكتبه أنه خصّ عدداً غير قليل منها في موضوعات العلم وتراجم العلماء مما يترجم أصدق ترجمة أحاسيسَه نحو العلم وشدة تعلّقه به وحُرقته على تحصيله، وهي:

١ ـ «صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل»، ٢ ـ و«العلماء العُزّاب الذين آثروا العلم على الزواج»، ٣ ـ و«قيمة الزمن عند العلماء» والذي ذكر في مقدمته أنه حصيلة (٢٠) سنة من المطالعة والتجميع والانتخاب وأصله كلمة لمدة عشر دقائق ضمن محاضرة مشتركة دعت إليها كلية الشريعة بالرياض!!، ٤ ـ و«منهج السلف في السؤال عن العلم»، ٥ ـ و«الرسول المعلِّم ﷺ وأساليبه في التعليم»، ٦ ـ و«تراجم ستّةٍ من فقهاء العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري».

**حرصه على اقتناء الكتب ومعرفته الواسعة بمخطوطها ومطبوعها:**

ويلمس كلُّ مَنْ يعاشر الشيخ أن له حُرقةً نادرة قلما نجدها عند كثير من العلماء فضلاً عن طلبة العلم على اقتناء الكتب ممَّا جعله أحد المراجع المهمة في العالم الإسلامي في معرفة الكتب مخطوطِها ومطبوعها، ولقد



رافقته في بعض الزيارات إلى بعض المعارض وعاينتُ بنفسي نَهَمَه على اقتناء الكتب حتى ولو كانت عنده إذا اختلفت طبعاتها.

والجدير ذكره أنه يحرص على اقتناء الكتب في مختلف فروع الثقافة الإسلامية والعامة، ومن يقرأ في مقدمة كتابه «صفحات من صبر العلماء» كلامَه عن عجائب المخلوقات والكتب المؤلفة في ذلك والأخبار التي التقطها من مصادر شتّى يدهش لهذا التنوّع والغزارة والتتبُّع عنده رحمه الله ونفع بعلمه. كما أن له قصة من أطرف القصص وأغربها وأدلّها على ولعه بكتب العلم مع كتاب «فتح باب العناية» سَجَّلها في مقدمة تحقيقه للجزء الأول منه كما سَجَّلها الدكتور السباعي رحمه الله في الجزء الثاني من كتابه «القلائد من فرائد الفوائد» جديرٌ بكلِّ طالب علم أن يقرأ خبرها لعلها تكون مِهْمازاً له.

**مكتبته الضخمة:**

وبهذه الحرقة وهذه النَّهْمة تكوّنت للشيخ مكتبة ضخمة قلّ أن يملك مثلَها أفرادٌ، وقد ذكر أحد أعرف تلاميذه به فضيلة شيخنا الأستاذ محمد عوّامة ـ فيما كتبه عن الجانب العلمي في حياة الشيخ رحمه الله وأرسله إليّ مشكوراً ـ أن إذاعة الرياض أجرت معه رحمه الله قبل نحو عشرين سنة مقابلة، سُئل فيها عن مكتبته فصرّح بعد إلحاح أنها تضمّ عشرين ألف مجلد!!. هذا في ذلك الوقت فكم يُقدِّر حجمُها الآن؟!

**حرصه على تحقيق مسائل العلم وإتقان البحث:**

وممَّا يتصل بحب الشيخ للعلم وتفوُّقه في تحصيله حرصُه على تحقيق مسائله وإتقان البحث فيها والتدقيق في تجليتها وضبطها مما يُهمله كثير من العلماء في عصرنا ـ للأسف الشديد ـ ثم لا تقف ظاهرة الإهمال هذه عند حدّ التهاون في ضبط الكلمة وتحقيق معناها، بل تتعدّاها إلى التهاون في الفتاوى وتحقيق الحكم الشرعي فيقع الناس في الخبط وتكثر الفوضى في العلم. أما سيدي الشيخ رحمه الله فيكتب صفحات طويلة مثلاً ـ وهي عندي بخط يده الجميل المنسَّق المرتَّب ـ في الفرق بين الوَهْم والوَهَم، وكذلك

كتب صفحات طويلة في كتابه «الإسناد من الدين» من ص٥١ إلى ص٧٤ من أجل تتبُّع التحريف الذي وقع في كلمة واحدة فقط من عبارة للإمام عبدالله بن المبارك في فضل الإسناد، ونجد هذا النَّفَس في الاستقصاء والتتبُّع فيما كتبه ابتداءً في تعليقةٍ ثم أخرجه في رسالة حول مسألة خلق القرآن وأثرها في صفوف الرواة والمحدثين وكتب الجرح والتعديل.

**تحسُّسه لأمانة العلم:**

ولقد شهدت هذه الحادثة الدالّة على علوّ همّته وتحسّسه لأمانة العلم، وهي أنه رحمه الله أثناء حضورنا عليه قراءة كتاب «شرح ألفية العراقي» غاب مرتين متتاليتين بسبب السفر ثم حضر في المرة الثالثة فأخبرنا رحمه الله - وهو مَنْ هو في علم المصطلح - أنّه حضّر الدرس قبل مجيئه إلينا للمرة الثالثة!! وما كان للشيخ رحمه الله تعالى - في ظني - لَيَتَأتّى له ذلك كلُّه لولا توفيقُ الله الذي هو مفتاح الخير كلِّه ثم حرصُه البالغ على استثمار الوقت، وهو ما يُفسِّر نبوغَه وتفوُّقَه وكثرةَ إنتاجه، مع الأخذ بالاعتبار مشاغل الشيخ الدعوية ومسؤولياته التنظيمية في العمل الإسلامي مما لا نجده عند السّواد الأعظم من المشتغلين بالعلم حيث يعتزلون العمل الدعوي ويتخفَّفون من حمل هموم المسلمين للأسف الشديد، بل لقد كان رحمه الله صارماً في استثمار وقته صرامة وصيّة الشاعر:

كُنْ صارماً كالوقت فالمقْتُ في (عسى) وإيَّـاك (عـلاّ) فـهـي أخـطـر عـلّـة

**استفادته من وقته:**

وحياته رحمه الله ترجمة صادقة لما كتبه في كتابه النافع الماتع: «قيمة الزمن عنده العلماء» الذي يجدر بكل عالم وطالب علم أن ينكبّ على قراءته والتمعُّن فيه مرة بعد مرة، كما يجدر بكل مسلم اقتناؤه وقراءتُه ليتعرّف على سرّ عظمة الحضارة الإسلامية وليفهم لُغْز تفوّق علماء السلف وفضلهم على الخلف.

والشيخ في مجال استفادته من وقته في الانكباب على العلم نادرٌ عُجَاب، فما دخلت عليه مرة إلا كان موضوعَ الجلسة (العلم) قراءةً أو



مناقشةً أو مذاكرة، وكثيراً ما كنت أدخل إلى غرفته والكتب التي يشتغل بها مفتوحة مفروشة مملوءة بها الغرفة.

ولقد حدَّثني الأخ المحامي الطبيب الدكتور فؤاد العريس أنه قبل سنوات وكان لا يزال يتخصَّص في الطب في باريس جاء الشيخ رحمه الله إليها للمعالجة في عيونه وكان معه أستاذه العلاّمة الفقيه الشيخ مصطفى الزرقاء، فكان الأخ يرافق الشيخ أحياناً إلى المركز الطبي وفي السيارة يُخرج الشيخ كتاباً ويسلّمه إياه ويطلب منه أن يقرأ له بسبب ضعف بصره، بل أعجب من ذلك أنه أثناء معاينته للجهاز الذي كان يبحث عنه لاقتنائه - وكان من مزاياه أنه تُدخَل فيه الورقة فيُكبِّر حروف كلماتها أضعافاً مضاعفة - كان رحمه الله ينتهز الفرصة كلما واتت فيُخرج الكتاب ويُدخله في الجهاز ويستفيد ولو من لحظات للقراءة فيه.

**مزايا علمه:**

**المزية الأولى**: سَعَته وتنوّعه، ولقد جاء في ثنايا كلامي ما يدل عليها.

**المزية الثانية**: حرصُه على التحقيق والإتقان فيه، ولقد ذكرت العديد من الأمثلة على ذلك.

لاسيما تفوّقه في علم مصطلح الحديث وتجديده، فلقد كان للشيخ رحمه الله اهتمامٌ خاصٌّ بهذا العلم ذلّل صعابه وخاض في عويص مسائله وحلّ معضلاته، وما تهيَّب من تحقيق أصعب المسائل فيه.

ولقد عشت حوالَيْ شهر مع آخر كتاب حققه الشيخ رحمه الله في هذا العلم ونشره العام الماضي وهو من أوسع كتب المصطلح وهو كتاب «ظفر الأماني» للإمام اللَّكْنَوِي، وقبله كتاب العلاّمة طاهر الجزائري «توجيه النظر إلى أصول الأثر» حيث كلفني الشيخ بقراءتهما قبل دفعهما للطباعة فأتى الشيخ فيهما بكل ظريف طريف وضمّنهما تحقيقات ماتعة رائعة مُدهشة تشهد لرسوخه في هذا العلم وإتقانه له. وممَّا يدل على ذلك أيضاً أنه حقق (١٢) كتاباً من كتب هذا العلم و(١٢) رسالة، كما ألّف هو في بعض مباحثه كتاب «لمحات من تاريخ السُّنَّة وعلوم الحديث» بالإضافة إلى أربع رسائل متنوّعة في علوم الحديث.

**المزية الرابعة:** إنصافه واستفادته من الجميع، فهو غير متعصِّب إلا لما يراه صواباً، ويحرص على أن يدور مع الحق والدليل حسبما يرى، ولذلك أخذ من شيوخ مُتعدِّدي المشارب العلمية. ولكنه مع إنصافه لا يُحابي في دين الله ولكنْ بأدب جمّ وتواضع مع شيوخه وإخوانه وكالأسد الهصور مع أعداء الدين. فنجده يخالف شيخه العلاّمة مصطفى الزرقاء في بعض الفتاوى مع أنه شديد الاعتداد به والإعجاب بعقليته، ونجده يخالف شيخه العلاّمة محمد زاهد الكوثري في جفوته لابن تيمية وابن القيّم ويحقّق رسالتين للأول وكتاباً للثاني بإعجابٍ بهما وثناء، وترحُّم عليهما مع أنه يخالفهما في عدد من المسائل في الأصول والفروع، ولا تخفى منزلة الكوثري رحمه الله عنده وأثره فيه. وحدّثني مراراً عن بعض تساهلات العلامة الفقيه القرضاوي في فتاواه، وأنه في أحد المؤتمرات ردّ عليه علناً في مسألة مصافحة المرأة حيث يُجيزها القرضاوي مع أنهما من مدرسة فكرية وحركية واحدة. كما نجد أنه في سياق إشادته بشيخه العلاّمة المحدّث أحمد شاكر في مقدمة تحقيقه لكتاب «تصحيح الكتب وصنع الفهارس» يبيِّن في التعليقة أنَّ شيخه مجانب للصواب في كتابه «نظام الطلاق في الإسلام».

وفي المقابل يكتب بلغة صارمة ضدّ مفسدي الدين وأعدائه فيتحدث ـ مثلاً ـ في كتابه «المحات» عن المُتملِّقين للحكام بالباطل في كل عصر ومِصْر، وأنهم مرض وخيم في جسم الأمة وبلاء عظيم في حياتها وقال فيهم: فاقدو الذمة، في دينهم رِقّةٌ وضَعْف، يحبون دنياهم ويؤْثرونها على دينهم... ويقدمون لهم ـ بحسب ذمتهم ـ من النصوص الشرعية ما يؤيدهم فيما هم عليه من ظلم أو لهو أو بطالة أو فساد.

وفي ثنايا ترجمته الحافلة الواسعة لعبقريّ الزمان والمدافع عن الإسلام في وجه الكمالية العلمانية: سعيد النُورْسي، وذلك في كتابه «العلماء العُزّاب» رمى رحمه الله سهامَه الحادّة صوب صدر الطّاغوت آتاتورك ـ كما وصفه ـ والكماليين والعلمانيين. فجزاه الله عن أدبه وإنصافه خيراً وعوّضه عن غَيْرته وكفاحه من ثواب المجاهدين ذُخراً.



## العلامة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة
## قلَّ نظيرُه في علمه وأدبه
## ـ ٢ ـ

بعد الكلام عن علم شيخنا ـ رحمه الله وأثابه رضاه ـ أتحدّث في هذا المقال عن أدبه الجمّ الذي يستذكر به جليسُه سِيَرَ وأخلاقَ الصالحين من السلف الكرام رضي الله تعالى عنهم.

وأنا لا أتحدث عن مستوىً من الأدب الذي لا بد أن يتوفّر في العلماء والدعاة، وإنما أتحدث عن مستوى مُتفوِّقٍ فريدٍ قلّ نظيره بين علماء عصرنا ـ فيما أعلم ولا أزكِّي على الله أحداً ـ إلى الحدّ الذي يأسر به الشيخ رحمة الله عليه جليسَه ويأخذ بمجامع إعجابه فينتقل إلى عالَم آخرَ لا نعهده حتى في مجالس كثير من العلماء فضلاً عن مجالس مشايخ السوء الذين لا همّ لهم إلا النفاق والتزلُّف ولا حديث لهم إلا في المناصب والمكاسب.

وينطبق على سيدي الشيخ رحمه الله ما كتبه هو في إحدى تعليقاته الحافلة المغذِّية المُحفِّزة على «رسالة المسترشدين» للإمام المحاسبي ـ ص١٠٢ من الطبعة الثامنة ـ حيث يقول: «ورؤية الرجل الصالح القدوة إنما تذكِّر بالله، لما يُرى عليه من النور والإشراق، والأُنس والطمأنينة، والمحبة والسكينة، في سَمْته وهيئته وخَشْعته، في نُطْقه وصَمْته وإطراقه وحركته وسكونه وكل شؤونه، فلا ينظره ناظر إلا كان نَظَرُهُ إليه مُذكِّراً له بالله، وكانت صورته مُوجِّهة له للإقبال على الله، أولئك الذين إذا رُؤُوا ذُكر الله».

وكلُّ مَنْ رأى الشيخ رحمة الله عليه يعرف أنه مَهيبُ الطلعة، ناهضُ القامة، مُنوَّر الوجه، كَسَاهُ الشَّيْب إشراقاً ووقاراً، وانعكس اشتغاله بذكر الله وإجلاله وتعظيمه على وجهه صفاءً واستبشاراً، ولا أبالغ إذا قلت: إنه رحمه الله تُذكِّر بالله رؤيتُه ويَنْهض بجليسه حالُه ومقالُه.

## اعتناؤه التامّ بالأدب تعليماً وتطبيقاً:

ولقد تأتّى للشيخ رحمه الله ذلك من اعتنائه التامّ بالأدب حتى لكأنّ (الأدب) يتقاطر منه، وليس هذا الكلام من قبيل المبالغات والمجازفات فلست ـ بفضل الله تعالى ـ ممَّن يحبّ المبالغات في حقّ الشيوخ ولا ممَّن يقدِّسونهم، بل أذكر ذلك وأرى أنّ هذه النظرة من قِبَل بعض طلاب العلم وتلاميذ الشيوخ انحراف عن سَنن التربية الإسلامية، ومُؤشِّر للتخلُّف وللجمود والانهزامية، يستغلّها تجارُ المَشْيَخة أبشع استغلال في تعظيم ذواتهم أو الانحراف بتلاميذهم في الولاء للباطل وتمجيد الطواغيت.

واعتناؤه التامّ بالأدب يظهر فيما بثّه في كتبه العديدة من الإشادة بأدب السلف وسرد حكايات أدبهم، ومن يلحظ هذا الجانب من اهتمام الشيخ رحمه الله يشهد لبراعته ومهارته في انتقاء روائع أخبار أدب العلماء والصالحين.

فالشيخ رحمه الله كتب رسالةً ماتعة ممتعة بعنوان **(من أدب الإسلام)** ضمّنها جملة من الآداب، وقال في أوائلها: «وهذه الآداب المذكورة هنا من لُباب الشريعة ومقاصدها، فليس معنى تسميتها (آداباً) أنها على طَرَف الحياة والسلوك يُخَيَّر الإنسانُ في فعلها وتركها، أو الأَوْلى فعلُها. قال الإمام القَرَافي في كتابه «الفروق» وهو يتحدَّث عن موقع الأدب من العمل وبيان أنه مقدَّم في الرتبة عليه: واعلم أن قليل الأدب خير من كثير من العمل، ولذلك قال رُوَيْم ـ العالمُ الصالحُ ـ لابنه: يا بُنَيّ اجعلْ عملَك مِلْحاً وأدبكَ دقيقاً. أي: استكثر من الأدب حتى تكونَ نسبته في الكثرة نسبةَ الدقيق إلى الملح في العجين».



فأين هذا مما عليه أهل الأهواء المنافقون الذين ينسُبُون أنفسهم إلى العلم ويتظاهرون بالحرص على نشر العلم الضروري!! وهم محرومون من بهاء العبادة وبركة الالتزام بالسُّنَّة وفقه (الولاء والبَرَاء) ولا أدب عندهم مع العلماء، بل دأبهم التطاول عليهم وتكفير أهل السابقة منهم في مَيْدان الجهاد وقول الحق وجرأة المناداة بتحكيم الشريعة الإسلامية.

وكذلك له ـ رحمه الله ـ كنوز منثورة من حكايات الأدب الرفيع والخُلُق النبيل عن الصَّالحين والعلماء الربانيين تطفح بها تعليقاته على «رسالة المسترشدين» للإمام المُربِّي الحارث المحاسبي، بالإضافة إلى اعتنائه بنشر قصيدة (عنوان الحِكَم) لأبي الفتح البُسْتي وهي من غُرَر القصائد في الآداب والأخلاق والنصائح الحكيمة الغالية. هذا كله من حيث الاعتناء بالتعليم، أما التطبيق فيظهر في شخصية الشيخ في مختلف جوانبها:

### ١ ـ أدبه مع الله تعالى:

في كثرة ذكره له سبحانه وتعالى، حتى إنني أتذكَّر الآن أثناء كتابتي هذه السطور تلك الأوقات المباركة التي كنتُ أقضيها معه أثناء اصطحابه رحمه الله تعالى في بعض الأحيان بسيّارتي من (الدُّخنة) إلى مكان الدرس في (العُلَيّا) في الرياض أثناء حضوري عليه قراءة: (ترجمة الإمام مسلم) من سِيَر أعلام النُّبَلاء للإمام الذهبي، ثم (مقدمة صحيح مسلم)، ثم (مقدمة ابن الصلاح)، ثم (شرح ألفية العراقي)، فكان ـ رحمه الله وأغدق عليه رضوانه ـ إذا لم نتباحث بالعلم يلهج لسانُه بالأذكار ولا يَفْتُر عن الثناء على الله وتعظيمه. وتعبيراً عن حرصه على الأدب عند ذكر الله تعالى كتب تعليقة طويلة على «رسالة المسترشدين» ـ ابتداءً من الصفحة **١١٢** من الطبعة الثامنة ـ حول أدب ذكر الله والتحذير من بِدَع الذكر والتي منها بدعة أولئك الذين «يذكرون اسم الله سبحانه، في أوّلِ دَوَرانِ حلقاتهم بلفظٍ هادئ، مفهوم ثم يُسرعون بالذكر والخَلْع والوثب حتى لا يُفْهَم عنهم ما يقولون! فما هي إلا أصوات تنخفض وترتفع، وأنفاس مبهورة تشتدّ وتندفع وترتفع، وأنفاس

مبهورة تشتدّ وتندفع، وهمهمة تتردَّد، وحركات تتجدّد، ويَعُدّون ذلك ذكراً لله! فإنا لله ـ من قلة الأدب مع الله ـ وإنا إليه راجعون» كما قال بالحرف رحمه الله تعالى.

بالإضافة إلى بكائه إذا ذُكِر بالله أو غَيْرةً على حُرمات الله أو إذا سمع كلماتِ مدح وثناء. والذي يعرف الشيخ رحمه الله تعالى لا يستغرب وصفي له بأنه (بكّاء سريع الدَّمعة)، وفي ذاكرتي العديد من الذكريات ولكن أقتصر هنا على قصتين:

**الأولى**: عندما حضرت شريط فيديو تكريمه الذي حصل في (اثنينيّة) السَّرِي الحجازي عبدالمقصود خوجة بتاريخ ١٤١٤/١١/١٤ في جُدّة استمعت إلى قصيدة لشاعر المدينة المنوّرة ـ الحلبيّ الأصل ـ محمد ضياء الدين الصّابوني يُعدِّد فيها مزايا الشيخ ويُثني عليه وعلى مقامه العلمي الرفيع حتى شبّهه بالإمام أبي حنيفة، فما كان من الشيخ رحمه الله إلا أن انفعل وغضب وأبدى بعد إلقاء القصيدة عدم رضاه عن هذا التشبيه وأنه دون ذلك بكثير واغرورقت عيناه بالدمع. لا مسَّتْهما النار إن شاء الله، اللهمّ آمين.

**والثانية**: ما قرأته في الحوار الذي أجرته مجلة المجتمع معه قبل وفاته ـ طيّب الله ثراه وجعل الجنة مُتقلَّبَهُ ومَثْواه ـ ثم نَشَرَتْه في **٢٥** شوال/ **١٤١٧**هـ، العدد **١٢٤٠**، حيث نقل محاوِرُه كلامَه رحمه الله عن أحد الحُكّام الصالحين وهو الملك نور الدين الذي كان يُدني العلماء من مجلسه كلَّ يوم ويُقْرأ الحديث فيه، ولمّا حُوصرت مدينة (دِمْياط) من قِبَل الفرنج وكان في مجلسه صديقُه العالم المحدّث عمر بن بدر المَوْصلي رحمه الله، فقرأ عليه الحديث المسلسل بالتبسُّم ـ أي: كل من رواه من الرواة تبسَّم فصار مُسَلْسَلاً بالتبسُّم ـ وطلب هذا العالم من الملك أن يبتسم حتى يستمرّ تَسَلْسُلُ التبسُّم في الحديث. قال له الملك: لا أتبسّم! فسأله: لماذا؟ قال: كيف أتبسّم و(دمياط) مُحاصَرَة من الفرنج؟!

هنا قال محاوِرُه الصحفي: تأثّر الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله



بموقف الرواية وسال دمعه!! فسبحان الله! ما أندر هؤلاء العلماء الصالحين الغَيَارى على دين الله! وما أفدح خسارتهم! أما مَوْتى القلوب وعبيد المناصب الذين لا يَنْبض منهم عِرْق غَيْرةً على دين الله فما أحراهم بالاستيقاظ من غفلتهم. وأما أنت يا سيدي الشيخ فطِبْ مُقاماً في مثواك المبارك قريرَ العين.

## تحرِّيه الشديد في العبارات التي تقال في جَنْب الله:

ومن شواهد أدبه مع الله: تحرِّيه الشديد في العبارات التي تُقال في جَنْب الله عزَّ وعلا، حتى كتب مقالةً مشهورةً منشورةً في مجلّة الأمّة القطرية بعنوان (تعبيرات خاطئة في جنب الله) تتبّع فيها بعض الأخطاء الشائعة في كتابات بعض العلماء والكُتّاب ممَّا لا يليق بالله تعالى، كما أنّ له فتوى مشهورة ـ ألحقها بكتاب رسالة المسترشدين ـ في عدم مشروعية قول الذاكر: «الحمد لله حمداً يُوافي نِعَمه ويُكافئ مزيده» لأنه لم يثبت نقلاً ولا يصح معنًى إذ ليس أحد من الناس يكون حَمْدُه بالغاً نِعَم الله عليه ولا مكافئاً لمزيد فضله إليه.

## تنبيه إلى كلمات لا يجوز أن تقال في حقِّ الله تعالى أو رسوله ﷺ:

وبالمناسبة ونصيحة للقراء والقارئات أنبِّه إلى أنه لا يجوز قول: العصمة لله، وإنما نقول: الكمال لله، أما العصمة فهي للأنبياء، ولا يجوز قول: عدد كمال الله، كما أفتى بذلك عدد من كبار محققي العلماء، وكذلك لا يجوز قول: أعشق الله أو رسول الله، علماً أن (العشق) لم يَرِد في القرآن ولا في كتب الحديث الستة ولا في مسند الإمام أحمد إلا في موضع واحد فيه في حقّ العابد الذي عشق امرأة.

## ٢ ـ أدبه مع العلماء:

والشيخ مؤدَّب غاية الأدب مع العلماء، وعلى رأسهم سيِّدُ العلماء سيِّدنا محمد ﷺ، ثم أصحابه السادة العلماء، ثم علماء السلف رضي الله عنهم، وما أروع ما كتبه وقرّره في رِفْعة مقام النَّبيّ ﷺ وشَرَف منزلته

وعدالة صحابته وتأثرهم بتربيته في تعليقه على «رسالة المسترشدين» ـ ص١٨ و ١٩ـ وأسهب فيه في كتابه «لمحات من تاريخ السّنة وعلوم الحديث» ـ من ص٣٣ إلى ص٥٥ من طبعة دار البشائر الإسلامية الرابعة الجديدة ـ، فَلْيُقْرَأ فإنه من العلم النافع والتحقيق النادر.

ويقول رحمه الله في تعليله اكتساب الصحابة الكرام الصلاح والأدب والتقوى من جرّاء صُحبة النَّبيّ ﷺ: «إذا رأى أحدُنا في هذه الأزمنة المتأخّرة عالماً صالحاً تقياً صارت رؤيتُه له ـ ولو لحظةً أو دقائقَ معدودةً ـ غِذاءً يتطعّمُهُ يتَمَطّق بطعمه طول حياته، ويدفَعُه إلى الخير والطاعة كلما ذكره، فكيف برؤية سيّد الخلق والأنبياء والمرسلين ﷺ فِداه أبي وأمّي. وإنما أطلتُ بعضَ الشيء في بيان فضل (الصُّحبة الشريفة) لأن هذا الموضوع ـ بتكدُّر العقول والقلوب بالأفكار الضالّة ـ صار ضامراً في أذهان بعض الناس اليوم فاقتضى مني الإطالة» انتهى كلامه رحمه الله. وكتابه الطّريف «الرسول المعلِّم ﷺ وأساليبه في التعليم» مرآة صافية لأدبه العالي الرفيع مع جناب سيدنا رسول الله ﷺ.

## أدبه مع السلف الصالح وغَيْرته عليهم:

ومن شواهد أدبه مع السلف الصالح وغَيْرته عليهم: أنه لمّا خشي أن يظنَّ القارئ ممَّا أورده من أخبار العلماء الفحول في سَعَة علمهم وكثرة مؤلّفاتهم في كتابه «قيمة الزمن عند العلماء» أنهم أعلم من السلف، كتبَ أكثر من صفحتين ـ ابتداءً من ص٩٠ من الطبعة الخامسة ـ في بيان أفضليّة السلف وأعلميّتهم.

## أدبه مع شيوخه:

أما أدبه مع شيوخه فعَجبٌ عُجاب، إذ لا يذكرهم إلا مع الترحُّم عليهم والدعاء لهم مُطبِّقاً وصية الإمام الفقيه العابد العلاّمة أبي محمد رِزق الله التميمي الحنبلي المتوفّى عام ٤٨٨هـ حيث يقول: (يَقْبُحُ بكم أن تستفيدوا منا، ثم تذكرونا ولا تترحّموا علينا).



## أدبه مع شيخه مصطفى الزرقاء:

فمثلاً من دقائق أدبه مع شيوخه ما حدثني به الأخ الأثير، الداعية الطبيب، الدكتور فؤاد العريس من أن الشيخ رحمه الله عندما جاء إلى باريس طلباً للعلاج ـ كما في القصة التي نقلتُها عنه حفظه الله ـ كان بصحبة شيخه العلاّمة فقيه العصر مصطفى الزَّرقاء، وكانا ينزلان في أحد فنادق باريس، فكان يزورهما الأخ في غرفتهما فيرى من أدب الشيخ رحمه الله ولُطفه مع شيخه وخدمته له ما يُدهش!! ومن ذلك أنه كان يسابق شيخه للإتيان بنعليه وصَفِّهما قُرب سريره مع أنه كان في سنّ يقارب الخامسة والسبعين.

ولا يُسْرِعَنّ إلى ذهن القارئ أن الشيخ الزرقاء من أولئك مُمْتَهِني المشيخة الذين يستذلّون تلاميذهم في خدمتهم أو مدّ يدهم لتقبيلها ولو قبل قدوم أحدهم بُعْد أمتار أو مدّ رجلَيْهم لخلع الحذاء أو إلباس الجَوْرَبَيْن... ولا سيِّدي الشيخ من أولئك السُّذّج المُخدَّرين... كل ما هنالك: أدب من التلميذ بمبادرةٍ منه للإكرام والوفاء بالجميل مع تحفُّظ العالِم وامتناعه وخَجَله. بل أقول: إن شيخنا ـ يَشْهَدُ اللَّهُ ـ كان إذا ما أقدم أحَدُنا بعد غياب طويل عنه ليقبّل يده ـ علماً أنه بالنسبة لنا كالجَدّ ـ جذبها ممتنعاً بشدّة.

## تقبيله يد أهل العلم والفضل والصلاح:

ومن شواهد أدبه أيضاً: أنه كان يُقْبل بلهفة لتقبيل يد من يعرف فيهم العلم والفضل والصلاح كما رأيت بعينَيَّ في إحدى المرات ـ على ما أذكر ـ في مشهد من أروع مشاهد الأدب والتواضع إقبالَه بشَغَف عندما قابل في أحد ممرات كلية أصول الدين شيخنا العلامة الصالح المنوّر عضو جماعة كبار العلماء في مصر الشيخ محمد عبدالوهاب البُحَيْري ليقبّل يده، رحمة الله عليهما ونوّر مرقدَيْهما.

## غُرر الفوائد وروائع الحكايات في مقدمة «رسالة المسترشدين»:

ولشدّة اهتمام الشيخ رحمه الله بضرورة الاعتناء بالأدب مع الشيوخ

كتب صفحات طويلةً في تقدمته الثانية لرسالة المسترشدين، فيها غُرَر من الفوائد وروائعُ من الحكايات والفوائد، فلْتُقْرَأ فإنها من الغنائم. ولكن أذكر من هذه الروائع واحدةً ممَّا انتقاه الشيخ رحمه الله تعالى وهي قصة الإمام الجليل إمام أهل السنَّة أحمد بنِ حنبلٍ عندما كان متّكئاً من مرضٍ ولما ذُكر إبراهيم بن طَهْمان ـ أحد العلماء الصُلَحاء ـ استوى جالساً وقال: (لا ينبغي أن يُذكر الصَّالحون ونحن متّكئون).

### ٣ ـ متفرّقات من أدبه المُدْهِش:

وبما أن صفحات أدب الشيخ رحمه الله هي سِجِلُّ حياته كلِّها لا يتّسع المقام لسردها جميعها، فضلاً عن أنّ ما أعرفه نقطة من بحر ما يعرفه عنه عارفوه ممن أطالوا صحبته، وعلى رأسهم تلميذه الأجلّ شيخنا العلاّمة محمد عوّامة الذي تمتدّ صلتُه به واستفادته منه حوالَيْ أربعين سنة، وأخي الغالي الأثير العالِم الداعية الشيخ مَجْد مكي، والأخ الشيخ محمد الرشيد، بالإضافة إلى سائر عارفيه وخاصَّة أهله، ممَّا يستحقُّ أن يُجمع لإحياء خُلُق (الأدب) المفقود في حياة أكثر المسلمين اليوم.

فما أكثر العقوقَ حتى مع الآباء والأمهات! وما أبشعَ الخياناتِ حتى مع الأصدقاء والأقرباء! وما أوسعَ انتشارَ الكذب حتى في صفوف المُتصدِّرين للدعوة! وما أسهلَ على كثير من المتديِّنين وأصحاب العمائم التفريطَ حتى بأمانة الكلمة وأمانة الموعد وأمانة المال فضلاً عن أمانة نشر العلم وإقامة الدين والدعوة إلى الله! فإلى الله المشتكى وأعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر، ومن الخيانة بعد الاستقامة، ومن الخذلان بعد السداد.

وإذا كان ما لا يُدرك كله لا يُترك قُلُّه فإنني أختم الكلام عن أدبه الجمّ بهذه الأخبار المُدْهشات:

### حرصه على زيارة الدكتور محمد حميد الله وشكره على صنيعه القديم:

**القصة الثالثة** التي حَدّثنيها الأخ الطبيب فؤاد العريس، وهي أنه أثناء صحبته للشيخ رحمه الله في باريس طلب شيخنا معرفةَ مكان إقامة الدكتور



العلاّمة محمد حميد الله الهندي الذي يَعرف عنه أنه مقيم في باريس وبعد لأي ومشقّة وطول سؤال اهتدَى الشيخ رحمه الله ومَنْ معه من الشباب إلى منزل هذا العالِم الهندي الذي يُؤْثر العُزْلة ويُقيم مع كتبه للبحث العلمي في منزلٍ متواضع جداً على سطح مبنى قديم رقم ٦ في شارع لوكسمور في باريس، فصعِدوا إليه فإذا به يعيش حياةَ زُهدٍ وتَقَشُّف يشغل وقته في العلم والعبادة، ولوحظ أن الدكتور حميد الله سَمْعَه ضعيفٌ جداً ومن جهته الشيخ رحمه الله يعاني من ضعف بصره، فصارا يتخاطبان بصعوبة ويستعين الشيخ بالإشارة، وإذا بالأخ يُدرك أنَّ الشيخ رحمه الله ما تكبّد هذه المشقات وألحّ على السؤال عن مكان إقامة هذا العالم الهندي إلا ليشكره على خدمةٍ أسداها إليه قبل أكثر من عشر سنوات تتعلّق بإحدى المخطوطات. ولما لم يكن الأخ الدكتور ضابطاً لتفاصيل الموضوع إذ مضى على الحادثة أكثر من ستّ سنوات وأنا عالق في ذهني أن الشيخ رحمه الله سَجّل هذه الخدمة في أحد كتبه رجعتُ إلى عددٍ منها أقلِّب صفحاتها حتى عثرتُ على الخبر في مقدمته لكتاب «الموقظة» للإمام الذهبي رحمه الله حيث يقول عن نسخة الكتاب الموجودة في المكتبة الوطنية بباريس ما يلي: (وكنتُ رجوتُ من الصديق المفضال العلاّمة الدكتور محمد حميد الله، المقيم في باريس حفظه الله تعالى ورعاه، أن يتكرّم فيصوِّرها لي، فوجد أمر التصوير يتأخّر قليلاً، فتفضّل بنسخها لي بقلمه وخطّه ثم قابلها بالأصل، وأثبتَ عليها ما على حواشي الأصل من تعليقات وبعث بها إليّ مشكوراً متكرّماً في ١٨ ذي الحجّة ١٣٩٩، فله أجزل الشكر والثناء والتقدير على هذه المساعدة العلمية الكريمة). هذا ما كتبه في مقدمة الكتاب مؤرَّخاً في ٢٣ من شوال ١٤٠٤هـ. ومشتملاً على الشكر، ومع ذلك وبعد حوالَيْ اثْنَتَيْ عَشْرة سنة ينتهز فرصة وجوده في باريس ويُلحُّ على مقابلة الدكتور حميد الله ولو تكبّد المشاق وعلى كِبَر سنّه وانشغاله بالعلاج، فقط ليُسدي له الشكر .الله أكبر ما أندر هذا الوفاء! وما أعزّ هذه الأخلاق! وما أقسى قلوب كثير منا بطغيان حب الدنيا والجاه وغلَبَة الحسد عليها حتى من أناس نعيش معهم سنوات طويلة ونظنّهم من المُقرَّبين ومن أخصّ المُحبِّين فإذا بالحقيقة تتكشف

ويفتضح فيهم خُلُق التعامل بوجهين، وتكشف الأيام عن انطوء قلوبهم على داء الحسد المُقيت فلا يراعون ليس فقط وُدّ لحظة ـ كما يَفترض الإمام الشافعي في أخلاق الأحرار ـ بل وُدّ سنوات ورفقة عمر في العلم أو في طريق الدعوة. فإلى الله المشتكى.

## زيارته للأخ حسن قاطرجي في بيته وتواضعه ولطفه:

قصة أخرى تدلّ على تواضعه وهضم نفسه. فقد دعوتُه مرة إلى الطعام في منزلي في الرياض في السكن الجامعي للمتزوِّجين في (الدخنة) وهو الحيّ الذي كان يسكن هو فيه أيضاً، فدق الباب بمنتهى اللطف وسألَتْ أهلي: من؟ فإذا صوت الشيخ الرقيق: عبدالفتّاح. هكذا وحسب، من دون ألقاب ولا فخفخات. فأسرعتُ إلى الباب وفتحتُه فدُهشت أنه وحده لا خادم ولا مرافق وهو مَن هو في علمه ومكانته القيادية في العمل الإسلامي!!

## نفرته من التوسُّع بالألقاب:

ومقابل هذا الأدب الجمّ والتواضع الرائع كم يستاء أحدنا عندما يشاهد في أوساط طلاب العلم المبتدئين وبعض المُعمَّمين الذين هم في العلم لا في العِير ولا في النَّفير كما يُقال: إسراعَهم في لُبْس زِيّ المشيخة الرسمي (الجُبّة والطربوش الأحمر تلفّه العِمامة) ثم إذا عرّفك أحدهم عن نفسه على الهاتف أو فيما يكتب إليك فلا بد من أن يذكر (الشيخ) فلان!! بل أحياناً (فضيلة الشيخ) فلان، وإنني لَتَتَملكَني الدهشة من أدب الشيخ رحمه الله وتواضعه أنه طوال سنوات تعرُّفي عليه وفي كل رسائله إليّ ومكالماته الهاتفية لم أسمع منه ولم يكتب إليّ ولا مرة (الشيخ عبدالفتاح).

بل لما كتب إليه شيخه العلاّمة العالم الصالح أحد أئمة العصر مفتي مصر سابقاً ـ أيام كان يتولى منصب الإفتاء فيها الأئمة العلماء الصَّالحون!! ـ فضيلة الشيخ حَسَنَيْن مخلوف تقريظاً لخدمته رسالة المسترشدين وافتتحه بقوله: (إلى أخي وصديقي الأستاذ العلاّمة المحقق الشيخ عبدالفتاح أبي غدة



أدام الله توفيقه)، فإذا بسيدي الشيخ رحمه الله يعلّق أسفل الصفحة: (قال عبدالفتّاح: هذا من تواضع شيخنا وسُمُوِّ أخلاقه العالية الرفيعة فإني منه بمنزلة الوليد من الجَدّ المجيد...) فرَحَمات الله عليه ما أروع أدبَه!!

## ذوقه الرفيع وحسُّه الرقيق:

وبعد، فهذا غيْض من فيْضِ أدب الشيخ، ولا أدري إن كنتُ نجحتُ في التعريف بِنَزرٍ من أدبه الرفيع، وفي تمكين القراء والقارئات الذين لم يتشرَّفوا بصحبة الشيخ رحمه الله من تخيُّل طَيْفٍ من هذه الشخصية العظيمة في جانبها العلمي وجانبها الأدبي، وإن كان لا يزال عندي كلام كثير في جانب مهم من أدب الشيخ رحمه الله وهو ذوقه الرفيع وحسُّه الرقيق الرفيق في النظافة والضيافة، وفي الترتيب واختيار الألوان وتناسق الأشياء، وفي عنايته الفنية والجمالية بكتبه، وفي اهتمامه بالكتاب وأدبه معه مما لا أعرفه إلا عند شيخ آخر من شيوخي رحمهم الله: شيخ القُراء في لبنان العلاّمة حسن دمشقيّة، وفي مَلْبسه وأناقته من دون اختيال ولا بطر، وفي مخاطباته ورسائله، ممَّا لا يَسَع العارف بذلك كلِّه إلا أن يعترف أنه فضل الله وتوفيقه، وآية من آيات عظمة دينه الذي يطبع الصادق المخلص فيه بهذا الطابَع النموذجي الفريد الذي يرفع الرأس ويُظهر عظمة الإسلام، ويكشف سرَّ دخول الناس في تاريخنا المجيد أفواجاً في دين الله.

فاللهمَّ أعظِمْ لشيخنا ثوابَه، ولا تحرمنا أجره، ولا تفتنّا بعدَه، واخلُفْنا مثلَه، إنك وليُّ ذلك والقادرُ عليه، اللهمَّ آمين[1].

□ □ □ □ □

(١) يُنظر في ركن العلماء في موقع (الإسلام في سورية): نماذج من رسائل العلماء وأدبهم العلمي، فيه ست رسائل من الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، لبعض شيوخه، جمعها ورتبها وقدَّم لها كاتب هذه الكلمات وجامع هذه التراجم، العبد الفقير مجد مكي.

# الشيخ عبدالرحمٰن الصوفي
# في ذمّة الله[1]
## (١٣٤٤ ـ ١٤١٩هـ)
## (١٩٢٦ ـ ١٩٩٨م)

بقلم الدكتور: نبيل الطويل

اختار الله إلى جواره منذ أيام أخاً كريماً، وصديقاً عزيزاً، وخِلاً وفيّاً، وناصحاً صادقاً، ومُوجّهاً مُخلصاً، هو المهندس الزراعي الأستاذ المربّي عبدالرحمٰن الصوفي. ومثل الكثيرين من أحبّاء الله فقد قضى عبدالرحمٰن في الديار المُقدَّسة، بنوبة قلبية حادّة بعيداً عن مسقط رأسه وملعب فتوّته ودار شبابه.

كان عبدالرحمٰن حتى آخر يوم من عمره في هذه الدنيا الفانية مثلاً ومثالاً للمؤمنين الصالحين والعاملين المخلصين والأتقياء الأخفياء، وكانت الأخلاق الرفيعة والنفس الرضيّة والتواضع الجمّ تُزيّن ذكاءه واجتهاده على مقاعد الدرس وفي الحياة العملية.

(١) مجلة الأمان اللبنانية، العدد ٣٣٩، كانون الثاني ١٩٩٩.



**في الدراسة الابتدائية والمدرسة الرسميَّة:**

ترافقنا في المدرسة الابتدائية لجمعية المساعي الخيرية الإسلامية باللاذقية، وتتلمذنا ـ سوياً ـ على أيادي معلِّمينا الأوائل كالشيخ **جميل حجّار، والشيخ وجيه محمودي** رحمهما الله رحمة واسعة، ثم انتقلنا في أواخر الثلاثينيات إلى المدرسة الرسمية، حيث نلنا الشهادة الابتدائية، ثم درسنا هناك على أيدي الراحلين الأساتذة: محمد علي نتيفة، وخالد فاروسي، وخالد كيّال، وعازار شرشر، والأب أنطون ديب، وغيرهم.

**في ثانوية التجهيز الرسمية وتفوُّقه وابتعاثه:**

وافترقنا في الدراسة المتوسطة أربع سنوات لنلتقي سوياً في ثانوية التجهيز الرسمية، وكان «أبو محمد» رحمه الله وأجزل ثوابه الأوّل في الصف دائماً، كذلك كان الأول على دورته في سائر القطر السوري في امتحان شهادة الدراسة الثانوية (البكالوريا الموحّدة)، فابتُعث إلى مصر، حيث درس الزراعة في جامعة القاهرة ـ جامعة الملك فؤاد آنذاك ـ على نفقة الدولة، ونال شهادة الهندسة الزراعية بامتياز.

كنت أحاول دائماً اللحاق به في مستوى الدراسة، وأسعى جاهداً أن أكون على شاكلته في السلوك في المدرسة وخارجها، فلقد بقي أبو محمد المؤمن الذي «يَألف ويُؤلف» كما رُوي عن الرسول الكريم ﷺ[1].

**في أيام الانتداب الفرنسي:**

تزاملنا في الصفوف الابتدائية والثانوية، وترافقنا في فترات الاستجمام في الرياضة: سباحة ورحلات، وتعرّضنا مع رفاق آخرين مرّتين في عام ١٩٤٥ (آنذاك) ـ لوابل من رصاص جنود الانتداب الفرنسي، الذين قتلوا في

(١) أخرج أحمد (٩١٩٨)، والحاكم في «المستدرك» ١: ٢٣، والبيهقي ١: ٢٣٦ من حديث أبي هريرة مرفوعاً: **«المؤمن مؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»** والحديث حسن.

بلدتنا الصغيرة في يوم واحد أكثر من خمسة عشر شهيداً من المدنيين الذين وافق مرورهم في شوارع المدينة، حين فتح الجنود المرتزقة نيران بنادقهم ورشاشاتهم بصورة عشوائية... هكذا ودّع (الانتداب) الفرنسي شعبنا في الوطن الحبيب قبل أن يجلو مُرْغَماً بعسكره عام ١٩٤٦.

## تأثير الأستاذ محمد المبارك:

كنّا ثلاثة طلاّب: أبو محمد، وأنا، وزميل ثالث ـ اختار بعد ذلك طريقاً آخر ـ عندما رحّبنا بزيارة مفتّش اللغة العربية (الأستاذ محمد المبارك) في نفس العام، وكان قادماً من دمشق، واستمعنا لأخباره وآرائه وتوجيهاته التي أثّرت مستقبلاً في خطّ سيرنا الفكري، محاولين أن نُصدّق بالعمل ما وقَر في قلوبنا طالما أننا آمنا بالله ربّاً وبمحمد ﷺ نبيّاً ورسولاً، مُتّبعين التوجيه القرآني للدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال ـ دائماً ـ بالتي هي أحسن، بعيداً عن التعصّب الأعمى، والشعارات الفارغة، والشتائم والعنف الذي ذاق منه كثير من الشباب المسالم الأمرّين في فترات تاريخية مضطربة مائجة بالصراع الفكري.

## خلقه الرفيع وهمته العالية:

كان أبو محمد ـ رحمه الله ـ محطّ الإعجاب والتقدير والاحترام من كلّ من عرفه، مُوجّهاً مسؤولاً متّصفاً في عمله ـ دائماً ـ بالصبر والأناة والحكمة والنضوج، وكان له في قلبي دائماً فيض الحب والمودّة، والشوق.. بخاصّة بعد أن اغتربنا كل واحد في بلد.

## شهادة لله عزَّ وجل:

وشهادة لله ـ في شهر القرآن ـ أني لم أعرف مسلماً في بلدي أفضل منه في الخلق الرفيع والهمّة العالية، ولعلّ اختياره للسكن مدى حياته في مسقط رأسه على رابية عالية (الطابيّات) يستشرف منها مدينته الوادعة، جاء بصورة عفوية انعكاساً لهذا الخُلق الرفيع، مُبتعداً بنفسه عن الدنايا والصغائر،



وعن سفاسف الأمور والقيل، والقال والمُمَاحكات والمناورات والأهواء الشخصية والمصالح الفردية، معتزلاً ـ برضاه ـ الأجواء الصاخبة المريضة.

## في ميادين الخير والبر:

ولقد آثر في مغتربه، بعد التقاعد عن العمل الرسمي في الزراعة، التطوّع للعمل في ميادين الخير والبرّ وتقديم النصيحة والمشورة في مجال اختصاصه.

## الشاعر الملتزم:

وركّز على هواياته الأدبية في قرض الشعر الملتزم، فكانت له منظومات ومقطوعات شعريّة فيها نفحات الإيمان ولمحات التصوّف، الإيجابي الفاعل لا السلبي المُجْدب.

ولقد أتحفني في السنوات القليلة الماضية ببعض من أشعاره مع رسائله، كما أنه نشر القليل منها في الدوريات الشهرية الصادرة حيث يقيم.

## افتقاد الأخ النصوح:

ورغم إيماني العميق بأنَّ لكل أجل كتاباً، فإذا جاء أحدنا لا يستأخر ساعة ولا يستقدم، وأنا راضٍ تماماً بقضاء الله وقدره.. إلا أن عينيّ تتبلّل دموعاً كلما ذكرت رحيل أبي محمد عن دنيانا الفانية، فلقد افتقدت برحيله الأخ النصوح الذي كنتُ أسأله دائماً الرأي والمشورة في أعمالي العلمية، بل وفي حياتي الشخصيّة ـ جزاه الله الخير كله ـ ولم يكن يبخل بها عليّ. وإني ـ والله ـ لفراق أبي محمد لمحزون، مع الكثيرين من أحبّائه.

اللهمَّ اجمعنا وإيّاه في علّيين، مع الشهداء والصديقين.

وأتوجّه إلى السيدة الفاضلة أم محمد، وإلى ابنه العزيز محمد يحيى وإلى بناته الكريمات وأهله جميعاً بالدعاء، طالباً من العليّ القدير أن يُصبّرهم في هذا المُصَاب الجَلَل.. ويا أهل الفقيد عظّم الله أجركم جميعاً.. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

# الشيخ عبدالرحمٰن الصوفي
## «رائدٌ من رُوّاد العمل الإسلامي في سورية»
## أحبَّ لقاء الله فأحبَّ الله لقاءه

**بقلم الدكتور عبداللطيف الهاشمي**

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾.

ودَّعنا بالأمس رجلاً من رجال الدعوة، ورائداً من رواد العمل الإسلامي في سورية؛ إنه الأستاذ المربِّي الشيخ عبدالرحمٰن الصوفي رحمه الله تعالى وأدخله فسيح جناته، وأعلى مقامه في عليين.

### ولادته وأسرته وتأسيسه أول عمل طلابيّ إسلاميّ في الساحل السوري:

ولد الفقيد في مدينة اللاذقية في سورية عام ١٩٢٦م، لأسرة متوسطة الحال، لها نسب مكتوب متَّصل بآل البيت، وَرَضَع منذ نعومة أظفاره حُبَّ الإسلام والدعوة الإسلامية. وتصدَّى مع مجموعة من زملائه في مدرسة التجهيز الثانوية في اللاذقية للأفكار العلمانية الوافدة، ثم قام وبتوجيه من الأستاذ محمد المبارك ـ رحمه الله تعالى ـ الذي كان موجِّهاً للغة العربية، بتأسيس أول عمل طلابي إسلامي في الساحل السوري.



### تَفوُّقه في جميع مراحل دراسته:

تلقَّى الأستاذ عبدالرحمٰن تعليمه في اللاذقية، وكان متفوِّقاً في جميع مراحله... وحَصَل على الترتيب الأول في سورية من بين المتقدِّمين لشهادة الدراسة الثانوية عام ١٩٤٦م، ونال بعثة من الحكومة السورية لدراسة الهندسة الزراعية في الخارج، وخُيِّر بين الابتعاث إلى مصر أو إلى بلجيكا، فاختار مصر لرغبته الشديدة في التعرُّف على الشيخ حسن البنا الذي طالما سمع عنه، ولرغبته في دراسة العلوم الشرعية إلى جانب دراسة العلوم الزراعية.

### دراسته بمصر وحصوله على شهادة الهندسة الزراعيَّة:

حصل على (البكالوريوس) في الهندسة الزراعية من جامعة فؤاد الأول في القاهرة عام ١٩٥٠، بمرتبة الشرف الأولى، ثم عمل رائداً في المجال الزراعي في اللاذقية، وعلى مستوى سورية حتى عام ١٩٧٠م عندما انتدبته وزارة الزراعة ليعمل محاضراً في كلية الزراعة.

### مشاركته في عدة مؤتمرات علمية وإنهاء خدماته بقرار تعسُّفي:

حضر عدة مؤتمرات علمية في الدول الأوروبية، ومثَّل سورية في عدد من الوفود الزراعية العلمية. ثم أُنهيت خدماته بشكل تعسُّفي من جميع وظائف الدولة عام ١٩٧٩م، بموجب قرار غير قابل للاستئناف، وذلك في إطار حَمْلةٍ لإخراج الإسلاميين من الجامعات، عُرفت بمذبحة التعليم الجامعي في حينها.

### في أحضان الدعوة الإسلامية:

تربَّى الفقيد في أحضان الدعوة الإسلامية، ولقي أثناء دراسته في مصر الإمام الشهيد حسن البنا ـ رحمه الله تعالى ـ، وتتلمذ على يديه، وشارك معه في مجموعة من الكتائب الليلية. وقد أحبَّه حُباً جماً، وبقي على دربه إلى أن لقي الله عزَّ وجلَّ.

## تأسيس العمل الإسلامي في الساحل السوري:

ولقد كان لفقيدنا الراحل ـ يرحمه الله ـ شرف المشاركة في تأسيس جماعة الإخوان المسلمين في سورية بقيادة الدكتور مصطفى السباعي ـ رحمه الله تعالى ـ، وكان عضواً في هيئتها التأسيسية لسنوات عدة، كما أسهم بشكل فعَّال في تأسيس العمل الإسلامي في الساحل السوري. وقد اعتُقل وسُجِن عدَّة مرات بسبب اتِّجاهه الإسلامي إلى أن خرج مهاجراً من بلده إلى بريطانيا ثم إلى السعودية.

## أخلاقه وسماته:

كان رحمه الله تعالى متواضعاً، حُلْوَ المعشر ذا خلق رفيع، يفرح لأفراح المسلمين ويألم لآلامهم، وكان يمضي كثيراً من وقته في التفكير بهموم الدعوة ومشكلات المسلمين، وكان صاحب همَّة عالية وذوق رفيع وأدب جمّ.

## حفظه القرآن الكريم ونظمه الشعر:

أتمَّ حفظ القرآن الكريم بعد أن بلغ الستين من عمره المبارك، وكان يخفي هذا الأمر عن أقرب الناس إليه، حتى إنه لم يكن يعلم بذلك إلا زوجته وإحدى بناته. كما أنه بدأ ينظم الشعر بعد أن بلغ الستين كذلك، وبلغ ما نظمه قرابة ثلاثة عشر ألف بيت من الشعر، كلها في خدمة الإسلام والدعوة الإسلامية، صدر منها من سلسلة نفحات الإيمان ديوانه الأول (ابتهالات وتأملات)، وبدأ بطباعة ديوانه الثاني، لكن الأجل كان أسبق...

## زيارته ليلة وفاته:

ولقد أكرمني الله تعالى بزيارة الفقيد ـ رحمه الله ـ ليلة وفاته (في مستشفى الدكتور بخش) في جدة مع بعض الأحباب فرأيته باسماً مُتهلِّلاً، في أنْضَر وجه وأحسن حال، وشدَّ على يدي عندما سلَّمت عليه كما كانت عادته عندما يُسلِّم على إخوانه، وأخذ يحدثنا ـ وابنه المهندس محمد



الصوفي، وصهره الدكتور محمد وليد جالسان ـ وكان مما قال: إني لأعجب من هؤلاء الذين يخشون الموت ويخافونه. إنَّ فراق الأحباب مؤلم حقاً، ولكن ألسنا مقبلين على لقاء أصحاب آخرين سبقونا واشتقنا إليهم. ثم إن هؤلاء الذين سنفارقهم إنما هم على الدرب وسيلحقون بنا. إني مستبشر بلقاء الله... أشعر ولله الحمد والمنَّة أني قد أدَّيت الأمانة على أحسن وجه، وقد أكرمني الله بأولاد وأحفاد نشؤوا في طاعة الله سبحانه... فماذا أريد بعد ذلك؟!

## شعره قبل الرحيل:

ثم أخرج ورقة وأعطاها للدكتور محمد وليد، وقال له: اقرأ على الإخوان هذه الأبيات التي كتبتها قبل قليل، فقرأ علينا:

يا مرحباً بلقاءِ ربِّي ... به منتهى أشواق صَبِّ
به ملتقى الأحباب ألقى ... أنداء رحمٰن يُلبِّي
كلُّ المرام فلا لغوب ... نحيا الخلود بظل حبِّ
يا ربِّ فاقبلني نزيلاً ... في ودك الحاني المُحبِّ
أنت الكريم جليل فَضْل ... فاغفر إلهي كلَّ ذنبي
قد كنتُ دوماً فيك أسعى ... فاجعل عطاك حميمَ قُرب

لقد أحبَّ لقاء الله، فأحبَّ الله لقاءه... ودعناه في الساعة الحادية عشرة مساءً وهو في أحسن حال، وفي فجر اليوم التالي؛ الخميس الرابع عشر من شعبان ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/١٢/٣م كان موعد الأجل المحتوم، إذ صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها، وتوقَّف القلب الذي طالما خفق بحب الله ورسوله والمؤمنين.

رحم الله فقيدنا الغالي الأستاذ عبدالرحمٰن الصوفي رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته، وألهم ذويه جميعاً الصبر والسلوان، وعوض المسلمين والدعاة في سورية خيراً، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

# علي الطنطاوي
## من حُماة الإسلام[1]
## (١٣٢٧ ـ ١٤٢٠هـ)
## (١٩٠٩ ـ ١٩٩٩م)

**بقلم: مَجْد مكي**

إنَّه ـ لا رَيْب ـ أحدُ حُماة الإسلام في هذا العصر.

حياته حَلقاتٌ مُتَّصلات، من الدفاع عن الدين، والكفاح ضدّ المستعمرين، وخدمة لغة القرآن.

عليٌّ الطنطاوي، عالمٌ، وأديب، وفقيهٌ، وقاضٍ، وخطيبٌ، ومُحدِّث، وثائرٌ على الظلم والظالمين، والفساد والمفسدين، والاستعمار والمستعمرين.

علي الطنطاوي، عبقريَّة فذَّة، وموهبةٌ نادرة... إنه نسيجُ وحده بين الأعلام، والمفكِّرين والأدباء.

وَهَبَ حياتَهُ ولسانَهُ وقلمَهُ للدفاع عن الإسلام.

كَتَب مئات المقالات، وألَّف عشرات الكتب، وألقى ألوف الأحاديث والمحاضرات.

(١) نشرت في جريدة المدينة بعد وفاة الشيخ بيومين في يوم الأحد ٦ من ربيع الأول ١٤٢٠هـ.



يقول رحمه الله: «والمطبوعُ ممَّا كتبتُ يزيد على ثلاثة عشر ألف صفحة، وإنَّ لي أكثر من خمسين كتاباً ما بين رسالة صغيرة وكتاب كبير، وإنِّي أحاضر في النوادي من سنة (١٣٤٥هـ)، وأتحدَّث في الإذاعات بلا انقطاع من يوم أُنْشِئَت محطَّة الشَّرق الأدنى في يافا، قبل الحرب الثانية... ولطالما وقفتُ مواقف كانت حديث الناس، وكانت حادثةَ الساعة، وكنت فيها ملءَ الأسماع والأمصار، وكان اسمي فيها على كلِّ لسان... ولكن ذلك كله مضى، وسيمضي العمر، ويذهب الجاه والمال، كما ذهب الشباب، وينسى الناس كل ما عملت، ولا يبقى إلا الذي يحمله معه العبدُ إلى آخرته، وهذا الذي يبقى وكل ما سواه إلى زوال»[1].

لقد أسلمَ روحَه إلى بارئها، بعد أن حمل الراية سنواتٍ طوال، وأدى أمانة العلم والأدب والدين، وبلَّغها بصدق وإخلاص، فَتَوارى عن ساحة الكفاح، بعد حروب متواصلة مع أعداء الدين والخلق والفضيلة...

❋ ❋ ❋

## حياته في سطور

أبصر العلامة الشيخ علي الطنطاوي النور بدمشق في عام ١٣٢٧هـ ـ ١٩٠٩م، والده هو الشيخ مصطفى بن أحمد، وكان مدير «المدرسة التجاريَّة» كما كان أمين الفتوى بدمشق.

تلقَّى أول دروسه في أحد كتاتيب دمشق، وانتقل إلى إحدى المدارس الابتدائيَّة، ثم غادرها إلى المدرسة الأهليَّة، التي كان يُديرها المربِّي الشيخ عيد السفرجلاني... ومرة أخرى غادرها إلى المدرسة السلطانيَّة، وكانت المدرسة الرسميَّة، وانتقلَ بعد ذلك إلى مكتب عَنْبَر، حيث أكمل دراسته الثانويَّة منه، ودَخَل بعد ذلك كليَّة الحقوق، وفاز بإجازاتها.

(١) المقدمات، ص٣٥٨ ـ ٣٥٩، الطبعة الأولى.

مارسَ الأستاذ الطنطاوي التدريسَ في مختلف مراحله في مدارس ومعاهد وجامعات دمشق، وبغداد، وبيروت، والرياض، ومكة المكرمة.

وعمل في القضاء، فكان قاضي دمشق الممتاز، ورئيس المحكمة الكبرى، ومُسْتشاراً في محكمة النَّقْض خلال الوحدة مع مصر.

شارك في وضع قانون الأحوال الشخصيَّة، وهو القانون الوحيد والكامل في البلاد العربيَّة، وكذلك وضع قانون الإفتاء، وأوْجَدَ مجلس الإفتاء الأعلى، ووضع مناهج الدروس الدينيَّة والعربيَّة لمدارس وزارة الأوقاف.

وشارك في إنْشاء الجمعيَّات الإسلاميَّة، وأقْدمها كانت «جمعيَّة الهداية الإسلاميَّة» عام ١٣٥٠هـ. والأستاذ الطنطاوي من أوائل مَنْ عَمِلَ في حَقْل الدعوة الإسلاميَّة[١].

## الطنطاويُّ الأديب والصَّحافي:

تعلَّق الطنطاوي بالقلم مُنْذُ حَدَاثته، ورأى فيه المُتنفَّس للإعراب عن مَشاعره وأحاسيسه، ونشْر آرائه وأفكاره. فعمل في جريدة «**فتى العرب**» عند أستاذه معروف الأرناؤوط في عام **١٩٣٠**م لمدَّة خمسة شهور، وحين دبَّ الخلاف بينهما، آثر الطنطاوي العمل في «**جريدة ألف باء**» لصاحبها شيخ الصحافة السوريَّة يومذاك يوسف العيسى، وكانت من أوْسَع الصُّحف انتشاراً غير أنَّ موقفها الوطني كان معتدلاً أيام الانتداب الفرنسي، فآثر الأستاذ الطنطاوي نقل نشاطه الصحافي إلى جريدة «**الأيام**» التي كانت تقودُ مع جريدة «**القبس**» حركة النضال الوطني ضدَّ فرنسا بحماسة واندفاع، فَوَجَد الأستاذ الطنطاوي المجال رَحْباً على صفحات «**الأيام**» ليكتب ويهاجم الانتداب.

(١) تنظر مقالته: «حصاد ربع قرن في حقل الدعوة الإسلامية في الشام» في مجلة «المسلمون»، العدد الثاني، من السنة الثالثة، ١٣٧٨هـ.



يقول الأستاذ الطنطاوي: «ولقد بلغ ما طُبع من كلامي أكثر من عشرة آلاف صفحة، لو نخلتُها نخلاً، ما وجدتُ فيها بحمد الله سطراً فيه تزلُّف للظالمين، ولا سَطْراً فيه إزْراء على العربية، ولا سطراً فيه خروج عن الإسلام... ولقد كنت أكتبُ في الصحف أيام الفرنسيين، فكنتُ أقول ما لا يَجْرؤ على أكثر منه قائل من الوطنيين، وليست هذه دعوى بلا دليل، بل هي حقيقةٌ دليلها موجود في صحف تلك الأيام، في «فتى العرب»، و«المقتبس»، و«ألف باء»، و«الأيام»، و«اليوم»، و«النصر»، و«الناقد»، و«الجزيرة»»[١].

ثم أصدر الأستاذ الطنطاوي مجلة شهريَّة باسم «**البعث**» في عام **١٩٣١**م، وهي أوَّل مجلة إسلاميَّة تصدر في سورية، فَصَدَرت منها أعداد ثم احتَجَبَتْ.

وسافر إلى مصر تلبيةً لدعوة خاله الأستاذ محبّ الدين الخطيب، فعمل في «مجلة الزهراء» ومجلة «الفتح» وأسهم في تحريرهما.

ولم تَشْغله الصحافة عن قيامه بمهنة التدريس، ولا عن عمله في سِلْك القضاء بعد ذلك.

## إقامته في مكة المكرمة وبرامجه الإذاعية والتلفزيونية:

وفي عام **١٩٦٣**م تبدَّلت الأحوال، وتغيَّرت الوجوه، وانطوت عهودٌ، فآثر الشيخ الطنطاوي الإقامة في مكَّة المكرمة، وفي السُّعوديَّة تفتَّحت له أبواب جديدةٌ للنشاط الإسلامي، فأخذ يُقدِّم في الإذاعة برنامجاً يومياً «**مسائل ومشكلات**»، وبرنامجاً تلفزيونياً أسبوعياً بعنوان «**نور وهداية**». وقُوبلت تلك البرامج بتقدير واسْتحسان وإقبال مُنْقطع النَّظير من مختلف الطبقات في المملكة وما جاوَرَها من دول الخليج، فاتَّجهت إليه الأنظار

(١) المقدمات، ص٣٨٨ ـ ٣٨٩، الطبعة الأولى.

والأسماع، وباتَ الناس ينتظرون موعد تلك الحلقات، ويتمنَّى كلُّ واحد منهم أنْ تطول فترة حديثه لما يجدون فيه من مُتْعة نفسيَّة وفكريَّة.

واستمرَّت هذه البرامج الإذاعيَّة والتلفزيونية أكثر من خمسة وعشرين عاماً، وفي شهر رمضان كان يقدِّم برنامجه التلفزيوني اليومي «**على مائدة الإفطار**». ولم يكن الأستاذ الطنطاوي يكتب أحاديثه، وإنما يضعُ رؤوس أقلام، ويستجمع أفكاره، ويرتجلها ارتجالاً، فلا يَتَلَعْثَم أو يَتَعثَّر، ولا يخطئ أو يلحن في عبارة أو لفظة، وينتقل بالمشاهدين والسَّامعين من موضوع إلى موضوع، في حقول المعرفة، في التفسير والفقه والحديث واللغة والأدب والتاريخ، فكان من أنجح المتحدِّثين وآثرهم في قلوب الناس في مختلف مستوياتهم وتنوع ثقافاتهم.

## مؤلَّفات الطنطاوي وآثاره:

يعدُّ الأستاذ الطنطاوي من أكثر أدباء العربيَّة غَزارةً في الإنتاج، وسخاءً في العطاء، فهو يَمْتلك زاداً فكرياً ثَرًّا، وقلماً مِطْواعاً يتدفَّق كالسَّيْل المُنْهمر بعبارةٍ رائعة، وأسلوب رائق متميِّز...

ويصفُ الطنطاوي قلمه فيقول: «قلمٌ إنْ شئت لانَ في يدي، حتى ليخشن معه الحرير، وإن شئت صلب حتى يلين إلى جَنْبه الحديد، إنْ أردته هدية نَبَتَ من شقِّه الزهر، وقَطَرَ منه العطر، وإن أردته رزيَّةً حطَّمتُ به الصَّخر، وأحرقتُ الحجر، قَلَمٌ كان عَذْباً عند قوم، وعَذَاباً لقوم آخرين»[1].

## موهبته النادرة وأسلوبه الفريد:

يقول الأستاذ عبدالغني العطري في كتابه «عبقريات من بلادي»: «كَتَبَ الطنطاوي المقالة، والقصَّة، والمسرحيَّة، وأبدع فيها إلى أقصى حدود الإبداع، فقد أُوتي صاحبنا مَوْهبةً نادرةً، وأسلوباً فريداً، وقدرةً لا حدودَ لها على تَطْويع الكلمات والألفاظ لخدمة أغراضِهِ. وكان يحلم في بعث الأدب

(١) الذكريات ٢/٥٩.



العربيِّ القديم والتُّراث الإسلامي. ولو قُدِّر للأستاذ الطنطاوي أن ينصرف بجهده للأدب وحده، لأمكنه أن يكون الأديب العربي الأول، فقد أُوتي الطنطاوي ذاكرةً قويَّة تشبه آلة التَّسجيل، تحفظ كل ما يمرُّ عليها... وأنعَمَ الله عليه بأسلوب أحْلى من السُّكر، وَوَهَبه جاذبية في الحديث والإلقاء، لا أحسب أنَّ أحداً من الأدباء والمفكرين يملكها»[1].

«والطنطاويُّ الكاتب الموهوب الذي لا يُجارى، وكلُّ ما يقوله ويكتبه هو السهل الممتنع، تنظر إليه فتراه بين يديك لا يَتَعاصى شيءٌ منه عليك، فهو في معانيه أقربُ إليك من شعاع الشمس، فإذا ما حاولت أن تحاكيَ أسلوبه وتنسج ما نسج، كنت كمن يريد أن يمسك شعاع الشمس، فما أبعده وما أقربه، وهذا هو السهل الممتنع»[2].

جاوزت كتبه الخمسين، ولديه أصول أحد عشر كتاباً لا تحتاج إلا على عمل قليل لتقدَّم إلى المطبعة[3].

## رسائل في سبيل الإصلاح:

وأوَّل ما صَدَر له: «**رسائل في سبيل الإصلاح**»، يقول الشيخ رحمه الله: «لقد كانت هذه الرسائل بداية كتبي المطبوعة، أصدرتُ الأجزاء الأربعة سنة ١٣٤٨هـ، ولم يجاوز عمري إحدى وعشرين سنة، خرجت الرسائل الأربع الأولى كما تخرج القذائف من فم المدفع، لها دويٌّ، ومن حولها شَرَرٌ وَلَهَب، فأيْقَظَت في دمشق النِّيام، وقَرأَها الناس وهم بين راضٍ عنها، وساخطٍ عليها، ومادحٍ لكاتبها، وقادحٍ فيه...»[4].

(١) عبقريات من بلادي، ص٢٨٧.
(٢) بين يدي المقدمات، لكاتب هذه السطور ص٥ من الطبعة الأولى.
(٣) مقدمة تعريف عام بدين الإسلام، ص١١.
(٤) المقدمات، ص٤٠٦ من الطبعة الأولى.

## رسائل سيف الإسلام والهيثميات:

وأصدر بعدها سلسلة رسائل «**سيف الإسلام**» سنة ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م)، وكتاب «**الهَيْثميَّات**»، وكان يُكنَّى بأبي الهَيْثم. وقد جمع في هذا الكتاب عدداً من مقالاته وأبحاثه وهو في مطلع شبابه، وأهدى كتابَه إلى أديب العربيَّة مصطفى المنفلوطي، ووصفه بأنه «سيِّد كتاب العصر» وكان مُعْجَباً به أشدَّ الإعجاب، إلى أنْ أُتيح له أن يقرأ للرافعيِّ والزيَّات.

وأصدر بعده كتابه «**أبو بكر الصديق**» ١٣٥٣هـ، ثم «**عمر بن الخطاب**» انتدبه لتأليفهما الأستاذ المُحقِّق المؤرِّخ أحمد عُبَيْد صاحب المكتبة العربية بدمشق، ثم عَمد إلى كتابه عن «**عمر**» فأعاد جمعه وتحقيقه وتهذيبه، وألحق به فَصْلاً عن عبدالله بن عمر كتبه أخوه ناجي، وصدر باسم «**أخبار عمر وأخبار عبدالله بن عمر**» سنة ١٣٧٩هـ.

## أسماء كتبه وتاريخ صدورها:

ثم تَوَالى صدور كتبه، وأشير باختصار إلى أسمائها وتاريخ صدورها: «**رجال من التاريخ**» صدرت الطبعة السابعة مع مقدّمتها سنة ١٤٠٥هـ، و«**قَصَصٌ من التاريخ**» صدرت الطبعة الخامسة مع مقدِّمتها عن دار المنارة سنة ١٤١٥هـ، و«**حكايات من التاريخ**» سبعة أجزاء، و«**أعلام التاريخ**» خمسة أجزاء، و«**الجامع الأموي في دمشق**» صدرت الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ، والثانية ١٤٠٩هـ، و«**في سبيل الإصلاح**» صَدَرت الطبعة الأولى سنة ١٣٧٨هـ، والطبعة الثانية سنة ١٤٠٨هـ (١٩٨٧م)، و«**هتاف المجد**» صدرت الطبعة الأولى سنة ١٣٧٩هـ، والطبعة الثانية سنة ١٤١١هـ (١٩٩٠م)، و«**بغداد: مشاهدات وذكريات**» صدرت الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ (١٩٦٠م)، والطبعة الثانية سنة ١٤١٠هـ، و«**صُور من الشرق في أندونيسيا**» صدرت الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ (١٩٦٠م)، والثانية سنة ١٤١٢هـ (١٩٩٢م)، و«**من حديث النفس**» صدرت الطبعة الأولى سنة ١٣٧٩هـ (١٩٦٠م)، و«**قصص من الحياة**» صدرت الطبعة الرابعة سنة ١٤١١هـ (١٩٩٠م)، و«**مقالات في كلمات**» صدرت الطبعة الأولى سنة ١٣٧٩هـ (١٩٥٩م)، و«**فكر ومباحث**»



١٩٦٠م، و«**فصول إسلاميَّة**» ١٩٦٠م، و«**مع الناس**» ١٩٦٠م، و«**من نفحات الحرم**»، و«**صور وخواطر**»، و«**تعريف عام بدين الإسلام**»، وهو من آثر كتبه لديه، يقول في مقدمة طبعة دار الوفاء بالمنصورة: «فأنا أكتبُ وأنْشُرُ من ستِّين سنة، لا أُحصي المقالات التي كتبتها، ولا الجرائد والمجلات التي نشرتُ ما كتبتُ منها، ولي نحو من خمسين كتاباً، ولكني أرجو من الله بهذا الكتاب ما لا أرجوه من كل ما كتبت»[(١)]، وقد طُبع أكثر من عشرين طبعة.

وحقق كتاب «**صَيْد الخاطر**» لابن الجوزي، بالاشتراك مع أخيه ناجي رحمهما الله تعالى.

## ذكريات علي الطنطاوي:

وأصدر «**ذكرياته**» في ثمانية أجزاء، روى فيها جميع مراحل حياته، بدءاً من الطفولة الفقيرة المعذَّبة، إلى مراحل الدراسة والجهاد الوطنيِّ أيام الفرنسيين، ثم ممارسة التعليم، والعمل الصحافي، ثم رحلاته إلى مصر والعراق ولبنان، وجَوْلاته ولقاءاته ومشاهداته وتجاربه...

## الفتاوى والمقدِّمات:

و«**الفتاوى**» ممَّا نشره في جريدة الشرق الأوسط، جمعها ورتَّبها حفيده الأستاذ مجاهد ديرانية، و«**المقدِّمات**» التي قمتُ بجمعها وترتيبها، وبَلَغ مجموعها ستاً وعشرين مقدِّمة كتبها الشيخ رحمه الله لعددٍ من المؤلِّفين في أزمنة مختلفة، ثم ضَمَمْتُ إليها مقدِّماته التي كتبها لكتبه بعد مرور زمن طويل على إعادة طباعتها، فضممتُ من مُقدِّمات كتبه سبع عشرة مقدمة، فتمَّ المجموع أربعين. وكان هذا الكتاب آخر ما صَدَر للشيخ مطبوعاً من آثاره، وصَدَرت الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ عن دار المنارة بجدة[(٢)].

---

(١) المقدمات، ص٣٦٣، من الطبعة الأولى.

(٢) وستصدر الطبعة الثانية قريباً بعون الله تعالى.

## تراث الشيخ المكتوب والمسموع والمرئي:

وأما مقالاته وأوراقه فلا تُحصى كثرةً، ولا يستطيعُ جَمْعها شخص بمفرده، ومع ذلك فقد وفّقني الله سبحانه لجمع الكثير من عيون مقالاته الرائعة وبحوثه الممتعة من عددٍ من المجلات والدوريات، وأسأل الله سبحانه أنه يُوفِّق لنشرها، ولا بدَّ من تَضَافر الجهود لجمع تراث الشيخ والتعريف به.

وأما أحاديثُه الإذاعيَّة والتلفزيونيَّة، فقد قامت مؤسَّسة (سَنَا) الإعلاميَّة بجدة بانتقاء مجموعةٍ من أحاديثه، وصَدَرت بعنوان **«دينٌ ودنيا»** وصَدَر منها ثلاثون شريطاً، وذلك بجهد الأخ الكريم الأستاذ عبدالله زنجير الذي كان مُقرَّباً لدى الشيخ، وأثيراً عنده، جزاه الله كلَّ خير.

وبعد؛ فالحديثُ عن أستاذنا الطنطاوي طويلٌ ومُمْتَد، ومُتعدِّد ومُتَشعِّب، وشائقٌ ومُمْتع، وما كنتُ أحسب أن تمتدَّ الكلمة إلى هذا الحدِّ، ولكن جرى القلم، فمجال القول متَّسع، ولدى الكثيرِ من تلاميذ الشيخ وعارفيه ومُحبِّيه ما يتَّسع للكلام عن الشيخ رحمه الله تعالى، وأجزل ثوابه، ورفع درجته، وعوَّض الله المسلمين خيراً.

**الأربعاء ٥ ربيع الأول ١٤٢٠هـ**

□□□□□



# علي الطنطاوي... ومجالسه المباركة

**(١٣٢٧ - ١٤٢٠هـ)**

**(١٩٠٩ - ١٩٩٩م)**

**بقلم تلميذه: مجد مكي**

## ذكريات ولقاءات:

عندما أمسكت بالقلم لأكتب عن الأستاذ الطنطاوي، تتابعت الذكريات، وساعات اللقاءات التي امتدَّت عبر عقد الزمان. وعن أيِّ شيء أكتب... وكيف أبدأ الكتابة؟

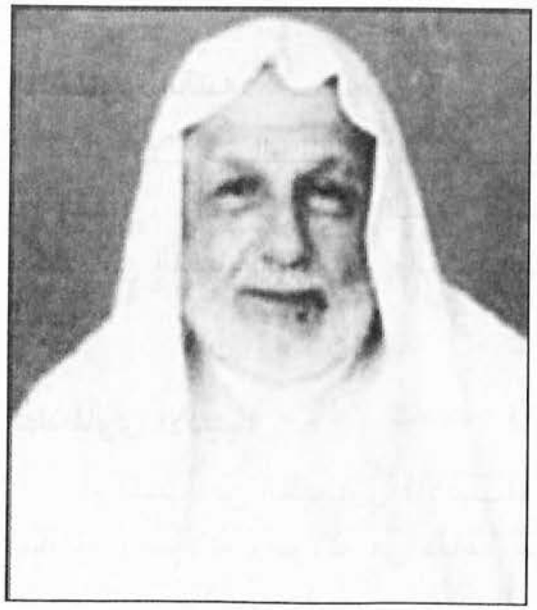

## موسوعة معارف متنوّعة:

فالطنطاوي تاريخ حافل، وديوان كامل، وموسوعة معارف متنوِّعة الجوانب، ومتعدِّدة المواهب.

فهل أكتب عن تاريخ حياته: طفلاً نابغاً، وشاباً يافعاً، ومعلِّماً ناجحاً، وصحافياً لامعاً، وداعيةً موفقاً، وقاضياً عادلاً، ومحامياً عن

الإسلام منافحاً، ومتكلماً موهوباً، وكاتباً بليغاً، وشيخاً وقوراً، أقعدته السنين، وعركته تجارب الحياة.

**الطنطاوي المربي:**

أم أكتب عن الطنطاوي (المربِّي)، وأستعرض آراءه التربويَّة، وكلماته وتوجيهاته، ولفتاته ونظراته، وتجاربه في تربية الأبناء، والاهتمام بالجيل، والعناية بالأسرة.

**الطنطاوي المعلم:**

أم أكتب عن الطنطاوي (المعلم)، فأبين مواقفه في تعليم الأجيال، وأذكر آراءه في المناهج الدراسية، وطرق التعليم، وأساليب التأليف...

**الطنطاوي الداعية:**

أم أكتب عن الطنطاوي (الداعية)، فأذكر منهجه في الدعوة إلى الله، وتجاربه ونصائحه، ومشاركته في حقل الدعوة الإسلامية بقلمه ولسانه، وأثره في الصحة الإسلامية.

**الطنطاوي الفقيه:**

أم أكتب عن الطنطاوي (الفقيه)، عن فهمِهِ لمقاصدِ الشريعة، ومنهجه في الفتوى، وأثره في تقرير الفقه، وتيسيره لعموم الناس... ومعالجته للكثير من القضايا الجديدة، والمشكلات المعقدة بنظراته البعيدة، وأفقهِ الواسع.

**الطنطاوي الأديب:**

أم أكتب عن الطنطاوي (الأديب)، عن أسلوب المتميز، وموهبته النادرة، وصولاته وجولاته في دفاعه عن العربية، ومعاركه الأدبية في الصحف والمجلات.



**الطنطاوي الإعلامي:**

أم أكتب عن الطنطاوي (المتحدِّث) اللبق، و(الإعلامي) الناجح، عن عفويته المحبَّبة، ونفسيته القريبة، ولهجته الحبيبة، وبديهيته العجيبة، ومعلوماته المتنوعة، وموسوعيته المدهشة.

فعن أيِّ جانب من هذه الجوانب أكتب، وماذا أدع؟

هو البحر من أيِّ النواحي أتيته فَلُجَّته المعروف والجودُ ساحلُه

إنَّ الكتابة عن أيِّ جانب من هذه الجوانب، يستوعب الصفحات الكثيرة، وعندي مجالٌ للقول، ومُتَّسع للكلام.

وتجمع في قارورة العطر روضة وتوضع في كأس الرحيق كرومُ

**صحبتي للشيخ ـ رحمه الله ـ:**

لقد صحبتُ الشيخ ولازمته خلال السنوات العشر الأخيرة من عمره، فكان يوم الأربعاء من كل أسبوع هو اليوم المُخصَّص لي، وما قَدِمَ إلى جُدة زائرٌ من أهل العلم والفضل ممَّن يعرف الشيخ إلا وسعى لزيارته، وتشرَّفت بصحبة الكثير منهم إلى مجلسه الحافل.

**صحبة عدد من الأعلام في مجلسه:**

فقد كان الشيخ في السنوات الأخيرة من عمره المبارك، يحب الاجتماع بالناس، ويجد متعة وأنساً بمحادثتهم ولقائهم، ويحرص على طول مكثهم، وتكرر زيارتهم... بعدما كان في أكثر عمره منطوياً على نفسه، يحبُ العزلة، ويؤثر الانفراد...

وخلال تلك الزيارات المتكررة استمعت لأطايب كلامه، وجَنَيْتُ من وافر ثماره، وناضج آرائه، وسعدت بصحبة الكثير من الأعلام والعلماء في مجلسه، وأذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: أستاذنا العلامة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، والأستاذ اللغوي سعيد الأفغاني رحمهما الله تعالى،

والسيد أبو الحسن الندوي، والشيخ مصطفى الزرقا، والدكتور يوسف القرضاوي، والدكتور محمد رجب البيومي، والدكتور محمد الحبيب بن الخوجة، والدكتور معروف الدواليبي، والدكتور إبراهيم سلقيني، والدكتور محمد أبو الفتح البيانوني، والشيخ محمد عوامة، والشيخ عبدالله التليدي، والدكتور عبدالسلام هراس، والأستاذ هاني الطابع، والمحامي علي الرضا الحسيني، و... وغيرهم كثير ممن لا يغيب ذكرهم عني، فكانت مجالس علم وأدب، وحِلْم ووقار، وفكاهة محببة، تسمع فيها من عيون الشعر، وروائع الأدب، ولطائف العلم.

## مجمعٌ علميٌّ وندوةٌ أدبيّة:

لقد كان بيت الشيخ في جدة مجمعاً علمياً، وندوة أدبية ممتدة خلال الأسبوع، في السنوات العشر الأخيرة، فمن بعد صلاة العشاء إلى قرب منتصف الليل، ندوة متجددة، ومواهب متعددة، ووجوه جديدة من مختلف الاختصاصات وتنوع الاتجاهات.

يحضر مجلسه كبار العلماء والأدباء ممَّن أشرت لذكر بعضهم، ويحضره كذلك مجموعة من العلماء والأدباء الشباب، أذكر منهم: الأستاذ محمد السرَّار من المغرب، ونظام يعقوبي من البحرين، ومحمد بن ناصر العجمي، ومحمد العوضي من الكويت، وحسن قاطرجي، ورمزي دمشقية من بيروت، ورائد سنهوري الشاعر المبدع من جدة، ومحمد عبدالله الرشيد من الرياض، الذي كان صلة الوصل بين الشيخ ودمشق، ينقل إليه أخبار من بقي من علمائها، ويُحدِّثه عن تاريخه الحافل، وذكرياته الجميلة، ويأتي في مقدمة هؤلاء: الأخ الكريم عبدالله زنجير، الذي كان من آثرهم لديه، وأكثرهم براً ووفاءً، فكان للشيخ كالولد البار في رعايته وبره، وكان الشيخ له كالوالد في حُنوه وعطفه...

ولم يقتصر مجلس الشيخ على طبقة العلماء الكبار والشباب منهم، بل غمر بواسع كرمه، وكريم عطائه، العامة الذين أحبوه وطعموا من «مائدة إفطاره»، واقتبسوا من «نور هدايته»، واستفادوا من حلول «المسائل والمشكلات»...



فكان يحضر مجلسه هؤلاء فيأنسون ويستفيدون، بل إن مجلسه العامر شمل حتى طبقة الصغار من الأبناء الذين كانوا يجلسون مع آبائهم بسكينة ووقار، فيتلقون درساً عملياً في الأدب والذوق، وتنطبع في مخيلتهم صورة الشيخ المهيب في تواضعه وسكينته، وتنالهم بركة دعواته الصالحة، وهم يقبِّلون يده الطاهرة، ويحيط هذا المجلس برعايتهم وحفاوتهم أصهارُ الشيخ وأحفاده، وفي مقدمتهم: الأستاذ زياد الطباع ـ سبط الشيخ علي الدقر ـ، والأستاذ نادر حتاحت ـ صاحب دار المنارة ـ وأحفاده، وفي مقدمتهم الإخوة الكرام: عمرو حتاحت، ومجاهد، ومؤمن، ومعتصم، ومعتز ديرانية، وطارق طباع، وغيرهم من أحفاد الشيخ وأقربائه، جزاهم الله كل خير على برِّهم ووفائهم.

## ذاكرةٌ ثرّة وتاريخٌ شاهد:

وكنت في مجلسي معه، أستحضر له مشاهد من ذكرياته، وعبارات من روائع كلامه، وأستثير ما في ذاكرته الثرة الغنية من تاريخ شاهده، ورجال صحبهم، وأعلام تعرَّف عليهم.

وكنت أُطلعه على ما يصدر من كتب جديدة، فيحرص على اقتنائها، ويوصي بشرائها، وتجد بجانبه مجموعات من الكتب والمجلات التي تُهدى إليه، فتحيط الكتب به، وتتضاعف وتزداد حتى تأخذ سبيلها إلى مكتبته.

وعلى الرغم من إعراض الشيخ عن الكتابة، وضعف يده عن الإمساك بالقلم... إلا أنه كان يقرأ ويطالع، ويناقش ويحاكم بعقليته الكبيرة، وذهنه الوقاد.

وكم كنا نعجب ممَّا تستحضره تلك الذاكرة العجيبة من ذكريات ومشاهد، وعلوم ومعارف، فكان يسرد علينا من روائع الشعر والأدب والحكم ودقائق المسائل... ما نجد أنفسنا عاجزين عن مجاراته، أو الجري في ميدانه.

وكم كان الخلاف يدور حول مسألة من المسائل، وقضية من القضايا،

يراعي فيها أدب الخلاف والحوار، فيجد الحاضرون الرأي السديد، والجواب المقنع عند الشيخ رحمه الله تعالى.

وإذا استشكلنا معنى كلمة أو غريب لفظ بادرنا بسؤاله، فنجد الجواب حاضراً على لسانه، وقد يردنا إلى بعض المراجع، ويعلمنا أن نتثبَّت من الحكم والمسألة، ويُعوِّدنا على الرجوع إلى «القاموس» الذي كان على يمينه لا يفارق مجلسه.

وفي أواخر أيامه توقَّف الشيخ عن الفتوى وامتنع عنها، خوفاً وتورُّعاً، وكان يشير على من سأله بالرجوع إلى الأستاذ مصطفى الزرقا ـ أمتع الله بحياته ـ ويثني كثيراً على علمه وفقهه... وربما ردَّ السائل المستعجل إلى مكتبته لمعرفة الحكم الفقهي الذي يسأل عنه.

لقد كنت خلال هذه المجالس أحرص على انتقاء أطيب الكلام، وقراءة بعض النوادر التي أستخرجها من بطون الكتب والدوريات... وكنت أحضر له الكثير من مقالاته المنسية مما كتبه في بواكير شبابه في «الفتح»، و«الزهراء»، و«الرسالة»، و«الأزهر»، و«المسلمون»، و«حضارة الإسلام»، و«الوعي الإسلامي»، و«هدي الإسلام»، و«مجلة الحج»، و«رابطة العالم الإسلامي»، فيجد متعة في قراءتها، ويبدي سروره وإعجابه بوقوفي عليها، ويثني عليَّ بصفات أنا دونها.

وأستعرض معه أسماء الكثير من الأعلام الذين أحبَّهم وصحبهم، وأذكِّره بمواقفهم، وأحضر له الكثير من آثارهم... فيجد ما يُسلِّيه في غربته، ويُؤْنسه في وحدته، ويعيده إلى ما مضى من سالف أيامه.

وأقرأ عليه بعض ما كتب عنه... من ثناء ومدح... وإعجاب وإنصاف... قرأت له ما كتبه الدكتور محمد رجب البيومي في «النهضة الإسلامية»، وما كتبه الشاعر الأديب عبدالله بلخير في «ذكرياته»، وما كتبه الأستاذ عبدالغني العطري في «عبقريات وأعلام»... فكانت عيناه تدمع فرحاً وسروراً... لأنه لم يضع جهده وجهاده، ولم ينس الناس أثره وأعماله... ويدعو الله سبحانه أن يتقبل منه، ويتجاوز عنه، ويُحسن خاتمته.



## هموم المسلمين وقضايا الأمّة:

لقد كان الشيخ يعيش هموم المسلمين، وقضايا الأمة، فما زرته يوماً لأخبره بما يقع للمسلمين من أحداث، وما يحلّ بهذه الأمة من نكبات، إلا وكان الشيخ على دراية تامة، ومعرفة دقيقة بها، على الرغم من ضعف الشيخوخة التي أقعدته في بيته خلال سنوات عمره الأخيرة إلا أنه كان يعيش مع المسلمين في آلامهم وآمالهم، وأفراحهم وأتراحهم، وعُسْرهم ويُسْرهم، فهو معهم ومنهم ولهم.

وكانت أكبر أمنياته قوله: «وأسأل الله سبحانه كما سترني في شبابي أن يسترني في شيخوختي، وكما أحسن إليَّ في دنياي أن يُحسن إليَّ في آخرتي، وأن يختم لي بالحُسْنَى، وأن يتوفَّاني مسلماً، ويلحقني بالصالحين، وأن يريني قبل موتي ظفر المسلمين وعودتهم إلى دينهم عودة كاملة صحيحة سالمة من كل عيب»(١).

## مدرسةٌ علميّةٌ حافلة:

الشيخ الطنطاوي مدرسة عملية حافلة، مدَّ الله في عمره حتى تجاوز التسعين فأصبح منفرداً بين الناس في علمه وعمره وطبقته، لم يبق من أقرانه الذين صحبهم وصحبوه، وعرفهم وعرفوه، وأحبهم وأحبوه، إلا الاثنين والثلاثة بعد أن كانوا عشرات... وهؤلاء بعيدون عنه... يسأل عنهم، ويسمع أخبارهم... فكان يحس بالغربة، ولطالما أنشد قول الطغرّائي:

هذا جزاء امرئ أقرانه دَرَجوا    من قبله فتمنَّى فُسْحَةَ الأجلِ

ولم يكن الشيخ ممَّن يتمنَّى فُسْحَةَ الأجل بعد أن فقد أعزَّ أصحابه، ولكنه فضل الله عزَّ وجلَّ الذي أطال عمره ووفقه لحسن العمل.

---

(١) مقدمات علي الطنطاوي، ص١٨.

## وَهْن الشيخوخة:

وشعر في أواخر عمره بثقل الأيام، ووهن الشيخوخة، فكان يردِّد قول الشاعر:

أترجو أن تكون وأنت شيخ ... كما قد كنت أيام الشبابِ
كَذَبَتْكَ نَفْسُك ليس ثوبٌ ... جديدٌ كالدريس من الثيابِ

ولكن الروح التي كانت تتخلَّل ذلك الجسد، كانت روحاً وثَّابة، والنفس التي تسكن ذلك الجسم كانت نفساً متطلِّعة أبيَّة، تتطلع إلى رضوان الله وجنته، وتتشوَّق إلى لقائه ودار كرامته.

## من حُماة الإسلام:

لقد حمل الشيخ الراية بعزم وصدق وإخلاص... وترك بصماته في حياة الناس... ونافح عن الإسلام، ودافع عن حرماته أمام المفسدين، وقاوم الظلم والظالمين، وترك وراءه تراثاً ضخماً، وعلماً نافعاً، وأدباً ثراً... ولم يكن يريد من ذلك كله إلا الأجر والثواب والجزاء من الله سبحانه، الذي لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

يقول الشيخ رحمه الله تعالى: «وأنا أخطب وأكتب من أكثر من ستين سنة، فإنْ خلصت لله نيتي في العشر منه، بل في معشاره، فكتب في صحيفة حسناتي فقد أفلحت وأنجحت، وإن اقتصر حظي فيه غداً على حفلات تأبين تقام، وخطب تلقى، ومقالات تكتب، فيا ضَيْعة المَسْعَى، إن ذلك كله يبقى ـ هناك ـ والله مالي إلا رجاء عفو الله، وأني مؤمن لا أشرك بالله أحداً من الناس، ولا شيئاً من الأشياء، والأمل بدعاء الصالحين من المسلمين.

اللهمَّ إن تسألني: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾؟ قلت: غرَّني أنك وصفت نفسك بالكريم، لقد غرَّني يا ربي كرمك، والكريم لا يردُّ من وقف ببابه نادماً مستغفراً راجياً».



فما أصدقها من كلمات، وما أخلصها من دعوات...

إنَّ الشيخ الطنطاوي غنيٌّ بآثاره ومآثره عن كتابة مقالات في تأبينه، وصياغة أشعار في رثائه، ولقد كان يُؤْثر الصمت، والبُعد عن الأضواء في أواخر أيامه، بعد أن كان ملء السمع والأبصار، وكان يرجو ثواب الله ومغفرته، ودعوات الصالحين من عباده، وهذا كل ما يرجوه ويتمنَّاه: «والثواب هو وحده الذي يبقى على حين يفنى الإعجاب، وتذهب الأموال، ويعود إلى التراب ما خرج من التراب، وَلَدعوة واحدة لي بعد موتي من قارئ حاضر القلب مع الله، أجدى عليَّ من مئة مقالة في رثائي، ومئة حفلة في تأبيني، لأن هذه الدعوة لي أنا، والمقالات والحفلات لكتابها وخطبائها، وليس لي فيها شيء، اللهمَّ إني أستغفرك وأتوب إليك، وأسألك حسن الخاتمة، والوفاة على الإيمان».

اللهمَّ اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، اللهمَّ ارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وأفسح له في قبره، ونوِّر له فيه.

«اللهمَّ أؤجرنا في مصيبتنا، وأخلف لنا خيراً منها، ولا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده».

**جدة ٩ ربيع الأول ١٤٢٠هـ**

□□□□□

# الشيخ مصطفى الزرقا
## أستاذ جيل وإمام عصر(1)
## (١٣٢٤ ـ ١٤٢٠هـ)
## (١٩٠٧ ـ ١٩٩٩م)

**بقلم: تلميذه الدكتور الفقيه**
**الشيخ أحمد الحجّي الكردي**

روى البخاري عن إسماعيل بن أبي أويس قال: حدَّثني مالك عن هشام، عن عُروة، عن أبيه، عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبقَ عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهّالاً فسُئِلوا فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا**».

لقد ارتحل عنّا عالمٌ جليلٌ، وجِهْبِذ مُحَقِّق، وفقيه مُتعمِّق، هو العلامة المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ مصطفى أحمد الزرقاء، وقد خسر العالم الإسلامي بوفاته إماماً من أئمة الفقه في هذا العصر، فقد كان رحمه الله تعالى لسان الفقه الإسلامي في عامة المجامع والندوات والمؤتمرات الفقهية التي عُقدت في العالم الإسلامي، بل العالم عامّة في هذا القرن، وما أظن

(1) نشرت بتاريخ ٢٠٠٦/٦/٢٢م، في موقع: (الإسلام في سورية) www.islamsyria.com.



أن كثيراً منها فاته، وقد كان فيها جميعاً العنصر الفاعل، والمحدِّث المفوّه، والمحقِّق المتعمِّق، والباحث الثَّبت، كما كان رحمه الله تعالى أستاذاً من أساتذة الفقه الأوّل في هذا القرن، وتخرَّج به أجيالٌ هم الآن أساتذة الجيل في كثير من الجامعات الإسلامية، أما مؤلفاته ـ على قلّتها من حيث الحجم ـ فقليل نظيرها بين الكتابات الفقهية المحدثة، وذلك لما تميَّز به فكره الفقهي من دقة الاستنباط، واستيعاب الأصول والقواعد والعلل التي تضبط الأحكام الشرعية، ولما تميّز به قلمه من أسلوب عربي فصيح محكم، خالٍ من الحشو والركاكة، فلا تكاد تجد كلمة واحدة يمكن أن تغني عنها كلمة أخرى في كتبه التي صاغ بها أفكاره، ونسج منها نظرياته، وبخاصة سلسلته: (**الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد**).

### اطلاعه على العلوم القانونية واضْطلاعه بتدريسها:

ومما تميَّز به الفقيه الراحل اطلاعه على العلوم القانونية، واضطلاعه بتدريسها في عدد من الجامعات العربية والإسلامية، والتأليف فيها، حتى عُدّ المرجع المتقدّم فيها، مما مكّنه من المقارنة بينها وبين نظائرها في الفقه الإسلامي، وإظهار رجحان الأحكام الفقهية وتميّزها عليها، بالأدلة العلمية الناهضة، وهو ما لم يتوفَّر لأكثر فقهاء العصر.

### دراسة أكثر كتبه وتدريسها:

وقد أكرمني الله تعالى بدراسة أكثر كتبه عليه في جامعة دمشق، ثم القيام بتدريس أكثرها مكانة في جامعتي دمشق وحلب، بعد رحيله عن سورية إلى المملكة الأردنية الهاشمية للتدريس في جامعاتها، ثم إلى المملكة العربية السعودية للاستفادة من خبرته النادرة ومشُورته الصائبة التي كانت محلّ الاعتبار والرضا في المؤسَّسات العلمية كافَّة في المملكة العربية السعودية بمجامعها المختلفة، وفي غيرها من البلدان الإسلامية شرقاً وغرباً.

وقد شارك رحمه الله تعالى في وضع العديد من مشاريع القوانين في البلدان العربية، كما ساهم في شرح وتنقيح بعض منها، من ذلك: قانون الأحوال الشخصية السوري، والقانون المدني الأردني...

## اللبنة الأولى في صرح الموسوعة الفقهية:

كما وضع رحمه الله اللبنة الأولى في صرح الموسوعة الفقهية في دولة الكويت عام **١٩٦٧**م، ومشى فيها خطوات ثابتة هامة كانت العمدة في استمرار هذه الموسوعة إلى يومنا هذا بحمد الله تعالى، وتوفيقه، على يد نخبة من أبناء الكويت الأمناء والعديد من الفقهاء المتخصصين.

## منهجه في الفقه والفتوى:

كما كان رحمه الله تعالى مصدراً هاماً للفتوى في العالم الإسلامي، وقد صدر عنه فتاوى كثيرة في حياته كانت مميّزة وذات طابع اجتهادي خاص، فهو رحمه الله تعالى وإن كان حنفيّ المذهب، إلا أن فتاواه لم تكن تقف عند حدود هذا المذهب، ولكن تعدّته إلى المذاهب الثلاثة الأخرى: المالكي والشافعي والحنبلي، وربما جَنَحَ إلى ترجيح آراء ابن تيمية في بعض المسائل، أو اتّجه اتجاهاً خاصاً متفرّداً في بعض الأحكام ـ وبخاصة المُسْتجدَّة منها ـ إلى ما يراه راجحاً ومُحقّقاً للمصلحة، وربما وافق في توجُّهه هذا أكثر الفقهاء أو بعضهم، وربما خالفهم فيه جميعاً غير آبهٍ بخلافهم، مثل إباحته التأمين ضد الأخطار، والتأمين على الحياة، لدى شركات التأمين التجارية، فقد عُرِضَ هذا الموضوع على مجمع الفقه الإسلامي، فاتَّجه جميع أعضائه فيه إلى المنع، لما فيه من الغَرَر، وتفرّد الشيخ الزرقاء دونهم بإباحته، لما رآه من المصلحة، وقياساً له على عقد الموالاة وغيره، وهذه الميزة في الشيخ يعدّها البعض من ميزاته الإيجابية، لما بلغه رحمه الله تعالى من العلم، وما وصل إليه من القدرة على التحليل والاستنتاج، ويعدّها آخرون من سلبياته التي تجرّأ فيها على مخالفة الأكثرية، والخروج على الجماعة.

وهو في نظري مأجور فيها إن شاء الله تعالى مصيباً كان أو مخطئاً، لأنه عالم ومحقّق بذل جهده كاملاً، فثبت أجره على الله تعالى، لقول النبيّ ﷺ: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد، ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**» متفق عليه.



فنسأل الله تعالى لفقيهنا وفقيدنا الغالي الرحمة والرضوان، والمقام العالي في جنَّات الخُلد، مع النبيّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين، وأن يعوض الله تعالى العالم الإسلامي بخسارته فيه خيراً، وأن يثيب الفقيد الغالي عما قدم للمسلمين عامة وللفقه الإسلامي خاصة من علوم ومعرفة جناتٍ عرضها السماوات والأرض، وأن يرزقَ أهله وذويه وطلابه ومحبيه كافّة الصبر والسلوان، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

تُوفي الشيخ رحمه الله تعالى في مدينة الرياض عصر يوم السبت **١٩** ربيع الأول **١٤٢٠**، الموافق **٣** تموز **١٩٩٩**م.

## طَرَفٌ من أخباره الأُسريَّة رحمه الله تعالى:

ولد رحمه الله بمدينة حلب عام **١٣٢٢** في بيئة إسلامية وأسرة علمية، فوالده العلامة الفقيه الشيخ أحمد الزرقاء صاحب كتاب «شرح القواعد الفقهية» المتوفى عام **١٣٥٧**هـ (**١٩٣٨**م)، وهو أحد من ترجم له الشيخ العلامة عبدالفتاح أبو غدة تلميذه رحمة الله عليهما في كتابه «تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري». وجدّه هو علامة حلب الفقيه العُمدة المحقق الشيخ محمد الزرقاء المتوفى عام **١٣٤٣**هـ.

يطلق الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله على سلسلة العلم هذه: الشيخ مصطفى ـ الشيخ أحمد ـ الشيخ محمد: سلسلة الذهب.

وتتابع الاهتمام بالعلم في هذه الأسرة العلمية لدى ابن الشيخ مصطفى الثاني: الدكتور أنس، فهو من العلماء في الاقتصاد الإسلامي.

والدته هي السيدة زينب بنت الحاج محمد جَلَب، وكانت امرأته صالحة، ولما حملت به رأت في الرؤيا رسول الله ﷺ يُبشِّرها بأنها حامل بذكر وأوصاها بتسميته مصطفى.

جاءه من زوجته الأولى (وطفاء الأميري) أولاده: نوفل وهو أكبرهم ـ وأنس ـ ورُفيدة، وتوفيت ـ رحمها الله ـ عام **١٩٤٢**؛ ثم تزوج من (فخرية

طاهر الذيل) وجاءه منها: مازن وعامر، وتوفيت ـ رحمها الله ـ عام ١٩٨٣، وحزن عليها حزناً شديداً ورثاها بقصيدة من عيون قصائد الرثاء.

كما تُوفي في حياته ولده الطبيب مازن، ثم ولده الأكبر المهندس نوفل الذي قال فيه إثر وفاته:

كان التيتُّم للصغار بفقدهم ... آباءهم، فإذا الأمور تُبدَّل
فاليوم فقدك يا بنيّ أضاعني ... وأراك قد يتَّمتني يا نوفل

## آثاره العلمية ـ رحمه الله تعالى ـ:

١ ـ سلسلة (الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد) وصدر منها: المجلدان الأول والثاني بعنوان: «المدخل الفقهي العام»، والمجلد الثالث بعنوان: «المدخل إلى النظرية العامة للالتزامات في الفقه الإسلامي»، الذي نال به جائزة الملك فيصل العالمية في عام ١٩٨٤، والمجلد الرابع بعنوان: «عقد البيع». ٢ ـ شرح القانون المدني الأردني في ثلاث مجلدات. ٣ ـ أحكام الوقف (جزء لطيف). ٤ ـ في الحديث النبوي. ٥ ـ العقل والفقه في فهم الحديث النبويّ. ٦ ـ الاستصلاح والمصالح المرسلة. ٧ ـ الفعل الضار والضمان فيه. ٨ ـ نظام التأمين والرأي الشرعي فيه. ٩ ـ الفقه الإسلامي ومدارسه. ١٠ ـ عظمة محمد ﷺ مجمع العظمات البشرية. ١١ ـ عقد الاستصناع وأثره في نشاط البنوك الإسلامية. ١٢ ـ صياغة شرعية لنظرية التعسّف في استعمال الحق.

وقدّم لكتاب (مشروع قانون الأحوال الشخصية الموحّد) الذي كان أحد أعضاء اللجنة التي قامت بصياغته، كما قدَّم لكتاب والده النفيس (شرح القواعد الفقهية)، ولكتاب تلميذه العلامة الشيخ عبدالفتاح أبو غدّة (صفحات من صبر العلماء).

وجُمِعَ شعره في كتاب بعنوان (قوس قزح)، لتنوّع مواضيع قصائده كتنوّع ألوان قوس قزح، كما جمعت فتاواه المتفرقة في كتاب ضخم بعنوان



(فتاوى مصطفى الزرقاء) صدر حديثاً مع ترجمة حافلة للشيخ ـ رحمه الله ـ بقلم جامع الفتاوى: الشيخ مَجْد مكي.

## نماذج من فتاوى الشيخ مصطفى الزرقاء ـ رحمه الله ـ:

### مشكلة في الحجاب لدى أجنبيات يعتنقن الإسلام؟

سُئل الشيخ رحمه الله من مسلمين مغتربين في أمريكا ما يلي: عدد من النساء اعتنقن الإسلام عن قناعة ورضا، غير أن موضوع الحجاب ظل صعباً عليهنَّ الالتزام به، سواء بسبب الاقتناع ـ خاصة وهُنَّ يرين من بين المسلمات العربيات وغيرهن من لا يتحجبن ـ أو الصعوبة التي تواجههن إذا أردن إكمال حياتهن موظفات وعاملات كما تقضي ضرورة الحياة هناك. والسؤال: هل الأفضل أن يتأخر إعلان هؤلاء إسلامهن مع استمرارهن في مرحلة الدراسة والبحث حتى يشرح الله صدورهن للتحجب؟ أو ينبغي أن يرخص لهن ويرحَّب بهن على ما هُنَّ عليه من قناعات؟

فأجاب رحمه الله بما يلي:

«إنَّ من اعتنقن الإسلام من النساء الأجنبيات عن قناعة ورضا، ويصعب عليهنَّ الالتزام بالحجاب ـ ستر ما يجب ستره من بدن المرأة ـ لا نستطيع تغيير حكم الإسلامي الشرعي لأجلهن وإباحة السفور والحسور لهن، لأن هذا التناقض عندئذ في حكم الإسلام بين الإباحة والمنع.

ولكن إذا سفرن وحَسَرن يجب أن يكون هذا على اعتقاد أن هذا حرام في الإسلام، أما اعتقاد أنه حلال لا يحرمه الإسلام فهذا ينافي الإسلام.

ففرق كبير في النظر الإسلامي بين العاصي لأوامر الله عزَّ وجلَّ مع اعتقاد الحرمة وبين المستبيح، فالمستبيح للمحرَّم القطعي كافر. وذلك كمن يشرب الخمر عاصياً فهو مسلم ومن يراها مباحة فهو كافر.

وعلى هذا يكون ممارسة السفور والحسور من هؤلاء المسلميات

الجديدات دون اعتقادهن للإباحة - بل بانتظار أن تَقْوى إرادتهنّ وعزيمتهنّ - أولى من بقائهن على الكفر، والله أعلم.

وقد قال رسول الله ﷺ: «**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء**» **اللهمَّ اجعلنا منهم**.

وبهذه المناسبة أقول: يجب إفهام هؤلاء النسوة أنَّ احتمالهن لهذا الحجاب اليسير وإن كان فيه بعض المشقة عليهن: فيه لهنَّ ثواب إضافي عند الله أكثر ثواباً لمن تعيش في بيئة إسلامية.

**العيوب التي يجب ذكرها للخاطب:**

وكتب إليه رحمه الله أحد الأشخاص سائلاً:

هل يجب على والد المخطوبة أن يذكر للخاطب جميع العيوب الخِلْقية والخُلُقية، فمنها العيوب التي لا تؤثر في دوام الحياة الزوجية مثل بعض الأمراض المستعصية غير المعدية أو التي يلزمها علاج طويل؟ وفي حال أن الخاطب لم يسأل فهل يلزمه المبادرة بذكر هذه العيوب، علماً أن بعض العيوب لا تظهر للخاطب عندما يرى خطيبته ولا لأهله؟

فكتب رحمه الله إلى السائل مجيباً:

«العيوب التي يجب ذكرها للخاطب هي الأمراض المعدية، أو التي تُزعج الحياة الزوجيَّة كالصّرع، أو العيوب الجنسيَّة كالرّتق، هذا ما يبدو لي، والله أعلم».

**موقف الإسلام من تحديد النَّسل:**

وجاءه رحمه الله السؤال التالي:

يكثر اليوم الكلام والحديث عن ضرورة اتِّخاذ تدابير عامة في البلاد لتحديد النسل، فما موقف الإسلام من هذه الدعوة في البلاد الإسلامية؟

فأجاب طيّب الله ثراه:

«ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**تزوّجوا الودود الولود فإني مكاثر**



**بكم الأمم**»، ورُوِيَ أيضاً بإسناد غير قوي - ولكن تعضده مؤيّدات من الأدلة - أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**تناكحوا تكثُروا، فإني أُباهي بكم الأمم يوم القيامة**».

وفي هذه دلالة على أن تحديد النسل بأيِّ وسيلة من الوسائل لا يجوز في ظلِّ الإسلام بأن يكون هدفاً عاماً في الدولة تهدف إليه، وتخطّط له، وتحمل عليه الناس بتدابير عامة. فلا يزال ولن يزال العدد البشري في كل أمة من أهم مقاييس شأنها في الأنظار الدولية، وقابليات قدرتها وقوّتها.

ولكن لا يوجد مانع شرعي في الإسلام من اتخاذ تدابير شخصية - أي في نطاق شخصي غير عام - من كلّ فرد بحسب ظروفه الخاصة وقدرته المالية، بتحديد نسله بطرق مَنْع الحمل دون طرق الإجهاض التي فيها عدوان على جنين متكوّن إلا في حالات الضرورات التي تصل إلى درجة إباحة المحظورات كضرورة إنقاذ حياة الأم التي توقف الإنقاذ على إسقاط حَمْلها.

هذا ما تدلّ عليه النصوص الشرعية وعموماتها وكلام الفقهاء. وهو الموقف الذي استقرّ عليه رأي علماء الشريعة الإسلامية المعاصرين في عدّة مناسبات وحلقات اجتماعية: كمهرجان الغزالي بجامعة دمشق سنة **١٩٦١**، ومؤتمر تنظيم الوالِديَّة في الرباط عاصمة المملكة المغربية سنة **١٩٧١**، وفي كليهما اشترك فقهاء العصر على مستوى البلاد العربية والإسلامية، وقرروا هذا الموقف. كما قرّره أيضاً العلامة المحقق الداعية الإسلامي الشيخ أبو الأعلى المودودي في كتابه القيم عن الدعوة إلى تحديد النسل وموقف الإسلام منها.

**حكم مشاركة غير المسلم أو مَنْ في ماله ربا:**

وجاءه رحمه الله السؤال التالي:

هل تباح مشاركة أحد من هؤلاء في عمل تجاري: **١** - النصراني؟ **٢** - المرتدّ عن الإسلام بإنكار معلوم من الدين بالضرورة؟ **٣** - الذي في ماله ربا أو في ماله رشوة أو مال مغصوب؟

فكان جوابه رحمه الله:

١ ـ تجوز مشاركة النصراني بالتجارة.

٢ ـ المرتدّ عن الإسلام لا تجوز معاملته.

٣ ـ الذي في ماله ربا أو حرام آخر تُكره معاملته ومشاركته.

هذه الفتاوى من كتاب «فتاوى مصطفى الزرقا» التي قام على جمعها وترتيبها تلميذه الشيخ مَجْد مكي وفقه الله ورعاه، طبعة دار القلم ـ دمشق، عام ١٤٢٠، الصفحات: ٢٦٦ ـ ٢٧١ ـ ٢٧٢ ـ ٢٧٦ ـ ٢٨٧ ـ ٢٨٨ ـ ٥٦٠.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑



# الشيخ مصطفى الزرقا الفقيه النابغة[1]

بقلم تلميذه: مجد مكي

## بين الشيخين الزرقا والطنطاوي:

تتابعت المصائب، وتتالت الأحزان في فقد علماء الأمة، فما كدنا نفيق بالأمس القريب من ألم الوداع وحزن الفراق لشيخنا العلامة الأديب الأستاذ علي الطنطاوي حتى حلَّت بنا نكبةٌ أخرى بوفاة الأستاذ الجليل والفقيه الكبير العلامة الشيخ مصطفى الزرقا... رحمه الله تعالى.

وكان بين الشيخين صلة وثيقة وأخوةٌ متينةٌ، ابتدأت بالدراسة في مكتب عنبر، وكلية الحقوق بدمشق، واستمرت بعد تخرجهما في حقول العلم والفقه وميادين التربية والدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ.

وكم سمعتُ من أستاذنا الزرقاء من كلماتِ الثناءِ والتقدير لصديقه الوفيِّ الحفيِّ الطنطاوي، وهو يعدُّه من أبرز العلماء المعاصرين الذين أعجب بهم.

وما أكثر ما سمعت من أستاذنا الطنطاوي من مشاهد وذكريات مع الأستاذ الزرقا تُنْبئ عن كريم أخلاقه، ورفيع سجاياه... وما أكثر ما كان

(١) نشرت بتاريخ ٢٠٠٧/١/١٦م، في موقع: (الإسلام في سورية) www.islamsyria.com.

يُشيد بعلمه وفقهه، وتفرُّده بين أقرانه بدقة الفهم وسَعَة الاطلاع، ويدعو الله عزَّ وجلَّ أن يُطيل عمره، وينفع الأمة بآثاره، وكم كانت فرحته غامرة عندما أهديته كتاب: «فتاوى مصطفى الزرقا»، الذي قمتُ بجمعه وترتيبه.

ومن لطيف ما يذكره الشيخ الطنطاوي عن صديق عمره الزرقا: أنه اختلف معه أيهما أكبر سناً من الآخر؟ حتى اعترف له بعد ثلاثين عاماً أنه يكبره بخمس سنوات... ثم يقول بتواضعه المعهود: هو أكبر مني سناً وعلماً.

## تعزية الزرقا بصديقه الطنطاوي:

ولما علم الأستاذ الزرقا بوفاة الطنطاوي تأثر بفقده، وأرسل بخط يده المرتعشة فاكساً أو فقساً كما عربَّه شيخنا الزرقا ـ من فَقَس يفقس ـ مُعزياً بوفاته، قال فيه: «إلى آل فقيد الأمة الإسلامية: الأستاذ علي الطنطاوي رحمه الله: بلغني وفاة الفقيد الفقيه الأديب الكبير العلامة الشيخ علي الطنطاوي، وأنا مريض في الفراش، فأتقدَّم بالتعزية للآل الكرام، وللأمة الإسلامية، سائلاً المولى أن يعوِّضها وإيَّانا خيراً، ويجزيه أحسن الثواب. مصطفى أحمد الزرقا».

لقد ودَّعنا بوفاة العلامة الزرقا نمطاً فريداً من العلماء، في رجاحة العقل، وفقه النفس، ودقَّة الفهم، والإحاطة بعلوم الشريعة، والمعرفة بواقع العصر.

ساعده على ذلك ـ بفضل الله وتوفيقه ـ عدة أسباب: البيئة العلمية الصالحة أولاً، وتلقيه العلم عن كبار علماء الشام ثانياً، ودراسته العصرية ثالثاً، ومباشرته للتدريس والإفادة في وقت مبكر رابعاً، وإسهامه في التحقيق والتأليف خامساً، ومشاركاته الفعَّالة في المجامع الفقهية والعلمية سادساً، ونشاطاته الدعوية وجهوده الإصلاحية سابعاً.

## البيئة العلمية الصَّالحة:

**١** ـ ولد الأستاذ الزرقا بمدينة حلب سنة **١٣٢٢**هـ ـ **١٩٠٤**م من أبوين صالحين، ونشأ في بيئة علمية حافزة على الطلب والتحصيل، حيث تربَّى



تحت نظر جده العلامة الكبير الشيخ محمد الزرقا ـ ت**١٣٤٢**هـ ـ وفي رعاية والده الفقيه الضليع الشيخ أحمد الزرقا ـ المتوفَّى ليلة الأربعاء **١٣** جمادى الآخرة **١٣٥٧**هـ ـ رحمهما الله تعالى. فنشأ في ذلك الجو العلمي النابض، وظهرت عليه ملامح النجابة والذكاء منذ طفولته.

## تلقِّيه العلم على كبار علماء بلده:

**٢** ـ وساعده على ذلك النبوغ أيضاً: تلقِّيه العلم على كبار علماء حلب الشهباء، ولا أعرف أحداً من المعاصرين يساويه في طبقة شيوخه الكبار الذين درس عليهم؛ ومن أبرزهم: العلامة الفقيه النحوي الشيخ أحمد المكتبي الشافعي ـ ت**١٣٤٢**هـ ـ والشيخ محمد الحنيفي المتوفى بجدة سنة **١٣٤٢**هـ وهو من أعظم شيوخه تأثيراً فيه، بالإضافة إلى والده الفقيه الكبير، وإلى العلامة المؤرخ المحدث الشيخ محمد راغب الطباخ ـ ت**١٣٧٠**هـ ـ.

ومن أساتذته أيضاً: الشيخ أحمد الكردي ـ ت**١٣٧٣**هـ ـ أمين الفتوى بحلب، والشيخ إبراهيم السلقيني الجد ـ ت**١٣٦٧**هـ ـ والشيخ عيسى البيانوني ـ ت**١٣٦٢**هـ ـ والشيخ محمد الناشد ـ ت**١٣٦٢**هـ ـ.

كما حضر في دمشق أثناء دراسته الجامعية دروس العلامة المحدث الكبير الشيخ محمد بدر الدين الحسني ت**١٣٥٤**هـ.

## دراسته العصريَّة:

**٣** ـ ومن عوامل نبوغه وتفوُّقه أيضاً: إضافةً إلى بيئته العلمية، وشيوخه الكبار، ودراسته الشرعية العميقة، معرفته باللغة الفرنسية والعلوم العصرية، حيث ألحقه والده وهو دون سنِّ العاشرة بمدرسة الفرير، وتلقَّى فيها مبادئ اللغة الفرنسية... ثم تابع بجهوده الشخصية دراسته العصرية، فنال شهادة البكالوريا الأولى في شعبة ـ العلوم والآداب ـ وحصل على الدرجة الأولى على طلاب سورية جميعهم، ثم توجَّه إلى دمشق سنة **١٩٢٩**م بمتابعة دراسته العصرية، ونال البكالوريا الثانية في شعبة ـ الرياضيات والفلسفة ـ وأحرز الأوّليَّة أيضاً، والتحق بعد إحرازه البكالوريا الثانية بالجامعة السورية، ودرس في كليتي الحقوق والآداب العليا، وتخرج في الكليتين،

وأحرز الدرجة الأولى، ومن أساتذته في تلك المرحلة: الشيخ عبدالقادر المبارك، وعبدالقادر المغربي، وسليم الجندي، وشاعر الشام شفيق جبري... ولما انتهى من دراسته الجامعية كتب قصيدة بعنوان: «وداع حياة الطلب» في **٣٤** بيتاً، عبر فيها عما قاساه من مشقة الدراسة، افتتحها بقوله:

نِعْمَ ما نوَّلتني من أربي        فوداعاً يا حياة الطلب

وتُظهر هذه القصيدة ما تتطلّع إليه نفسه الطموح من مستقبل علمي زاهر، وما يتحلى به من همَّة عاليةٍ، وصبر وعزم لتحقيق ما يصبو إليه، فيقول مخاطباً نفسه:

وادَّرع بالصبر في طول الطريق        فهو في درب العُلا خير رفيق

إن مُرَّ الصبر يغدو كالرحيق        حين تحظى ببلوغ الأرب

## تدريسه في عدد من المدارس والجامعات:

**٤** ـ ومن عوامل نبوغه وتفوقه كذلك: مباشرته للتدريس في وقت مبكر، حيث تولى التدريس مكان والده في المدارس التي كان يدرس فيها، في المدرسة الخسروية والشعبانية، كما تولى القيام بالدرس الذي كان لوالده في الجامع الأموي بحلب، وجامع الخير، ولذلك درس الكثير من الطلبة الذين هم أكبر منه سناً، وألحق الأحفاد بالأجداد.

ولم يقتصر نفعه وتأثيره في محيط بلده، بل عمَّ نفعه الكثير من البلاد والعباد، فانتقل إلى دمشق للتدريس في كلية الحقوق عام **١٩٤٤**م، وبقي فيها أستاذاً للحقوق المدنية والشريعة، حتى بلوغه سن التقاعد في آخر عام **١٩٦٦**م، كما درس في كلية الشريعة بدمشق بعد إنشائها سنة **١٩٥٤**م، ودرس في معهد الدراسات العربية العالية، التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة، ثم درس في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية عام **١٩٧١**م، وظل بها حتى عام **١٩٨٩**م، وتخرج على يديه، وتربى على منهجه العلمي نخبة من كبار العلماء، الذين تبوؤوا أرفع المناصب العلمية، والذين يُكنون له كل محبةٍ وتقدير ووفاء.



## تحقيقاته ومؤلفاته:

**٥** ـ ومن عوامل نبوغه وتفوّقه أيضاً: إسهامه في التأليف والتحقيق منذ وقت مبكر من عمره، ساعده على ذلك: ثقافته اللغوية والأدبية الراقية، وعلومه الشرعية الواسعة، إضافة إلى تشجيع شيخه العلامة المؤرخ الشيخ: محمد راغب الطباخ... ومن أوائل أعماله العلمية: تحقيقه لكتاب: «المذكر والمؤنث» للفراء المتوفى سنة **٢٠٧**، وكتاب: «مختصر الوجوه في اللغة» للخوارزمي، وقد طبعا بحلب سنة **١٣٤٥**هـ، وكانت سنُّه آنذاك ثلاثاً وعشرين سنة.

وعندما عُيِّن الشيخ الزرقا أستاذاً لتدريس الحقوق المدنية والشريعة الإسلامية، قام بعرض الفقه بأسلوب عصري جديد، ساعده على ذلك ذخيرته من الدراسة القانونية وبحوثها ومناهجها ونظرياتها، فقرَّب الفقه، وحلَّ عقده، وأسلس قياده لطلاب الجامعة الذين ليس لديهم خلفية علمية تؤهلهم لاستيعاب قضاياه.

وقد وفَّقه الله لإخراج سلسلتين من المؤلفات: أولاهما: السلسلة الفقهية، وعنوانها العام: «**الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد**»، وقد بلغت أجزاؤها أربعة مجلدات: الجزء الأول والثاني: «المدخل الفقهي العام» والجزء الثالث: «المدخل إلى نظرية الالتزام العامة في الفقه الإسلامي»، والجزء الرابع: «العقود المسمَّاة في الفقه الإسلامي: عقد البيع».

وأما السلسلة الثانية: فتتألف من ثلاث مجلدات في: «**شرح القانون المدني السوري**». وقد حوت هذه السلسلة مقارنات كثيرة بالفقه، وأبرزت بوضوح ما يتميز به الفقه الإسلامي من إحاطة ودقة وشمول.

ومن أواخر ما صدر للشيخ رحمه الله تعالى: «**فتاوى مصطفى الزرقا**»، التي جمعتها من عدد من الدوريات، وما اجتمع لدى الشيخ من إجابات على أسئلة يُسأل عنها، فقمت بترتيبها والعناية بها، وكتابة مبحث عن منهجه في الفتوى، كما قدَّم لها الدكتور القرضاوي ـ حفظه الله ـ بطلب من فضيلة الشيخ الزرقا مقدمة ممتعة... وقد لقي هذا العمل استحساناً وثناءً من جلة أهل العلم والفضل، والحمد لله على فضله وتوفيقه، وسيتبعه ـ بعون الله ـ بحوثه الفقهية، ومقالاته العلمية والأدبية.

## مواهبه الأدبية وملكته الشعرية:

ولم تقتصر مؤلفات الشيخ على الجوانب الفقهية والقانونية، بل كانت له مشاركات لغوية وأدبية شعرية، وقد تميز الشيخ بمواهبه الأدبية ومَلَكته الشعرية منذ صغره، وأُولع بحفظ طائفة كبيرة من أصليه... وقد جمع كثيراً من شعره في ديوانه «قوس قزح» وقدَّم لكل قصيدة بمقدمة يذكر فيها المناسبة التي قيلت فيها، ولم يطغ الشعر على قريحة الأستاذ الزرقا، ولم يستحوذ على اهتماماته العلمية إلا بمقدار، ذلك أن الفقه الإسلامي، وبحوثه المتشعبة، ومسائله الشائكة، ونوازله المستجدّة المعقّدة، كان يحتل بؤرة شعوره، ويملأ بياض أيامه وسواد لياليه، كما عبر عن ذلك في قصيدته لصديقه الشاعر إبراهيم العظيم:

أخذ التفقُّه من فؤادي شِعرَه ... نَغَماً ألذَّ لديَّ من قَطْر النَّدى
وأعاضَني بثقافةِ الحقِّ الذي ... نادى الإله بحكمه وتوعَّدا
لا تَبْغ مني أن أجيب فإنني ... مهما جريت وجدتني دون المدا
دم في فضائلك العلا متفرداً ... مني الطروب ومنك غريد شدا

## مشاركته في المجامع الفقهيَّة والعلميَّة:

٦ ـ ومن عوامل نبوغ الشيخ وتفوقه إضافة إلى كل ما ذكرته من أسباب يسَّرها الله عزَّ وجلَّ له ووفَّقه إليها: مشاركاته الفعَّالة في المجامع الفقهية والعلمية، وإدارته لكثير من المشاريع العلمية، فهو من أوائل الذين دعوة إلى إنشاء الموسوعة الفقهية، عندما كان مدرساً في كلية الشريعة، واختار للبدء بهذا المشروع كتاب: «المحلى» لابن حزم، وقد أتمَّ هذا العمل الدقيق الأستاذ الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى، وصدر كتاب: «معجم الفقه الظاهري» مستخلصاً من «المحلّى» في مجلدين.

ثم اختارته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت سنة **١٩٦٦** خبيراً للموسوعة الفقهية، وبقي في الكويت خمس سنوات قائماً بهذه المهمة خير قيام، حيث أنجز من مشروع: «الموسوعة الفقهية» ـ **٥١** موضوعاً



موسوعياً محرَّراً على المذاهب الفقهية الثمانية ـ، ومعجماً للفقه الحنبلي يقع في **١١٤٢** صفحة مرتَّباً ترتيباً هجائياً بإشرافه.

كما اختارته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عضواً في المجمع الفقهي منذ إنشائه عام **١٣٩٨هـ**، وقدم للمجمع عدة دراسات فقهية معاصرة.

وله مشاركات علمية أخرى، منها: مشاركته في وضع مشروع قانون الأحوال الشخصية السوري عام **١٣٧٢**، ورئاسته لجنة مشروع القانون الموحَّد للأحوال الشخصية لمصر وسوريا خلال وحدتهما **(١٩٥٨ ـ ١٩٦١)** وقد قام الأستاذ الزرقا بنشر هذا المشروع المهم، وقدَّم له، وصدر عن دار القلم بدمشق.

كما شارك في تأسيس وتطوير مناهج عدد من الجامعات، وشارك في كثير من المؤتمرات.

## جائزة الملك فيصل العالمية:

وقد منح الأستاذ مصطفى الزرقاء جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام **١٤٠٤**، وذلك تقديراً لإسهاماته المميزة في مجال الدراسات الفقهية، ومشاركاته الجادة في المؤتمرات الفقهية والإسلامية.

## كثرة أسفاره وتعدُّد رحلاته:

٧ ـ ومن عوامل نبوغه: كثرة أسفاره وتعدد رحلاته العلمية في آفاق الأرض، ممَّا وسَّع مداركه وآفاقه العلمية، وعمَّق معرفته بواقع الناس وأحوال العصر، وغرس في نفسه روح الاستقلال الفكري، وهو يصور نفسيته الأبية الطموح بهذه الأبيات الجميلة التي أنشدها عند تخرّجه من الجامعة:

إيهِ أصبحت طليقاً طائري ... فارْمِ ذا الجو بصقر صاقرِ
ثم حلِّق واكتشف وغامر ... وَرِدِ الأنهار حُرَّ المَشْربِ
عِشْ طليقاً في رُبى المستقبل ... واغتنم كل ربيع مقبل

واحذر الأقفاص لا تستجمل ... قفصاً يوماً ولو من ذهبِ
تلك نفسي طائراً صوَّرْتُها ... وإلى أوْجِ العُلا طيَّرْتُها
وبنور العلم قد نورتها ... فبدت في أفقه كالكوكبِ

## نشاطاته الدعويَّة وجهوده الإصلاحيَّة:

٨ ـ ومن عوامل نبوغه: مشاركته في الدعوة الإسلامية، وتعرفه على أعلامها في كل قطر، وتعاونه مع العاملين للإسلام، وجهوده الإصلاحية في مشروع توحيد المدارس الوقفية ورفع مستوى الدراسة الشرعية، التي قام بها في بواكير شبابه في مدينة حلب مع بعض فضلاء شيوخه... وقد لقي العنت من المناوئين لفكره الإصلاحي، مما أورثه ضيقاً نفسياً شديداً، وصفه بتلك الأبيات المعبرة عما يلقاه المصلحون النابغون من أذى وإرجاف:

نبوغ النابغين إلى اختناق ... وكل مبرز هدف لطعن
يبيتُ لديغ بهتان وحقد ... ويمشي بين حسَّاد وضغن
جزاء المصلحين مزيدُ بغض ... وإيذاءٌ بألوان التجنِّي
فذا صَنَمٌ من الأشخاص يمشي ... وذا صنم من الأحجار مبني

## ميادين العمل السياسي:

وامتدت جهوده الإصلاحية والدعوية إلى ميادين العمل السياسي، فانتخب نائباً عن مدينة حلب في المجلس النيابي مرتين، وشكل مع مجموعة من الإسلاميين في مجلس النواب: «الجبهة الإسلامية» كما استلم منصب وزارتي العدل والأوقاف مرتين، سنة **١٩٥٦** و**١٩٦١**، ولم تشغله أعماله السياسيَّة في النيابة والوزارة عن التدريس الجامعي، وعمله العلمي، بل نمت مواهبه، وزادت من معرفته وأغنته بالتجربة والخبرة.

## إيثاره العلم والدراسة:

ولم ينقطع الشيخ عن العلم دراسة وتأصيلاً ومتابعة خلال عمره



المديد، وقد أقام منذ سنة **١٤١٠** بالرياض مستشاراً فقهياً في شركة الراجحي، وكان الشيخ يؤثر العمل والوظيفة رغم أعراض الشيخوخة وتوارد الأمراض عليه، التي كان يتغلب عليها بالعلم، ويتسلى عنها بالبحث والدراسة، فكانت تعرض عليه القضايا المالية الشائكة، فيبدي فيها رأيه الحصيف، ويقول فيها قوله الفصل، وكان من آثر الإخوة لديه في تلك المرحلة الذين لازموه واستفادوا من علمه ومنهجه الدكتور علي أحمد الندوي من تلاميذ مولانا العلامة السيد أبي الحسن الندوي حفظه الله ورعاه.

## لقاءاتي بالشيخ الزرقا:

وقد تكرّرت لقاءاتي بالشيخ في حلب وعمان ومكة وجُدة والرياض، ولا سيّما في المجالس التي كان يزور فيها منزل الأستاذ الباحث محمد بن عبدالله الرشيد، ويجتمع فيها ثلّة من أهل الفكر والعلم.

وكانت آخر زيارة له في الرياض يوم الخميس **٢٧** محرم **١٤٢٠**هـ بصحبة الأخ الأستاذ سلمان بن عبدالفتاح أبو غدة، وكان حاضرَ الذهن، قويَّ الذاكرة، يحلُّ قضايا الفقه الشائكة، ومسائله المعقّدة، وقد بقي ممتَّعاً بجوارحه وحواسه ومَدَاركه إلى يوم وفاته، وقد قارب المائة من عمره، وبقي مهتماً بقضايا الفقه ومباحثه، حاملاً لأمانة العلم والدين. وقد حدثني ابنه الفاضل الدكتور: أنس، أنه قُبيل وفاته بساعتين، عُرضت عليه مسألة علمية تتعلق بالمعاملات المالية، وسُئل عن دليلها، فاستخرج لها من القواعد الفقهية ما يدلِّل عليها... وبقي بعد انصراف المستفتين يضيف إلى الفتوى وينقّح فيها حتى وافته المنية بعد أذان صلاة العصر يوم السبت **١٩** ربيع الأول **١٤٢٠**هـ.

رحم اللّهُ شيخَنا الجليل، وأخلف على الأمة بفقدان أهل العلم وموت أعلامه... لا سيّما في هذه المرحلة التي تتابع فيها موت العلماء الأعلام، فقد فقدنا منذ أيام الشيخ منّاع القطان، الذي توفي في الرياض يوم الأحد **٥** ربيع الآخر، والعلامة المفسر الفقيه الشيخ محمد عطية سالم الذي توفي في المدينة المنورة يوم الاثنين **٦** ربيع الآخر **١٤٢٠**هـ، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا إليه راجعون.

# الشيخ عطية محمد سالم
## المفسّر الفقيه الواعظ[1]
## (١٣٤٦ ـ ١٤٢٠هـ = ١٩٢٧ ـ ١٩٩٩م)

بقلم: مَجْد مكي

### المفسّر الفقيه المدرِّس في المسجد النبويّ:

إذا دخلتَ المسجد النبويّ المُطهَّر من باب الرحمة ـ بعد صلاة المغرب ـ ستجد على يسارك في أول التوسعة السعودية حلقةً نورانية يتصدرها شيخ مهيب الطلعة، مُنوَّر الشيبة، جميل الصوت، حسن الأداء، واضح العبارة، تحيط به أعداد كبيرة من طلاب العلم من مختلف المستويات...

وستجد نفسك منساقاً للجلوس مع هذا الجمع المبارك، فتشعر بالسكينة تتنزل عليك، والرحمة تغشاك، والملائكة تحفك، وتعود من ذلك الدرس بالفائدة والخير العميم والنفع الكبير.

(١) نشرت بتاريخ ٦/١/٢٠٠٧م، في موقع: (الإسلام في سورية) www.islamsyria.com. وكانت نشرت قبل ذلك في مجلة «النور» الكويتية.



إنه مجلس العلامة الشيخ: عطية سالم. الذي فُجع المسلمون بوفاته بالمدينة المنورة في يوم الاثنين ٦ ربيع الثاني ١٤٢٠هـ عن عمر يناهز الرابعة والسبعين عاماً، قضاها في العلم والتأليف والتدريس والإرشاد.

ووفاءً لهذا العالم الجليل، وتذكيراً للأجيال بما قدَّمه من آثار علمية وعملية، أسوق هذه الكلمة الموجزة في التعريف به:

### ولادته ونشأته وقدومه إلى المدينة المنورة:

هو العلامة المفسِّر المحدِّث الفقيه الواعظ الشيخ عطية محمد سالم، ولد سنة ١٣٤٦هـ بمديرية الشرقية بمصر، وابتدأ دراسته بكتاتيب القرية، وانتقل بعدها إلى المدرسة الأولية، وكانت مدة الدراسة فيها خمس سنوات، ثم قدم إلى المدينة المنورة في الثامنة عشرة من عمره عام ١٣٦٤هـ.

### دراسته في المسجد النبويّ وأشهر شيوخه:

وبدأ دراسته في المسجد النبويّ الشريف على عدد من علماء المدينة المنورة، ومنهم:

الشيخ عبدالرحمٰن الإفريقي، والشيخ محمد التركي، والشيخ محمد علي الحركان، والشيخ عمار الجزائري، رحمهم الله جميعاً.

كما حضر بعض دروس شيخه العلامة: محمد الأمين الشنقيطي في التفسير أول قدومه إلى المدينة المنورة.

### انتسابه إلى المعهد العلمي في الرياض وتخرجه في كليّتي اللغة العربية والشريعة:

ولما فتحت المعاهد العلمية، والكليات الشرعية عام ١٣٧٠هـ، انتقل إلى الرياض، فدرس الثانوية الثانية، ثم المعهد العالي، ثم في كليتي اللغة العربية والشرعية، وتخرج فيهما معاً، وكانت الدراسة آنذاك في أعلى المستويات إذ استقدم للمعاهد والكليات، كبار علماء الأزهر بالإضافة إلى كبار علماء المملكة، وهناك توطَّدت صلته بفضيلة الشيخ: عبدالرزاق عفيفي.

## صلته بشيخه محمد الأمين الشنقيطي:

وأما أكثر شيوخه تأثيراً به، وأوثقهم صلة واستفادةً وبرًّا ووفاءً، فهو العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، فقد لازمه في الحضر والسفر لمدة عشرين سنة، واستمرَّت تلك الصلة من يوم قدوم شيخه سنة ١٣٧١هـ إلى آخر حياته ١٣٩٣هـ رحمهما الله تعالى. وامتنَّ الله عليه بصحبة شيخه الأمين في الرياض والمدينة، وفي رحلات الحج أربع سنوات متتالية، وفي الرحلة إلى إفريقية، حيث زار بصحبته عشرة أقطار بدءًا بالسودان، وانتهاءً بموريتانيا، واستمرَّت تلك الرحلة ثلاثة أشهر، وكانت علاقته بشيخه علاقة ولد مع والد، وكان شيخه يحيطه بالعناية والرعاية.

## أعماله ووظائفه:

كُلِّف بالتدريس قبل التخرج، فدرس في معهد الإحساء العلمي لمدة أربع سنوات، وبعد التخرج انتقل للتدريس في معهد الرياض، ثم انتقل للتدريس في الجامعة الإسلامية عند افتتاحها عام ١٣٨١هـ باستدعاء من مفتي المملكة الشيخ محمد بن إبراهيم، وكان في جملة المشاركين مع الشيخ عبدالرزاق عفيفي، ومنَّاع القطان، ومحمد العبودي، في وضع البرامج ورسم المناهج، برئاسة فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز، وأُسندت إليه شؤون التعليم فدرَّس الفقه والأصول.

ثم انتقل بعد ذلك إلى القضاء بتكليف من مفتي المملكة أيضاً، وابتدأ تعيينه بمرتبة قاض، ولم ينقطع أثناء عمله في القضاء عن التدريس في المسجد النبويّ، وتدرَّج في مراتب القضاء حتى وصل إلى مرتبة «قاضي تمييز» حيث أُحيل للتقاعد في ١٤١٤/٧/١هـ.

## تدريسه بالمسجد النبويّ:

ابتدأ التدريس في المسجد النبويّ الشريف في وقت مبكِّر، بعد أن تمَّ وضع كرسي بجهاز باسم الجامعة الإسلامية، كان يتناوب عليه كل من فضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ عبدالعزيز بن باز، نائب



رئيس الجامعة آنذاك. ولظروف الشيخ محمد الأمين الصحية، وكثرة أعمال الشيخ عبدالعزيز كان يقوم بإلقاء الدروس بدلاً عنهما.

ولما تولَّى التدريس بشكل مباشر، شرح كتاب: «الموطأ» للإمام مالك، وسُجِّل في نحو ٧٠٠ شريط، ثم شرح الأربعين النووية، وسُجِّل في ٧٠ شريطاً، وفسَّر سورة الحجرات، وأوائل سورة البقرة، وشرح البيقونية في المصطلح، والورقات في الأصول، والرحبية في الفرائض، وشرح كتاب: «بلوغ المرام في أدلة الأحكام» للحافظ ابن حجر، وسُجِّلت جميع دروسه في أشرطة تتجاوز ١٠٠٠ شريط...

## دروسه اليومية في شهر رمضان:

وكان يعقد في شهر رمضان دروساً يومية بعد صلاة العصر في أحكام الصوم، وبعض الغزوات، كما يُلقي دروساً يومية في مواسم الحج في أحكام المناسك. وجميع هذه الدروس مسجَّلة على أشرطة كاسيت بالمكتبة الصوتية في المسجد النبويّ الشريف.

كما شارك في وسائل الإعلام، منذ إنشاء إذاعة: «نداء الإسلام»، وفي عدد من البرامج التلفزيونية، وكتب في عدد من الصحف والمجلات، وحضر الكثير من المؤتمرات.

## مؤلَّفاته:

من أبرز مؤلفاته وأهمها:

١ ـ «تتمة أضواء البيان» للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، من أول سورة الحشر إلى آخر سورة الناس.

٢ ـ «ترتيب التمهيد» لابن عبدالبر، رتَّبه على أبواب الفقه بدلاً من الأسانيد في اثني عشر مجلداً.

٣ ـ «موسوعة الدماء»، (وهو كتاب يشتمل على تركيب الدم وعناصره وأحكامه وتعاطيه بالنقل وإخراجه بالحجامة، ودماء النساء، ودماء الأنساك، ودماء الجنايات).

٤ ـ «عمل أهل المدينة في موطأ مالك».

٥ ـ «السؤال والجواب في كتاب الله»، وأصله حلقات بالإذاعة، ثم جُمعت وطُبعت.

٦ ـ «وصايا الرسول ﷺ»، وأصله أيضاً حلقات بالإذاعة، وجُمعت وطُبعت.

٧ ـ «في ظلال عرش الرحمٰن». شرح فيه حديث: «**سبعة يظلهم الله...**».

٨ ـ «آيات الهداية والاستقامة» في جزئين.

٩ ـ «موقف الأمة من اختلاف الأئمة».

١٠ ـ ومجموعة الرسائل المدينة، وقد تجاوزت أربع عشرة رسالة، منها: رسالة التراويح أكثر من ألف عام في المسجد النبوي، زكاة الحلي، مع الرسول ﷺ في رمضان، مع الرسول ﷺ في حجة الوداع، معالم على طريق الهجرة، الإسراء والمعراج، سجود التلاوة، مع المرضى.

## ومن كتبه المُهيَّأة للطباعة:

«أعيان علماء الحرمين في عصر الصحابة إلى اليوم»، اختار فيه بعض مشاهير العلماء ممَّن كان لهم نشاط تعليمي في كل فترة زمنية في كلٍّ من مكة والمدينة، وتوسّع في تراجم علماء القرنين الثالث والرابع عشر، وكتاب: «موسوعة المسجد النبوي» ويشتمل على الجانب العمراني، والتعبُّدي، والعلمي، إلى غير ذلك من الأعمال العلمية.

ويتميَّز الشيخ بسَعَة الأفق، ومراعاة أدب الخلاف، وحُسْن الظن بالمسلمين، والسعي إلى جمع كلمة العاملين للإسلام، والتعاون معهم في خدمة الدين.

وبوفاته أفل نجم من نجوم المدينة المنورة، وانطوت صفحة تذكّر



بالعلماء السابقين، ولا يسعنا إلا أن نتمثَّل بما قاله الإمام البخاري عندما بلغه وفاة شيخه الدارمي:

إنْ تَعِشْ تُفْجَع بالأحبة كلِّهم ... وذهاب نفسِك لا أبا لك أفجع

وقد شهدنا خلال هذه السنة **١٤٢٠**هـ موت كوكبة من أعلام الإسلام، وليس لنا إلا أن نقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون» اللهمَّ أْجُرنا في مصائبنا واخْلفنا خيراً منهم.

❐ ❐ ❐ ❐ ❐

# أبو الحسن الندوي
## داعية عالمي من الطراز الرفيع[1]
## (١٣٣٣ ـ ١٤٢٠هـ)
## (١٩١٤ ـ ١٩٩٩م)

بقلم: حسن قاطرجي

في مثل هذا اليوم (١٩٩٩/١٢/٣١) قبل ٨ سنوات، فَقَد العالَم الإسلامي شخصيةً كبيرة من علمائه ودُعاته، وشاهداً من أصدق الشهود في القرن العشرين على أحداثه وتطوراته والخيوط الدقيقة الخفية التي تكمن وراء تدهوره وضعفه وتشرذمه واستلاب استقلاله وهويته.

وداعية من أعظم دعاته الربانيين ومفكريه العميقين: إنه الإمام العلامة المفكر الإسلامي والداعية الربَّاني أبو الحَسَن عليّ الحَسَني النَدْوي رحمه الله وأغدق عليه شآبيب محبته ورضوانه، ورحمته وغفرانه.

### اللقاء بالندوي بصحبة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة:

التقيت بالشيخ أبي الحسن النَّدْوي رحمه الله مرة واحدة في حياتي بصحبة شيخنا العبد الصالح العلاّمة المحقِّق عبدالفتاح أبو غُدّة ـ رحمة الله

(١) مجلة: منبر الداعيات: الاثنين ٢٢ ذو الحجة ١٤٢٨هـ، الموافق ٢٠٠٧/١٢/٣١م.



عليهما ورضي عنهما ـ عندما اصطحبني معه إلى مكان نزوله في الرياض حيث قضى أياماً وذلك في شعبان من عام ١٤٠٥هـ.

وقد استمتعتُ بحديثهما وامتلأت إعجاباً بأدبهما مع بعضهما وتواضعهما، ورأيتُ في سَمْت هذا الداعية الربّاني وهَديه وفيما يحمل من هموم وما يَفيضُ به حديثه من علم: ما كنت رسمتهُ في مخيِّلتي عنه وقد سبق مني قبل هذا اللقاء الاستزادةُ من تتبع أخباره عن طريق الأخ في الله الفقيه الأصولي أحد نَبَغة تلاميذه الدكتور علي النّدْوي، ومما كوّنتُه من الاطلاع على عدد من كتبه النافعة العميقة، أتذكّر منها الآن: «**ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟**»، «**المسلمون وقضية فلسطين**»، «**ربانية لا رهبانية**»، كتابه الممتع: «**رجال الفكر والدعوة في الإسلام**»، «**روائع من أدب الدعوة**»، «**إلى الإسلام من جديد**»، وكتابُه المُنهِض المُلهب «**إذا هبَّتْ ريح الإيمان**» في سيرة الإمام الشهيد أحمد بن عرفان.

### ندوة العلماء:

والشيخ الندوي ينتسب كغيره من النَّدْويين إلى ندوة العلماء في لكهنَوْ بالهند، وهي جامعة شرعية مجيدة مضى على إنشائها أكثر من (١٠٠) عام، وخرّجت مئات العلماء الفحول والدعاة الربانيين.

### نسبه وأسرته:

وهو حَسَنيُّ النَّسب، عربيُّ الأصل، كريمُ المحتِد، هاجَرَ جَدُّ أسرته الأعلى (قطب الدين محمد المدني) في القرن السادس الهجري من المشرق الغربي إلى الهند على إثر هجوم المغول والتتار عليه. وبرز من أعلام هذه الأسرة ربانيون كبار ومجاهدون عظام منهم الإمام المجاهد الشهيد أحمد بن عرفان (المتوفَّى عام ١٢٤٦هـ) مؤسس دولة إسلامية في القرن الثالث عشر في شمال الهند.

### ولادته ووالداه:

وُلد الشيخ أبو الحسن عام **١٣٣٣هـ** (**١٩١٤م**) في قرية «تكيّة» بمديرية رائي بريلي بالهند، وأبوه (الشيخ عبدالحيّ) عالم كبير ومؤرِّخ مجيد له أعظم

وأوسع موسوعة في تراجم علماء وأعيان الهند سماها (**نُزهة الخواطر وبهجة المَسامع والنَّواظر**) وقد طُبعتْ عدة مرات في الهند في ثمانية مجلدات، ثم طُبعتْ قبل وفاة (الشيخ أبي الحسن) في بيروت عام **١٩٩٩** في ثلاثة مجلدات، وقدمه لها وسمّاها «**الإعلام بما في تاريخ الهند من الأعلام**».

أما والدته فهي امرأة صالحة كان لها تأثير روحي وعاطفي وتربوي على ولدها، وكانت تحفظ القرآن واسمها «خير»، ولها كتابات وشعر، ولطالما كان يتحدث الشيخ أبو الحسن رحمه الله عن أخبارٍ لافتة لها عن شأنها في العبادة والابتهالِ إلى الله والأذكار والأدعية.

وللشيخ رحمه الله كتاب بالأردو ـ لغة مسلمي الهند ـ في سيرتها وأخبارها اسمه (ذِكْرُ خير).

توفي والده عام **١٣٤١**هـ وعمره تسع سنوات، وبقي في عناية أمه وكفالة وتربية أخيه لأبيه المربِّي الطبيب الدكتور عبدالعلي رئيس ندوة العلماء[1]، وهو من أشدِّ الناس تأثيراً في تربيته.

## تدريسه وتأليفه:

تخرّج الشيخ رحمه الله بدار العلوم ـ ندوة العلماء ـ، وبدأ بالتدريس وعمره (**٢٠**) سنة، وكان عمره عندما ألّف أول كتاب بالأُردو، وهو في سيرة السيد الشهيد أحمد بن عرفان (**٢٤**) سنة.

تخصَّص الشيخ رحمه الله بعدد من العلوم الشرعية على رأسها: التفسير والحديث والأدب العربي، ويُعتبر من الدعاة المرموقين بل من أبرز القيادات الإسلامية والمفكرين الإسلاميين في النصف الثاني من القرن العشرين، وله اطلاع واسع على التاريخ. وكان يُتقن ثلاث لغات: العربية والأوردية والإنكليزية، ويعرف الفارسية معرفة جيدة.

## وظائفه ومناصبه العلمية:

وقد شَغَل وظائف ومناصب علمية عديدة تدل على علوّ همته وعظيم

(١) تنظر ترجمته المتقدمة في هذا الكتاب، بقلم أخيه الأستاذ أبي الحسن الندوي.



الثقة به رحمه الله: فقد رأس ندوة العلماء عام **١٩٦١**، وكان عضواً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وعضواً في المجلس الأعلى العالمي للمساجد، وعضواً في المجلس الفقهي بمكة المكرمة، وعضواً في المجلس الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن، وعضواً في المجلس التنفيذي بمعهد ديُوبند بالهند.

## تأسيسه ورئاسته لعدد من المراكز والمجامع العلمية:

وقد أسس ورأس مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية بأكسفورد، وفرَّغ له أحد طلاب العلم النابغين الناشطين والباحثين المتميّزين: أخي في الله الدكتور محمد أكرم بن تجمُّل حسين النَّدْوي، والمجمع العلمي الإسلامي التابع لندوة العلماء بالهند، ومجلس المشاورة الإسلامية بالهند الذي يضم الزعامات والقيادات الإسلامية لمتابعة قضايا المسلمين فيها، ومجلس الأحوال الشخصية العالمية لمسلمي الهند الذي كان له دور كبير في المحافظة على هُويّة مسلمي الهند، ورابطة الأدب الإسلامي العالمية.

## رحلاته الدعوية:

لقد شغل قلبَ الشيخ رحمه الله هذا الدينُ العظيم فملأ عليه فكره ومشاعره ووجدانه، فصارت قضاياه وهمومُ المسلمين شُغْلَه الشاغل وهمَّه الأكبر ممَّا دفعه للقيام برحلات عديدة إلى بلاد المسلمين ناصحاً وداعياً وقائداً ومحاضراً، وقد سجَّل أخبارها في عدد من كتبه، مثل: (**مذكّرات سائح في الشرق العربي**)، (**من نهر كابُل إلى نهر اليرموك**)، (**أسبوعان في المغرب الأقصى**)، (**في مسيرة الحياة**)، وهو كتابه في سيرة حياته ومدوَّنةٌ حافلة تشتمل على أخباره وأفكاره وتجاربه طُبع منها **٣** أجزاء وبقي رابع مخطوطاً إلى الآن، كما سافر مرات إلى بلاد الغرب يلتقي بالجاليات الإسلامية وينصحها ويرفع من معنوياتها ويربطها بهُويّتها الإسلامية ويقدّم حلولاً لمشكلاتها ويتشاور مع قادتها، وله كتاب (**أحاديث صريحة في أمريكا**)، فضلاً عما سجّله في كتابه (**في مسيرة الحياة**).

## مواهبه المتعدِّدة:

والشيخ رحمه الله متعدد المواهب عظيم المناقب، ولكن يتميَّز أنه مفكّر إسلامي من الطراز الرفيع، وداعية موهوب متحرِّق، وربّاني ذو قدم راسخة وذوق أصيل يُنّي في السلوك إلى الله، وهذا نادر في عصرنا فيمن كان له اهتمامات الشيخ الندوي وبعض من نشاطاته ومناصبه.

## المفكر الإسلامي:

١ ـ أمّا إنّه **مفكّر إسلامي**، فتشهد لذلك كتبه المتميِّزة بالتحليل الدقيق والفكر العميق والثقافة الواسعة والمنهجية المترابطة والمنطق السديد، منها: (**ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟**) الذي قَدّم له مقدّمة مهمة تعرِّف بقيمته وأهميته شهيد الدعاة الأستاذ الكبير المفكر الإسلامي سيد قطب رحمه الله، (**الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية**)، (**بين الدين والمدنيّة**)، (**الأركان الأربعة في الإسلام**). . . وسواها.

## الداعية الموهوب:

٢ ـ وأمّا إنه **داعية موهوب**، فيشهد لذلك واقعُه وتجاربه، وكتاباته واهتماماته، فقد كان يحمل في قلبه الكبير هموم الإسلام والمسلمين، ورحم الله من قال:

وإذا كانت النفوسُ كباراً    تَعِبَتْ في مرادها الأجسامُ

وكان رحمه الله يملك حُرقة الداعية وتذوُّق المُجرِّب الخبير، ويُجيد فنّ الدعوة بتفوّق، وسيرةُ حياته وكُتُبه الدعوية تؤكد ذلك، ولذا أثّر فكرُه الدعوي في الصحوة الإسلامية المعاصرة، ونهل من كتبه جيلُ الدعاة في القرن العشرين.

## صفات الداعية القائد:

ولقد اجتمع فيه صفات الداعية القائد: **العلم، والحُرقة، والخُلُق، وفنّ الدعوة**.

فالشيخ رحمه الله عنده نصيبٌ وافرٌ من العلم الشرعي والفقه العميق للكتاب والسنّة مع اطلاع واسع على الثقافة العالمية، وفي قلبه حُرقة عارمة



جعلت أكبر همّه قضية الإسلام ونشر دعوته، حتى صار محورَ نشاطه وهدفَ رحلاته «إيقاظ الشعور الديني في المسلمين، وإعادة الثقة إلى نفوسهم بمركزهم ومبدئهم وغايتهم في الحياة ورسالتهم للعالم البشريّ، وتهيئة النفوس لحَمْل هذه الرسالة وتبوُّء مركز القيادة والإمامة للعالم الحائر الثائر، وتجديف سفينة الحياة، الضائعة بين الملاحين العابثين والركّاب النائمين»، كما في تقدمته لكتابه: (**إلى الإسلام من جديد**)، والمُتتبِّع لأخباره والقارئ لكتبه والعارف بشخصه يعرف قدر ما كان عليه من الخُلُق والإتقان لفنون الدعوة والإقناع بالإسلام والتأثير بالمدعوّين والارتقاء بحال مَنْ يُربِّيهم: علماً وفكراً وسلوكاً وخبرة.

## العالم الربَّاني:

٣ ـ وأمّا إنه **ربّاني** فقد اتفق على وصفه بذلك كلُّ من عرفه أو كتب عنه، وصدق من قال: (**أَلْسِنَةُ الخَلْق أقلام الحق**)، وفي هذا فألٌ حَسَنٌ بحقّ هذا الداعية الربَّاني لأن الرسول ﷺ يقول: «**أنتم شهداء الله في الأرض**» متفق عليه.

وهو لم يقتصر على مجرّد الاهتمام بجانب (الرّبانية) في الإسلام وتركيزه عليه وإبرازه في سِيَر المصلحين والمجدِّدين؛ بل اتصف به وتوجهت عنايته إليه فظهر في سَمْته ودلّه، ومَنْطقه وهدْيِه، وحاله ومقاله، وسلوكه وأخلاقه، فله نصيب إن شاء الله من تطبيق أمر الله: ﴿وَلَكِن كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾.

## وفاته وحُسْن خاتمته:

وأخيراً أقول: تُوفِّي الشيخ وتوقَّفَ قلبُه العامر المبارك ولَفَظَ آخر أنفاسه الطاهرة ضحى يوم الجمعة في **١٩٩٩/١٢/٣١** والمصحف بين يديه، يقرأ فيه سورة الكهف، فوقعت وفاته في يوم مبارك (يوم الجمعة للوفاة فيه فضْلٌ وبِشارة)، من شهر مبارك (حيث صادفتْ وفاتُه العشرَ الأواخر من شهر رمضان فقد توفي في **٢٣** رمضان)، على حالة مباركة (وهو يقرأ في كتاب الله).

رحمه الله، وأعلى منزلته في علّيين، وتَقبَّله في عباده الصَّالحين، وجَمَعَنا وإيّاه وسائرَ إخواننا وأخواتنا وأحبابنا ومشايخنا في جنّات النعيم بصُحبة سيّد المرسلين وأفضل الخلق أجمعين، اللهمّ آمين.

## محمد مجاهد شعبان[1]
## العالم الداعية المجاهد
## (١٣٦٨ - ١٤٢١هـ)
## (١٩٤٩ - ٢٠٠٠م)

بقلم زوجته: عائشة بنت عمر خياطة

### ولادته ونشأته ودراسته:

هو الأستاذ العالم الداعية، الأديب الخطيب، الشيخ محمد مجاهد بن محمود شعبان الشافعي الحلبي، ولد سنة ١٣٦٨هـ = **١٩٤٩م**، من أسرة متدينة، ونشأ في بيئة صالحة، بعناية والده الحاج محمود، ودرس في الثانوية الشرعية بحلب، ثم تخرج في كلية الشريعة بدمشق سنة **١٣٩٤هـ**، وفي أثناء دراسته، كان يدرّس في أرياف حلب، فينتقل من قرية إلى قرية، يخطب الجمعة ويدعو إلى الله عزَّ وجلَّ.

### أعماله ووظائفه:

ثم شغل إدارة الأيتام بحلب مدَّة طويلة حتى وفاته، وأثناء ذلك درَّس في ثانويات حلب الخاصَّة، وفي «الثانوية الشرعية»، وكانت له خطبة جمعة

---

(١) نشرت هذه الترجمة بتاريخ ٢٠٠٧/٣/٤م، في موقع: (الإسلام في سورية) www.islamsyria.com.



في جامع «التقوى» في حيِّ الأنصاري، وعدة دروس في جوامع حلب عامة، وله دروس خاصَّة بطلبة العلم في منزله.

وكما قيل عنه: عُرف معلماً وداعياً ومرشداً أكثر من أن يُعرف كاتباً ومؤلفاً، ومع ذلك فقد كانت له مقالات وشذرات هنا وهناك، وكانت له محاضرات هنا وهناك متى سنحت الفرصة، ولذلك لم تكن آثاره كثيرة...

### أعماله العلميّة:

بادر - قبيل وفاته - إلى طبع كتاب: «المنهج السديد في شرح جوهرة التوحيد» للعلامة الشيخ محمد الحنيفي (**١٢٩٢ - ١٣٤٢**) بعد اعتنائه به، وقام الأستاذ الفاضل مَجْد مكي وفقه الله بمراجعته وتصحيحه، وصدرت الطبعة الأولى ببيروت عن دار ابن حزم سنة (**١٤٢٤ - ٢٠٠٣**). كذلك اعتنى بشرح «المنظومة البيقونية» للشيخ أحمد الترمانيني، وأعدَّها لإرسالها للطبع، وأنهى كذلك رسالته الماجستير في موضوع: «معاول الهدم الحديثة في اللغة العربية»، وكان قد أعدَّها لمناقشتها في كلية «الإمام الأوزاعي» في بيروت، ولم يبقَ لها إلا المناقشة الأخيرة حين قضى أجله - رحمه الله تعالى -.

وقد بدأ بالاعتناء بكتاب: «الإفصاح عن معاني الصِّحاح»، وأنهى حوالي نصفه، ولكن إرادة الله شاءت أن يختاره إلى جواره، وهو في قمّة نشاطه، وأوج عطائه، وفي أحسن أحواله، وأفضل أوضاعه.

### حرصه على مشافهة العلماء والتلقِّي عنهم:

كان اسمه «مجاهداً»، وكان مجاهداً بحق، كان - رحمه الله تعالى - داعياً نشطاً عالماً عاملاً مخلصاً فقيهاً، طالباً للعلم، لا يَعرف كَللاً ولا مللاً في ذلك، كان مُحباً للحكمة، حريصاً على مشافهة العلماء والتلقي من أفواههم، متأثراً بأحوالهم، لازم الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله ملازمة شديدة في أيامه الأخيرة في سورية، وصحبه في رحلات ونزهات طويلة، يستفيد منه، ويقرأ عليه.

ولازم الشيخ عبدالرحمٰن زين العابدين رحمه الله، في حياته كلها، وخاصَّة في مرضه الأخير ملازمة الولد لأبيه.

### صبره على طلب العلم وتنوُّع معارفه:

كان صابراً على البحث والتنقيب في بطون الكتب، يُؤثره على الطعام والراحة، وكان يحرص على الفائدة العلمية من أيِّ مصدر جاءت، ومن أيِّ جهة كانت. ولا يُعنى فقط بالعلوم الشرعية التي كانت اختصاص دراسته، بل عرف عنه اهتمامه بالصناعات والميكانيكا وبالناحية العلمية عند العرب قديماً، متأسّياً بذلك بشيخه الشيخ عبدالرحمٰن زين العابدين رحمه الله، وقد تعلَّم منه الكثير في ذلك، وعُرف عنه أيضاً اهتمامه باللغة العربية اهتماماً يفوق الوصف، وخاصَّة علوم الصرف والبلاغة والنحو والاشتقاق، متأسياً بشيخه أيضاً.

كذلك قرأ شيئاً من كتاب «الكامل» للمبرّد على الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله، وله حواشٍ كثيرة على نسخته من كلام الشيخ رحمه الله، وكان له تذوُّق خاص بالشعر، ويحفظ قصائد مُطوَّلة بأكملها، وخاصة الشعر القديم الذي يُعَدُّ حُجَّة في اللغة، واهتمَّ بعلم الفلك وأخذ شيئاً منه من الشيخ «عبدالرحمٰن» رحمه الله، ومن عمِّه والدي الدكتور «عمر خياطة» رحمه الله، واقتنى من كتب هذا العلم الحديث والقديم، حتى المخطوط.

وله مكتبة ضخمة في منزله تضم كتباً في كافة العلوم الشرعية خاصة والعلوم العربية والعلمية.

كان غايةً في الحفظ والاستحضار، ومعرفته بالرجال نادرة، وخاصَّة علم الرجال، ومصطلح الحديث، وله اهتمام بالوقائع والحوادث الهامَّة في تاريخ الإسلام القديم والحديث، ومعرفته برجاله فذّة غريبة.

### أخلاقه وصفاته:

كان حَسَنَ الخُلُق مع الناس جميعاً، ومع أهله خاصَّة، كان رؤوفاً



رحيماً بهم، متسامحاً حليماً لطيفاً عفاً وفيًّا، مرح النفس دائماً، عفيف النفس رضيّها، شاكراً لأنعم الله، حييًّا، يخشى الله فيما بينه وبين نفسه خشية تقيٍّ ورع.

كان يعدُّ طلب العلم عبادته الأولى ليل نهار، لا ينام الليل إلا قليلاً، وهو يبحث وينقب ويطالع، وكان حريصاً على الإجازة وطلبها، يطلب الإجازة ممّن يتعرَّف ويجلس معهم، ولو لساعةٍ من الزمن.

### شيوخه وأساتذته:

من أكبر مشايخه وأكثرهم ملازمة له وانتفاعاً به: الشيخ عبدالرحمٰن زين العابدين، ثم الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، وكانت له صحبة طويلة في دمشق مع الشيخ عبدالغني الدقر رحمه الله.

ومن مشايخه في «الثانوية الشرعية»: الشيخ أحمد القلاش، والشيخ محمد زين العابدين جذبة، والشيخ الدكتور إبراهيم بن محمد السلقيني حفظ الله من بقي منهم، والشيخ أبو الخير زين العابدين، والشيخ محمد السلقيني، والشيخ عبدالله سراج الدين، والشيخ محمد نجيب خياطة، والشيخ بكري رجب، والشيخ عبدالوهاب سكر، وغيرهم كثير رحمهم الله جميعاً.

كذلك من أساتذته في كلية الشريعة: محمد فوزي فيض الله، وهبة الزحيلي، نور الدين عتر، محمد أديب الصالح... وغيرهم كثير حفظهم الله.

### إجازاته العلمية:

وإجازاته كثيرة، له إجازة من عمه الدكتور عمر خياطة، الذي أجازه إجازةً عامة عن شيخه الشيخ محمد راغب الطباخ، بكافة مروياته وأثباته.

ومن علماء الموصل: الشيخ إبراهيم المشهداني، والشيخ عبدالفتاح الجومرد، وغيرهم.

وله إجازة من الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله بمؤلفاته ومروياته، وأجازه بثبته عن شيخه العلامة الإمام محمد زاهد الكوثري، رحمهم الله تعالى، وله إجازات أخرى عديدة.

وله إجازة من العلامة الأصولي الفقيه الشيخ أحمد فهمي أبو سنة، أستاذ الشيخ عبدالفتاح؛ إذ لقيه ببيته بمكة المكرمة أثناء حجه بصحبة الأخ الشيخ مجد مكي، وأخذ منه إجازة على طرف كتاب كان معه.

وممَّن استجاز له بناءً على طلبه الشيخ محمد بن عبدالله آل رشيد من عدد من علماء الحجاز والأحساء واليمن منهم: الشيخ الحبيب محمد بن أحمد الشاطري، والشيخ عبدالرحمٰن بن أبي بكر بن عبدالله الملا الأحسائي، رحمهما الله تعالى، والشيخ عبدالقادر بن عبدالله شرف الدين الحسني الصنعاني، وعبدالله بن عباس المُؤيَّد اليمني، وحمود بن عباس المُؤيَّد، وأحمد بن محمد زبارة مفتي اليمن، وأحمد بن علي الآنسي الصنعاني، ومحمد بن إسماعيل العمراني الصنعاني، وعبدالله المحفدي الصنعاني، ومحمد بن محمد بن منصور الحسني.

## وفاته:

تُوفي رحمه الله تعالى في حادث سيارة أثناء عودته من مصيف جبل الأربعين القريب من حلب فجر يوم السبت **١٩** من جمادى الآخرة **١٤٢١**هـ، الموافق **١٩** آب **٢٠٠٠**م. عن ثلاث وخمسين عاماً، رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين وعن العلم وعن الأيتام والأهل والأولاد خير الجزاء. وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والحمد لله رب العالمين.

❐ ❐ ❐ ❐ ❐



# الآثار العلمية والأدبية للأستاذ محمد مجاهد شعبان(1)

بقلم: عبدالرحمن الحاج إبراهيم

لم يعرف الشيخ مجاهد بالكتابة والتأليف بقدر ما عرف بالتعليم والدعوة، وتتوزع نتاجاته وآثاره العلمية والأدبية على حقول عدة:

## أولاً ـ الدراسات والبحوث:

١ ـ «**معاول الهدم الحديثة في اللغة العربية الفصحى**»، وهو الدراسة التي تعتبر أهم إنجاز علميٍّ خلَّفه، كانت معدَّة لنيل درجة الماجستير في كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية في بيروت، ولم يكتب الله له مناقشتها. وتتجاوز صفحاتها **٣٠٠** صفحة من القطع الكبير. وتتكوَّن من خمسة فصول:

**الفصل الأول**: يتناول اللغة العربية الأم واللهجات في العصر الحديث.

---

(1) هذا بحث مفصَّل كتبه الأستاذ عبدالرحمٰن الحاج إبراهيم، نقدِّم خلاصة عنه بمناسبة ترجمة الأستاذ الفاضل الشيخ: محمد مجاهد شعبان رحمه الله تعالى. ونشرت هذه الدراسة بتاريخ ٢٠٠٧/٣/٤م على موقع: (الإسلام في سورية) www.islamsyria.com.

**الفصل الثاني**: صلة اللغة العربية بالإسلام والتراث الإسلامي.

**الفصل الثالث**: الأعداء التقليديون للغة: دعاة العامية.

**الفصل الرابع**: الأعداء الجدد: الحداثيون. درس فيه تاريخ الدعوة إلى التغريب ووسائلها، والتمرد على اللغة العربية، وعبث الشعر الحر، وقضية الشعر الجاهلي.

**الفصل الخامس**: دور الأمة وواجباتها في المحافظة على لغتها والنهوض بها.

٢ ـ **«نحو فقه إسلامي مُيسَّر»**: وهو بحث تمهيدي للماجستير بإشراف الدكتور: كامل موسى، قال في مقدمته: «منذ أمد بعيد وأنا أهتم بدراسة علم الفقه... كنت يومها ألاحظ مدى صعوبة العبارة الفقهية، وكثرة الاستطرادات الخارجة عن الموضوع كلية، وكنت أسأل نفسي: أليس من الممكن تيسير هذا العلم إلى ما هو أسهل عبارةً، وتهذيبه وحذف ما ليس فيه، وأن يكون هذا العلمُ بلغةٍ تتنزل إلى فهم أكبر مساحةٍ لفهم الأمة؟!.

وتناول في البحث جهود العلماء في تيسير الفقه، ثم درس الشيخ مبدأ التبسيط الفقهي، وتوصّل إلى خمسة عشر شرطاً مقترحاً لإنجازه، ثم ختم بحثه بقوله: «إنَّ ما وضعته من شروط التبسيط ما هي إلا قواعد أراها من وجهة نظري مهمة، يستعين بها من رغب في كتابة فقهٍ ميسر في ألفاظه وأسلوبه لتعليم هذا العلم ليشمل أكبر مساحة من تعداد المسلمين.

٣ ـ **«عناية المسلمين باليتيم قديماً وحديثاً في شمال سورية»**: يهدف هذا البحث الذي كتبه سنة **١٩٩٣**م، إلى تقديم رؤية عن تجربة دار الأيتام الإسلامية في حلب وغيرها من مدن الشمال السوري، لبيان أهمية الدور الذي قامت به ولا تزال في خدمة المجتمع المسلم، وهذا البحث هو بحث تمهيدي آخر للماجستير بإشراف الدكتور: إبراهيم كمال أدهم.

٤ ـ **«الرخصة»**: بحث أصولي نشر في مجلة منار الإسلام الإماراتية عام **١٩٩٨**م.



٥ ـ **«تاريخ التفسير»**: مشروع دراسة كتبها أيام تدريسه في الثانوية الشرعية في الثمانينات في القرن الماضي.

## ثانياً ـ رسائل نادرة:

١ ـ رسالة عن الشيخ عبدالرحمٰن زين العابدين رحمه الله تعالى، وهو أستاذه وله معه صحبة طويلة، جمع في هذه الرسالة أقوال الشيخ وآراءه وأورد الكثير من ذكرياته معه كما قدَّم له بترجمة نادرة لشيخه.

قال في مقدمته: معرفتي بالشيخ منذ سنة **١٩٦٣**م، وقد درسنا مادة الفقه الشافعي، واللغة العربية، ثم توطدت المعرفة أكثر بعد سنة **١٩٦٨**م، حتى وفاة الشيخ سنة **١٩٩٢**م.

٢ ـ رسالة عن الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى، نحا فيها منحى الرسالة السابقة، وختمها بذكرياته مع الشيخ في زيارته الأخيرة لحلب.

هاتان الرسالتان نادرتان، وعدم نشرهما وتعرضهما للضياع خسارة حقيقية للتاريخ العلمي لمدينة حلب.

## ثالثاً ـ كتب لم تكتمل:

أ ـ أحاديث مشتهرة على ألسنة الناس اليوم. جمعها ولم يكتب له إكمالها.

ب ـ تحقيق لرسالة إسماعيل كلنبوي في آداب البحث. حقق قسماً من الرسالة ولم يتمها.

## رابعاً ـ في مجال التحقيق:

أ ـ تحقيق كتاب «المنهج السديد في شرح جوهر التوحيد» للشيخ: محمد الحنيفي الحلبي، وقد صدر الكتاب بعد وفاة محققه، عن دار ابن حزم عام **١٤٢٤**هـ، في **٢٤٧** صفحة.

ب ـ تحقيق كتاب «شرح المنظومة البيقونية» للعلامة الشيخ: أحمد الترمانيني، قدم له بدراسة عن شروح البيقونية القديمة والحديثة كما أورد ترجمة واسعة للشيخ الترمانيني. ونرجو أن يصدر هذا الكتاب في وقت قريب بعون الله تعالى.

## خامساً ـ المقالات والمحاضرات:

١ ـ فلتكن نظرتنا إلى الكيف أولاً، بيَّن فيها أن العدد ليس دليلاً على الصحة، ونشرت في مجلة «نهج الإسلام»، في العدد **٣٠** من السنة الثامنة (١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م).

٢ ـ ترجمة الدكتور الشيخ عمر خياطة بمناسبة وفاته عام ١٩٨٨م. وهي غير منشورة.

٣ ـ القرافي صاحب الفروق والدمى المتحركة، نشر هذا المقال في مجلة «نهج الإسلام» في العدد **٣٤**، من السنة التاسعة (١٩٨٩م = ١٤٠٩هـ).

٤ ـ الزمخشري مفسِّراً، مقال مطبوع على الآلة الكاتبة، يتحدث فيه عن جهود الزمخشري في مجال التفسير.

٥ ـ مولد الرسول ﷺ مولدٌ للعقل من جديد. نشر في مجلة «نهج الإسلام» في العدد **٤١** من السنة الحادية عشرة (١٤١٠هـ = ١٩٩٠م).

٦ ـ الإسلام وبناء الشخصية الحضارية. نشر في مجلة «نهج الإسلام» في العدد **٤٤** من السنة الثانية عشرة (١٤١١هـ = ١٩٩١م).

٧ ـ ملامح الشخصية الحضارية في الإسلام. ذكر فيه ملامح الشخصية الإسلامية التي يراها تتمثل في الطموح والتطلع نحو الأفضل، والعزة والإلفة والمحبة، والثبات، والتكامل، نشر في مجلة «منار الإسلام» الإماراتية عام ١٩٩٧م.



٨ ـ قل آمنت بالله ثم استقم... نشر في مجلة «نهج الإسلام» في العدد **٥٣** من السنة الرابعة عشر (١٤١٤هـ = ١٩٩٣م).

٩ ـ كيف وظف الإسلام الشعر. محاضرة ألقيت في نادي التمثيل العربي في حلب، عام ١٩٩٦م.

١٠ ـ مشكلات سلوكية للطفل. محاضرة ألقيت في دار الأيتام بحلب، تحدث فيها عن بعض المشكلات السلوكية ودوافعها وأسبابها، وقدم حلولاً لمعالجتها من وجهة نظر إسلامية.

١١ ـ الإمام مسلم. محاضرة ألقيت عن الإمام مسلم في الثانوية الشرعية بمناسبة مرور ثمانية قرون على وفاته، وهي غير منشورة.

١٢ ـ بشائر النور. مقال يتحدث فيه عن ولادة النبيّ ﷺ والمبشِّرات به في الكتب السماوية.

١٣ ـ الرحمة المهداة. وهي آخر ما كتب قبل وفاته بمناسبة ذكرى المولد النبويّ الشريف.

كما كتب الشيخ مجاهد عشرات المواد العلمية، في «الموسوعة الإسلامية الميسرة» الصادرة عن دار صحارى مشاركة مع دار فُصِّلت بحلب.

**أخيراً**: فإنما ما قدمته هو أهم ما خلفه الشيخ من آثار علمية وأدبية، ونأمل أن يقوم أبناؤه ومحبوه بنشرها وفاءً لجهده وجهاده.

□ □ □ □ □

# الشيخ عبدالله سراج الدين
## العلامة الربَّاني المربِّي(١)
## (١٣٤٣ - ١٤٢٢هـ)
## (١٩٢٤ - ٢٠٠٢م)

**بقلم تلميذه المحدِّث المحقِّق الشيخ: محمد عوَّامة**

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه. أما بعد:

### العالم العامل الربَّاني:

فإنَّ من سُنَّة الله عزَّ وجلَّ في عباده المسلمين أن يُكرمهم على الدوام بعلماء عاملين، همُّهم في هذه الحياة أن يملؤوها بالخير لأنفسهم، وللأمة من ورائهم، وكان منهم شيخنا العلامة الربَّاني الشيخ عبدالله سراج الدين الذي أكرمني الله بصحبته خمسين عاماً.

### ولادته ونشأته العلمية:

وُلد الشيخ الأجلّ عام ١٣٤٣هـ = ١٩٢٤م بمدينة حلب، ووالده العلامة الحُجَّة الشيخ محمد نجيب سراج الدين، ودخل طلب العلم وهو في

(١) نشرت بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/١٢م، في موقع: (الإسلام في سورية) www.islamsyria.com.



الثالثة عشرة من عمره، بعد أن حفظ القرآن الكريم.

### توجُّهه إلى حفظ الحديث الشريف:

وفي أثناء ذلك كان توجَّه إلى حفظ الحديث الشريف، وبعد أن ترك الدراسة الرسمية توجَّه بكليته إلى ذلك، فحفظ كتاب: «تيسير الوصول» بألفاظه ورواته واختلاف رواياته، وكانت له مذاكرة يومية له، كما يذاكر حفظه للقرآن الكريم، واستمرَّ به توجُّهه لحفظ السُّنة الشريفة إلى أواخر عمره المبارك.

### تأسيسه جمعية التعليم الشرعي:

وفي صيف ١٣٧٩هـ = ١٩٥٩م أُلغيت المدرسة الشعبانية التي كانت تابعة لوزارة الأوقاف، وكانت تُخرِّج الأئمة والخطباء والوعاظ الدينيين، فقام الشيخ بأعباء ذلك، فأسَّس «جمعية التعليم الشرعي» التي انبثق عنها: مدرسة التعليم الشرعي، وفيها: المرحلة الإعدادية والثانوية، ثم المرحلة الجامعية المرتبطة بالجامعة الأزهرية، ثم انبثق عنها عام ١٣٨٦هـ = ١٩٦٧م معهد حفظ القرآن الكريم بقراءاته العشر.

وقد تخرَّج في هذه المراحل التعليمية الثلاثة مئات من طلاب العلم احتلوا مراكزهم المناسبة في محاريب حلب وقراها ومنابرها، وفي كثير من مدن السعودية ودول الخليج، فأحيا الله به العلم والعمل في مدينة حلب، كما أحيا الله تعالى به حفظ القرآن العظيم وقراءاته، بعد أن كان هذا الأمر ميِّتاً حتى بين طلاب العلم.

### دروسه العامَّة في مساجد حلب:

وكانت دروسه في مساجد حلب الكبرى، دروس علم وتوجيه وترقية وتزكية مُدعَّمة بالكتاب والسنَّة، وهدي السلف الصالح، وكانت في مستواها العلمي تعدل المستوى الجامعي العريق، الذي يحضره طلابه بروح متعشِّقة للعلم والهدي السلفي الصالح، متمثلاً في شخص أستاذها ومربِّيها.

### إنتاجه العلميّ الواسع:

ولم يقف عطاء الشيخ - رحمه الله - عند تأسيس الجمعية وفروعها،

ولا عند الدروس العامة التي كان يحضرها الآلاف ـ لا سيما في المرحلة الأخيرة ـ بل شارك في الإنتاج العلميِّ الواسع، فقد انتقل الشيخ إلى رحمة الله تعالى عن نحو ثلاثين مؤلفاً جُلُّها في شرح أركان الإسلام: الصلاة، والصيام، والحج، وفي التفسير الموضوعي: «هدي القرآن إلى الحجة والبرهان»، و«هدي القرآن إلى معرفة العوالم والتفكُّر في الأكوان»، وفي تفسير جملة من سور القرآن الكريم: الفاتحة، الحجرات، الملك، ق، الكوثر، الدهر... كل سورة في مجلد... وله: «تلاوة القرآن المجيد»، و«التقرُّب إلى الله تعالى»، و«سيدنا محمد رسول الله ﷺ: شمائله الحميدة، خصاله المجيدة»، و«صعود الأقوال ورفع الأعمال» في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾. وله شرح منهجي مدرسي مبسَّط على المنظومة البيقونية في **٢٢٥** صفحة. وله غير ذلك من الكتب التي يحرص المسلم على العمل بها، والتربية الإسلامية الصالحة.

## شاهدا العدل من الكتاب والسنة:

وكان يحكي عن والده رحمه الله ـ وهو لسان حاله أيضاً ـ أنه كان يقول لأصحابه في مجالسه الخاصَّة مع العلماء: لا تقبلوا مني شيئاً إلا بشاهدَيْ عدل من الكتاب والسنَّة. وكان هو كذلك فما كنا نسمع منه شيئاً إلا ويأتينا على ما يقول بشاهدَيْن عَدْلين من الكتاب الكريم والسنَّة المطهَّرة، وذلك في دقائق العلم والتوحيد.

## منهجه في دروسه العامة:

وكان يحكي عن والده ـ وهو لسان حاله أيضاً ـ أنه كان يقول: درسي درس عام لا درس عوام. يريد أن مختلف الطبقات التي تحضر دروسه تستفيد، منها: العاميّ، والشاب المثقف، وطالب العلم، بل العالِم، والطبيب، والتاجر، والمحامي، وما إلى ذلك.

## منحة إلهية وقدوة محمديّة:

والحديث عن سيِّدي الشيخ لا يكفيه صفحات، وهو أجلُّ من أن



أكتب عنه، لكني أقول: لقد كان الشيخ منحة إلهية لأهل زمانه، وقدوة محمديَّة لهم إذا ادْلهمَّت الخطوب.

## وفاته ودفنه:

توفي رحمه الله تعالى عشاء يوم الاثنين **٢٠** ذي الحجة في مدينة حلب، وشُيِّع في موكب كبير، ودفن يوم الثلاثاء **٢١** ذي الحجة **١٤٢٢** في المقبرة التي داخل المدرسة الشعبانية رحمه الله تعالى، وتغمده برضوانه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

**كتبه: محمد محمد عوامة**
١٤٢٢/١٢/٢٥

## مجالسه التفسيرية لبعض الآيات القرآنية:

وقد وصف فضيلة الشيخ محمد عوامة مجالس الشيخ عبدالله سراج الدين في العلم والوعظ والتذكير، فقال في مقدمة تحقيقه لكتاب «مجالس في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾» لابن ناصر الدين الدمشقي، ص**٩**:

«أما هذه المجالس: فإن المصنِّف رحمه الله اختار هذه الآية الجامعة لكليات الإيمان، واختياره لها أذكرني أول ما رأيت مخطوطة الكتاب بالمجالس العامرة بالإيمان، والعلم والروح، من مجالس شيخنا العلامة القدوة الربَّاني المتكلم المفسِّر المحدث سيدي الشيخ عبدالله سراج الدين حفظه الله تعالى بخير وعافية، مجالسه حول هذه الآية في الجامع الكبير بمحلة بانقوسا بحلب، بعد عصر كل يوم جمعة، والتي دامت سنوات، وهو يتكلم فيها عن مواقف النبيِّ ﷺ الثلاثة: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾.

ولمَّا تذكَّرت هذه المجالس برؤية مخطوطة الكتاب، بادرت إلى تصوير نسخة عنها وتقديمها هدية إليه، والآن أتقدَّم بإهداء خدمتي للكتاب إلى سماحته راجياً قبولها ورضاه.

ثم إنه انتقل بعد تلك المجالس إلى الكلام عن قوله تعالى: ﴿ٱلْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾﴾. وقد استغرق في ذلك سنوات أيضاً، وهو يتكلم عن كون سيدنا رسول الله ﷺ بيِّنة الله العظمى وحجته على خلقه، ومبيناً عن الله عزَّ وجلَّ شرعَه ودينَه. وهذه المجالس وتلك جميعها محفوظ لديه، لا تحتاج طباعتها إلا إلى تنقيح يسير.

وكان كلُّ مَنْ يحضر تلك المجالس ـ من العلماء وغيرهم ـ يشهد أنها مجالسُ تنقل صاحبها إلى رَوْحٍ وريْحانٍ من رَوْح الجنة وريحانها والحمد لله رب العالمين.

ومع هذا فإن شيخنا ـ أطال الله في عمره ـ لا يرى أنَّ ما يتكلم به يصلح أن يسمى تفسيراً لكتاب الله عزَّ وجلَّ، فشأن تفسير كتاب الله أجلُّ عنده من هذا، كما هو واضح من كتبه التي طبعها وتكلم فيها عن سورة الفاتحة، والحجرات، وق، وغيرها مما يتلوها، فإنه سمى كلاً منها: حول تفسير سورة كذا، وما رضي أن يسمي كتابه: تفسير سورة كذا». انتهى.

## إهداء الشيخ محمد عوامة تحقيق كتاب «القول البديع» لشيخه السراج:

وقد أهدى إليه تحقيق كتاب «القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع» للسخاوي الذي صدر بعد وفاة شيخه بقليل بهذه الكلمات:

«إلى روح مُحيي الدين والعلم، الناطق ببراهين الكتاب والسنَّة. من أنار القلوب والعقول وجمعها على محبة الله تعالى ورسوله ﷺ، العلامة الربَّاني المربِّي الشيخ عبدالله آل سراج الدين.

توفي إلى رحمة الله تعالى عشاء الاثنين **٢٠** من ذي الحجة من عام **١٤٢٢**هـ».

**من تلميذه: محمد عوامة**



# الشيخ عبدالله سراج الدين(1)

**بقلم: بكري شيخ أمين**

## دور العلماء في الأمة:

العلماء هم مصابيحُ الأمة وأنوارها وهداتُها في كلِّ الأزمنة والأمكنة، يُنيرون دروبَ حياتها، فيفتحون القلوب المغلقة، ويُجْلون الغشاوة عن العيون المتعَبة، وينقلونها من دياجير الجهل إلى أنوار العلم، ويُخرجون الناس من الظلمات إلى النور.

وأخصُّ بالذكر منهم علماءَ الشريعة، وفقهاءَ الدين، فبالشريعة يكون الإنسان إنساناً شريفاً، والمواطنُ مواطناً حقاً، وفي ضوء الشريعة يعرف الحقّ فيتّبعه، ويعرف الباطل فيجتنبه... يعرف ما يهوي به إلى الجحيم، وما يرقى به إلى أعالي الفردوس والنعيم.

وعلماء الشريعة وحدَهم الذين يأخذون بأيدي الناس إلى طريق الهدى والصواب والحق والنور، لأنهم ورثة الأنبياء، وحمَلة الرسالة والأمانة، وهم دائماً في عيون الناس المثل الأعلى الذي به يقتدون.

(1) نشرت بتاريخ ٢٠٠٧/٨/٧م، في موقع: (الإسلام في سورية) www.islamsyria.com.

## عالم من بلدي:

أريد أن أصل بهذه الكلمات إلى عالم من بلدي، يحمل تلك المزايا، ويتصف بتلك الصفات، اسمه عبدالله بنُ محمدِ نجيب سراج الدين الحسيني. لو رأيته تذكرت رسول الله ﷺ، وقاراً وجمالاً وجلالاً وسكينة وتواضعاً وبشاشة ورقة، وأحلى ما يتصوره الإنسان في كمال وجمال في عبد من عباد الله.

## اقتداؤه برسول الله ﷺ:

فالرجل متمثل برسول الله ﷺ تمثلاً إن لم نقل: كاملاً فهو قريب من الكمال، من فَرْقِ شَعرِه إلى أَخْمَصِ قدميه، في مظهره، وفي حديثه، وفي حركاته، وسكناته، وفي تبسمه، وفي أخلاقه، وفي كل ما يتصل بحياته الإنسانية من صغيرة أو كبيرة.

## عالم عامل:

الرائع في هذا النور المحمدي الذي سكن في مدينة حلب الشهباء من أرض سورية أنه ليس عالماً فقط، وإنما هو عالمٌ عامل، وحتى نلمَّ بسيرته تفصيلاً نذكر النقاط التالية:

## ولادته ونشأته العلميَّة:

ولد الشيخ عبدالله سراج الدين الحسيني بمدينة حلب سنة **١٣٤٢** للهجرة النبويّة والموافقة لسنة **١٩٢٣** للميلاد من أب كان نجمَ حلب في أيامه هو الشيخ محمد نجيب سراج الدين الحسيني الحنفي، فأدخل ابنه عبدَالله جامع سليمانَ القريب من حي قاضي عسكر بحلب... فتعلم تلاوةَ القرآن الكريم والكتابة، ثم انتسب إلى مدرسة دار الفلاح ـ السلطانية... فتدرج في صفوفها، وجوّد القرآن الكريم على القارئ الشيخ عثمان قنديل الطنطاوي المصري، وأخذ شيئاً من فقه العبادات والنحو، وأشعارِ العرب، وخُطبهم التي كان مفروضاً على الطلبة يومذاك أن يحفظوها، كما أخذ علوم الرياضيات عن الشيخ محمد خير إسبر.



## في مكتب الشيخ عبدالوهاب المصري ثم المدرسة الخسروية:

ثم انتسب إلى مكتب الشيخ عبدالوهاب المصري الحلبي، فبدأ بحفظ القرآن الكريم وتجويدهِ عليه، واستمر سنتينِ كاملتيْنِ حتى حفظ كتاب الله كله عن ظهر قلب، ثم انتقل إلى المدرسة الخسروية متدرجاً في صفوفها.

## عنايته بالحديث النبوي والعلوم الشرعية:

وحُبِّب إليه الحديث النبويّ، وأولع بقراءته، فحفظ قسماً كبيراً من صحيح البخاري، ثم عرج على العلوم الدينية الأخرى من فقه وأصول وتفسير وفرائضَ وتوحيد ومصطلح وسيرة، وأتبعها بعلوم العربية من نحو وصرف وعروض وبلاغة، فكان فيها المبرز والمتقن.

ثم استقرَّ به الحال في غرفة والده الشيخ محمد نجيب في المدرسة الشعبانية مجاوراً للشيخ ياسين سريّو الذي كان يُعدّ من أجَلّ شيوخه رحمه الله تعالى، كما لازم دروس الفقه في المدرسة الإسماعيلية عند الشيخ أحمد عساف الحجّي الكردي.

## وظائفه:

عُيِّن مدرساً في جامع (أبو درجين)، ثم دُعي للتدريس في معهد العلوم الشرعية في المدرسة الشعبانية، وكلّف بتدريس التفسير والحديث والفقهِ الحنفي ومصطلح الحديث.

## تدريسه في المدرسة الخسرويَّة:

كذلك استُدعي إلى المدرسة الخسروية، فدرّس فيها المصطلح، وألف كتاباً في هذا الموضوع، فطبعته المدرسة، ووزعته على طلابها، ناب خلال ذلك في التدريس عن والده الشيخ محمد نجيب سراج الدين في جامع الحموي، ثم أبدل بجامع أبو دَرَجَيْن درسَ المحافظة في الجامع الأموي الكبير.

## في المدرسة الشعبانية:

وشاء الله تعالى أن ينتقل من جامع الحموي، ويركّز جهود في المدرسة الشعبانية، وراح يستقبل طلاب العلوم الشرعية، حتى إذا تخرج أحدهم من الشعبانية تلقفته جامعة الأزهر الشريف في أرض الكنانة، وأدخلته في كلياتها.

## إجازاته العلمية:

يضاف إلى هذا كله اتِّصالُ عالمنا الشيخ عبدالله بعلماء العالم الإسلامي، ومحادثتهم، ونَيْل الإجازات الرفيعة منهم بخط أيديهم.

## حكمته العلميّة والتربويّة والدعويّة:

آمَنَ الرجلُ بحكمة رائعة خلاصتها: لا يكفي أن يكون المرء عالماً، ومبرّزاً في علوم الأولين والآخرين، ثم ينطوي على نفسه، فلا يستفيد منه أحد... إنما شأنُ العالِم أن يكون عاملاً بعلمه، موزّعاً معارفَه عبْرَ الجهاتِ كلها، ينشر الخيرَ يَمْنَةً ويَسْرَةً، آناءَ الليل وأطرافَ النهار، ثم يكون له أتباعٌ يتمثّلون بشخصه وتعاليمه، ويقتدون به، ويغدو كلّ منهم فلكاً جديداً تدور حوله نجوم وكواكب وأقمار... وهكذا.

ومع هذا كلّه، لا يكفي أن يلقيَ العالمُ دروسه على أتباعه ومريديه وتلامذته، ثم ينصرفُ وينصرفون، وينتهي كلّ شيءٍ بانتهاء حياته أو حياتهم، إنما ينبغي أن يتركَ العالمُ بعده آثاراً مسجّلة مكتوبة، يقرؤها الناس أيام حياته وبعد موته. ويطّلع عليها من هو قادر على أن يصل إلى الشيخ ويراه، ومن هو غيرُ قادر على أن يصل إليه أو يراه.

## دروسه ومصنَّفاته:

لقد آمن أن نفع التصانيف أكثرُ من نفع المشافهة، فهو يُشَافهُ خلال حياته عدداً محدوداً من الناس، ولكنه بتصانيفه ومؤلفاته المطبوعة يشافه عدداً لا يُحصى، ما خُلقوا بعد... ودليل هذا انتفاعُ الناس بتصانيف المتقدِّمين



كما يستفيدون من مشايخهم المعاصرين، وأن العالمَ الحقّ ينبغي أن يعكف على التأليف إن وُفّق إلى التأليف المفيد، فإنه ليس كل من ألّف أفاد ونفع، وليس المقصودُ جمعَ شيء كيفما كان، وإنما هي أسرارٌ وأنوار يُطْلِعُ الله تعالى عليها من شاء من عباده، ويوفقه لكشفها، فيجمعُ ما تفرق، ويرتبُ ما تشتت، ويشرحُ ما يحتاج إلى شرح، ويحلّ كل غامض أو معقّد...

لقد دأب شيخنا في حياته على إلقاء الدروس في المدارس المختلفة كالشعبانية والخسروية وفي جوامعَ عدَّةٍ كالجامع الكبير وجامع الحموي وجامع بنقوسا وجامع سليمان، ومع تلك الدروس الملقاة راح يسجل دروسه بتصانيف وكتب، زاد عددها على عشرين كتاباً مطبوعاً، نذكر منها:

١ ـ كتاب سيدنا محمد ﷺ. ٢ ـ التقرب إلى الله تعالى. ٣ ـ الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها. ٤ ـ الدعاء. ٥ ـ صعود الأقوال ورفع الأعمال إلى الكبير المتعال ذي العزة والجلال. ٦ ـ شهادة أن لا إله إلا الله، سيدنا محمد رسول الله ﷺ. ٧ ـ الصلاة في الإسلام. ٨ ـ الصلاة على النبيّ. ٩ ـ تلاوة القرآن المجيد. ١٠ ـ هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان. ١١ ـ هدي القرآن الكريم إلى معرفة العوالم والتفكير في الأكوان. ١٢ ـ حول تفسير سورة الفاتحة. ١٣ ـ حول تفسير سورة الحجرات. ١٤ ـ حول تفسير سورة ق. ١٥ ـ حول تفسير سورة الكوثر. ١٦ ـ حول تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين. ١٧ ـ شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث[(١)].

---

(١) وقد عرض الأستاذ الدكتور بكري الشيخ أمين لكتاب «حول تفسير سورة الفاتحة» في عدة صفحات، وبعد أن استعرض لمحات مما جاء في تفسيره للسورة قال: فإن قراءة هذا الكتاب جعلتني أؤمن بما صرَّح به سيدنا علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وفخر الدين الرازي ـ رحمه الله ـ من أن شرح سورة الفاتحة وحدها يملأ مئات الصحف والمجلدات، فالسورة فيها الحياة بكل دقائقها، وفيها الآخرة بكل جزئياتها، ولا تتأتى معرفة ذلك إلا لمن فتح الله تعالى عليه.
أعود إلى الحديث عن شيخنا الكبير عبدالله سراج الدين لأقول: إن جميع كتبه من هذا القبيل، فهو لا يتناول موضوعاً إلا أشبعه بحثاً وتفصيلاً حتى لا يترك لمستزيد حاجة إلى زيادة.

## إقبال الناس على كتبه:

الطريف في هذه المؤلفات أن الناس في مدينة حلب ـ هذه المدينة المباركة ـ يقبلون على اقتنائها، ويتهادونها. . . وتنتقل هذه الكتب شراء وإهداء إلى معظم بيوت الناس في بلاد الشام، ومن بلاد الشام تنداح إلى مختلف أصقاع العالم شرقاً وغرباً. وتسهر المطابع على إعادة نشرها وتوزيعها مرة بعد مرة، وتقول: هل من مزيد؟

## دروسه في جامع بنقوسا بعد عصر الجمعة:

وإنْ أنس لا أنسى شارع بنقوسا في مدينة حلب، ففي هذا الشارع جامع كبير يتسع لآلاف المصلين، وكان شيخنا يلقي فيه درساً على الناس بعد عصر كل يوم جمعة. . .

في ذلك الوقت لا يمكن لسيارة أن تمر بهذا الشارع من كثرة الزحام أو المجالسين المنصتين على الأرصفة وأرض الشوارع، يستمعون إلى درس هذا الرجل الكبير. . .

والرائع في تلك السيارات أن أبوابها تخرس أو تشل، فلا تسمع لها ضجة أو بوقاً أو صوتاً، وشرطة المدينة تقف في مختلف الجهات تحوّل مسير السيارات إلى هنا وهناك، حفظاً على حياة هؤلاء الذين يجلسون في الشوارع، هذا يبكي، وهذا يستغفر، وهذا يطرق برأسه، وهذا يفتح يديه إلى السماء.

وتستمر هذه الحلقة إلى مغيب الشمس، ثم ينفرج الطريق ليمر موكب الشيخ المَهيب، ويَصْطف الناس على جانبي الطريق، صفين متقابلين واضعين أيديهم على صدورهم، مثبتين أعينهم على شيخهم الحبيب، داعين الله أن يحفظه ويمدَّ في عمره، والسعيد من اقترب منه، أو لمس يده، أو استنشق من عبير أنفاسه وعبقِها.



## عزلته عن الناس:

وتمرُّ الأيام، وتتوالى الأمراض على الشيخ، ثم يعجز عن الخروج من داره، ويعتزل الناس إلا من أسعده الحظ بلقائه لحظات خاطفات، ويتقاطر الناس إلى بيته يسألون عن صحته، ويودون أن لو استطاعوا فداءه بأرواحهم، ويحملون ما يحمل ويعاني ليبقى سليماً معافًى، يرونه ويرون فيه صورة حبيبهم الأعظم صلوات الله تعالى عليه. ولكن هيهات هيات، فلا رادَّ لقضاء الله، وليت الأماني بالتمنِّي.

## الدمعة الحرّى:

وبزغت شمس العشرين من ذي الحجة عام **١٤٢٢** للهجرة والموافق للرابع من شهر آذار سنة **٢٠٠٢** للميلاد على مدينة حلب، فإذا هي شمس كئيبة صفراء، وشاع في المدينة نبأ مزلزل، يقطع القلب هلعاً، والنفوس جزعاً، لقد مات حبيب الأمة وعالمها وسراجها وكوكبها الدري. . .

## في موكب الوداع:

لقد مات الشيخ عبدالله سراج الدين، وراح الناس يجهشون بالبكاء، ويسيلون جموعاً إلى موكب وداعه، ودموعهم مسفوحة، وعيونهم زائغة، وحسرتهم تقطع القلوب، وتسري في المدينة كلها كلمة: رحل الحب والحبيب. . .

رحل الإنسان الذي كنا نراه فكأنا نرى رسول الله ﷺ، ودفن في المدرسة الشعبانية التي أحبها وأمضى فيها زهرة حياته، وبقي الناس يومها لا يشتهون طعاماً أو شراباً، ولا بيعاً أو شراء، وبقيت حلب تئنُّ من يتمها ولا تزال.

# عبدالغني الدقر
## النَّحوي الفقيه والمؤرِّخ الأديب[١]
## (١٣٣٥ - ١٤٢٣هـ)
## (١٩١٧ - ٢٠٠٢م)

اختصرها وحرَّرها: مَجْد مكي

### مولده ونشأته:

ولد عبدالغنيِّ بن محمد عليِّ بن عبدالغنيِّ الدَّقر سنة **١٣٣٥**هـ - **١٩١٧**م، في حي زقاق البرغل باب الجابية من أحياء دمشق، لأبوين فاضلين، فوالده العالم الفاضل الشيخ محمد علي صاحب نهضةٍ علميةٍ في بلاد الشَّام، ووالدته السَّيدة الجليلة بدرية المرادي، توفيت وهي ابنة ثمانية وعشرين سنة، وعمر صغيرها عبدالغني حينئذ سنتان ونصف، فنشأ الطِّفل يتيم الأمِّ ينقصه الحنان، فكان أبوه يعوِّضه شيئاً منه باصطحابه معه إلى حَلَقات كبار العلماء.

أرسل الوالد صغيره إلى معلمة القرآن الكريم للصغار، فقرأ عندها القرآن كاملاً، وتلا من سورة النَّاس إلى سورة الضُّحى.

---

(١) نشرت بتاريخ **٢٩/٥/٢٠٠٨**م، في موقع: (الإسلام في سورية) www.islamsyria.com.



ثم ألحقه والده بالكتَّاب، وهو ابن خمس سنين، فقرأ فيه ختمةً كاملةً نظراً على الشَّيخ المقرئ عزّ الدِّين العرقسوسي، وأقيم له حفل الختم ولم يتجاوز عمره سبع سنين.

### في المدرسة التجارية:

ألحقه والده بعد ذلك بالمدرسة التِّجارية بدمشق لصاحبها الشيخ محمود العقَّاد رحمه الله، ولما لوحظ نبوغه قيّد في الصف الرابع مباشرة فدرس في هذه المدرسة من الصف الرابع إلى الصف التاسع، وتخرَّج فيها سنة **١٩٢٨**م وعمره اثنا عشر عاماً، ولم تكن تلك المدرسة تمنح شهادات لخرِّيجيها، ولم يحصل بعدها الشيخ على شهادةٍ قطّ.

ثمَّ ترك الدِّراسة مدَّة من الزَّمن، اتَّجه فيها إلى ممارسة هوايته في الصَّيد وركوب الخيل والسِّباحة في مزارع أسرته في المزَّة وداريَّا.

### عكوفه على قراءة كتب المنفلوطي:

وما لبث حبُّه للعربية أن أعاده إلى نطاق العلم، فقد أهداه صديقه وأستاذه الشيخ منير الفقير كتاب (في سبيل التاج) للمنفلوطي، فقرأه كلَّه في مجلسٍ واحدٍ وأُعجب به، وطلب على إثر ذلك من صديقه أن يوفِّر له كتب المنفلوطي كاملة، وعكف على قراءتها، واستخرج الألفاظ الغريبة منها، ورتَّبها هجائياً، واستخرج معانيها من القاموس المحيط، وحفظها عن ظهر قلب، فكان ذلك ثروةً لغويَّة له، وعمره لم يتجاوز الرَّابعة عشرة.

### مطالعة كتب الأقدمين:

اتَّجه بعد ذلك لمطالعة كتب الأقدمين، وقراءة الأدب الأصيل فقرأ للجاحظ، والمبرِّد، والقالي.

### دروسه في جامع السنانية بدمشق:

وعاد الشيخ إلى حِلَق العلم طالباً ومدرساً، إذ عقد له والده مجلساً لإقراء النَّحو في جامع السِّنانية بدمشق، فبدأ مع الطلبة بمتن الآجرومية، ثم

شرحها للأزهري، ثم انتقل إلى (قطر الندى) لابن هشام، ثم إلى (شذور الذهب)، ثم إلى (شرح ابن عقيل على الألفية)، وانتهى من تدريسه وعمره سبعة عشر عاماً!!!

### دروسه في مسجد العدّاس:

ثم حوَّل درسه بعد ذلك إلى (مسجد العدَّاس) بدمشق، حيث تسلَّم غرفة فيه ووضع فيها مكتبته، وبقي فيها قرابة خمس وعشرين سنة.

### نبوغه المبكِّر:

ظهر نبوغ الشيخ مبكِّراً، إذ قُيِّد في الصف الرابع مباشرة أول ما أُلحق بالمدرسة التِّجارية، وقد كان عمره يوم أن خصَّص له والده حلقة إقراء النَّحو نحو خمسة عشر عاماً.

كما دُعي إلى زيارة مصر من قبل رئيسها آنذاك، ضمن وفد يمثِّل علماء الشام عام ١٩٥٦م وعمره أربعون سنة.

وكان الرَّئيس شكري القوتلي الذي حكم سورية في الخمسينيات، يناديه طالباً منه تصحيحاً لغوياً، أو استشارة في ذلك، على حداثة سنِّه ووجود أعلامٍ في العربية في عصره.

### ثناء الشيخ الطنطاوي عليه:

وعنه كتب الشيخ علي الطنطاوي في مذكراته ٣٠١/٨ فقال: «...كذلك يُحيي الله بالرَّجل الواحد بلداً ميتاً في الأدب والعلم، وربَّ رجلٍ واحدٍ يكون على يده نهضةُ شعب... فعليكم بالبقية الباقية من أقطاب الأدب. أطلقوا أيديهم في مناهج العربية وكتبها، ولا تجعلوا الشَّهادات وحدها هي الميزان، فإنَّ كثيراً ممَّن أعرف اليوم معرفة بالأدب العربي الحقّ، ممَّن درس كتبه الكبرى؛ لم يكونوا يحملون شهادة، وإن كان يقعد بين أيديهم يتلقَّى عنهم حملةُ الشَّهادات من أساتذة الجامعات، ومن هؤلاء: محمود شاكر في مصر، وعبدالغني الدَّقر في الشام».

وكان الشيخ عبدالوهاب دبس وزيت فقيه دمشق ومقرئها يقول: إذا



أردت أن تتقن القرآن اذهب إلى الشيخ عبدالغني ثمَّ تعال إليَّ.

### شيوخه:

قرأ الشيخ عبدالغني الدِّقر رحمه الله تعالى العلوم الشرعية والعربية على كبار علماء عصره؛ فقرأ التَّوحيد، والتَّفسير، والحديث، والفقه الشافعي وأصوله، والنَّحو والأدب والمنطق.

أما العلماء الذين قرأ عليهم فهم:

الشيخ بدر الدِّين الحسني (ت١٣٥٤)، الشيخ محمد أمين سويد (ت١٣٥٥)، والده الشيخ علي الدَّقر (ت١٣٦٢)، الشيخ محمود العطَّار (ت١٣٦٢)، الشيخ عبدالرحمٰن الخطيب (ت١٣٦٧هـ)، الشيخ عبدالقادر المغربي (ت١٣٧٥)، الشيخ محمد هاشم الخطيب (ت١٣٧٨)، الشيخ واصف الخطيب، الأستاذ عزُّ الدِّين التَّنوخي (ت١٣٨٦)، الشيخ عبدالوهاب دبس وزيت الشهير بالحافظ (ت١٣٨٩)، الشيخ حسن حبنَّكة الميداني (ت١٣٩٨)، والشيخ أبو اليسر عابدين (ت١٤٠١)، رحم الله الجميع.

### مطالعته مع أقرانه:

كان للشيخ الدَّقر مع أقرانه مدارسات، ومذاكرات، من ذلك مدارسته مع الشيخ عبدالكريم الرِّفاعي رحمه الله لكتابي (المحلَّى) و(الإحكام) لابن حزم رحمه الله.

كما كان له مجلس مع الشيخ علي الطنطاوي والأستاذ سعيد الأفغاني رحمهما الله، بعد صلاة الجمعة، يقرؤون فيه كتاب (الرِّسالة) للإمام الشافعي رحمه الله.

كما تدارس العربية مع الشيخ يوسف بن صادق عرار، قرآ معاً كتاب (المُزْهر في علوم اللغة) للسيوطي.

وتدارس مع الشيخ نايف العباس علم البيان.

### مطالعته ومكتبته:

كان الشيخ مولياً القراءة النصيبَ الأوفر من حياته، فهو يقرأ من بعد

صلاة الفجر حتى صلاة المغرب، وقد جَرَدَ بنفسه عدداً من المطوَّلات في التَّفسير والفقه، والحديث، واللُّغة، والأدب، مثل: (مغني المحتاج) للشربيني، و(نهاية المحتاج) للرملي، و(مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية)، و(المحلَّى) و(الإحكام في أصول الأحكام)، و(الفصل في الملل والأهواء والنِّحل) لابن حزم، و(فتح الباري) لابن حجر، و(شرح صحيح مسلم) للنووي، و(تاريخ الطبري)، و(الأغاني) لأبي الفرج الأصبهاني، وكتب الأدب المشهورة جميعها.

وتضمُّ مكتبته المرتبة على الفنون؛ أصنافَ المعرفة الإسلامية والعربية جميعها؛ من تفسير، وحديث، وفقه، ولغة، وأدب، وتاريخ، وتراجم، وغير ذلك.

## تعقباته واستدراكاته وتصحيحاته:

وقد فرضَت عليه مطالعاتُه الكثيرة أن يكون رجلاً نقَّاداً، فهو إما متعقِّب، أو مستدرك، أو مصحِّح، كما يقول عن نفسه: «لا أستسلم لكتاب، ولا رأي».

## آراؤه في دراسة العلوم الشرعيَّة:

للشيخ آراء واتجاهات في علم الكلام والفقه والحديث واللغة، وأذكر هنا بعض اتجاهاته في العلوم المختلفة التي تنمُّ عن شخصيته العلمية:

- **في علم الكلام**: يميل إلى رأي السَّلف، ويحبُّ عقيدة الإمام أحمد وورعه وزهده.

- **في علم المنطق**: يذهب مذهب الغزالي بأن الفلاسفة كفروا في ثلاثة أشياء: قدم العالم، وأن الله يبعث الأرواح دون الأجساد، ولا يعلم الجزئيات.

- **في علم الفقه**: يميل إلى الأخذ بالدَّليل الصَّحيح، ويتتبَّعه، ولو كان مخالفاً لمذهبه الشافعي، ويرى أن طالب العلم المتمكِّن يسوغ له الأخذ بالدَّليل، غير أنه لم يخرج عن مذهب الشَّافعي إلاَّ في مسألةٍ واحدة في الطلاق الثلاث في مجلس واحد، غير أنه كان لا يفتي بذلك.



- **في علم الحديث**: لا يرى الأخذ بالحديث الضَّعيف مطلقاً، ولا حتى في فضائل الأعمال، ومتى ثبت الحديث لديه يعمل بما فيه.

ويرى أن البدع يجب محاربتها، وهي سنَّة السَّلف الصَّالح والعلماء العاملين.

- **وفي التَّاريخ**: قرأ التاريخ الإسلامي، ودرس كتب الشيخ الخضري.

- **وفي اللُّغة**: له تعقبات على (القاموس المحيط)، في نحو من ثمانمئة صحيفة، ويعدُّ الجوهريَّ صاحب (الصِّحاح) من أدقِّ اللغويين، ويقاربه ابن منظور في (لسان العرب).

ويأخذ على علماء الشَّام عدم عنايتهم باللُّغة والحديث.

## مروياته:

للشيخ مرويَّات وإجازات من عددٍ من شيوخه، وهي:

سماعه من الشيخ المُحدِّث بدر الدِّين الحسني بعض الأحاديث المسلسلة، وقد أجازه إجازةً عامَّة. وأجازه العلامة الشيخ محمد أمين سويد إجازةً عامةً بسائر مرويَّاته. كما أجازه العلامة الشيخ محمود العطَّار إجازةً عامةً بسائر مرويَّاته. وأجازه العلامة المقرئ الفقيه الشيخ عبدالوهاب دبس وزيت إجازتين: إجازة خاصَّة بالقرآن الكريم، وإجازة عامة بسائر مرويَّاته. وأجازه العلامة الشيخ حسن حبنَّكة الميداني إجازةً عامةً بسائر مرويَّاته. كما أجازه الشيخ أبو اليسر عابدين إجازةً عامةً بسائر مرويَّاته.

## الوظائف التي تولاها، والأعمال التي شغلها:

تولَّى الشيخ عدداً من الوظائف، وشغل عدداً من الأعمال، وهي:

**١** ـ مدرِّس بإدارة الإفتاء العام من عام **١٩٤٦**م حتى وفاته. **٢** ـ درَّس في ثانوية السَّعادة الأدبَ العربيَّ لطلاب الشَّهادة الثَّانوية. **٣** ـ مدرِّس بالمعهد الشَّرعي بجامع تنكز للعلوم العربية. **٤** ـ أستاذ العلوم العربية في كثير من الثَّانويات. **٥** ـ عهِد له والده بحلقةٍ يدرس فيها النَّحو في جامع

السنانية. ٦ ـ رئيس مجلس إدارة الجمعية الغرَّاء. ٧ ـ رأس تحرير مجلَّة (المرأة) لصاحبتها نديمة المنقاري وزوجها عطا الصابوني وكتب فيها عدة مقالات، أودعها في كتابه «لمحات من الكتاب والنبوة والحكمة»...

## رحلاته:

لم يُعن الشيخ بالرِّحلة، ولم يُكثر منها، إلا أنَّه زار تركية سياحةً، والمملكة العربية السعودية، ولبنان، والأردن، ومصر، وحجَّ حجَّتين: **الأولى**: مع زوجه سنة ١٩٧٠م، **والثانية**: بدعوةٍ من الملك فهد بن عبدالعزيز سنة ١٩٧٨م.

## حِلْيته:

كان رحمه الله ربعة، ممتلئ الجسم، أبيض البشرة، له لحيةٌ خفيفة، عيناه زرقاوان، يلبس البزَّة، ويعتمُّ على طربوشه من الأغباني، متواضعاً، بهيَّ الطَّلعة، لا تفارق الابتسامة محيَّاه.

## وفاته:

توفِّي الشيخ عبدُالغنيِّ مساء يوم الخميس الخامس عشر من شوال عام ١٤٢٣هـ، الموافق التاسع عشر من كانون الأول سنة ٢٠٠٢م، وصُلِّي عليه في جامع الحمد بعد صلاة الجمعة من اليوم التَّالي، ودفن في مقبرة الباب الصَّغير عن خمس وثمانين عاماً قضاها في طلب العلم وبذله لطلابه، رحمه الله وأجزل له المثوبة.

## تعريف بمؤلَّفاته:

اعتنى الشيخ عبدالغنيِّ الدَّقر بالكتابة والتَّأليف، فصنَّف وحقَّق وكتب المحاضرات والمقالات، وفهرس المخطوطات، أما أهم آثاره وعمله فيها فهي على النَّحو التالي:



**أ ـ في مجال العلوم والدِّراسات الإسلامية:**

١ ـ مختصر تفسير الخازن لعلاء الدِّين البغدادي، اختصار وتهذيب، صدرت الطبعة الأولى **١٤٢٥** عن دار اليمامة بدمشق، واعتنى بمراجعته وترقيمه وإعداده للطباعة من أول التفسير إلى سورة الكهف: مَجْد مكي. **٢** ـ قواعد الأحكام في قواعد الأنام للعزِّ بن عبدالسَّلام، تحقيق، صدرت الطبعة الأولى **١٤١٢** عن دار الطباع بدمشق. **٣** ـ محاضرات في الدِّين والتَّاريخ والاجتماع، تأليف، وهو أول كتاب أصدره الشيخ سنة **١٣٧٢**. **٤** ـ لمحات من الكتاب والنبوَّة والحكمة، تأليف، صدرت الطبعة الأولى **١٤٠٦** في **٣٠٣** صفحة عن دار اليمامة بدمشق. **٥** ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، الفقه الشافعي، فهرسة، صدر عن المجمع العلمي بدمشق **١٣٨٣** في **٣٥٥** صفحة. **٦** ـ صحيح الأدعية والأذكار، تأليف، صدرت الطبعة الأولى **١٣٩٧** عن دار القلم بدمشق. **٧** ـ صحيح الآثار في الأدعية والأذكار، تصنيف، أضاف إلى الكتاب السابق مختصراً في أحكام الحج للمفرد على المذهب الشافعي. **٨** ـ قصَّة إبليس والرَّاهب، قصة قصيرة استوحاها من بعض التفاسير صدرت الطبعة الثانية سنة **١٤٠٧**. **٩** ـ الدَّعوة من القرآن وإلى القرآن، رسالة في أساليب الدعوة وصفات الداعية، صدرت سنة **١٤٠٧** عن دار الهجرة.

**ب ـ في مجال العلوم العربية:**

١ ـ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام الأنصاري، ترتيب وتعليق وشرح الشواهد، صدر عن دار العربية في **٦٥٤** صفحة. **٢** ـ معجم النَّحو، تصنيف طبع في المكتبة العربية عام **١٣٩٥**. **٣** ـ معجم القواعد العربية في النَّحو والتَّصريف وذيل الإملاء، تصنيف، طبع في دار القلم، وصدرت الطبعة الثانية سنة **١٤٢٢**. **٤** ـ تحرير ألفاظ التَّنبيه أو لغة الفقه للنووي، تحقيق وتعليق طبع بدار القلم سنة **١٤٠٨**.

**ج ـ في مجال التاريخ والتراجم:**

١ ـ الإمام مالك بن أنس، تأليف، طبع بدار القلم ضمن سلسلة أعلام المسلمين برقم (**٢٣**) وصدرت الطبعة الأولى **١٤٠٢**هـ. **٢** ـ الإمام الشافعي،

فقيه السُّنَّة الأكبر، تأليف، طبع بدار القلم ضمن سلسلة أعلام المسلمين برقم (٢) وصدرت الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ. ٣ ـ أحمد بن حنبل، إمام أهل السُّنَّة طبع بدار القلم ضمن سلسلة أعلام المسلمين برقم (١٧) وصدرت الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ. ٤ ـ سفيان بن عيينة شيخ شيوخ مكَّة في عصره، تأليف طبع بدار القلم ضمن سلسلة أعلام المسلمين برقم (٣٧) وصدرت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ. ٥ ـ الإمام سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث، تأليف طبع بدار القلم ضمن سلسلة أعلام المسلمين برقم (٥٢) وصدرت الطبعة الأولى ١٤١٥هـ. ٦ ـ الإمام النووي شيخ الإسلام والمسلمين، وعمدة الفقهاء والمحدِّثين، وصفوة الأولياء والصالحين، طبع بدار القلم ضمن سلسلة أعلام المسلمين برقم (١٠) وصدرت الطبعة الأولى ١٤١٥هـ. ٧ ـ تاريخ مدينة دمشق حماها الله وذكر فضلها وتسمية من حلّها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، لابن عساكر، تحقيق الجزء السابع، وقد احتوى على ٢٢٣ ترجمة، وطبع في مجمع اللغة العربية عام ١٤٠٥هـ.

**د ـ المقالات:**

شارك الشيخ في الكتابة في الصُّحف والمجلات، فكتب مقالاتٍ وبحوثاً كثيرة في صحيفة (الأيَّام)، و(المرأة) السُّوريتين، وفي (الرِّسالة) القاهرية، وكتب في مجلَّة (حضارة الإسلام)، و(مجلَّة مجمع اللغة العربية) بدمشق.

تميَّز الشيخ عبدالغني عن علماء الشام بعلمه بالعربية، وعنايته بأدلة الأحكام. ورغم نشأته في بيئة علمية رفيعة القدر، فإن أخلاقه وتعففه منعته أن يكون مستغلاً لها، فلا يطلب بها مالاً، أو جاهاً أو منصباً، بل فضل أن يكون الكتاب جليسه وأنيسه، والعلم مطلبه ومراده، فلا عجب أن تراه عازفاً عن رسوم المشايخ بعيداً عن أضواء براقة يسعى غيره إليها[١].

(١) مختصر من كتاب (عبدالغني الدَّقر، النَّحوي الفقيه والمؤرِّخ الأديب)، تأليف: إياد خالد الطباع، وهو الكتاب رقم (٢٢) في سلسلة: (علماء ومفكرون معاصرون، لمحات من حياتهم وتعريف بمؤلفاتهم) التي تصدرها دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.



## الفقيه الكبير أحمد فهمي أبو سُنَّة[١]

## (١٣٢٧ ـ ١٤٢٤هـ)

## (١٩٠٩ ـ ٢٠٠٣م)

**هذه رحلتي وهذا عطائي...**

**سيرة حياته بقلمه**

اسمي أحمد فهمي أبو سُنَّة، وُلدت في محافظة الجيزة مركز الصف سنة ١٩٠٩م، حفظت القرآن الكريم على يد جدي الشيخ محمود خليفة أبو سُنَّة رحمه الله، وتلقيت عليه من القرآن الكريم بعض الكتب الصغيرة في علمي التجويد والنحو، وكان للكتاتيب على أيامنا دور بارز في نشر كتاب الله تعالى.

### في رحاب الأزهر الشريف:

ولما جاوزت السنة ١١ من عمري التحقت بالأزهر سنة ١٩٢١ وقطعت مرحلتيه الابتدائية والثانوية في القاهرة، وتلقيت فيهما العلم على يد

(١) نشرت بتاريخ ٢٠٠٧/١/١٧م، في موقع: (الإسلام في سورية) www.islamsyria.com وأصل المقالة نشرها الأستاذ ناصر وهدان في مجلة (الأزهر).

كثير من كبار علماء الأزهر في ذلك الوقت، مثل الشيخ يوسف حجازي في الفقه، والشيخ عبدالرؤوف الرفاعي في النحو، والشيخ محمد المدلل، وغيرهم الكثير.

وأذكر أنه قد ألغيت الدراسة الأزهرية وأنا في السنة الأولى من القسم الابتدائي؛ بسبب قيام المظاهرات ضد الاحتلال الإنجليزي، واشتراك طلاب الأزهر فيها، وبطبيعة الحال لم يحصلوا علماً فتعطلت الدراسة وألغيت الامتحانات، ثم عادت الدراسة مرة أخرى في العام التالي **١٩٢٢/١٩٢٣**.

وأذكر من زملائي في تلك الفترة على سبيل المثال الدكتور حسن عون الأستاذ بجامعة القاهرة قسم الدراسات العربية والحاصل على الدكتوراه من فرنسا، والأستاذ محمود الأزرق الذي عمل بالقضاء الشرعي بعد ذلك، والشيخ شغبون، وغيرهم الكثير.

أما عن نظام الدراسة في هذين القسمين فقد كانت مُحبَّبة للجميع، وكنت مع دراستي أحب الاطلاع على الكتب، ولا سيما كتب الفقه والأدب.

## تطوير منهج الأزهر:

ومع بداية التعليم الثانوي سنة **١٩٢٦/١٩٢٧**م نشأ على عهدنا منهج في الأزهر متطور جمع فيه بين علوم الأزهر المتعارفة القائمة على المتون والشروح وبين العلوم الحديثة كالطبيعة والكيمياء والرياضيات والجغرافية والتاريخ، فكان الطالب يدرس دراسة مزدوجة في عهد مشيخة الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي، ثم أدركنا مشيخة الشيخ محمد مصطفى المراغي الأولى سنة **١٩٢٨**، ثم مشيخة الشيخ الأحمدي الظواهري سنة **١٩٢٩**، وكان ذلك في آخر القسم الثانوي.

## في التعليم العالي:

ثم انتقلنا إلى السنة الأولى من القسم العالي في سنة **١٩٣١**، وهي ذات الدراسة على النظام القديم حضرناها في الجامع الأزهر على يد كثير من العلماء أمثال الشيخ أحمد عبدالسلام في الفقه، والشيخ حامد جاد في التفسير، وغيرهما.



## التحاقه بكلية الآداب بجامعة القاهرة:

وفي هذا الوقت بدأت كلية الآداب بجامعة القاهرة تفتح أبوابها لطلاب الأزهر ودار العلوم، وكنت من الذين تاقَتْ أنفسهم للتعرُّف على التعليم الجامعي، فجمعت بين النظامين الأزهري والجامعي، وكنت أتلقى العلم هنا وهناك، ساعدني في ذلك تشجيع الأساتذة لي في كلية الآداب الذين درست على أيديهم أمثال الدكتور أمين الخولي في الحديث، والدكتور أحمد أمين في قاعة البحث، والدكتور إبراهيم مصطفى في النحو، والدكتور أحمد الشايب في الأدب.

وكان ذلك على عهد طه حسين الذي فتح باب الالتحاق بكلية الآداب، وشجَّع عليه الطلاب وبخاصة طلاب الأزهر ودار العلوم.

## عودته للأزهر وتفرغه للدراسة الشرعية:

وما هي إلا شهور معدودة وقد أوشك العام الدراسي على الانتهاء وعلم والدي رحمه الله، وكان من أقران أساتذتي في كلية الآداب، برغبتي في المضي في التعليم الجامعي على حساب دراستي في الأزهر، فأقنعني وأقنع أساتذتي - لمعرفته بهم باعتبار أن أغلبهم من دار العلوم أو القضاء الشرعي - بعودتي للأزهر والتفرغ للدراسة الشرعية فيه وحده، فأكرمني الله بسبب بُعْد نظر والدي رحمه الله.

## افتتاح الكليات الأزهرية النظامية:

وبعد نجاحي في السنة الأولى من القسم العالي وبداية السنة الثانية منه، افتتحت الكليات الأزهرية النظامية، وهي الشريعة وأصول الدين واللغة العربية في عهد مشيخة الشيخ محمد الأحمدي الظواهري.

## التحاقه بكلية الشريعة:

وبعد اطلاعي على مناهج الكليات الثلاث السابقة، اخترت الالتحاق بكلية الشريعة، فكان الطالب الذي أمضى سنة بالقسم العالي من أمثالي

يلتحق بالسنة الثانية بكلية الشريعة مباشرة، بخلاف الطلاب الحاصلين على الثانوية الأزهرية فإنهم عند التحاقهم بالكلية يدخلون السنة الأولى كطلاب جدد على الدراسة الجامعية.

ولذلك كانت الدراسة بالنسبة لنا شاقة، فقد وزع علينا منهج الكلية على مدى ثلاث سنوات بدلاً من أربع.

## أساتذته في هذه المرحلة:

أما عن أساتذتي في هذه المرحلة فهم على سبيل المثال: الشيخ حسن البيومي، والشيخ يوسف المرصفي، والشيخ محمد عبدالفتاح العناني، أولئك الذين درسوا لي علم الأصول، والشيخ محمد عرفة في التفسير، والشيخ عبدالرحمٰن تاج شيخ الجامع الأزهر بعد ذلك.

## نظام الإصلاح بالأزهر:

وأذكر أنني قطعت سنوات الكلية بجد وحزم حتى تخرجت ونلت الشهادة العليا منها، والحق يقال: إن الذي وضع نظام الإصلاح بالأزهر وإنشاء الكليات هو الشيخ المراغي، ولكن الذي نفذ هذا الإصلاح هو الشيخ الأحمدي الظواهري، ثم عاد الشيخ المراغي في سنة **١٩٣٦**م وواصل إصلاحه للأزهر وتخرج في عهده أول فوج من طلاب الدراسات العليا قسم الأساتذة.

## أول دكتوراه في الأزهر:

وفي سنة **١٩٣٥** التحقت بالدراسات العليا بالكلية، وكانت مدتها طويلة وبلا مكافآت تشجيعية في هذه المدة، فلما جاء الشيخ المراغي قرَّر منح طلاب هذا القسم مكافآت أعانتهم على الاستمرار فيه.

وفي سنة **١٩٤٠** نجحت في الدرسات العليا، وحصلت على الشهادة العالمية من درجة أستاذ دكتوراه كمتخصص في الفقه والأصول وتاريخ التشريع، وكان نظام التخصص على عهدنا قسمين:



(أ) **القسم الأول:**

١ ـ تخصص للحصول على العالمية مع إجازة التدريس، وكانت مدته سنتين يعمل بها صاحبها مدرساً في المعاهد الأزهرية.

٢ ـ تخصص للحصول على العالمية مع إجازة القضاء بعدها، وصاحبها يكون قاضياً في المحاكم الشرعية.

(ب) **أما القسم الثاني** من التخصُّص فهو تخصص المادة للحصول على العالمية من درجة أستاذ، وكانت مدته ست سنوات متواصلة ينتقى طلابه من الأوائل؛ ليعملوا فور تخرجهم ونجاحهم مدرسين في الكلية نفسها.

وكان موضوع رسالتي «**العرف في رأي الفقهاء والأصوليين**»، وأذكر أنها كانت أول رسالة قُدِّمت على هذا النظام الجديد، فقد كنت أول من نُوقش في القسم على النظام الجديد للحصول على الدكتوراه، وهذه الأولية هي أولية زمانية بمعنى كوني الأول في القسم الذي نوقشت رسالته؛ لأن اسمي يبدأ بالهمزة والهمزة أول حروف العربية.

كان معي في الدراسات العليا من الزملاء: الشيخ محمد أبو النور زهير، الشيخ أحمد ندا، والشيخ طه العربي، والشيخ سيد جهلان.

## نظام امتحان العالمية:

وكان نظام امتحان العالمية من درجة أستاذ «الدكتوراه» يتكوَّن من مرحلتين، على الطالب أن يجتازها بنجاح، وكانت المرحلة الأولى عبارة عن:

١ ـ إلقاء محاضرة عامة. ٢ ـ مناقشة في مسألة علمية؛ يسمى الامتحان فيها بالامتحان في التعيين. ٣ ـ امتحان تحريري.

## لجنة تقويم المحاضرة العامة وامتحان التعيين:

وكانت اللجنة المؤلفة لتقييم المحاضرة والتعيين مؤلفة من سبعة

أشخاص برئاسة الشيخ المراغي، وعضوية الشيخ عبدالمجيد سليم مفتي مصر، والشيخ إبراهيم الجبالي، والشيخ أحمد أبو النصر، والشيخ محمد عبدالفتاح العناني، والشيخ عيسى منُّون، والشيخ محمود أبو دقيقة رحمهم الله جميعاً.

## مناقشة رسالة الدكتوراه:

فإذا اجتاز الطالب هذا الامتحان بنجاح يتأهَّب بعد ذلك للمرحلة الثانية، وهي إعداد رسالته تمهيداً لمناقشتها وتقييمها بعد كتابتها عن طريق لجنة أخرى، وهي اللجنة الخماسية، وكانت مؤلفة من الشيخ المراغي رئيساً وعضوية الشيخ عبدالمجيد سليم، والشيخ الفقيه الحقوقي أحمد إبراهيم، والشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر بعد ذلك، والشيخ يوسف المرصفي، وكانت رسالتي للدكتوراه أول مناقشة علنية في ظل نظام الشيخ المراغي الذي ظلَّ معمولاً به حتى ١٩٦١، وقد دعا الشيخ المراغي إلى هذا الامتحان كبار الشخصيات وعلية القوم من أمثال لطفي السيد باشا وغيره.

أما عن مكان مناقشة الرسالة فهو نفس مبنى كلية الشريعة القديم قبل إنشاء المبنى الجديد بالدرَّاسة وهذا المبنى القديم في الأصل كان مدرسة للقضاء الشرعي قبل إلغائها وقيام كلية الشريعة مكانها، وهذا المبنى يعرف الآن بمعهد البرموني الأزهري.

وقد اكتظَّ المبنى بالحاضرين من الضيوف والطلاب يوم المناقشة، واستحال تنظيم الجلسة حتى خشي المنظِّمون لها من تصدُّع المبنى، فقال الشيخ المراغي رحمه الله بالحرف الواحد كما رأيت في مجلة «الاثنين والدنيا»: لولا أن يقال عن مشيخة الأزهر إنها لم تستطع ضبط النظام في امتحان عُقد لأحد أبنائها لفضَّ هذا الاجتماع. وانتهت المناقشة بحصولي على لقب العالمية من درجة أستاذ في الفقه وأصوله وتاريخ التشريع، وللعلم ظل هذا اللقب معمولاً به في الأزهر لمدة ثلاثين عاماً حتى تغيَّر إلى لقب الدكتوراه، والذي ظهر في عام ١٩٦٥م.



## التدريس بالجامعات العربية:

وفي سنة ١٩٤١ عُيِّنت مدرساً في كلية الشريعة فأستاذاً مساعداً فأستاذاً، وظللت بها حتى سنة ١٩٧٤، وهو سنّ الإحالة للمعاش غير أنه ابتداء من سنة ١٩٦٠ كثُرت إعاراتي إلى الجامعات العربية، مثل دمشق سنة ٦٠ ـ ١٩٦١، وجامعة ليبيا بكلية الحقوق سنة ١٩٦٢، وجامعة بغداد سنة ١٩٦٧، وأخيراً جامعة الملك بن عبدالعزيز أم القرى الآن سنة ١٩٧٢، وما زلت بها أستاذاً للدراسات الشرعية حتى الآن، وأحضر لمصر في الإجازات الصيفية.

## عنايته بالدراسات الشرعية المختلفة:

ومنذ تخرجي وعلى مدى ٥٠ عاماً تقريباً، وأنا معنيٌّ بالدراسات الشرعية المختلفة بما في ذلك تخصُّصي في الفقه وأصوله وتاريخ التشريع، مثل السياسة التشريعية، والاقتصاد الإسلامي، ومقاصد الشريعة، ومصطلح الحديث، والتفسير، وأخيراً التصوف الذي اضطررت إلى تدريسه في الجامعة الليبية بسبب تغيب أستاذ المادة الدكتور عمر الشيباني، وكان ذلك أثناء فترة تدريسي بالجامعة الليبية.

## عضو مجمع البحوث الإسلامية:

وفي مشيخة الشيخ بيصار، وبالتحديد في سنة ١٩٨٠م عُيِّنت عضواً في مجمع البحوث الإسلامية أثناء إعارتي لجامعة أم القرى بمكة، وبرغم إعاراتي لكثير من الجامعات العربية فقد حضرت العديد من جلسات المجمع، خاصة ما ينعقد منها في الإجازات الصيفية.

## مظاهر التكريم:

ومن مظاهر التكريم التي حظيت بها طوال فترة حياتي أنني حصلت على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى في العيد الألفي للأزهر الشريف سنة ١٩٨٣.

## عضو مجمع الفقه التابع لرابطة العالم الإسلامي:

وفي نفس الوقت عُينت عضواً بمجمع الفقه التابع لرابطة العالم الإسلامي، حيث نجيب عن الفتاوى التي تعرض علينا في مؤتمرات مجمع الرابطة في صورة قرارات.

## أهمية المجامع العلمية:

وهذه المجامع مثل مجمع البحوث ومجامع الفقه الإسلامي الأخرى يجب أن تظل قائمة، وأن يعظم نشاطها في بيان شرع الله وإصدار الفتاوى العلمية الصحيحة فيما يحتاج إليه الناس وفيما يختلف فيه الكاتبون في الصحف، فإن الناس لا يطمئنون إلا إلى أمثال المجامع وعلى رأسها مجمع البحوث في الأزهر حتى نمنع أي مُفْتئت على الشريعة بغير علم، وبذكر أحكام في الصحف ما أنزل الله بها من سلطان، وها نحن الآن نسمع في الربا أفكاراً غريبة ينسبها الناشرون إلى الشريعة بتعليلات واهية ولا تستند إلى الحق في شيء، والذي ينبغي أن يسأل فيه أهل الذكر، وهم القائمون بهذه المجامع حتى يطمئن الناس على دينهم ومعاملاتهم.

## نشاطه في مجمع البحوث الإسلامية:

أما عن نشاطي في مجمع البحوث الإسلامية فأذكر أنه في مرة استفتاني المجمع وأنا بالسعودية في حكم شهادات الاستثمار فقلت بحرمة المجموعة (أ، ب) منها معللاً ذلك بالأدلة والأحكام في حينها أما المجموعة (ج) منها فذكرت رأيي وهو أن فيها شبهة ربا؛ لأنها ليست نوعاً من المضاربة، فالذي يدفع للبنك ليس من أجل المساهمة في مشاريع الدولة، وإنما من أجل الكسب، فالدافع إنما يدفع انتظاراً ليوم السحب فإن ظهر اسمه بين الفائزين نال الجائزة وإلا فلا، فهذا المال الذي يأخذ وقت السحب عند فوزه يأخذه مقابل ماذا؟! ولهذا ليست شهادات استثمار المجموعة (ج) ربا صريحاً. وإنما فيها شبهة الربا بناء على ذلك.



## موقفه من التأمين التجاري:

وفي مؤتمر الاقتصاد الإسلامي بمكة المكرمة المنعقد سنة ١٩٧٦ عُرضت علينا مسألة التأمين التجاري على الحياة فرفضناه كما رفضناه في الستينيات؛ لأنه باطل لما فيه من ربا وغرر وقمار، وإن كنا قد أجرينا بديلاً عنه التأمين التعاوني القائم على إيداع مجموعة من الأفراد مقداراً معيناً من المال لخدمة الأعضاء من علاج وإعانة، وما إلى ذلك من أنشطة للأعضاء بشرط أن ما يتبقى في الصندوق عند نهاية العام لا يرد ويجوز أن يستثمر عن طريق المضاربة والشركات ذات الربح الحلال، ثم يوزع الربح على المودعين كل بمقدار نسبة مساهمته في المشروع.

## مؤلفات وبحوث:

ومن أهم المؤلفات والبحوث التي نُشرت لي:

١ ـ كتاب «العرف في رأي الفقهاء والأصوليين»، وهي رسالتي للدكتوراه. ٢ ـ كتاب الوسيط في أصول الفقه. ٣ ـ كتاب نظرية الحق في الفقه الإسلامي. ٤ ـ بحث حقوق المرأة السياسيَّة في الإسلام.

ولديَّ كتب تحت الطبع من أهمها:

٥ ـ نظرية العقد في الفقه الإسلامي. ٦ ـ عقد الزواج. ٧ ـ مقاصد الشريعة. ٨ ـ الاقتصاد الإسلامي. ٩ ـ محاضرات في أصول الفقه. ١٠ ـ نظرية العقد، ونظرية الملك، ونظرية الضمان.

## محاضراته عن «حقوق المرأة في الإسلام»:

١١ ـ فضلاً عن إلقاء المحاضرات وحضور الندوات المختلفة في الفقه والاقتصاد الإسلامي منها محاضرة ألقيتها في جمعية الشبان المسلمين في سنة ١٩٥٦/١٩٥٥م بعنوان «حقوق المرأة في الإسلام»، وكانت رداً على دعاوى القائلين وقتها بأحقية المرأة في الحكم والقضاء، ولكن ما وصلت إليه من البحث والاطلاع بيَّن لي أن المرأة لا تصلح للولايات العامة مثل

الخلافة كرئيس أعلى للدولة أو القضاء كقاضية، وإن كانت تصلح للولايات الخاصة وعلى أثر ذلك استفتي الأزهر.

## مقالاته في المجلات:

١٢ ـ تحرير بحوث ومقالات بمجلة الأزهر ومجلة رابطة العالم الإسلامي، ومن بينها على سبيل المثال بحث في «الإشهار في العقود»، وآخر باسم «حماية الفقه الإسلامي».

## أحاديثه الإذاعية:

١٣ ـ أحاديث إذاعية بغرض التعريف بالإسلام على هيئة فتوى فقهية بدأت في إذاعة بغداد أثناء إعارتي لجامعة بغداد سنة **١٩٦٨**.

## منهجه في البحث:

أما عن منهجي في بحوثي وكتبي فيقوم على الأدلة الشرعية الصحيحة من كتاب الله تعالى القرآن الكريم وسنَّة الرسول المصطفى ﷺ وإجماع علماء المسلمين والقياس والمصالح المرسلة وأن يدون الفقه بأسلوب القواعد والنظريات.

## جبهة علماء الأزهر والشيخ أبو زهرة:

أما معرفتي بالشيخ أبي زهرة، فقد تعرفت عليه حينما دعاني للاشتراك معه في إصدار موسوعة السنة، وكان ذلك في الخمسينيات حوالي سنة **١٩٥٧/٥٦**م، ثم تقابلنا معاً بعد ذلك في جبهة علماء الأزهر، وهي هيئة من كبار علماء الشريعة بمصر عددهم ما بين عشرين إلى ثلاثين عالماً، وقد تكوَّنت بغرض الدفاع عن الدين وما يصدر عن العامة من الشُّبه والانحرافات التي تنشر أو تفعل اعتداء على الشريعة، وكان مقرّ هذه الهيئة أحد المساجد الموجودة بشارع نوبار بالقاهرة.

والواقع أن الشيخ أبا زهرة كانت ميزته التي تبرزه عن أقرانه هي كثرة



مؤلفاته، فما من موضوع يمتُّ إلى الشريعة ويشغل الناس إلا وكتب فيه كتاباً مثل كتاب «العلاقات الدولية في الإسلام» و«التكافل الاجتماعي في الإسلام»، وكتب في الأعلام من الفقهاء وغير ذلك.

والحق أنَّ كتاباته جيدة وبخاصة الكتب التي درسها في الجامعة مثل كتبه عن الأئمة الأعلام، فالشيخ أبو زهرة ما قصَّر في حياته، فقد صرف أيامه في الدفاع عن الشريعة. وأذكر قوله لي: «ممَّا منَّ الله علي: أني كنت خاملاً فرفعني طلب العلم» رحمه الله تلك كانت عبارته. وكان وهو يستقل القطار لإلقاء المحاضرات في جامعة الإسكندرية وغيرها من الجامعات يقطع وقته في الاطِّلاع؛ لذا أثرى المكتبة الإسلامية.

أضف على هذا شجاعته في الحق فكان لا يخاف فيه لومة لائم، فقد اعترض على الربا، ورفض التأمين التجاري على الحياة وأعلن رأيه صراحة وكنا في مؤتمر الفقه الإسلامي الذي انعقد في دمشق إبان الوحدة بين مصر وسوريا، وقد حضرت المؤتمر مندوباً عن الأزهر، وحضر الشيخ أبو زهرة مندوباً عن الجامعة المصرية، وكان مقرر المؤتمر الشيخ علي الخفيف، وأراد الشيخ الخفيف والدكتور مصطفى الزرقا جواز إباحة التأمين على الحياة فاعترضت مع الشيخ أبي زهرة على ذلك معتمدين على بيان الأدلة الشرعية في ذلك فرفض المؤتمر إجازته.

## إشرافه على عدد كبير من الرسائل الجامعية:

بدأت التدريس في الدراسات العليا في الستينيات، وبخاصَّة لطلاب الجزء الأول منها، وهو الدراسة المنهجية للفقه وأصوله من الناحية النظرية تمهيداً لإعداد الطالب للجزء الثاني والأخير وهو تحضير الرسالة ومناقشتها، ثم شاركت وأشرفت على كثير من الرسائل العلمية أذكر منها رسالة بعنوان «الرخصة والعزيمة»، وكانت في آخر الستينيات، وأخرى بعنوان: «طرق القضاء» سنة **١٩٧٤**، ورسالة «فقه عمر»، و«مقاصد الشريعة»، و«دلالة السكوت» لطالبة سعودية، و«رفع الحرج» سنة **١٩٨٦**، و«نظرية الخطأ»، و«تطور النقود في الإسلام»، و«السياسة المالية في الاقتصاد الإسلامي»،

وأخرى حول «العمل في الإسلام». وهناك رسائل أخرى للدكتوراه قيد المناقشة منها «الحقوق المقدمة عند التزاحم» للطالبة السعودية شادية الكحكي، و«الأجل في عقد البيع» للطالب التركي عبدالله أوزجان، و«الآثار الإسلامية للوقف» للطالب الكويتي عبدالله السميط.

## مواقف وذكريات لا تنسى:

من الذكريات التي لا تنسى: مشاهد الحج لبيت الله الحرام، وكانت بالنسبة لي في سنة ١٩٤٩، كنت وقتها مدرساً في كلية الشريعة بالقاهرة وذهبت مع بعثة الأزهر للسعودية لأداء مناسك الحج لأول مرة، ولا أستطيع أن أصف أو أعلل مدى فرحي وسروري وبهجتي وقتها.

الموقف الثاني يوم تعييني مدرساً في كلية الشريعة التي مكنّني فيها الله سبحانه وتعالى أن أفضي على طلابي بكلٍّ ما حذقت من العلم وما منحني الله من مواهب تساعد على ذلك، فما بخلت على طلابي بشيءٍ أشعر أنه ينفعهم.

## أمنيته الخاصَّة والعامَّة:

وعن أعزِّ أمنية لي وليس لي في الحياة بعدها حاجة هي إخراج كتبي التي كتبتها وهي قيد الطبع الآن، أما أمنيتي العامة هي أن يعود الأزهر إلى عهده الأول من إنهاضه للعلوم الإسلامية وترقية الناحيتين الدينية والعلمية في أذهان طلابه؛ حتى يكونوا مُؤهَّلين لنشر دعوة الإسلام في الداخل والخارج.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑



# أحمد فهمي أبو سُنَّة
## بين العلم والحياة... سيرة موجزة لعالم(١)

بقلم: وفاء سعداوي

## فَقْد الأعلام:

هل كُتب علينا ألا يغادرنا سراً ومن دون كلمة وداع إلا من كانوا يستحقون منا كل احتفاء وتكريم، وأن تلهج الألسنة بذكرهم تقديراً ووفاء؟ وهل صار الرحيل في صمت وتعتيم هو دأب الأعلام والعلماء فصاروا إذا غابوا لم يُفتقدوا بعد أن حضروا ولم يُذكروا؟!

أخشى أن تكون الإجابة نعم، وبكل أسف!

## رحيل العلامة الأصولي:

فقد مضى ما يقرب من الشهر ولم نقرأ أو نسمع نبأ رحيل العلامة الأزهري وشيخ الأصوليين الدكتور أحمد فهمي أبو سنَّة أستاذ أصول الفقه بجامعتي الأزهر الشريف وأم القرى الذي وافاه الأجل ليلة السبت (٢٣ رجب ١٤٢٤هـ = ٢٠ سبتمبر ٢٠٠٣م)، والذي كان آخر حبة في عقد من

(١) نشرت بتاريخ ٢٠٠٣/١/١٤م، في موقع: (الإسلام في سورية) www.islamsyria.com.

العلماء المُجدِّدين العاملين من أبناء جيله (ولد ١٩٠٩م)، فقد أمضى حياته كلها عالماً ومعلماً فنفع الله به كثيراً، وتخرجت عليه أجيال حَمَلت لواء العلم والدعوة في بلده مصر وفي الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام والمغرب العربي وتركيا وكثير من أنحاء العالم الإسلامي.

## كتابه «العرف والعادة»:

ولا يذكر شيخنا العلامة رحمه الله إلا ويذكر معه كتابه العظيم وهو أول كتبه «**العرف والعادة في رأي الفقهاء والأصوليين**» الذي وضعه قبل أكثر من ٦٠ عاماً، وحصل به على أول دكتوراه من الأزهر الشريف (نوقشت في ٢٠ ـ ١ ـ ١٩٤١)، وهي شهادة العالمية من درجة أستاذ والتي أصبح لقبها الدكتوراه بدءًا من عام ١٩٦١، فقد كان رائداً في بابه ومرجعاً لكل ما كتب عن العرف والعادة في الفقه فيما بعد.

## الوسيط في أصول الفقه:

وإذا كان ذلك الكتاب قد أدخل إلى باب تنزيل الأصول على الجزئيات فإن كتابه «**الوسيط في أصول الفقه**» يسهم في تقريب تلك الأصول ذاتها، فقد لمس الشيخ الجليل الصعوبة التي يجدها كثير من طلبة العلم الشرعي في فهم كتب التراث الأصولي لدقَّة عباراتها وصرامة منهجها من جهة، وللضعف العام الذي لحق الطالب لظروف وملابسات كثيرة لا مجال للخوض فيها هنا، من جهة أخرى. فأراد الشيخ أن يقرب عبارة أصل من أصول كتب السادة الأحناف وهو «كتاب التوضيح في حلِّ غوامض التنقيح» للشيخ الإمام صدر الشريعة «الحفيد» ت٧٤٧هـ الذي وضَّح به كتابه «التنقيح» الذي نقح فيه أصول فخر الإسلام البزدوي، فاختار الشيخ أبو سنَّة القسم الثاني منه، وكان يقوم بتدريسه لطلبته بالسنة الثانية بكلية الشريعة عام ١٩٥٥ فقرَّب صعبه وأوضح مشكله، واستدرك وزاد عليه وخالفه ووافقه؛ فجاءت عبارته سهلة واضحة ومبينة، وساعده على ذلك أنه كان رحمه الله يجمع منذ حداثته بين علوم الشريعة وعلوم الأدب واللغة فأفاد وأجاد، فجاء كتابه



وسيطاً بين الطلبة وبين علم باذخ حجبت أكثرهم منه صوارف العجز عن مواصلته وتفهمه.

ولأن طبعة هذا الكتاب الوسيط في أصول الحنفية الأولى كانت قد صدرت قبل ٤٥ عاماً ونفدت منذ زمن طويل فقد أعاد تلميذه د. محمد سالم أبو عاصي الأستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر إخراجه على صورته الأولى ليملأ مكاناً شاغراً في الدراسات الأصولية، ويبل غلة أهل العلم وتشوقهم إلى مطالعته.

## أهمية تيسير علوم الدين:

وقد كان للشيخ أبو سنَّة رؤية في إصلاح الأزهر، من ركائزها: أهمية تيسير علوم الدين للطلاب، وذلك بإعادة كتابتها بأسلوب جامع بين السهولة والتهذيب والتحقيق العلمي الكامل مع المحافظة على التراث الأول. وبهذه الروح كتب شيخنا بحوثه في أصول الفقه مقرِّباً البعيد من أساليب الأوائل ومصفياً الرحيق من شهد الأكابر؛ لتكون لبنة من بناء النهضة الحديثة بالأزهر الشريف الذي وضع أساسها الشيخ مصطفى المراغي والشيخ الأحمدي الظواهري.

## صلته بكتب الإمام ابن الهمام:

وقد عرف عن الشيخ الجليل أبو سنَّة ولعه بكلِّ ما يتعلق بالأصول علماً وثقافةً ومعايشةً، حتى إنه من فرط حبه وإجلاله للإمام الفحل علم الأصوليين الكمال ابن همام، كان يَعُده صديقاً شخصياً له فكان لا يذكره إلا ويقول: صديقي ابن الهمام، وكان عظيم الاهتمام بكتابيه «المسايرة» في العقائد و«التحرير» في الأصول، فنراه في هذه المحاضرات يتأثر بطريقة «صديقه» الكمال في كتابة الأصول.

## جمعه في كتابته الأصولية بين طريقتي الحنفية والشافعية:

ورغم أنه كان حنفي المذهب أباً عن جد معتزاً بذلك فإنه في كتابته الأصولية كان يجمع بين طريقة كل من الأحناف والجمهور، ويرجِّح ما يراه

راجحاً في ميزان التحقيق من غير نظر إلى موافقته أو مخالفته مذهبه، فقد كان معروفاً بحبه للبحث والنظر، وتقليب وجوه الرأي، ورفضه التقليد والاتباع غير المستبصر لأقوال السابقين.

وهذا المنهج الذي سلكه شيخنا في كتبه ومحاضراته حصل له بعد زمن طويل قضاه في ممارسة علوم الشريعة واللغة، فقد كان والده قاضياً شرعياً ببلدته الصف وشاعراً ورئيساً للبعثة التي كان تخرج من مصر بأمر السلطان حسين كامل لمساعدة المجاهدين في ليبيا بقيادة الملك إدريس السنوسي.

## في دمشق الفيحاء:

ومن الفترات التي كان الشيخ الجليل يعتزُّ بها في حياته: عام قضاه في دمشق الفيحاء **١٩٦٠ ـ ١٩٦١** أثناء الوحدة بين مصر وسوريا؛ إذ كان يعتبرها أخصب سنوات حياته بركة في الوقت والجهد والنشاط، فقد درس فيها لطلاب كلية الشريعة بجامعة دمشق أصول الفقه بصفة أساسية وبعض المواد الأخرى الفرعية، ولاقى من تواصلهم ما بعث في نفسه الرغبة في المزيد من التجويد والإبداع فيما يلقيه عليهم، وقابل الطلبة ذلك بالحرص على كل ما يتلقَّونه من أستاذهم فعملوا على تجميع محاضراته وتنسيقها وكتبوها على الآلة الكاتبة وقابلوها على الشيخ الذي أعاد تحريرها وألَّف بينها على الوجه الذي نراه في كتابه: «**دراسات أصولية ـ محاضرات في أصول الفقه**».

## مكتبته الحافلة:

وكان للشيخ مكتبة تحتل دوراً بأكمله من منزله العامر بضاحية حلوان بالقاهرة على مساحة ١٦٠م تغطِّي حوائطها الآلاف من أمهات الكتب في الفقه والأصول والقانون والتفسير والحديث واللغة بفروعها من نحو وبلاغة وصرف وشعر وغيرها والاقتصاد والتاريخ الإسلامي القديم والحديث والمذاهب والاتجاهات الفكرية وغيرها من العلوم والمعارف التي وضعها بين



يدي تلاميذه ينهلون منها ما يشاؤون من المعرفة وقتما شاؤوا، وكان يستقبل تلامذته طوال اليوم في مكتبته الخاصة المنفصلة عن منزله حتى يرفع عنهم حرج الزيارة والمكوث طويلاً، بل كان يقوم رحمه الله على خدمتهم وضيافتهم بنفسه، خاصة الوافدين من خارج البلاد حتى بعد اعتلال صحته.

## زهده في المناصب:

وقد عُرف عن الشيخ أبو سنَّة زهده في المناصب وحرصه على الاقتصار على مهام العالم والمربِّي فحسب، فرفض كل المناصب التي عُرضت عليه بما فيها المناصب الإدارية بالجامعة الأزهرية حتى إنه لم يقبل بعمادة كلية الشريعة، بل منصب وزير الأوقاف.

## تفرغه للتعليم وتخريج الأجيال من طلاب العلم:

وتفرغ رحمه الله لتعليم الطلاب والباحثين فتخرجت على يديه أجيال كثيرة من شتى البلاد العربية والإسلامية بعضهم تولى أكبر المناصب العلمية في بلده. ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ صالح مرزوق، الأمين العام للمجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي بمكة، والشيخ صالح بن عبدالله بن حميد إمام وخطيب المسجد الحرام، ود.عبدالله السميط عضو مجلس الشورى الكويتي.

## طلابه الأتراك:

وكان له في تركيا أيضاً عدد من التلامذة، من أشهرهم: محمد أمين سراج القطب البارز بحزب السعادة الإسلامي بتركيا. والداعية المربِّي والعالم العامل د.عبدالله أوزجان أستاذ الشريعة بجامعة سكاريا بتركيا، وكان من آخر تلامذته الذين كان يشرف على رسائلهم العلمية قبل وفاته «يشار أحمد شريف» ممثِّل الإفتاء اليوناني في الخارج.

## عطفه على تلاميذه:

وقد كان لتلاميذه الوالد العطوف الذي فتح لهم أبواب صدره وبيته

ومكتبته التي تحوي مخطوطات نادرة عرض عليه مبالغ باهظة لشرائها إلا أنه فضل أن يستفيد بها طلبة العلم مجاناً وزوَّدهم بتوجيهاته القيمة غير مقتصر على وقت من ليل أو نهار حتى لو لم تكن ظروفه الصحية تسمح بذلك، فقد كانوا يملون وهو لا يمل، وكانت لقاءاته معهم حلقات علمية مثمرة وعبادة وقدوة، ولا ينسى تلاميذه مواقفه وصلاته الإنسانية التي تستمر بهم حتى بعد انتهاء إشرافه على رسائلهم.

## صلته ببلدته وأعماله وآثاره:

ولم يكن ينسى أهل بلدته الريفية (الصف)، بل كانت له بصماته في كل مكان، فقد كان حريصاً على نشر الوعي الديني ومحاربة البدع من خلال دروسه وخطبه، فألغى مولد جده الشيخ أحمد أبو سنَّة الذي اعتاد أهل البلدة إحياءه، وفي المعهد الديني الذي أنشأه تلقى ثلاثة أرباع شباب البلدة تعليمهم الأزهري، وفي مدرسته لتحفيظ القرآن الكريم يدرس سنوياً ٨٠٠ طالب من الأطفال والرجال والنساء يحمل منهم القرآن الكريم كل عام ١٣ تقريباً، وتجرى بينهم مسابقات حفظ القرآن الكريم التي توزع جوائزها في حفل إحياء ليلة القدر كل رمضان بمنزله بالبلدة، بالإضافة إلى المقابر الشرعية، والمستوصف الطبي، والوحدة الزراعية، ومبنى البريد، والمدرسة الابتدائية، وغيرها من المؤسسات التي أنشأها.

## رابطة آل أبو سنة:

وقد كانت له تجربة فريدة في رعاية عائلته الكبيرة الممتدة فحرصاً على تضامنها أسس «رابطة آل أبو سنَّة»، ووضع لائحة تحدد أهدافها، وهي تحقيق التواصل بين أفرادها ونبذ الخلاف وتذليل المصاعب أمام أفرادها لممارسة العمل العام، وحدَّد اجتماعاً دورياً يوم الأربعاء الأول من كل شهر، وشكَّل لجاناً مثل لجنة الصلح بين المتخاصمين، ولجنة المواريث لتوزيع الميراث حسب أحكام الشريعة لتحقيق هذه الأهداف ضمَّت عُمداء العائلة الأكثر تعلماً ونشاطاً في خدمة الأسرة، وعُيِّن مسجلاً لمحاضرات



الاجتماعات ورئيساً للرابطة ينوب عنه، ومسؤولاً مالياً يتولى الإنفاق في المساعدات وأمين الصندوق.

## تعليمه وتربيته لأسرته:

ورغم مسؤولياته العلمية والدعوية فإنه تحمَّل تبعته تجاه أسرته وفي بيته، فكان خير معلم ومُربٍّ للأولاد، له عظيم الأثر في حياتهم؛ إذ بثَّ فيهم روح الفضيلة والدين وحب العلم، ولم يحرمهم من أشعاره فخصهم بقصائده خاصَّة في المناسبات كأيام ميلادهم ونجاحهم وزواجهم، حتى إنه خصَّ إحدى بناته بخمس عشرة قصيدة.

## مساعدة زوجته له:

وساعده في ذلك زوجته التي كانت خير معين له في رحلته العلمية والدعوية، فكانت العين التي يقرأ بها ويرى بها الحياة؛ إذ كان رحمه الله قد تعرض لحادث في طفولته تسبَّب في ضعف بصره إلى أن فقده عندما تقدَّم به العمر، فكانت رحمها الله تكتب بخط يدها كل ما يريد الشيخ تسجيله من تأليف كتب وبحوث ومحاضرات وفتاوى ودروس وخطب الجمعة والعيدين وتقرأ به، وتكتب تعليقاته على الهوامش، ثم تسجِّل ما كتبه على شرائط كاسيت ليحمله الشيخ أينما يشاء ويسمعه، كما كانت تساعده على استقبال طلبة العلم وضيافتهم.

رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له العطاء.

□ □ □ □ □

# الشيخ عبدالرحمٰن حبنكة الميداني
## العلامة المفكّر المفسّر (١)
## (١٣٤٥ - ١٤٢٥هـ)
## (١٩٢٧ - ٢٠٠٧م)

بقلم تلميذه: مجد مكي

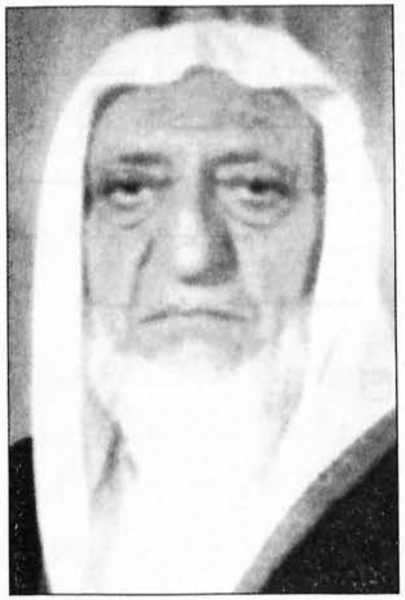

انتقل إلى رحمة الله تعالى ليلة الأربعاء **٢٥** من جمادى الآخرة **١٤٢٥**هـ، الموافق **١١** آب **٢٠٠٤**م فضيلة العلاَّمة المفكِّر المفسِّر الشيخ عبدالرحمٰن حبنكة الميداني رحمه الله تعالى عن عمر يناهز الثمانين عاماً بعد مرض عضال ألمَّ به منذ سنوات، لم يُقْعده عن إنتاجه العلمي الوفير الغزير، ولا عن تألُّقه الفكري المتميز المنير.

### ولادته ونشأته:

ولد الشيخ رحمه الله تعالى في عام

(١) نشرت بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/١٢م، في موقع: (الإسلام في سورية) www.islamsyria.com.



**١٣٤٥** الموافق لعام **١٩٢٧** في حي عريق من أحياء مدينة دمشق، وهو حيُّ الميدان الذي يتميز بالمحافظة على التقاليد العربية الأصيلة، ويعرف الكثير من رجاله بالشجاعة، والنخوة والسخاء والكرم.

ووالده هو العالم الربَّاني المُربِّي المجاهد الشيخ حسن حبنكة الميداني رحمه الله تعالى، وترجع أصول أسرة الشيخ إلى عرب بني خالد الذين تمتد منازلهم إلى بادية حماة من أرض الشام.

وقد نشأ الشيخ في بيت دينٍ وعلم ودعوة وتربية، وترعرع في أكناف والده، يحوطه بعنايته ورعايته، ويُعِدُّه ليكَون خليفة له في العلم والدعوة.

### معهد التوجيه الإسلامي مؤسسة علميّة جامعة:

تلقى الشيخ دراسته في معهد التوجيه الإسلامي على المنهج العلمي الأصيل مع التربية العملية، حيث كان والده الشيخ حسن يكلِّف طلابه بإعداد الدروس وإلقاء الخطب في المساجد مما كان له أعظم الأثر في تمكنُّهم من الخطابة والوعظ والتعليم، وفي تكوين شخصياتهم العلمية والدعويَّة...

وبدأ الشيخ عبدالرحمٰن يُعلّم منذ كان عمره خمس عشرة سنة في معهد والده.

### متابعة الدراسة والتحصيل:

ولما تخرَّج في المعهد سنة ١٣٦٧هـ (١٩٤٧م) أسند إليه تدريس مواد مختلفة فيه، منها علوم الفقه، والأصول، والتوحيد، والمنطق، والبلاغة حتى سنة ١٣٧٠، إذ انتسب إلى كلية الشريعة في الأزهر الشريف، حتى حاز على الشهادة العالية (ليسانس في الشريعة)، من الكلية المذكورة، ثم حاز على شهادة العالمية مع إجازة في التدريس، (ماجستير في التربية وعلم النفس).

## تدريسه في ثانويات دمشق، وتسلّمه مديريّة التعليم الشرعيّ:

وبعد تخرُّجه في الأزهر الشريف صار أستاذاً في ثانويات دمشق الشرعيَّة والعامَّة، إضافة إلى التدريس في معهد أبيه. وتسلّم مديرية التعليم الشرعي التابعة لوزارة الأوقاف، وكان في إدارته حكيماً رشيداً، يعمل بهمة وصمت، ومن أهم ما أنجزه في إبَّان إدارته: تأسيس عدد من المدارس الشرعية في بعض المحافظات السورية، منها: ثانوية شرعيَّة للإناث بدمشق وأخرى بحلب.

## إقامته في المملكة العربية السعودية، وتدريسه الجامعي:

في سنة (١٣٨٧)هـ (١٩٦٧م) انتقل إلى العمل في المملكة العربية السعودية، وعمل أستاذاً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض لمدة سنتين، ثم انتقل عمله إلى مكة المكرمة، فعمل أستاذاً في جامعة أم القرى زهاء ثلاثين عاماً. وقد أسند إليه في هذه الجامعة تعليم مواد مختلفة، دينية ودعوية، ولما بلغ من عمره المبارك سبعين عاماً أُعفي من عمله الرسمي في الجامعة، واختير عضواً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وعضواً في مجلس هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.

## نشاطاته العلميّة والدعويّة والإعلاميَّة:

وكان له الكثير من المشاركات في المؤتمرات والندوات، منها: مؤتمر التعليم الإسلامي، ومؤتمر الاقتصاد الإسلامي، اللذان عُقدا في مكة المكرمة، ومؤتمر الأدب الإسلامي الذي عُقد في «لكهنو» الهند، ومؤتمر الدعوة والدعاة الذي عقد في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم. وله مشاركات كثيرة في إلقاء المحاضرات العامة، والأمسيات، والندوات العلمية، ضمن الأنشطة الثقافية داخل جامعة أم القرى وخارجها.

وله إسهامات تلفازية وإذاعية، وقد استمر في تقديم أحاديث إذاعية يومية أو أسبوعية ما يزيد على ٣٠ عاماً.



## إنتاجه العلميّ:

كان الشيخ رحمه الله شديد الحرص على وقته، فلا يكاد يُرى إلا قارئاً أو كاتباً، أو محاضراً أو مناقشاً، وكان ذا دأب وجَلَد على العلم المتواصل، وكان موسوعي الثقافة، واسع الاطلاع.

تميَّز نتاجه العلمي بالغزارة مع العمق والشمول، وقد جمع في كتاباته بين القديم والحديث، وبين التخصص الشرعي الدقيق والعلوم الدنيويَّة العصرية.

## من نتاجه المطبوع:

**أولاً ـ سلسلة في طريق الإسلام، منها:**

١ ـ العقيدة الإسلامية وأُسُسُها. ٢ ـ الأخلاق الإسلامية وأسسها. ٣ ـ الحضارة الإسلامية وأسسها ووسائلها. ٤ ـ الأمَّةُ الربانية الواحدة. ٥ ـ فقه الدعوة إلى الله، وفقه النصح والإرشاد.

**ثانياً ـ دراسات قرآنية، منها:**

١ ـ قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلَّ. ٢ ـ معارج التفكر ودقائق التدبر. ٣ ـ أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع.

**ثالثاً ـ سلسلة أعداء الإسلام، منها:**

١ ـ مكايد يهودية عبر التاريخ. ٢ ـ صراع مع الملاحدة حتى العظم. ٣ ـ أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير، الاستشراق، الاستعمار). ٤ ـ الكيدُ الأحمر (دراسة واعية للشيوعية). ٥ ـ غزوٌ في الصميم. ٦ ـ كواشف زُيوفٍ في المذاهب الفكرية المعاصرة. ٧ ـ ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ.

**رابعاً ـ سلسلة من أدب الدعوة الإسلامية، منها:**

١ ـ مبادئ في الأدب والدعوة. ٢ ـ البلاغة العربية (أُسُسها وعُلومها

وصور من تطبيقاتها). ٣ ـ ديوان ترنيمات إسلامية (شعر). ٤ ـ ديوان آمنت بالله (شعر).

**خامساً ـ كتب متنوعة:**

١ ـ ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة. ٢ ـ بصائر للمسلم المعاصر. ٣ ـ الوالد الداعية المربِّي الشيخ حسن حبنكة الميداني (قصة عالم مجاهد حكيم شجاع).

ولزوجته الداعية المربية عائدة راغب الجراح الأستاذة بجامعة أم القرى سابقاً ـ رحمها الله تعالى ـ كتاب: عبدالرحمٰن حبنكة الميداني العالم المفكر المفسر (زوجي كما عرفته)، صدر عن دار القلم بدمشق، ضمن سلسلة: علماء ومفكرون معاصرون، لمحات من حياتهم، وتعريف بمؤلفاتهم.

## ومن أهم آثاره العلمية النافعة:

تفسيره التدبُّري النافع الذي طبع منه خمسة عشر مجلداً، إذ أنه اتَّجه في آخر عمره، بعد ممارسة طويلة، وتجربة ثرَّة، وخبرة عميقة، وصلة مستمرة بكتاب الله عزَّ وجلَّ إلى كتابه تفسير تدبُّري وَفْق المنهج الذي رسمه في كتابه: «قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلَّ»، وقد انتهى ـ بفضل الله ـ من تفسير السُّور المكية بكاملها، والتي تمثل ثلثي التفسير، وشرع في تفسير سورة البقرة، وهي أول ما نزل في المدينة، ولم يتوان ـ رحمه الله وأثابه رضاه ـ عن تدبره لكتاب الله تعالى، حتى وافاه الأجل المحتوم[1].

## مدرسة علميّة متميزة:

والشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ يُعَدُّ بحق مدرسة علمية متميزة قائمة بذاتها... في عطائها وإنتاجها، وابتكارها واستنباطها، وتحليلها وربطها...

(١) أصدرت دراسة تعريفيّة موجزة بكتابه (معارج التفكر) نُشرت في دار القلم، عام ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.



وقد وفقه الله سبحانه إلى ذلك الإنتاج العلمي الغزير، بما حباه الله من ذكاء وبصيرة نفاذة، وأُفق واسع، وأساس علميٍّ متين، وتمكُّن من علوم كثيرة، كعلم المنطق، والأصول، واللغة، والفقه... مع إخلاص عميق، وصلة قوية بالله عزَّ وجلَّ، واعتماد عليه سبحانه، واستشعار لفقره وحاجته الدائمة إلى عطائه عزَّ وجلَّ وعونه...

وكم كان يُردد ويقول ويؤكد: أنه ليس عنده شيء، وأن كل ما يكتبه هو من فيض عطاء الله عليه ومَدَده وتوفيقه.

وكان يؤكد في لقاءاته مع إخوانه وأبنائه من طلبة العلم على ضرورة التزام منهج الوسطية، والبعد عن الغلو والشطط في كل صوره وأشكاله... ويحذر من التبعية العمياء، والتعصب والانغلاق، ويدعو إلى دوام التفكر والتأمل والتبصر ومراجعة الأمور والنظر في عواقبها...

كما كان يرسِّخ في نفوس طلابه معاني الإخلاص والصدق، وابتغاء رضا الله سبحانه، وإيثار الدار الآخرة... ويحذر من حظوظ النفس وشهواتها وتزييناتها...

## زهده في المناصب:

وكان من أشدِّ الناس زُهداً في المناصب، وقد عرض عليه أن يكون مفتياً للجمهورية السورية، وأغري بهذا المنصب، ففرَّ منه، واضطر أن يقيم بعيداً عن موطنه خمسة وعشرين عاماً، لم يزره خلال هذه المدة الطويلة إلا في الأشهر القليلة التي عاد فيها إلى دمشق قبيل وفاته... وسمعته يقول: لقد حاول بعضهم إلزامي باستلام منصب المفتي العام، لكنني فررت منه، وأكرمني الله بالإقامة بمكة المكرمة، والتفرغ لكتابة التفسير، وهذا من فضل الله عليَّ، ولو قبلت ذلك المنصب لكنت مطية ذلولاً، وعبداً مطواعاً ولركبت سيارة فخمة سوداء تنتهي بي إلى غضب الله تعالى، فآثرت الباقي على الفاني، والعلم النافع على الزغل والزيف.

كما كان يبتعد عن الشهرة والأضواء... ويكره النفاق والتملق، وهو خبير بدخائل المنافقين، ومسالك أعداء الإسلام...

### بُعده عن الشهرة وحب العاجلة:

ومن مظاهر نفرته عن الشهرة وحُب العاجلة، أنه لم يتطلع إلى جائزة تقديرية من أي جهة علمية، وهو جدير بها، وأهل لها، بما قدم من دراسات قرآنية مبتكرة، وكتب فكرية عميقة... ولا يرضى أن ترشحه بعض الجهات لهذه الجوائز، ويعد ذلك منقصاً للأمر الذي ادخره الله سبحانه لعباده الصادقين المخلصين.

وقد رغب إليه بعض الوجهاء أن يكرمه في حفل كبير، يدعى إليه كبار العلماء والأدباء والمفكرين، يتناولون فيه عطاءه الفكري والدعوي والتربوي... ويشيدون بجهوده... ويمدحه بعضهم بقصائده فأبى وامتنع رغم الإلحاح الشديد... خوفاً من شوائب الرياء... وحب الثناء... والتفاخر.

### حبه المناقشة والحوار العلمي:

ومن أخلاق الشيخ العلمية: حب المناقشة والحوار العلمي، وسعة الصدر والتحمل لأسئلة السائلين، وكم من مرة اتصلتُ به بالهاتف في بيته بمكة المكرمة، أسأله عن قضية علمية أستشكلها، أو استغلق عليَّ فهمها، أو عن رأي قد أخالفه فيه في بعض كتبه... فكان يُسرُ جداً بتلك المناقشات، ويتَّسع صدره لها، ويُبدي وجهة نظره التي ذهب إليها ورجحها...

كما كان يفرح بكل فائدة علمية جديدة أو تصويب... وقد قمت بقراءة تفسيره الأخير، واستعرضتُ جميع كتبه النافعة... وبيَّنت له بعض الأخطاء المطبعية النادرة... وكتبت له بعض الآراء والأقوال التي ذهب إليها في كتبه السابقة، ممَّا يخالف ما ذهب إليه ورجَّحه في تفسيره التدبري الأخير... فذهب إلى ترجيح ما ذهب إليه في تفسيره، الذي وصل فيه إلى



ترجيحاته بعد دراسة متأنية لكل سورة، وسَبْر لكل كلمة قرآنية... ووعد بأن ينبه إلى ذكر ما خالف اجتهاده وترجيحه في كتبه السابقة لتفسيره، وشكرني على ما قمت به، ودعا لي بكل خير.

وقدَّمت إليه مرة كتاب: «غريب القرآن» للعلامة عبدالحميد الفراهي الهندي، وأطلعته على ما كتب حول كلمة «آلاء» ممَّا يخالف ما ذهب إليه جمهور المفسرين بقصر معناها على النعم...

وقد ذهب الشيخ إلى ما ذهب إليه جمهور المفسرين عند تفسيره لسورة النجم الآية: **٥٥**: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ وتفسيره لسورة الأعراف: ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الآية: **٦٩**، فأعجب الشيخ بما ذهب إليه الفراهي، وأيده من شواهد شعرية تفيد أن معنى «آلاء» هي: الفعال العجيبة والصفات العظيمة... ووعد بأن يذكر هذا المعنى عند تفسيره لسورة الرحمٰن، وهي من التنزيل المدني...

### تعرّفي عليه وصلتي به:

لقد حظيتُ بالتعرُّف على فضيلة الشيخ منذ قدومي إلى مكة المكرمة سنة **١٤٠٠**، وحضرت بعض دروسه ومحاضراته في الجامعة، وقرأت أكثر كتبه، وانتفعت بها انتفاعاً كبيراً، ثم كثُرت زياراتي له، واتصالي به، بعد تفرغه من عمله الجامعي، وتوجُّهه لتفسيره التدبري... فكنت أزوره في كل أسبوع بمنزله بمكة المكرمة... وقد زرته بصحبة الكثير من العلماء وطلبة العلم، ومنهم على سبيل المثال: الشيخ محمد عوامة، والشيخ عبدالله التليدي، والدكتور أنس الزرقا، والشيخ محمد نبيه سالم، والأستاذ محمد علي دولة، والأخ الشيخ حسن قاطرجي، والدكتور قاسم سعد، والأستاذ محمد الحسناوي، ورمزي دمشقية، ومحمد بن ناصر العجمي، ونظام يعقوبي، ومحمد بن عبدالله الرشيد... وغيرهم كثير.

وكنا نلقى منه كل حفاوة وتكريم، ونستفيد من توجيهاته التربوية، وفوائده العلمية.

## عودته إلى دمشق:

وبعد عودته إلى دمشق استمرَّت صلتي به... وكتبت دراسة تعريفية موجزة عن تفسيره التدبري، وقد أرسلت له تلك الدراسة لاطلاعه عليها قبل طباعتها، فاستحسنها، واتصل بي من دمشق يشكرني عليها. وكنت أتصل به إلى دمشق أطمئن عن صحته وعطائه... فأجده مستبشراً متفائلاً فرحاً.

## إتمامه تفسير السور المكيّة:

وقد ذكر لي في آخر مكالمة هاتفية عن انتهائه من تفسير السور المكية، حيث أتمَّ بعد عودته إلى دمشق، تفسير السور المكية التالية: المعارج (٧٩)، والنبأ (٨٠)، والنازعات (٨١)، والانفطار (٨٢)، والانشقاق (٨٣)، والروم (٨٤)، والعنكبوت (٨٥)، والمطففين (٨٦)، وحدثني عن اللمحات التدبرية التي استنبطها من سورة العنكبوت التي كانت تعدُّ المسلمين للهجرة إلى مكة المكرمة، وأفاض في حديثه عما يفتح الله عزَّ وجلَّ عليه من حسن تدبر لكتابه العظيم، وما وهبه من همَّة وعزم ونشاط على متابعة الكتابة فيه وكنت أدعو الله سبحانه له بتمام العافية والتوفيق لإتمام تدبره لكتاب الله سبحانه.

ولكن حال الأجل دون تحقيق الأمل... ولئن لم يتم الشيخ تفسيره، فقد قدم بما كتب ثروة علمية ضخمة، وزاداً تدبرياً وفيراً... ورسم منهجاً فريداً لتذوق كلام الله وحسن تدبره...

وإن فيما كتب من كتب أخرى كثيرة تدور حول كتاب الله، لا سيما «ظاهرة النفاق» في مجلديه، حيث فسر قسماً مهماً من السور المدنية، وكذلك كتبه الأخرى: «فقه الدعوة إلى الله»، و«الأخلاق الإسلامية»، و«ابتلاء الإرادة»، و«أمثال القرآن» وفيها من المباحث القرآنية والفوائد التفسيرية الكثير الطيب المبارك.



## جنازته:

شُيِّعت جنازة الشيخ عصر يوم الأربعاء، وكانت جنازة حافلة مشهودة، خرج فيها آلاف المشيِّعين من العلماء والكبراء والعامَّة، تملؤهم الحسرة وتَمُضُّهم الأحزان، وصلِّيَ عليه في جامع الأمير مَنجَك، في حي الميدان وأبَّنهُ عقب الصلاة شيخ قراء الشام فضيلة الشيخ محمد كريِّم راجح، وألقى ولده الدكتور وائل قصيدة في رثائه، ثم وُوري في مثواه الأخير من دار الدنيا بمقبرة الجورة في حي الميدان.

رحم الله شيخنا الجليل، رحمة واسعة، ونفع بعلمه الغزير، وتراثه القرآني الوفير، أخلف في الأمة أمثاله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، العلي العظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون...

**كتبه: مَجْد مكي**
**الخميس ٢٦ جمادى الآخرة ١٤٢٥**

□ □ □ □ □

# الشيخ الدكتور ناجي عَجَم[1]

## (١٣٦٠ ـ ١٤٢٧هـ)

## (١٩٤٢ ـ ٢٠٠٦م)

بقلم: مَجْد مكي

## اسمه وولادته:

هو العالم الفاضل الداعية الفقيه الشيخ الأصولي الفَرَضي الأستاذ الجامعي الدكتور ناجي بن محمد شفيق عجم. من مواليد مدينة حلب بسورية عام ١٣٦٠هـ = ١٩٤٢م.

## دراسته:

درس في مدارس حلب وفي الثانوية الشرعية، ثم حصل على الثانوية العلمية من ثانوية المأمون عام ١٩٦٢، والتحق بكلية الشريعة بجامعة دمشق، وحصل على الشهادة العالية (الليسانس) عام ١٩٦٦م. ثم انتقل للعمل بجامعات المملكة العربية السعودية، وخلالها كان يتعلَّم ويتربى على شيوخه.

(١) نشرت بتاريخ ٢٠٠٨/٤/٩م، في موقع: (الإسلام في سورية) www.islamsyria.com.



## شيوخه:

في حلب: الشيخ عبدالله سراج الدين، والشيخ عبدالفتاح أبو غدة، والشيخ محمد إبراهيم السلقيني، والشيخ محمد الملاح، والشيخ أبو الخير زين العابدين، والشيخ عبدالرحمٰن زين العابدين، والشيخ محمد فوزي فيض الله.

وفي دمشق: الشيخ محمد ملا رمضان، والشيخ حسن حبنكة، والشيخ محمد سعيد البرهاني، والشيخ عبدالوهاب دبس وزيت، والشيخ مصطفى أحمد الزرقا، والشيخ وهبة الزحيلي، والشيخ محمد سعيد رمضان البوطي.

وفي السعودية: الشيخ عبدالله بن حُميد، والشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ محمد زكريا البخاري، والشيخ عباس علوي المالكي، والشيخ وهبي سليمان الغاوجي، والشيخ محمد سعد المراد، والشيخ وصفي المسدي، والشيخ عبدالغفار الدروبي، والشيخ محمد علي المراد.

وفي مصر: الشيخ مصطفى عبدالخالق، والشيخ عبدالغني عبدالخالق، والشيخ محمد أبو النور زهير، والشيخ بدر متولي عبدالباسط، والشيخ أحمد فهمي أبو سُنَّة، والشيخ مصطفى مجاهد، والشيخ أنيس عبادة، والشيخ محمد جاد الرب رمضان.

## مؤهِّلاته العلميَّة:

حصل على الدكتوراه من كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر بالقاهرة ١٩٧٧م بمرتبة الشرف الأولى. وأمضى أكثر من خمس وعشرين سنة في تدريس مواد الأصول والفقه الإسلامي بجامعات الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة الملك عبدالعزيز كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الدراسات الإسلامية بجدة.

## أبرز أعماله العلميّة:

١ ـ أشرف وناقش عدداً من رسائل الماجستير والدكتوراه بجامعة أم القرى بمكة المكرمة وغيرها. ٢ ـ تولى رئاسة قسم الدراسات الإسلامية

بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة. كما كان مرشداً في القسم نحو خمس عشرة سنة. ٣ ـ ترأس لجنة مناهج الدراسات العليا بالقسم. ٤ ـ إمام وخطيب مسجد الجامعة لأكثر من عشر سنين، كما خطب في كثير من مساجد جدة. ٥ ـ عضو خبير بمجمع الفقه الإسلامي الدولي، وشارك في دوراته لأكثر من عشر سنين. ٦ ـ عضو في لجنة التخطيط التابعة لمجمع الفقه الإسلامي الدولي. ٧ ـ عضو في الموسوعة الفقهية الاقتصادية في مجمع الفقه الإسلامي الدولي. ٨ ـ شارك في عدة ندوات فقهية اقتصادية. ٩ ـ عضو في لجان تحكيم ترقيات الأساتذة المساعدين. ١٠ ـ عضو في لجان تحكيم لبيان صلاحية طباعة كتب علمية.

## مؤلفاته ومقالاته:

١ ـ حروف المعاني وأثرها في علمي الأصول والفقه (رسالة الدكتوراه). ٢ ـ عموم البلوى وأثرها في تغيير الأحكام. ٣ ـ نظام العمل والعمال في الإسلام. ٤ ـ فقه المواريث وقسمة التركات في الإسلام. ٥ ـ أثر تغير قيمة العملة على الحقوق والالتزامات. ٦ ـ أحكام الشرط الجزائي في العقود. ٧ ـ الفقه الإسلامي الميسَّر مع تطبيقاته المعاصرة على المذاهب الأربعة (مشروع فقهي مدعم من جامعة الملك عبدالعزيز ولم يتمه).

## أعماله ومؤلفاته فيما يخصُّ الأوقاف الإسلامية:

١ ـ كُلِّف بكتابة بحث عن الأوقاف (الأحباس) للدورة الثالثة عشرة للمجمع الفقهي التي عقدت في الكويت. ٢ ـ مستشار شرعي للأوقاف ونظم الاستثمار في مركز فقيه للأبحاث والتطوير. ٣ ـ محكَّم في أبحاث وقفية من المعهد الإسلامي للتدريب والبحوث التابع للبنك الإسلامي للتنمية. ٤ ـ ورقة عمل مقدمة إلى مركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي بجامعة الملك عبدالعزيز في فقه أنواع الأوقاف وطرق الاستثمار. ٥ ـ خبير في صياغة الصكوك الوقفية وتفسيرها في المحاكم الشرعية.



## أخلاقه وصفاته:

بذل الشيخ ناجي عجم ـ رحمه الله تعالى ـ حياته في الدعوة والعلم، فكان نموذجاً للعالم المعلِّم، والمربِّي الموجه، والفقيه الأصولي المتمكن.

كان رحمه الله في غاية التواضع والسماحة والرفق، والأدب الجمّ مع المحب والمخالف، ولم يبخل على أيِّ طالب جاءه للمشاورة أو الدراسة على يديه في علم الفقه وأصوله، وسعى العشرات من طلاب الدراسات العليا ليتشرفوا بإشرافه على رسائلهم ومن توجيهه لهم، وخدم الشيخ ناجي رحمه الله طلاب مدينة جدة في جامعة الملك عبدالعزيز من خلال التعليم الأكاديمي الطويل، والدروس العامة والخاصَّة في منزله، وقد قرأ مع مجموعة من إخوانه الفضلاء كتاب «اللباب» في الفقه الحنفي كما درس مجموعات من إخوانه وأحبابه علم الفرائض الذي تخصَّص فيه وأتقن حل عويص مسائله.

وكانت آراؤه واجتهاداته وفتاواه الفقهية محل اهتمام واحتفاء، بل ثقة وقبول.

وللشيخ رحمه الله هيبته ووقاره وسَمْته وأخلاقه وابتسامته التي يأسر بها كل زائر.

## مرضه ووفاته:

عانى الشيخ من مرض عُضال ألمّ به، ومكث فترات طويلة في المصحَّات يتلقى العلاج إلى أن تماثل للشفاء، وما إن شعر بتحسن في صحته، حتى طلب من أهله أن يأخذوه إلى المدينة المنورة، لزيارة المسجد النبويّ الشريف، والسلام على الرسول ﷺ، وفي مساء يوم الجمعة ١٥ ربيع الثاني ١٤٢٧هـ، الموافق ١٣ مايو ٢٠٠٦ وافته المنيَّة رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

وهكذا طويت صفحة من صفحات العلماء، وذبلت وردة فوَّاحة في رياض الصَّالحين، وانتقل إلى جوار أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين.

# الشيخ الدكتور مصطفى سعيد الخن
## العالم المربِّي الأصولي الفقيه اللغوي[١]
## (١٣٤١ ـ ١٤٢٨هـ)
## (١٩٢٢ ـ ٢٠٠٨م)

اختصرها وحرَّرها: مجد مكي

### اسمه ونسبه ونشأته:

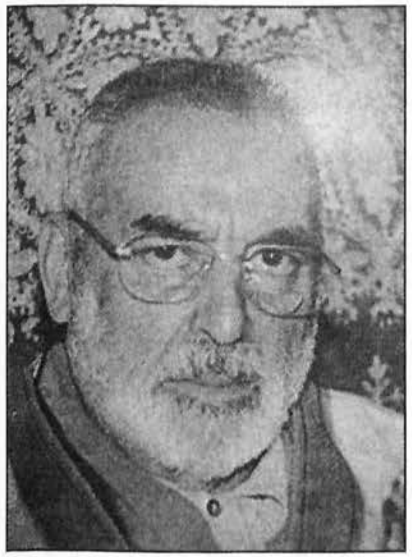

هو مصطفى بن سعيد بن محمود الخنّ، الشَّافعيُّ، المَيْدانيُّ، الدِّمشقيُّ، من أسرةٍ دمشقيَّةٍ عريقةٍ، كان لها منذ عهود العمادة والمرجعية في الميدان كلِّه.

كان والده (مختار حي الميدان الفوقاني)، ثم انتقلت المختارية بعد أبيه إلى أخيه محمد خير.

نشأ مصطفى الخن في كَنف والديه ـ مع إخوته وأخواته ـ في جوٍّ أُسري يسوده الصَّفاء والهيبة والاحترام، ولمَّا

(١) نشرت بتاريخ ٢٠٠٨/٢/٢م، في موقع: (الإسلام في سورية) www.islamsyria.com.



بلغ الثَّامنة من العمر؛ ألحقه والده بالكُتَّاب، ثم ألحقه بعد ذلك بمدرسة الجمعيّة الغرَّاء الابتدائية، فلازمها سنة كاملة، انتقل بعدها إلى المدرسة الرَّسمية التي كانت تُدعى (أنموذج الميدان).

### تعرفه على الشيخ حسن حبنكة الميداني:

وفي صيف (١٣٥٠هـ ـ ١٩٣١م)؛ اكتشف الشَّيخ الخطَّاط محمَّد زرزور ـ والد الدكتور عدنان زرزور ـ علائم النَّجابة والأهليَّة عند مصطفى الخن، الذي كان أحد التَّلاميذ المنتسبين إلى مكتبه لتعلُّم القرآن والخطِّ والحساب؛ ومسك الدفاتر (الدوبيا)؛ فاستأذن والده أن يصطحبه معه إلى دروس الشَّيخ حسن حبنكة في جامع مَنْجَك، فسمح الوالد ولم يمانع.

وكان الشَّيخ الدَّاعية حسن حبنكة ـ رحمه الله تعالى ـ قد أسَّس في المسجد مدرسةً متكاملةً، تشتمل على تعليم الشَّباب المنقطعين لطلب العلم صباحاً، من بعد صلاة الفجر حتى صلاة الظُّهر، وتعليم الكبار ـ من التُّجار وأصحاب الحرف ـ بعد صلاة العشاء.

### دراسته بالقسم المسائي ثم النهاري في جامع منجك:

التحق التِّلميذ مصطفى الخن أوَّل الأمر بالقسم المسائي، وأُعجب فيه شيخه حسين خطاب؛ لِمَا لمس عنده من مخايل الحفظ والذكاء، ونقل إعجابه إلى الشَّيخ حسن، فأوصى به خيراً.

ولم تمضِ مدَّة حتى حُبِّب إلى التِّلميذ النَّجيب طلبُ العلم، فقرَّر الانتقال إلى القسم النَّهاري، وكانت تلك خطوةٌ جريئةٌ موفَّقة، تخالف ما تعارف عليه الناس من الإشفاق على طالب العلم، وأنه محكوم عليه أن يعيش حياة العَوَز والكفاف.

### أول طالب علم ينبغ في (آل الخن):

أُقيمت على إثرها حفلةٌ في بيت الأسرة احتفاءً بأوَّل طالبِ علم ينبغ في (آل الخن)، وأُلبس الطَّالب مصطفى العمامة بدلاً من الطَّربوش، وقد لفَّها له

الشيخ حسين خطاب رحمه الله تعالى، وألقى الطالب المعمم (مصطفى) كلمة بهذه المناسبة، وشهد هذا اليوم تحوُّلاً ظاهراً في اهتمام أفراد الأسرة بأول طالب علم ينبغ من (آل الخن) وأعلن الأب رعايتَه التامَّة له.

## سيرته العلمية:

شبَّ مصطفى الخن في جامع منجك، وغدا طالباً مُجِدًّا نشيطاً، متعلِّماً في الصَّباح، ومعلِّماً في المساء، وشاء الله ـ سبحانه ـ للحلقات النَّهارية أن تصبح نواة لمعهد (التَّوجيه الإسلامي)، وانتقل الأستاذ مصطفى للتَّدريس في المدرسة النَّاشئة التَّابعة للمعهد.

## صناعة الشخصية العلمية للشيخ مصطفى الخن:

وقد أسهم الجمع بين مهمَّتي التعلُّم والتَّعليم في صنع الشَّخصية العلميَّة للشَّيخ مصطفى الخن، وكان لتوجيه الشَّيخ حسن حبنكة الأبويِّ التَّربويِّ؛ أثرٌ كبيرٌ في التَّناغم والتَّآلف والتَّكامل بين المهمَّتين.

قال صديقه في طلب العلم الشيخ عبدالرحمٰن الميداني في كتابه عن والده ص**١٢٢** وهو يذكر أعيان الدفعة الثانية من الذين انتظموا في حلقات الشيخ حسن حبنكة رحمه الله تعالى: «التحق الشيخ مصطفى الخن بمدرسة الوالد الإمام منذ أوائل فتوته، ولازم المدرسة ليلاً ونهاراً شاباً ذكياً ألمعياً، فيه أمارات النبوغ وسرعة التقدم.

وخطى في طلب العلم خطوات سريعات كان فيها من المتفوقين، حضر أول ما حضر على رجال الرعيل الأول (الشيخ صادق حبنكة، والشيخ حسين خطاب، ونعيم شقير، وخيرو ياسين).

ثم اندمج في حلقة هذا الرعيل يتلقى معهم على الوالد... وبرز بين أقرانه بعد ذلك علماً وتعليماً، وصار له نهم شديد في مطالعة كتب الأدب، وتصيُّد النوادر، والعيون الأدبية الشعرية والنثرية، وحفظها وروايتها بإتقان وجاذبية» اهـ.



## العلماء الربانيون الذين زارهم وجلس إلى دروسهم:

وكان الشَّيخ العلاَّمة الربَّاني حسن حبنكة يرشد طلاَّبه النابهين، أن يزوروا العلماء الكبار، وأن يجلسوا إلى دروسهم، فكان الشَّيخ مصطفى يحرص على ذلك كلَّ الحرص، ومن العلماء الربَّانيين الذين زارهم، والتقى بهم، أثر على نفسه:

١ ـ الشَّيخ علي بن عبدالغني الدقر (**١٣٦٢ ـ ١٩٤٣**): وهو شيخ شيوخ معهد العلوم الشَّرعية، ورئيس الجمعية الغرَّاء ومؤسِّسها، عالمٌ ربانيٌ، جمع بين التَّعليم الشَّرعي، والتَّربية الرُّوحية، وأوجد مدرسة تُحتذى في التَّخلق بأخلاق الإسلام، وكان الشَّيخ مصطفى يزوره في مسجده (جامع السادات)، ويحضر بعض دروسه.

٢ ـ الشَّيخ محمَّد أمين سويد (**١٣٥٠ ـ ١٩٣١**): وهو عالمٌ مشاركٌ، وأصوليٌّ بارعٌ، ومن كبار علماء دمشق، طلب العلم في الأزهر، وعمل مدرساً في معهد الحقوق، وفي مواقع علميةٍ عديدة، وقد التقى به الشَّيخ مصطفى وجلس إليه؛ عندما كان الشَّيخ محمَّد يتردَّد إلى جامع منجك.

٣ ـ الشَّيخ إبراهيم بن محمَّد خير الغلاييني (**١٣٧٧ ـ ١٩٥٨**): وهو عالمٌ عابدٌ، له في نفوس الناس مهابةٌ ومحبَّة، وَلِيَ قضاء وادي العجم، وإمامة وخطابة جامع مدينة (قَطَنا)، وكان الشَّيخ مصطفى يزوره دائماً، وربما قضى عنده سحابة اليوم.

٤ ـ الشَّيخ أبو الحسن علي الحسني النَّدْوِي (**١٤٢١ ـ ٢٠٠٠**): العالم المعروف، والمؤلف المبدع، والخطيب المفوَّه، والعضو في العديد من المجامع اللُّغوية العربية، وقد لقيَه الشَّيخ مصطفى في القاهرة حين كان طالباً في الأزهر أول مرَّة، والتقاه في دمشق، في جامعتها، ثمَّ في بيت الشَّيخ حسن حبنكة، وكانت الأخيرة.

## العلوم التي بَرَع فيها ودرَّسها:

وقد شارك الشَّيخ مصطفى ـ في أثناء تدريسه في (معهد التَّوجيه

الإسلامي) ـ في مختلف العلوم الشرعية، ولكنَّه تخصَّص في النِّهاية، وتميَّز بعلم أصول الفقه، وبعلوم العربية.

## السفر إلى مصر (الإجازة في الشريعة من الأزهر):

وفي مطلع عام (١٣٦٩هـ ـ ١٩٤٩م)؛ وصل الشَّيخ مصطفى إلى القاهرة، بغية الانتساب للأزهر، ومن ثَمَّ الحصول على شهادة الإجازة التي تؤهِّله للتَّدريس في المدارس الحكومية السُّورية، وأُجري للشَّيخ اختبار القَبول، وقُبل في السَّنة الثَّالثة من كلِّية الشَّريعة، فأمضى مدَّة الدِّراسة المقرَّرة ـ سنتان ـ قبل أن يستحق شهادة الإجازة بتقديرٍ ممتاز.

## شيوخه في مصر:

وقد تعرَّف الشَّيخ أثناء دراسته تلك إلى علماء أفذاذ في الأصول واللُّغة، وعلى رأسهم العلامة الشيخ عيسى منُّون، والدكتور الأصولي عبدالله موسى، والدكتور مصطفى عبدالخالق، وأخوه الدكتور عبدالغني عبدالخالق، وأفاد منهم كثيراً في تخصُّصه، كما تزوَّد بثقافة إسلاميَّة عالميَّة، ومنهجيَّة واضحة الطَّريق والهدف، ومسلك تربويٍّ رصين الفكرة والتَّطبيق.

## العمل في وزارة التربية مدرساً:

عاد الشَّيخ بعدها إلى دمشق؛ ليعمل مدرِّساً لمادَّة التَّربية الإسلاميَّة، في منطقة الباب من محافظة حلب، وبقي هناك سنتين دراسيتين، وعُيِّن في دمشق مدرساً في دار المعلمين، مع إسهامه الفعَّال في مجالات المناهج الدِّراسية، والكتب المدرسية، ولجان الامتحانات، وبقي فيها حتى حصوله على شهادة الدكتوراه.

## التدريس في جامعة دمشق:

وفي أثناء ذلك؛ اشتغل بالتَّدريس في كلِّية الشَّريعة بجامعة دمشق محاضراً، بين عامي (١٣٧٥هـ ـ ١٣٨٢هـ)، (١٩٥٥م ـ ١٩٦٢م).



## الإعارة إلى السعودية وصحبته لعدد من العلماء:

وأُعير للتدريس في إدارة (الكليات والمعاهد) في الرياض التي أصبحت تعرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ودرس النحو واللغة العربية في كلية الشريعة، وكلية اللغة العربية، بين عامي (١٣٨٢هـ ـ ١٣٨٦هـ)، (١٩٦٢م ـ ١٩٦٦م). وقد صادف سفره مع تعاقد عدد من الأساتذة والعلماء. وقد أضاف اجتماعه بهم في (الرياض) ولمدة أربع سنوات أنساً وتبادلاً في المعلومات والخبرات، ومن هؤلاء العلماء الأفاضل: الشيخ علي الطنطاوي، والشيخ عبدالفتاح أبو غدة، والأستاذ عمر عودة الخطيب، والدكتور محمد علي الهاشمي، والدكتور عبدالقدوس أبو صالح.

## حصوله على شهادة (الدكتوراه):

ولمَّا أصدر الأزهر قراراً يقضي بالسَّماح لخريجي الكلِّيات الأزهريَّة الذين أمضوا في التَّدريس الجامعي أكثر من خمس سنوات أن يتقدَّموا بتسجيل رسالة الدكتوراه مباشرة؛ أسرع الشَّيخ مصطفى وسجَّل موضوع (أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء) بإشراف الأستاذ الدكتور مصطفى عبدالخالق، ونال شهادة الدكتوراه عام (١٣٩١هـ = ١٩٧١م) مع مرتبة الشَّرف الأولى.

ولا شك أنه ـ رحمه الله تعالى ـ كان فوق هذه الشهادة علماً ومكانة، ولكنها أعانته على التدريس في عدد من الجامعات.

## التعيين في جامعة دمشق:

عُيِّن بعدها مدرِّساً ورئيساً لقسم العقائد والأديان في كلِّية الشَّريعة، بالإضافة إلى تعيينه مدرِّساً في كلِّية التَّربية بجامعة دمشق، (التربية الإسلامية وطرق تدريسها) وبقي في الجامعة حتى سنة (١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م)، وأسهم إذ ذاك في تأليف الكتاب الجامعي؛ فأصدر ثلاثة كتب مهمَّة، لا تزال تُدرَّس في كلِّية الشَّريعة إلى اليوم، وهي: التَّفسير العام، وفقه المعاملات، ومبادئ العقيدة الإسلامية.

## التعاقد مع السعودية:

وبعد إحالته إلى التَّقاعد عام (١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م)؛ سافر الشَّيخ إلى المملكة العربية السعودية للمرَّة الثانية عام (١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م)، فعمل مدرِّساً في كلِّية الشَّريعة بجامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة بأبها، ثمَّ عُيِّن أستاذاً في كلِّية التَّربية للبنات، وعضواً في المجلس العلمي لجامعة الإمام بالرياض، وبقي حتى عام (١٤١٣هـ = ١٩٩٢م)، وأشرف في هذه المدَّة على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه.

قال العلامة الشيخ عبدالرحمٰن حبنكة في كتابه: «الوالد الداعية المربِّي الشيخ حسن حبنكة» ص١٢٣: والدكتور الشيخ مصطفى سعيد الخن معروف في أوساط الجامعيين بألمعيَّتِهِ، وبراعته في شرح المسائل العلمية، وحل المشكلات المعضلات، ومعروف بذوقه الأدبي الرفيع ورهافة حسه في النقد، ورغبته في العطاء العلمي.

لكنه عزوف ـ فيما أعلم ـ عن المشاركة في الأعمال الاجتماعية العامة، فنموذجه الفطري أستاذ معلم، وباحث متتبع، وله جاذبيته وتأثيره في تكوين حلقات طلاب علم، لا في استقطاب جماهير، وهو علم من أعلام العلم في دمشق نفَّاع معطاء» اهـ.

## العودة إلى دمشق:

وعاد الحنين بالشَّيخ إلى دمشق مُجدَّداً؛ ليصبح بيتُه مقْصدَ طلاَّب العلم والمحبِّين.

## تدريسه في قسم الدراسات العليا في مجمع أبي النور وقسم التخصُّص في معهد الفتح:

ومنذ بداية العام الدِّراسي (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م)؛ وافق الشَّيخ على التَّدريس في قسم الدِّراسات العليا، التَّابع لجامعة أم درمان، ومركزه مجمَّع أبي النُّور التَّعليمي في دمشق، وعلى رئاسة كلِّية الشَّريعة بقسم التَّخصُّص، التَّابع لمعهد الفتح الإسلامي، وتدريس مادَّة أصول الفقه لطلاَّب السَّنوات



الثلاث في الكلِّية. وقد أشرف الشيخ وناقش عدداً وفيراً من الرسائل الجامعية في الدراسات العليا، في دمشق ولبنان.

## غرفته الخاصَّة في جامع الدقاق:

وجديرٌ بالذِّكر أنَّ للشَّيخ مصطفى غرفةً خاصةً في جامع الدَّقَّاق (في الميدان الفوقاني)، شهدت تاريخاً حافلاً بنشاطٍ علميٍّ غزير، وتحتوي الغرفة على مكتبةٍ زاخرةٍ بأمَّهات الكتب. وممن سجَّل حضوراً بين جنباتها الأستاذ أحمد راتب النفاخ، الأستاذ أحمد عرابي الخن، الشيخ خير العلبي، الأستاذ سعيد الطنطاوي، الأستاذ سهيل البري، الأستاذ علي الشربجي، الأستاذ صالح الأخرس، الشيخ عبدالعزيز الرفاعي، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، الأستاذ محمود المارديني، والدكتور موفق دعبول.

## تعريف بمؤلَّفاته:

بدأ الشَّيخ مصطفى الخن الكتابة في وقتٍ مبكِّرٍ من مسيرته العلمية، فكان تحصيله العلمي تأليفاً، وتأليفه تحصيلاً علمياً.

وكان يكتب لنفسه أولاً، ومما كتبه: «شرح الشواهد النحوية المختصر»، و«شرح الشواهد النحوية الكبير» وهذان الكتابان من جملة ما ضاع من أوراق الشيخ رحمه الله تعالى.

ثمَّ ساهم في تأليف الكتب المدرسية، وأعدَّ الأمالي الجامعية، واتَّجه إلى التَّأليف العام والتَّحقيق، وكان صدره يتَّسع للمشاركة مع غيره، تأليفاً وتحقيقاً.

## المؤلَّفات الخاصَّة:

١ ـ أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء. وهو بحث قدِّم لنيل شهادة الدكتوراه في أصول الفقه من الأزهر عام (١٣٩١هـ = ١٩٧١م). ونال بكتابه الشهادة بدرجة الامتياز مع درجة الشرف الأولى. وقد طبعته مؤسسة الرسالة، عام (١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م)، وصدرت منه أكثر من سبع طبعات.

وقد حظي الكتاب بإعجاب أهل العلم من المتخصِّصين في الفقه الإسلامي، ثم صار كتاباً مقرراً لهذه المادة يرجع إليه كثير من كبار أساتذة الدراسات العليا.

٢ ـ عبدالله بن عباس: حَبْر الأمة وترجمان القرآن. صدرت الطبعة الأولى عام (١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م) عن دار القلم بدمشق.

٣ ـ دراسة تاريخية للفقه، وأصوله، والاتِّجاهات التي ظهرت فيهما. صدرت الطبعة الأولى عام (١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م).

٤ ـ الحسن بن يسار البصري: الحكيم الواعظ والزَّاهد العالم. صدرت الطبعة الأولى عام (١٤١٦هـ = ١٩٩٥م) عن دار القلم بدمشق.

٥ ـ الأدلَّة التَّشريعية، وموقف الفقهاء من الاحتجاج بها. صدرت الطبعة الأولى عام (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م) عن مؤسسة الرسالة بدمشق.

٦ ـ أبحاثٌ حول أصول الفقه الإسلامي (تاريخ وتطوره). صدرت الطبعة الأولى عام (١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م) عن دار الكلم الطيب بدمشق.

٧ ـ الكافي الوافي في أصول الفقه الإسلامي. صدرت الطبعة الأولى عام (١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م) عن مؤسسة الرسالة، ويحتوي هذا الكتاب على معظم موضوعات علم أصول الفقه التي كانت تدرس للسنوات الثلاث من كلية الشريعة قسم التخصص التابع لمعهد الفتح الإسلامي.

## المؤلَّفات المشتركة:

١ ـ (نزهة المتَّقين شرح رياض الصَّالحين من كلام سيِّد المرسلين)، وقد شارك بالتَّأليف: الدكتور مصطفى البغا، والأستاذ محيي الدين مستو، والأستاذ علي الشربجي، والأستاذ محمد أمين لطفي. في مجلدين، وصدرت الطبعة الأولى عام (١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م) عن مؤسسة الرسالة، وقد طبع أكثر من خمسة وثلاثين طبعة.



٢ ـ (الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي)، وقد شارك بالتَّأليف: الدكتور مصطفى البغا، والأستاذ علي الشربجي. ويقع في ثلاثة مجلدات، وصدرت طبعته الأولى عن دار القلم عام ١٤١٤هـ.

٣ ـ (العقيدة الإسلامية): أركانها ـ حقائقها ـ مفسداتها، وقد شارك بالتَّأليف: الأستاذ محيي الدين مستو. وصدرت طبعته الأولى عام (١٤١٧هـ) عن دار الكلم الطيب بدمشق.

٤ ـ (الإيضاح في علوم الحديث والاصطلاح)، وقد شارك بالتَّأليف: الدكتور بديع اللحام. وصدرت الطبعة الأولى عام (١٤١٩هـ) عن دار الكلم الطيب بدمشق.

## التَّحقيقات الخاصَّة:

١ ـ (المنهل الراوي من تقريب النواوي). صدر عن دار الملاح بدمشق في ٣١٤ صفحة.

٢ ـ (تسهيل الحصول على قواعد الأصول)، للعلامة محمد أمين سويد المتوفى سنة ١٣٥٥هـ. وصدرت الطبعة الأولى عام (١٤١٢هـ) عن دار القلم بدمشق.

## التَّحقيقات المشتركة:

١ ـ (حُسْن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة)، لجامعه محمد صديق القِنُّوجي البخاري المتوفى سنة ١٣٠٧هـ. بالاشتراك مع الأستاذ محيي الدين مستو. صدرت الطبعة الأولى عام (١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م) عن مؤسسة الرسالة.

٢ ـ (إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول)، للإمام الشوكاني. بالاشتراك مع الأستاذ محيي الدين مستو.

٣ ـ (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، للبيضاوي. بالاشتراك مع الأستاذ محيي الدين مستو، وبديع اللحام.

٤ ـ (المنهاج القويم في مسائل التَّعليم)، لابن حجر الهيتمي المتوفى سنة **٩٣٤هـ**. بالاشتراك مع الأستاذ محيي الدين مستو، والأستاذ علي الشربجي. وفي هذه الطبعة إعواز كبير، وقد صدر الكتاب بعد ذلك محققاً مُصحَّحاً عن دار المنهاج بجدة.

## وفاته وحُسْن خاتمته:

توفي أثناء صلاة الجمعة **٢٤** محرم **١٤٢٩هـ** الموافق **١** شباط **٢٠٠٨م** في جامع سيدنا الحسن رضي الله عنه في الميدان، وكان الشيخ كريّم راجح يقرأ في كتاب «رياض الصالحين» ويشرح حديث أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها أن النبيّ ﷺ خرج من عندها بكرةً حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسةٌ، فقال: «ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟» قالت: نعم، فقال النبيّ ﷺ: «**لقد قلت بعدك أربع كلماتٍ ثلاث مراتٍ، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضاء نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**» رواه مسلم[(١)].

ثم توقف الشيخ عند كلمة «مسجدها» وقال: أرى أن تُقرأ بفتح الجيم لا بكسرها، وتردَّد في ذلك، ثم قال: ليت أستاذنا الخَن يضبطها لنا.

ومن عادة الدكتور مصطفى الخن، المواظبة على حضور خطبة الجمعة عند الشيخ كريّم، وكان يجلس على كرسي (أول المسجد يمين الداخل إليه) وبعد أربع دقائق تقريباً من كلمة الشيخ كريّم تلك؛ شهق شهقة فالتفت بعض المصلِّين، وإذا بالشيخ أنس ابن الدكتور مصطفى يدلك له صدره. وبعد قليل مدَّده على الأرض.

كل ذلك والشيخ كريّم مسترسل في خطبته، إلى أن أرسلوا إليه أحد الإخوة ليُخبره، فلما صعد الأخ المنبر، وأخبر الشيخ كان وقع الخبر كالصاعقة. فقال له الشيخ: الآن؟ في المسجد؟ إنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) رواه مسلم (**٢٧٢٦**) في كتاب الذكر والدعاء.



وصار يتمتم بكلمات (عالم البلد عالم الأمة مات في المسجد...) وأنهى الخطبة، وطلب من الناس أن يمكثوا في أماكنهم وأن لا يزدحموا على الدكتور الخن. ثمّ صلى الشيخ كريّم وهو يبكي، وبعد السلام أسرع ليرى صديقه وأستاذه وحبيبه الخن.

لقد أسلم روحه لبارئها بعد ثمانية وثمانين سنة أمضاها في طلب العلم والتعليم والتأليف والنصح للمسلمين.

ثم قال الشيخ كريّم راجح لإخوانه: «هذا العالم الذي لم يتلوّث لا بحاكم ولا بغني».

إنا لله وإنا إليه راجعون وصلي عليه مساء الجمعة في جامع الحسن بالميدان ـ رحمه الله تعالى ـ وأثابه رضاه[(١)].

❒❒❒❒❒

---

(١) المراجع:

١ ـ كتاب (مصطفى سعيد الخن، العالم المُربِّي، وشيخ علم أصول الفقه في بلاد الشام)، تأليف: د.محيي الدين مستو، وهو الكتاب رقم (٨) في سلسلة: (علماء ومفكرون معاصرون، لمحات من حياتهم وتعريف بمؤلفاتهم)، التي تصدرها دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى، **١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م**.

٢ ـ كتاب (الوالد الداعية المربِّي الشيخ حسن حبنكة الميداني) بقلم ولده عبدالرحمٰن حبنكة، الطبعة الأولى **١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م**.

# الشيخ محمد الحجار العابد الزاهد[1]

## (١٣٣٨ - ١٤٢٨هـ)

## (١٩٢٠ - ٢٠٠٧م)

**بقلم تلميذه ومحبّه: مَجْد مكي**

هو العالم العامل، العابد الزاهد، الولي الصالح الشيخ محمد بن محمود الحجار.

### ولادته ونشأته ودراسته:

ولد رحمه الله تعالى في مدينة حلب الشهباء في حي ساحة بزة سنة ١٩٢٠م، ونشأ في رعاية والده الصالح محمود، ووالدته الصالحة السيدة فاطمة السبسبي، ودرس في (المدرسة الخسروية)، ثم انتقل في عام ١٩٤٨م، لمتابعة دراسته في (المدرسة الشعبانية) في معهد العلوم الشرعية، وأتمَّ دراسته فيه، وكان معه في مراحل دراسته: الشيخ عبدالقادر عيسى، وأحمد شعبان، ومحمد طاووس، وقد جمع هؤلاء في دراستهم بين الدراسة الشرعية القديمة والجديدة.

### المعهد الشرعيّ في المدرسة الشعبانية:

وقد أُنشئ هذا المعهد الشرعي في عهد مدير الأوقاف الأستاذ نعمان سخيطة، إذ قرَّر أن يجمع طلاب المدارس الشرعية المتفرِّقة (البهائية، والسيافية، والقرناصية، والإسماعيلية)، في هذا المعهد، وقسَّم الشيخ عطا



الصابوني مدير المعهد الشرعي في (الشعبانية) الطلاب، حسب إمكانياتهم على ثلاثة أقسام: قسم في الدرس العام في قبلية المسجد، يحضره مَنْ تجاوز السن، ولم يعد يصلح للانتظام في الصفوف، وكان يدرسهم الشيخ علي العالم الكيالي، والفئة الثانية تمَّ قبولها في الصف الأول، وبقية الطلاب وزِّعوا على الصف الثاني، والثالث، وكانت الدراسة سبع سنوات، وقُبل الشيخ محمد الحجار في الصف الثالث.

### مدير المعهد الشرعي الشيخ: عبدالله سلطان:

ثم استلم إدارة المعهد الشرعي الشيخ: عبدالله سلطان رحمه الله، ونقم عليه بعض الطلاب بإلزامهم بالانتماء إلى بعض المشايخ، وكان يضغط على الطلاب الذين لا ينطوون تحت لوائه، وعاقب عدداً من الطلاب، وأوقف ستة وعشرين منهم: الشيخ محمد في سجن باب النصر، فخرج الطلاب بمظاهرة تندِّد بسجن الطلاب، وأرسلوا برقية للشيشكلي: «طلاب العلم الشرعي يقادون بعمائمهم إلى السجون. . .» فأطلق سراحهم مع رد الاعتبار والاعتذار.

### شيوخه:

ومن أبرز شيوخه الذين لازمهم وانتفع بهم: الشيخ أبو النصر خلف الحمصي، وأخذ منه الطريقة النقشبندية، والشيخ عيسى البيانوني، والشيخ إبراهيم السلقيني (الجد)، والشيخ محمد نجيب سراج الدين، والشيخ أحمد الشماع، والشيخ محمد سعيد الإدلبي، والشيخ إبراهيم الغلاييني مفتي قطنا، ولازمه ملازمة تامَّة في قطنا أكثر من أربعين يوماً. وقد تشرَّف بخدمة هؤلاء المشايخ الكبار، وكان يحلق رؤوسهم ويُزيِّن لهم لحاهم.

وممَّن أجازه ببعض مرويّاته شيخه العلامة عيسى البيانوني جد زوجته، ويروي عنه الحديث المسلسل بيوم عاشوراء، وقد ذكر هذا الحديث في كتابه «من قصص التنزيل» ص٢٥٧ عند كلامه عن فضل صوم يوم عاشوراء في قصة موسى عليه السلام: «أقول: هذا الحديث من الأحاديث المسلسلة سندها، وقد أخذته عن شيخي الشيخ عيسى البيانوني، وكان أستاذنا في الثانوية الشرعية، فقال لنا رحمه الله تعالى: «لكم عندي جائزة، ولكن بشرط

أن تأتوا صائمين فجئنا، وسَرَد لنا سلسلة الحديث، وأجازنا به».

**إمامته وخطابته في جامع الزكي بحلب وطلابه الذين قرؤوا عليه وصحبوه:**

استلم الشيخ الإمامة والخطابة في جامع الزكي بحي باب النصر، وبقي إماماً وخطيباً أكثر من ثلاثين سنة.

وممَّن قرأ عليه في جامع الزكي فضيلة الشيخ محمود ميرة، قرأ عليه في الفقه الشافعي، مع الشيخ عمر عطار، ومحمد ربيع عطار، ومصطفى الإعزازي، وكذلك قرأ عليه ولازمه فترة الدكتور الشيخ عبدالستار أبو غدة، وقرأ عليه أيضاً عديله الشيخ حامد غريب، والدكتور الشيخ زهير ناصر، النحو في ألفية ابن مالك، والعهود المحمدية، وممَّن صحبه في حلب وانتفع بصلاحه وسمته: الأستاذ إسماعيل حقي ناشد، والأستاذ: عاطف بن محمد أسعد البيانوني.

**صحبته للشيخ البيانوني ومصاهرته:**

وصحب الأستاذُ الحجار فضيلةَ الشيخ أحمد عز الدين البيانوني، واستفاد من منهجه في العلم والدعوة، وكان يخصُّه بالحب والرعاية، ويوليه عناية فائقة، ويذهب إلى زيارته في سرايا إسماعيل باشا، وزوَّجه ابنته التقيَّة الصالحة (بشرى) التي كانت من الداعيات المربيات المدرسات، وكانت نِعْمَ الزوجة لزوجها، تُعينه على طاعة الله عزَّ وجلَّ، وتربية الأولاد، وكان الشيخ شديد الوفاء لها، دائم اللهْج بذكرها، وتوفيت قبله بتسع سنوات، ودفنت ببقيع الغرقد في المدينة المنورة، وكان الشيخ يزور البقيع في كل يوم بعد صلاة العصر في المسجد النبويّ، ويخصُّ قبرها بزيارته. كما كان يزور الكثير من إخوانه وأصحابه وأساتذته في البقيع، ومنهم الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، وكان شديد الحب له، وثيق الصلة به، عظيم التقدير له.

**أولاده:**

وله منها ثمانية من الأولاد: خمسة من الذكور، وهم: صفوح من مواليد **١٩٤٩**، ورضوان من مواليد **١٩٥٠**، وأسامة **١٩٥٤**، ويمان **١٩٦٤**، وصهيب **١٩٧١**، وله من البنات ثلاثة: أسماء، وميمونة، ورَضْوى.



**محنته وهجرته إلى المدينة المنورة:**

امتحن الشيخ في الأحداث التي وقعت في سورية في بداية الثمانينيات من القرن الماضي، وابتلي باستشهاد ابنه صفوح في عام **١٩٨٠**، كما فقد الشيخ اثنين من أبنائه: أسامة الذي كان يعمل مدرساً وخطيباً، ويمان الذي كان طالباً في المرحلة الثانوية، حيث غرَّر به أحد المسؤولين في أجهزة الأمن بتقديمهما للمساءلة وإعادتهما إليه، فوثق بقول ذلك المسؤول، لما جُبِلَ عليه الشيخ من الصدق والوضوح وتحسين الظن، وقدَّمهما إليه ليعودا في اليوم نفسه، كما أكد له ذلك المسؤول؟!! واختفى أثرهما منذ سنة **١٩٨٠**، مع الآلاف من المفقودين!!

وكان الشيخ مثالاً رائعاً في الصبر والاحتساب، والوفاء والأمل.

هاجر إلى المدينة المنورة مجاوراً، منذ سنة **١٤٠٠**، إلى أن توفَّاه الله تعالى في سنة **١٤٢٨**هـ، كما امتحن في المدينة المنورة بإيذاء بعض الجهلة المتعصبين، ومحاولة إبعاده عن المدينة المنورة مع ثلّة من العلماء الفضلاء، فزاده الله عزَّ وجلَّ رضاً وسكينة وطمأنينة، وعزاً ومنزلة ورفعة في قلوب الصالحين من أهل المدينة المنورة.

**ملازمته للمسجد النبويّ:**

كان شديد الحرص على صلاة الجماعة في المسجد النبويّ، والقراءة والعلم والتعليم. وكان بحق حمامة المسجد النبويّ، وما من أحد من أصحاب الشيخ وعارفيه، زار المسجد النبويّ إلا ورآه في مجلسه المعروف عند باب السلام بعد صلاة الفجر، أو عند باب الرحمة بعد صلاة الظهر، أو عند أول التوسعة السعودية بعد باب الرحمة من بعد صلاة العصر إلى صلاة العشاء.

لم ينقطع رحمه الله عن المسجد النبوي في يوم من الأيام، حتى في شدَّة الزحام، في شهر رمضان، وأشهر الحج، فكان يحضر إلى المسجد عند الأذان الأول، ويبقى إلى صلاة الضحى، ثم يعود بعد استراحة قصيرة في منزله إلى المسجد قبل صلاة الظهر، ويأتي إلى الروضة المطهَّرة كل

يوم، ويستمر في صلاته وعبادته فيها إلى ما بعد صلاة الظهر، ثم يمكث في المسجد إلى ما بعد صلاة العشاء.

وكان يخرج ماشياً إلى مسجد قباء كل يوم سبتٍ، ولم ينقطع عن هذه السنَّة إلا بعد كسر حوضه قبيل ثلاث سنوات من وفاته.

## حرصه على صلاة الجماعة:

ومن حرصه على صلاة الجماعة في المسجد النبويّ أنه كان إذا أراد السفر إلى مكة المكرمة للعمرة لا يخرج من المدينة إلا بعد صلاة العشاء، كي لا يضيع صلاة الجماعة في المسجد النبويّ، ويصل إلى مكة عند الأذان الأول للفجر، ويصلي الفجر في المسجد الحرام، ويكثر من الطواف بعد العمرة، ولا يقل طوافه عن عشرة أسابيع.

## منهجه في العبادة:

وكان آية في العبادة، يذكِّر بالسلف الصالح، لا يفرغ من صلاة وصيام وذكر وتلاوة قرآن، وقراءة وإقراء.

من منهجه في العبادة: المداومة على اثنتي عشرة ركعة في صلاة الضحى، وعلى اثنتي عشرة ركعة بعد صلاة المغرب، وصلاة التسابيح، وقيام الليل، وصيام الدهر دون إفطار إلا في الأيام الخمسة التي لا يحل صومها، وهي: يوم الفطر ويوم النحر، وأيام التشريق الثلاثة.

وكان يراجع مؤلفاته ويصححها في الحرم الشريف، وله دروس متنوعة في الفقه الشافعي والعربية والتفسير بعد صلاة الفجر والعصر والمغرب من كل يوم.

## شجاعته وجهره بالحق:

ومع انقطاع الشيخ للعبادة وانهماكه بالذكر والمحافظة على سائر النوافل، والتزام الأدب، والتواضع الشديد، وإيثار السكوت والعزلة، فإنه كان رياضياً يعنى بصحته وجسده، ويمارس رياضة المشي، ويقل الطعام، وكان سباحاً ماهراً، ورامياً حاذقاً، كما كان يجهر بالحق، ويدعو إلى الجهاد، وفي أوائل الثمانينيات كان مع هيئة علماء حلب في معالجة الأحداث التي تتابعت، وصدع بكلمة الحق، من فوق منبره في جامع الزكي.



## الدعوة إلى الجهاد والاستعداد:

ومن أقواله في الدعوة إلى الجهاد والاستعداد والتضحية والاستبسال... في خطبته عن الجندية في كتابه «صوت المنبر» ١/٩٠، التي افتتحها بقول الله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥]، ثم تكلم حول معنى هذه الآية، وعن حكم الإسلام في الجندية، وأورد نماذج من جهاد السلف، ووحدة الصف، وبيَّن مراده بهذه الدعوة، ثم قال: «ولكني أريد أن أنبه إخواني المسلمين: عرباً وعجماً، وأن أحضّهم على الجندية، وأدعوهم إليها، ليكونوا على أهبة وحذر من العدو، وأن أبيِّن: بأن الإسلام - لا كما يزعم البعض - دين عبادة وزهادة، دين عزوف عن الحياة، وقمع في البيوت والزوايا فحسب، لا علاقة له بأمر السياسة، ولا حق له بإدارة دفة الحكم، فينبغي فصل الدين عن الدولة».

وقال في خطبته عن غزوة بدر ١/١٩٨: «يجب علينا أن نؤمن بأن الجهاد فريضة مُحتَّمة، أوْجبه الله علينا بالعبادة التي أوجب بها الصوم، فكما قال سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾، قال في السورة نفسها: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ...﴾، وأن نؤمن أن الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة، لا يبطله جَوْر جائر ولا حكم حاكم».

ويقول في خطبته عن الجهاد الأكبر ١/٣٧١: «إن الحرب آتية لا ريب فيها، فإذا لم تأت الحرب إلينا، فيجب أن نسعى إليها، لأن لنا رسالة لا بد وأن نؤديها، ولنا أخوَّة في العروبة والإسلام، لا بدَّ أن نحطم من أغلالها، ونحمي تربتها، ولنا بلاد في مشارق الأرض ومغاربها، لا بدَّ أن نطهرها من رجس المستعمرين، وأيدي الغاصبين... ولنعلم حقَّ العلم، بأن الجهاد ماض إلى يوم القيامة، فمن لم يَغْزُ، ولم يحدث نفسه بالغزو، ومات مات ميتة جاهلية...».

ويقول في خطبته «لمحات عن البسالة والبواسل» ١/٥٠٨ - ٥١٤، بعد أن استعرض صوراً رائعة من بواسل الإيمان في غزوة أحد والأحزاب: «بهذه الروح يجب أن نتسلح - مَعشر الشباب - وبهذه الروح يجب أن نعمل ونجاهد... هذا هو الإسلام في جيوشه وقوته، في كفاحه وجهاده، هذا

هو الإسلام ـ أيها الشباب ـ منه استمد الأولون الروح الحية، وكانوا في انطلاقهم وجهادهم كالعاصفة، وفي ثباتهم وصبرهم كالرواسي».

## اهتمامه بقضية فلسطين:

كما اهتمَّ في خطبه بقضية فلسطين. ومن ذلك قوله **٩٩/١**: «لقد وضع رسول الله ﷺ أمانةً في أعناق المسلمين، ولا سيما القائمين على الحكم، أن يحتفظوا بهذه الأرض المقدسة، وأن لا نسمح للغزاة المستبدين، بانتزاع شبر من أرضها ما دمنا أحياء، وأن ندافع عنها بكل ما نملك من قوة، وأن نعتبر الدفاع عنها واجباً يحتمه الدين، ويوجبه الإسلام، وتؤكده العقيدة، لا مفرَّ عنها ولا محيص».

ويقول في خطبة غزوة بدر **١٩٨/١**: «تمرُّ علينا هذه الذكرى: والأرض المقدَّسة، ما زالت موطئ نعال الصهاينة من بني إسرائيل، الذين قتلوا الأنبياء بغير حق، وغضب الله عليهم ولعنهم، والمسلمون غارقون إلى أذقانهم بالترهات والأوهام والأباطيل... تمر علينا الذكرى والمسلمون على كثرة ملايينهم، مفككو العُرى، ممزقو الروابط، مختلفو الصفوف، كلٌّ يسعى في محق أخيه وإبادته، والحرب طحون قائمة بينهم على قدم وساق، كلٌّ يستمدُّ قوته من الشرق أو الغرب...».

## تحذيره من الردة:

كما حذَّر من الردة وبيَّن أحكامها **٣٩٦/١ ـ ٤٠٧**، في موضوع استوعب فيه أنواع الردة، وجمع أطرافه، وأحسن اختصاره، من مطوَّلات كتب الفقه.

## تحذيره من الحزبيات المُشَتِّتة للأمة:

كما تحدث عن سبب انحطاط المسلمين **٥٠٤/١**، في خطبته عن الحالة الحاضرة وأثرها في الناس، وحذَّر من أخطار الحزبيات المُشتِّتة للأمة **٥٠٥/١**، وممَّا قال في ذلك: «كثرة الأحزاب والشِّيَع دليل واضح وبرهان ساطع على تفرقة الأمة، وتخاذلها وانحطاطها... وإنَّ التفرُّق والتحزب والتشيع كلُّ ذلك عده القرآن نوعاً من أنواع العذاب، يضرب الله به على أمةٍ سخط عليها وغضب...».



## تحذيره من الدعوات الضالة الوافدة:

كما حذَّر من الدعوات الضالة الوافدة، فحذَّر من الشيوعية وغيرها من المذاهب الهدّامة التي تدَّعي رحمة الفقير أو العطف على العامل **٥٠٦/١**...

كما حذَّر من الدعوة إلى القوميّة، أو الوطنيّة، أو الاشتراكية، أو الشعبية، وقال عن هذه الدعوات **٥٠٦/١**: «إنها وليدة أفكار سخيفة، لم تعِ الإسلام ولم تفهمه، ولم تُحط بسموّ ما جاء به من الأحكام»...

واستمع إلى دويّ كلماته ـ وهو المخبت الخاشع ـ وجَلْجَلة صوته في خطبته: «ردة ولا أبا بكر لها»، بعد أن تحدَّث عن الشيوعية التي وضعت الناس في جحيم أحمر، وجعلت أبناءها يعيشون عيشة الأنعام... وعن الرأسمالية التي هي أسوأ وأشر، يبطش القوي بالضعيف، ويقضي الغني على الفقير، فانطلق الناس كالحيوانات الضارية، والذئاب الشاردة...

فبيَّن السبيل الواحد الذي جاء في كتاب الله، وسنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام... ثم حذَّر من الردة التي اكتسحت العالم الإسلامي، وغزت المجتمع المسلم...

وقال أيضاً **١٠٩/٢**: «الإسلام لا يعرف محاكم التفتيش ولا التعنيف، ولا يعرف الاضطهاد، بل ولا يعرف المحاكم العرفية، التي أقامها عملاء الاستعمار للمحافظة على مناصبهم، فبنُوا القلاع والسُّدود، وجعلوا الحواجز والحصون فيما بينهم وبين شعوبهم، كي لا يسمعوا أنين المظلومين، ولا عويل المنكوبين!!».

## تحذيره من انحراف الحكام والقيادات:

وتحدث عن مسؤولية الحاكم وانحراف القيادة في خطبته عن القيادات الرشيدة، وما جَنَتْهُ هذه القيادات على الأمة **١١٧/٢**: «إن الحرمان الذي لاقته الأمة العربية، منذ أن انحرفت القيادات العربية عن مراكزها، منذ أن انحصرت هذه القيادات في الرؤوس المترفة، والأجسام الخائرة، إن الحرمان والكبْت والظلم والعَسْف الذي لاقته الأمة العربية من هذه القيادات المنحرفة، أضعف الروح المعنوية في كل فرد من أفراد الأمة، وجرى اليأس في عروقه ودمه، من أن يتقدم شبراً إلى الأمام...».

كما تحدث عن الأوضاع الأخلاقية للأمة ٢/١٣٠: من تفكك مكشوف، وتحلل خلقي، واندثار العدل، وانتشار الظلم. . .

## تحذيره من دسائس الأعداء وإثارة عوامل الفرقة:

وحذَّر من دسائس الأعداء، وتآلبهم على المسلمين، وإحداث عوامل الفرقة والتشتّت، فيقول في خطبته: «وحدة الصف» ٢/٢١٣: «نرى أعداء الإسلام ساعين بجِدّ ونشاط على إزالة المسلمين من الوجود بتسليط بعضهم على بعض، وهو جاثم على صدورهم، آخذ بقامتهم، حتى لا تقوم لدينهم قائمة، ولا يبقى لهم باقية. . .» وبعد أن استعرض موقف الأعداء من المسلمين وما أصابهم من تقتيل وتعذيب. . . قال: «تنبَّهوا إلى ما يراد بكم، وبدينكم من خطر!! واذكروا دائماً أن الغرب وأعوانه لكم بالمرصاد، وأنهم يتربَّصون بكم الدوائر، فوحِّدوا جهودكم، وكونوا يداً واحداً على من عاداكم. . .

وإيَّاكم أن يدخل الأعداء في صفوفكم، ويفرق بين طوائفكم، وحَسْبُكم ما وصلتم إليه من مهانة، وما لحق بكم من عار واضمحلال.

وحذار ثم حذار من انشقاق الصف، وإيقاع الخلاف في أمور جزئيّات تافهة، ومسائل فرعيَّة أشد تفاهة، فهي لا تعطل واجباً، ولا تبيح حراماً، وإيّاكم من صرف الجهد لما اختلف فيه الأئمة التي ليست من أصول الدين، فإنَّ العدو ينتظر مثل هذا الخلاف ليدخل قلب المسلمين، فيفرِّق جمعهم، ويمزِّقَ شملهم، ويطأ بقدمه أرضهم، ويحتقر مقدَّساتهم، ويستولي على بلادهم. . .».

## منهجه الإصلاحي والدعوي:

ومن قرأ كتابه «الصحوة القريبة» وجد فيه صدق اللهجة، ومَحْضَ النُّصح، وقوة العاطفة، كما وجد فيه معالم من منهجه الإصلاحي والدعوي، فقد حذر من كثير من المفاسد والمنكرات المنتشرة في المجتمع.

## تحذيره من البدع والمنكرات:

مثل منكرات المآتم ومنكرات السماع من المذياع ١/١٧٣، وتكلم عن حال قُرَّاء هذا العصر ١/١٧٢.



كما حذَّر من بعض البدع الشائعة، كتحذيره من **بدعة الاستخارة بالنوم**، فقال في كتابه «الإسلام وأركانه الأربعة» ص١٥٢:

«استخارة المنام ليست بواردة، ولا يجوز الاعتماد على المنامات، لأنه يغلب فيها التخليط، وحديث النفس. نعم؛ يستأنس بالمنام لا غير. وما يفعله بعض العوام ولا سيما النساء منهم، يقولون لبعض الأشياخ: بيِّت لي استخارة ليس بصحيح، فيجب تعليمهم وتذكيرهم وإرشادهم للسنَّة الصحيحة التي ليس عليها غبار، وقد نبهت على هذا في فتح العلام أثناء تعليقي عليه، فعد إليه».

## دعوته لترك الإكثار من حج النافلة:

ومن ذلك دعوته: لترك الإكثار من الحج لتُعطى الفرصة لمن أراد أن يُؤدي الحج لأول مرة، لما تُسبِّبه ـ كما قال في كتابه «الصحوة القريبة» ١/ ٢١٢ـ الكثرة الكثيرة، من أزمات خطيرة: حسيَّة ومعنويَّة، دينية وأخلاقية، أزمات في السكن، وفي السعي، وفي رمي الجمار، وفي الصلاة والطواف، أزمات في المطاهر والمياه، في الفئة القليلة التي أرادت أن تؤدي فريضة الحج لأول مرة، وإذا بها قد اندلع أمامها هذا الحشد الكبير فجعلها في مضيعة! فلم يستطع الحاج أن ينهض بما وجب عليه من أداء الفرائض فضلاً عن النوافل. . . ولهذا أتقدم بكلمتي هذه لأهل الوعي من المسلمين ـ غير العاطفيين ـ أن ينتبهوا وينبِّهوا غيرهم لهذا، بإعطاء المجال لهؤلاء السذج الأغرار، ليتمكَّنوا من أداء المناسك، ويُعوِّضوا عن حَجِّهم بعمرة، رحمةً بإخوانهم، أو يجعلوا الحج في كل خمس سنوات تخفيفاً لهذا الضغط الشديد. . .». وينظر كلامه حول الازدحام عند الحجر الأسود في كتابه «الإسلام وأركانه الأربعة» ص٥٩٣ تحت عنوان: النداء العميق، وكلامه حول منكرات الحج، في كتابه السابق أيضاً ص٥٧٠ ـ ٥٧٢.

## عنايته بشأن الأسرة والمرأة:

كما حذر في كتابه «الصحوة القريبة» من المغالاة في المهر ١/٢٩٣، ومن إحجام الشباب عن الزواج ١/٢٩٤، كما حذَّر من انحراف بعض

الرجال في معاملة نسائهم، وسلوكهم داخل البيت ٦٤/٢، وقال ناصحاً الأزواج بعدم التحكم والبغي على نسائهن، وقال ٧٣/٢: «فقد تكون المرأة عجينة صالحة للصلاح، والاستقامة، وإطاعة الزوج، ولكنَّ سوء المعاملة، أو شدَّة المؤاخَذَة، تدفعها إلى الشَّطَطِ والعِنَاد. . . إنَّ المرأة ليست عند الرجل أثاثاً يُقْتنى، أو متاعاً يُباع ويشرى!!! ولكنها إنسانة لها حقوقها، وحرمتها، وحريتها، بحكم الإسلام، وحكم القرآن».

وحذَّر كذلك من الرشوة وبيَّن أخطارها وآثارها **٣٥٧/١**.

## مؤلفاته وتحقيقاته:

توجَّه الشيخ للكتابة والتأليف وهو في مدينة حلب، وهذه قائمة بأسماء مؤلفات الشيخ:

**١** ـ سمير المؤمنين في المواعظ والحكم والقصص. **٢** ـ الصحوة القريبة بإذن الله. وهو مجموعة خطب توجيهيَّة نافعة. **٣** ـ الحب الخالد. **٤** ـ الإسلام وأركانه الأربعة. **٥** ـ من قصص التنزيل. **٦** ـ النصيحة الموجزة.

وأما الكتب التي نشرها، فقد عُني ببعض كتب الإمامين الغزالي والنووي، وكان يهتمُّ في نشر تلك الكتب بالتعليقات المفيدة للقارئ، دون اهتمام بالمقابلة على أصول خطيَّة أو تخريج للأحاديث أو توثيق للنقول.

وهذه قائمة بأسماء الكتب التي عُني بنشرها وشرحها:

**١** ـ فتاوى الإمام النووي. **٢** ـ التبيان في آداب حملة القرآن للنووي. **٣** ـ بستان العارفين للنووي. **٤** ـ شرح المقاصد النووية. **٥** ـ بداية الهداية للغزالي. **٦** ـ فتح العلام في فقه الشافعية للجرداني.

## تلاميذه في المدينة المنورة:

ومن تلاميذه الذين صحبوه ولازموه، واستفادوا من علمه وصلاحه: فتح بن محمد عبدالله أبو الفتح البيانوني، وجذاع الصُّويلح، مدير إذاعة القرآن الكريم في الكويت، وعلي الحريري من نوى في حوران، وعمر



الكاف، ومحمود عبدالغني اليماني، وعبدالسلام بن محمد سعيد رمضان البوطي، ويوسف مرعشلي، وعبدالرحمن حجار، وعبدالمعين عرّوب، وغسان وتد، وتامر نجار، وسامح عطار، زوج حفيدة الشيخ.

وكان لي شرف الحضور عليه، وتقبيل يديه، وطلب الدعاء منه، في كل زيارة للمدينة المنورة، مع أولادي: أحمد وموفق، وقد أكرمني بإجازته العلمية عن شيوخه الذين أجازوه رحمهم الله تعالى.

## وفاته:

مكث الشيخ في المدينة المنورة قرابة ثلث قرن مستقيماً على منهج ثابت في العبادة والعلم، معافًى في بدنه، مُمتَّعاً بحواسِّه، آمناً في سربه، راضياً مطمئناً. وفي يوم الأربعاء **٥** محرم **١٤٢٨**هـ حضر إلى المسجد صحيحاً معافى، وصلى الصلوات الخمس فيه، وبعد صلاة العشاء من ليلة الخميس ذهب إلى بيته ليتناول طعام إفطاره، وأخلد إلى النوم في تمام الساعة العاشرة، وتأخر في الاستيقاظ عن موعده المعروف للتهجد والسحور، والاستعداد للذهاب إلى الحرم في موعد الأذان الأول، فدخل عليه ابنه الكبير رضوان، ليطمئنَّ عنه ويوقظه لتهجُّده وسحوره، فرآه في نومته التي تركه عليها، أول الليل، وقد توفاه الله الوفاة الكبرى، وأسلم الروح لبارئها، ليلة الخميس في حدود الساعة الواحدة ليلاً.

وقد صُلِّي عليه في المسجد النبويّ بعد صلاة الظهر من يوم الخميس **٦** محرم **١٤٢٨**هـ، وشيَّعه المئات من مُحبِّيه وتلامذته، ودفن في مقبرة البقيع بالمدينة المنورة.

## تحقيق أمنيته:

وقد قال رحمه الله تعالى في رسالة: «علِّموني يا قوم كيف أحج» ص**٥٩٦**: «والموتُ في المدينة، لا يناله إلا السعيد، لأنه يستوجبُ شفاعة رسوله الحبيب، وقد أكرم الله زوجتي بهذه الكرامة، وأسأل الله تعالى أن يَخُصَّني بها كما خَصَّها: «اللهمَّ إني أسألك شهادةً في سبيلك، والموت في

بلد نبيك». ثم قال رحمه الله تعالى: «وأضيف إلى هذا قائلاً وراجياً: اللهمَّ لا تقبضني إليك إلا وأنا صائم ساجد في بلد نبيِّك، اللهمَّ لا تحجبني بذنوبي عن بلد رسولك صلوات الله وسلامه عليه. ولله درُّ القائل:

يا نزولاً بها هنيئاً فقد ... فزتم بها في حياتكم والمَمَاتِ
من جنان إلى جنان فأنتم ... في كلا الحالتَيْن في جنَّاتِ
ما غبطنا الملوك ولكن غبطنا ... كم على نَيْل أحسن الحالاتِ»

انتهى.

□□□□□

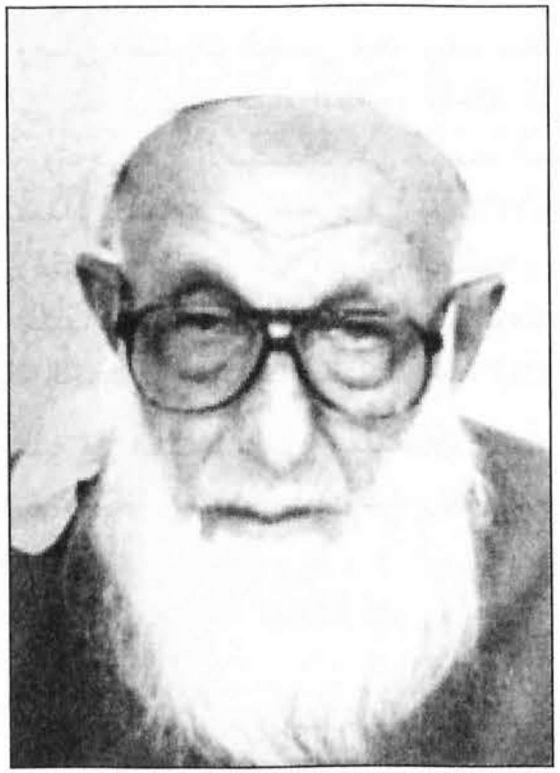

الشيخ محمد الحجار بعد هجرته إلى المدينة المنورة



# الشاعر الإسلامي الأديب المفسِّر
# محمد الحسناوي(١)
## (١٣٥٧ - ١٤٢٨هـ)
## (١٩٣٨ - ٢٠٠٧م)

بقلم: مَجْد مكي

تنعى رابطة علماء سورية إلى الأمة الإسلامية وفاة الأستاذ المربِّي الداعية، المفسِّر المتذوّق لبلاغة القرآن وإعجازه، الأستاذ محمد الحسناوي الذي تُوفي في عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية، صباح هذا اليوم ١٤ صفر ١٤٢٨هـ، الموافق ٤ آذار ٢٠٠٧م، في تمام الساعة العاشرة صباحاً، عن عمر يناهز السبعين عاماً، وقد أنهى حياته الحافلة بالدعوة، والجهاد، بالانكباب على كتاب الله عزَّ وجلَّ في عدَّة دراسات، كان آخرها دراسة بلاغية لأربعة سور من القرآن الكريم، وهي: الإسراء، والكهف، ومريم، وطه.

### ولادته ونشأته ودراسته:

ولد الأستاذ الحسناوي في مدينة جسر الشغور عام ١٩٣٨م، وهي

(١) نشرت بتاريخ ٢٠٠٧/٣/٤م، في موقع: (الإسلام في سورية) www.islamsyria.com وكنت أول من رثى الأستاذ بعدما بلغني نبأ وفاته رحمه الله تعالى.

مدينة تقع على نهر العاصي في منتصف الطريق بين حلب واللاذقية، وتخرج في كلية الآداب بجامعة دمشق عام **١٩٦١**م. ونال شهادة الماجستير في موضوع «الفاصلة في القرآن» عام **١٩٧٢**م.

## أعماله العلميّة:

عمل مديراً لتحرير مجلة «حضارة الإسلام» لمدة عام **١٩٦١**. كما عمل مدرساً للغة العربية في محافظة حلب ثمانية عشر عاماً من عام **١٩٦٢ ـ ١٩٨٠**م. إلى أن اضطر إلى مغادرة القطر السوري بملابسات تتعلق بأوضاع البلاد العامة.

كتب في عدد من المجلات الأدبية والإسلامية المعروفة، وفي دراسته للفاصلة في القرآن وهي ـ كلمة آخر الآية كقافية الشعر وسجعة النثر ـ اكتشف آثاراً مهمة للموسيقى القرآنية.

وشارك في عدد من المؤتمرات الأدبية، ونال عدداً من الجوائز في أدب الأطفال والقصة الإسلامية.

**من دواوين شعره المنشورة:** عودة الغائب، في غيابة الجب، ملحمة النور. **وفي الدراسات الأدبية:** في الأدب والأدب الإسلامي، وفي الأدب والحضارة، صفحات في الفكر والأدب. **وفي التاريخ:** ذكرياتي عن السباعي.

## كلمته حول تفسيري «المُعين»:

وقد أرسلت إليه كتابي «المعين على تدبُّر الكتاب المبين» فكتب كلمة حَوْله، لعلَّها آخر ما كتبه رحمه الله تعالى، نقتطف منها ما يلي:

«الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبيّ الأميّ وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من اهتدى بهداه إلى يوم الدين. وبعد... فقد رغب إليَّ من لا تُردُّ رغبته، الأخ الشيخ مَجْد مكي، أن أكتب له مقدمة لتفسيره (المعين على تدبر الكتاب المبين)، لظنه الحسن بي.



وأسأل الله تعالى أن يجعلني عند حُسْن ظنه، لأنَّ بضاعتي محدودة بعلوم اللغة العربية وبشيء يسير من علوم القرآن الكريم.

لقد سرّني أيما سرور أن يسدّ أحد الكتاب المعاصرين ثغرة في تأليف كتاب تفسير، يجمع بين السهولة والإيجاز والدقة في الفهم والتعبير، ويلائم أهل هذا العصر في الوقت نفسه.

من يطالع (المقدمة) التي حرَّرها المؤلف يجد ما يُطمئنه، ما وضع المؤلف نفسه من صُوىً ومعالم، عمل على تحقيقها في هذا التفسير: من استشعار عظمة هذا العمل وخطورته، والإفادة من جهود الجهابذة السابقين المعتمدين، والعناية بالجانب (التدبُّري) من نصِّ القرآن، ضمن (أربع عشرة قاعدة) ألزم نفسه الأخذ بها. إحداها: (ملاحظة العمق القرآني)، والقرآن الكريم (حمَّال أوجه)، و(كتاب لا تنقضي عجائبه)، وفيه من (معنى المعنى) أو (اللوازم الفكرية، والكنايات البعيدة)، و(ظاهرة التضمين) ما بلغ حدّ الإعجاز، لذلك يتفاوت الناس، بما فيهم العلماء الأفذاذ، في مقدار فهمه وتذوُّق حلاوته، كما يتفاوتون في القدرة على التعبير عمَّا فهموه وأحسُّوا به من كلمات هذا الكتاب المُحكم وآياته وسوره.

كنت أقول في نفسي، وما زلت: لقد حصل لي من علوم العربية والأدب والقرآن مثل ما حصل للمرحوم سيد قطب، فلماذا يقصر فهمي عن فهمه له، كما يقصر تعبيري عن تعبيره؟ هل هي (الذائقة الفنية) التي تمتَّع بها؟ أم ماذا؟ فيجيب سيد قطب عن إدراك النصوص القرآنية: (إنما تُدرك أولاً وقبل كل شيء بالحياة في جوِّها التاريخي الحركي، وفي واقعيتها الإيجابية، وتعاملها مع الواقع الحيّ... إنما هي استعداد النفس برصيد المشاعر والمُدْرَكات والتجارب تشابه المشاعر والمُدْرَكات والتجارب التي صاحبت نزوله، وصاحبت حياة الجماعة وهي تتلقَّاه في خِضَمّ المعترك... معترك الجهاد، جهاد النفس وجهاد الناس... جوّ مكة... جوّ المدينة... جوّ (بدر) و(الخندق) و(الحديبية)... في هذا الجو الذي تنزَّلت فيه آيات القرآن حية نابضة واقعية... كان للكلمات وللعبارات دلالاتها

وإيحاءاتها... وفي مثل هذا الجو الذي يصاحب محاولة استئناف الحياة الإسلامية من جديد، يفتح القرآن كنوزه للقلوب، ويمنح أسراره، ويُشيع عطره، ويكون فيه هدى ونور) (انظر: خصائص التصور الإسلامي، ص٧ و٨) وأين نحن من ذاك؟

لما عرضت جهد أخي الشيخ مجد على هذا المعيار، وجدته قد أفلح في تحقيق الكثير مما ألزم نفسه به، لكنه بالقياس إلى معيار سيد قطب ـ كما أجد نفسي ـ بحاجة إلى مزيد من الجهد والصقل والعيش في (جو القرآن).

إنَّ صاحب تفسير (المعين)، الذي أدمن الدراسة في كتب التراث، ولا سيما كتب الفقه، من متون وشروح، وشروح الشروح والمختصرات، انطبع أسلوبه بأسلوب كُتَّابها، والمعلوم أن أسلوب العلماء أولئك، وشعر العلماء دون الأساليب الرفيعة حين تفتقد الماء والرونق، نستثني منهم أسلوب الإمام الشافعي، والغزالي، وابن خلدون، وابن تيمية، وابن القيم، وابن الجوزي، وأمثالهم.

## وحدة الآية وعلاقتها بما قبلها وما بعدها:

وبالمناسبة أوصي نفسي والمعنيين بدراسة القرآن الكريم وتفسيره بالتفطُّن إلى (معادلة) دقيقة تجمع بين وحدة الآية أو استقلالها من جهة، وبين علاقتها بما قبلها أو بعدها من الآيات من جهة ثانية، علاقة استكمال أو تكامل أو تقابل أو تعليق أو ختام.

## دلالة التعقيب في آخر الآية:

فتفسير الآية يحتاج أولاً إلى إدراك العلاقة الواشجة بين أجزائها، ولا سيما علاقة كلمة الفاصلة التي هي ركن مهم فيها، وقد كشف العلماء عن أربعة أنواع من هذه العلاقة: (التمكين ـ الإيغال ـ التصدير ـ التوشيح)، ومثل ذلك: **علاقة التعليق أو التعقيب في آخر الآية**.

نضرب على ذلك مثلاً من سورة الروم، حيث يتردَّد تعقيب في ختام الآيات (٢١ ـ ٢٤) بصيغة واحدة مع تباين في كلمات الفاصلة:



﴿... إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾، ﴿... إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾، ﴿... إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ ﴿... إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

هذا التباين في كلمات الفاصلة (يتفكَّرون ـ للعَالِمين ـ يسمعون ـ يعقلون) ذو صلة بمضمون الآية أو بالقرينة التي تشغل الشطر الأول من الآية، ويشغل التعليق الشطر الثاني منها؟ فالله تعالى خلق الأزواج والأنفس، وجَعَل المودة والرحمة بينهم ممَّا يدعو إلى تفكُّر المتفكرين، لما في ذلك من آيات عميقة لا يدركها إلا أصحاب العقول والألباب، أما تنوُّع الألسن واللغات وسِمَات الوجوه والأقوام والجماعات (البيض ـ السمر ـ الحُمر ـ الصُفر ـ السود) فيستدعي علم العالمين. ومن كرم الله وفضله الدالّ على قدرته: معجزة إنزال الماء من السماء، من خلال البرق والرعد المخيف المُطْمع في وقت واحد، الباعث للحياة في الأرض الموات، يروي البشر والشجر والدواب، وفي ذلك ما فيه من علامات وإشارات لأصحاب العقول الراجحة للاهتداء إليه سبحانه وإلى عظيم قدرته وخلقه. وأخيراً إن نظام النوم في الليل للراحة واليقظة في النهار للعمل في طلب الرزق... يدعو أصحاب العقول للتأمل والتفطن إلى الأسرار والنعم التي تترتب على هذا النظام.

وهكذا جمعت التعليقات الأربعة بين التناظر في الصيغة والتباين في الدلالة، مع ارتباط كل منها بآيتها ارتباطاً وثيقاً. وهذه بعض ملامح الجمال والإعجاز[1].

## الاهتمام بأسلوب الالتفات في القرآن:

مما نُوصي به المعنيين: الاهتمام بأسلوب **الالتفات في القرآن** الذي هو التحويل في التعبير الكلامي من اتجاه إلى آخر من جهات أو طرق الكلام الثلاث: (التكلم والخطاب والغيبة) مع أن الظاهر في متابعة الكلام يقتضي الاستمرار على ملازمة التعبير وَفْقَ الطريقة المختارة أولاً دون التحول عنها.

---

(١) وقد أظهرت في تفسيري «المعين» دلالة التعقيب في آخر هذه الآيات التي أشار إليها الأستاذ الحسناوي رحمه الله تعالى، وفي سائر التفسير بفضل الله وعونه.

وهو فن من فنون القول يلقَّب بشجاعة العربية، وأحد نواحي الإعجاز في حيويته وروعة تنقله وفي تأثيره في الإعراض والإقبال أو المفاجأة أو الاستحضار، كما هو أحد الأساليب التي تندرج تحت مسمى الخروج عن الظاهر، لغرض فنيّ أو ديني أو للأمرين معاً، وما أكثر ذلك وما أروعه!!

## جوانب التوفيق في تفسير (المعين):

أما جوانب التوفيق في هذا السِّفْر الجليل فكثيرة، نُمثِّل لها بالوحدات التي يستنبطها المؤلف من سياق الآيات، بإبرازها متسلسلة رقمياً، مما (يعين) على تدبُّرها، ثم العمل بها بعد التدبر. ففي سورة (الإسراء) يستنبط ثلاث وظائف كبرى للقرآن الكريم:

(الوظيفة الأولى: يدلُّ ويرشد إلى الطريقة التي هي الأقرب إلى الاعتدال الكامل في كلِّ سلوك بشريّ.

والوظيفة الثانية: يُبشِّر القرآن المؤمنين إيماناً صحيحاً صادقاً، الذين يعملون الصالحات، بأنَّ لهم أجراً كبيراً ينالونه في الجنة.

والوظيفة الثالثة: ينذر الذين لا يؤمنون بالآخرة بأننا هيئنا لهم عذاباً مُؤْلماً في النار).

كما يستنبط ثلاث عشرة وصيَّة تكليفية، بقضاء مُبْرَم، مُوجَّهة إلى رسول الله ﷺ ولكلِّ فرد من أمته، أولها: (لا تعبدوا إلا الله)، وآخرها: (اجتناب مشية البطر والتكبر والخُيلاء في الأرض). ومثل ذلك استنباطه عدد الخوارق الستة، التي طالب بها مشركو قريش لينقادوا للإيمان بالرسول محمد ﷺ، وهي من باب التعنت والتعجيز.

أُهنِّئ أخي الشيخ مَجْد مكي على إنجازه هذا السفر النافع، وعلى رحابة صدره في تقبُّل النقد والسعي الدائب للصقل والتجويد، وأسأل المولى تعالى أن يتقبَّل عمله، وأن يجزيه خير ما يجزي به العاملين في خدمة كتابه



العظيم، إنه نعم السميع ونعم المجيب. والحمد لله ربّ العالمين[١]. انتهى.

## مرضُه ووفاته:

استمرَّ الأستاذ الحسناوي على عطائه رغم معاناته من الفشل الكلوي الذي نزل به منذ ثلاث سنوات، وكان آخر لقاء معه في زيارته لمكة المكرمة في شهر رمضان الفائت **١٤٢٧**هـ. ونقدِّم العزاء بوفاته لأسرته الكريمة، ولجميع إخوانه ومحبيه وتلاميذه، ونسأل الله عزَّ وجلَّ أن يُعوِّض المسلمين خيراً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

□□□□□

(١) عرضتُ أكثر ما جاء في رسالته، وأعرضتُ عن بعض، وقد أجبتُه برسالة تفصيليّة، وناقشته عن بعض الاعتراضات التي ذكرها رحمه الله تعالى، ولعلِّي أنشر الرسالتين المتبادلَتَين في مناسبة أخرى، بعون الله عزَّ وجلَّ.

# الشيخ صادق حبنكة الميداني عالم فقدناه[1]

## (١٣٣٨ ـ ١٤٢٨هـ)

## (١٩١٨ ـ ٢٠٠٧م)

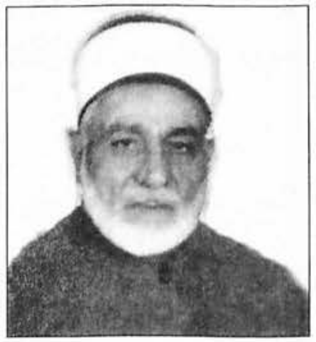

بقلم: مَجْد مكي

### ولادته:

ولد فضيلة الشيخ صادق ابن مرزوق بن عرابي بن غنيم حبنكة الميداني حوالي سنة ١٣٣٨هـ، ١٩١٨م، في حي الميدان، وهو من أحياء دمشق العريقة، وهو حي معروف ببطولات رجاله وسخائهم ونخوتهم، ومحافظتهم على العادات العربية الكريمة.

ووالدته: خديجة المصري امرأة صالحة من قرية الكسوة جنوب دمشق، وقد توفيت سنة **١٣٥١** بعد عودتها من الحج.

(١) نشرت بتاريخ ٢٠٠٧/١١/٦م، في موقع: (الإسلام في سورية) www.islamsyria.com.



### زواجه ونشأته:

وقد تزوَّج قريبة له فلم تنجب له، ثم مرضت وتوفيت، وظل وفياً لها ومحافظاً على ذكراها عدة سنين، ثم رأت شقيقته زهرية في الرؤيا تطلب منها تزويجه، فتزوَّج أخرى من بيت الخطيب في حي الميدان، فأنجب منها ذكوراً وإناثاً، وقد اشتغل طوال عمره في التعلم والتعليم مع ممارسة بعض أعمال الكسب.

وهو شقيق الشيخ حسن حبنكة الميداني، وقد درس على أخيه العلوم العربية والإسلامية، وكان عضده ووزيره في مؤسساته التي أنشأها والمعلم الأول في مدرسته الشرعيَّة.

### صفاته ومواهبه:

وعُرف ببرِّه وإخلاصه، وحكمته ورُشْده وحُسْن رأيه وتدبيره، وقد أسند إليه الشيخ حسن إدارة معهد التوجيه الإسلامي لثقته بحصافة عقله وحسن إدارته.

وقد أعطاه الله موهبة شعرية وأدبية رفيعة، ولكنه لم يستغلها في إنتاج كبير، لانشغاله لإدارة مشروع المدرسة، والعلم والتعليم، وبعض أعمال الكسب، للإنفاق على أسرته.

### نماذج من أدبه:

كتب رسالة جوابية إلى ابن أخيه العالم المفسِّر الشيخ: عبدالرحمٰن حبنكة الميداني يقول فيها:

«سبق الشوق كتابي فأتاني بالجواب
فجلا عني غيوماً ساقها طول الغياب»

وكتب إليه أيضاً:

صبرت عن اللقاء فكنت جَلْداً وما أرسلت ـ معترفاً ـ كتابا
ولما استُنفدت طاقات صبري بعثت إليك ألتمس الجوابا

### دراسته ومطالعاته ودروسه:

اهتمّ في دراسته ومطالعاته باللغة العربية والتخصُّص في فنونها وإتقانها. فكان في حلقات شقيقه الشيخ حسن المرجع اللغوي ضبطاً وفهماً، وله أيضاً بصيرة دقيقة في النحو والإعراب، وشرح كبريات كتب العلم، وفهم عويص عبارات المتون والشروح، وله فهم دقيق في العلوم العقلية، مع ما وهبه الله تعالى من ذكاء لَمَّاح ونكتة حاضرة مبتكرة ذكية، تثير ضحك الحزين.

وله ـ رحمه الله تعالى ـ خطب ودروس رصينة المضامين الفكرية، يعتمد فيها على التحليل والمنطق العقلي المقنع، والروابط الفكرية الطبيعية المنطقية، ويبرز في أدائه الضبط اللغوي، واستعمال المفردات اللغوية الدقيقة في دلالتها على المعاني المرادة.

### وفاته:

توفي رحمه الله تعالى بعد فجر يوم الثلاثاء **٢٦** شوال **١٤٢٨هـ**، الموافق ٢٠٠٧/١١/٦م، وصلي عليه بعد صلاة الظهر في جامع الشيخ حسن، ودفن في مقبرة الجورة في حي الميدان[1].

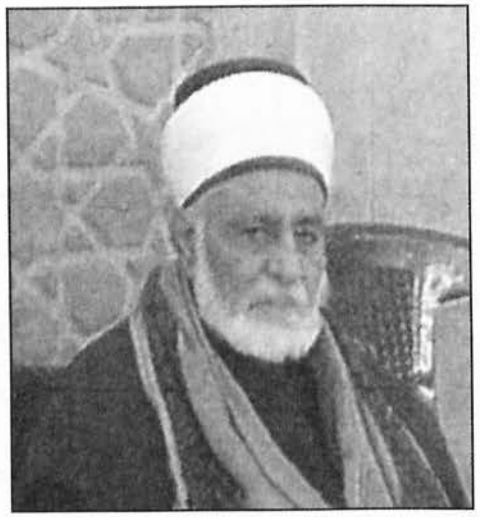

(١) المرجع: كتاب الشيخ: حسن حبنكة الميداني، قصة عالم مجاهد، بقلم ولده: عبدالرحمٰن حبنكة الميداني.



## الشيخ أحمد قلاش
## عالم عامل فقيه نحوي[1]
## (١٣٢٨ ـ ١٤٢٩هـ) (١٩١٠ ـ ٢٠٠٩م)

إعداد تلميذه: مجد مكي

هو العالم العامل، الفقيه، النَّحوي، الداعية المُربِّي المُعَمَّر الشيخ أحمد بن عبدالقادر قلاش الشافعي الحلبي.

### ولادته ونشأته:

ولد ونشأ في كنف أسرة محافظة تُحبُّ العلم وتحترم العلماء، فوالد صاحب الترجمة رجل متواضع كان يعمل نسَّاجاً على النول العربي، ووالدته سيدة فاضلة من آل قنبر المشهورة نسبتهم إلى السيد عبدالقادر الجيلاني.

وتعلم القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره على يد الشيخ مصطفى عاشور، في مكتب جامع (علم الشرق) في حي (المشاطية)، ثم انتقل إلى المدرسة الابتدائية، ودرس بعض صفوفها، وفي هذه المرحلة تنبه والده إلى

(١) نشرت بتاريخ ٢٠٠٨/٧/١٢م، في موقع: (الإسلام في سورية) www.islamsyria.com.

فطنة ولده وذكائه، فقرر إرساله إلى المدارس الشرعية ليطلب العلم الشرعي.

## تلقِّيه العلوم الشرعية:

وبدأ يتلقى العلوم الشرعية والعربية في المدرسة العثمانية، على يد شيخه الشيخ محمد الناشد (ت١٣٦٥). وحفظ ألفية ابن مالك وعمره ١٣ سنة بالإضافة إلى بعض المنظومات الأخرى.

ثم انتقل إلى المدرسة الشعبانية، وتابع فيها تلقِّي العلم على يد شيوخه الشيخ طاهر الكيالي، والشيخ أحمد التيجي، والشيخ إبراهيم الدرعزاني، وحفظ في هذه المرحلة الكثير من المتون، والقصائد الطويلة، ثم عاد إلى المدرسة العثمانية، ليلتقي فيها شيخه الشيخ محمد الحنيفي (ت١٣٤٢)، ويأخذ عنه علم التوحيد، وقد قرأ عليه متن الباجوري، ثم أعاد قراءة النحو مرة ثانية على شيخه الشيخ محمد الناشد، قرأ عليه في النحو: شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، وفي البلاغة: «التلخيص للقزويني». والفقه الشافعي على شيخه الشيخ محمد سعيد الإدلبي (ت١٣٧٠). وقرأ عليه متن التحرير في الفقه الشافعي.

ثم تحوَّل إلى المدرسة الإسماعيلية، وبدأ فيها حفظ القرآن الكريم، فحفظ ثمانية أجزاء، ثم انتسب إلى المدرسة الخسروية (الثانوية الشرعية) فأخذ الحديث النبويّ الشريف والسيرة العطرة وتاريخ الإسلام على يد شيخه محدث حلب ومؤرخها الشيخ محمد راغب الطباخ (ت١٣٧٠). ودرس عليه في الحديث: مختصر الزبيدي للبخاري، مع شرح الشرقاوي عليه، ومقدمة ابن الصلاح، وفي التاريخ: نور اليقين، وإتمام الوفاء. ودرس الفقه الشافعي على شيخه الشيخ محمد سعيد الإدلبي، والشيخ عمر المارتيني، حيث قرأ عليه كتاب: (الإقناع في شرح متن أبي شجاع). للشربيني، كما درس على العالم الأصولي المدقق الشيخ محمد أسعد العبجي (ت١٣٩٣)، وقرأ عليه: «غاية الوصول شرح لب الأصول».

وأخذ علوم العربية نحوها وصرفها وبلاغتها، على شيخه الشيخ أحمد الكردي مفتي حلب (ت١٣٧٣).



وأخذ علم الفرائض على شيخه الشيخ عبدالله المعطي (ت١٣٥٣)، وعلم المنطق والتوحيد على شيخه الشيخ فيض الله الكردي.

هذا بالإضافة إلى ما حصل المترحم له من العلوم الكونية كالحساب والجغرافية والعلوم الطبيعية وغيرها.

## حصوله على الدرجة الأولى في المدرسة الخسروية:

وفي عام ١٣٤٨هـ ـ ١٩٢٩م تخرج الشيخ في المدرسة الخسروية حائزاً على الدرجة الأولى بمرتبة نابغ ممتاز تخرج مع الشيخ في القافلة الرابعة من خريجي الثانوية الشرعية، كلٌّ من المشايخ الآتية أسماؤهم حسب ترتيب نجاحهم: أحمد قلاش، برهان الدين الداغستاني، محمد الناصر، سعيد المسعود، محمد سلقيني، مصطفى مزراب، محمد خليلو التادفي، مصطفى المارعي، همام النعساني، عبدالرحمٰن حوت، عبدالله الأسود، محمد نور البلاط، عبدالله سلطان، عمر محو، حسن الحموي.

وقد التقى في هذه المرحلة الشيخ محمد أبا النصر خلف الحمصي (ت١٣٦٨)، وصحبه وأخذ عنه الطريقة النقشبندية، ورافقه في بعض جولاته على المدن والقرى.

## في ميادين العمل والدعوة والتربية:

ثم انطلق إلى ميادين العمل والتربية، والدعوة إلى الله، ونشر العلم، فعمل إماماً وخطيباً في عدد من مساجد حلب، وأنشأ بالاشتراك مع أخيه الشيخ بكري رجب (ت١٣٩٩)، مكتباً لتعليم الطلاب القرآن الكريم، ما لبث هذا المكتب أن غدا مدرسة علمية مباركة، أطلق عليها الشيخ اسم: المدرسة الرضائية، وقد شاركهم في التعليم فيها الشيخ محمد أديب حسون (ت١٤٢٩).

وقام بالتدريس في المدرسة الشعبانية في سنة (١٩٤٩ إلى سنة ١٩٥٩)، في الفترة التي كانت المدرسة تابعة للأوقاف، ودرس في تلك الفترة الفقه وأحكام البيع على المذهب الشافعي.

وعندما جدد افتتاح المدرسة الشعبانية بإشراف العلامة الشيخ عبدالله سراج الدين، انتدب الشيخ أحمد ليدرس فيها علوم اللغة العربية، نحوها وصرفها وبلاغتها. واستمرَّ في التدريس فيها أكثر من ثلاثين عاماً.

كما كانت له جولات على القرى المحيطة بحلب كل يوم اثنين بصحبة بعض إخوانه من العلماء يجمعون أهل القرية في المسجد، فيعظونهم، ويعلمونهم أمر دينهم ودنياهم، وكان يشاركه في هذه الجولات صديقه الشيخ بكري رجب، والشيخ مصطفى مزراب، والشيخ محمد الغشيم (ت١٣٩٨)، والشيخ عادل حمصي، والشيخ عبدالمجيد قطان، وغيرهم.

وربما قصد بعض المقاهي في مدينة حلب ووقف بمكان الحكواتي ليعظ الناس ويعلمهم، وقد تعرض لكثير من المضايقات حتى منع.

وكانت له دروس في اللغة العربية والفقه الشافعي والتفسير في المدرسة الخسروية، وكان ينتقل بين هذه المدارس، يلقي دروسه هنا وهناك، دون كلل أو ملل، إذ كان يجد متعته في نشر العلم، وإفادة الطلاب، وقد تخرج على يديه عدد كبير من طلاب العلم خلال أكثر من سبعين سنة أمضاها في نشر العلم، والدعوة إلى الله.

## هجرته إلى المدينة المنورة:

وفي عام ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨١م، آثر الشيخ مجاورة النبيّ عليه الصلاة والسلام، فهاجر إلى المدينة المنورة، وعمل أستاذاً في الجامعة الإسلامية فيها، أكثر من سنتين، واختير خلالها عضواً في مجلس البحث العلمي في الجامعة المذكورة، وعندما أحيل إلى التقاعد نظراً لكبر سنِّه، آثر البقاء في المدينة المنورة للمجاورة والعبادة.

وكان إذا حضر إلى مدينة حلب، أسرع إليه طلابه، فله معهم في كلِّ يوم مجالس علم، يقرأ لهم فيها الحديث النبويّ الشريف، والنحو في جامع (قسطل الحرمي)، وجامع (قنبر) وجامع (سكر) في حي الكلاسة.

## حبه للمطالعة:

كان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ محباً للمطالعة، شغوفاً بقراءة الكتب، يمضي الساعات الطويلة في القراءة الواعية، واضعاً ملاحظاته وحواشيه وآراءه وتعليقاته على حواشي الكتب التي يقرؤها. وقد وقف مكتبته النادرة على ثانوية إعزاز الشرعية، ويقوم بعض الأساتذة بتصوير تعليقاته على حواشي الكتب التي قرأها.



وتميَّز ـ رحمه الله تعالى ـ بتدقيقه النادر في فهم العبارات والوقوف عندها وربطها ببعضها فلا تمر عبارة إلا يقف عندها، ويكشف غطاءها، ويفتح مقفلها ويوضِّح معناها. وقلما يمرُّ عليه كتاب من القدامى أو غيرهم ـ مع كثرة مطالعته ـ إلا وله عليه انتقادات لطيفة، وملاحظات مفيدة. وقد استفاد هذا المنهج النقدي الدقيق من أستاذه العلامة الشيخ محمد سعيد الإدلبي.

## أسلوبه في التعليم:

وهو صاحب أسلوب مميَّز في التعليم، يقف بطلابه عند كل عبارة يدقق في ألفاظها ومعانيها، وما ترمي إليه، يوضح ذلك بذوقه العلمي الرفيع وأسلوبه النقدي المتَّزن البعيد عن التعالي، أو النيل من غيره، إذ الهدف عنده هو الوصول إلى الحقيقة العلمية، فحيثما وجدها التقطها، وهو لا يجد حرجاً إن راجعه أحد في مسألة علمية، وبان له صواب رأيه، أخذ به مباشرة ووضح ذلك لطلابه، مع تقديم الشكر لمن راجعه والثناء عليه.

كما امتاز بمقدرة فائقة على تقريب المعاني وتيسير العلم، بحيث يدخله إلى عقل الطالب من غير مانع أو حاجب، مع استعماله لوسائل التعليم وحسن التمثيل وجمال العرض.

وكان كثير التشجيع لطلابه ـ ولا سيما الصغار منهم ـ يرفع هممهم ويحضهم على الاستزادة من العلم ويثني على الطالب الذكي منهم، ويبذل المكافآت المادية لهم.

## كتبه ورسائله:

ولقد رأى الشيخ من تأليف الرسائل التوجيهية، والقصص التربوية

والكتب العلمية، طريقاً آخر لنشر العلم، والدعوة إلى الله، فكان له جملة من الرسائل والكتب، نذكر منها:

**أ ـ الكتب العلمية:**

١ ـ تيسير البلاغة. أبرز فيه البلاغة في ثوب جديد يناسب هذا العصر. ٢ ـ أحكام البيع على المذهب الشافعي، مع الأدلة والعبارات الواضحة. ٣ ـ من كنوز الإسلام. ٤ ـ من ذخائر الإسلام. ٥ ـ من بدائع الحكم. ٦ ـ في ظلال الجنة. ٧ ـ تفسير جزء عمَّ.

**ب ـ الرسائل التوجيهية:**

١ ـ كيف تكون مسلماً؟ ٢ ـ الصلاة الخاشعة. ٣ ـ صوموا تصحوا. ٤ ـ كيف تحجّ؟ ٥ ـ أنفع الدروس في تهذيب النفوس. ٦ ـ سُلَّم الأطفال لبلوغ الكمال. ٧ ـ أزهار في تربية الصغار. ٨ ـ عجائب من الأخلاق الإسلامية. ٩ ـ محمد رسول الجهاد. ١٠ ـ حيَّ على الجهاد. ١١ ـ طريق النصر.

**ج ـ القصص التربوية للأطفال والكبار:**

١ ـ القصص النبويّ الصحيح. ٢ ـ معجزة الإسراء والمعراج. ٣ ـ أنبياء العرب. ٤ ـ عيسى ابن مريم. ٥ ـ يوسف الصدِّيق. ٦ ـ نوح عليه السلام. ٧ ـ جنة آدم.

كما قام بتصحيح بعض الكتب والإشراف على طباعتها، ومنها: «كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس»، للعجلوني، وكتاب: «إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء» لمحمد الخضري. كما ضبط «متن البناء» و«متن المقصود» في علم الصرف.

وكان بعض الأدباء والشعراء يعرضون نتاجهم عليه قبل طبعه وإخراجه، ليقوم بتصحيحه، وإبداء ملاحظاته عليه.

## أخلاقه وصفاته:

كان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ عظيمَ النفس، عالي الهمَّة، ذكياً لمَّاحاً، رفيع الأخلاق، يتواضع لمن يعلِّمه، أو يتعلم منه، محباً لطلابه، رؤوفاً بهم.



وقد أُوتي مع ذلك روحاً مرحة، وظلاً خفيفاً، ودعابة مُحبَّبة، ونكتة حاضرة، ويظهر أثر ذلك كله في دروسه، فلا ترى فيها أثراً للسآمة أو الملل مهما طالت.

## صفاته الخِلْقية:

أسمر اللون، منوَّر الوجه والشيبة، ضعيف الجسم، اضطربت خطاه لما كَبِر في السن، وقد أدركه طلابه شاباً قوي الجسم يسير وكأنه ينحط من جبل، وينتقل بين المدارس والصفوف بهمَّة ونشاط، مرتدياً جبته الطويلة، مزيناً رأسه بعمامة بيضاء فوق (طربوش أحمر).

## مرضه ووفاته:

وما زال الشيخ مقيماً في المدينة المنورة، مجاوراً الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام، مُستمراً على عطائه العلمي، حتى كُسر حوضه، ولزم الفراش، وكان يتردَّد عليه طلاب العلم، وهو حاضر البديهة، ولا يخلو مجلسه ـ حتى في أيام مرضه ـ من الفوائد العلمية، والنكات اللغوية، ويتعرف على زائريه، ويطلب القراءة عليه في كتاب من كتب العلم، حتى اشتدَّ به المرض قبيل وفاته بشهر. وتوفي عصر يوم السبت ١٠ رجب ١٤٢٩، وصُلِّيَ عليه في المسجد النبويّ بعد صلاة فجر يوم الأحد ١١ رجب ١٤٢٩، ووُوري في البقيع بجوار الرسول ﷺ، وصحابته الأكرمين والعلماء العاملين والشهداء والصَّالحين، وانطوت بموته صفحة من صفحات العلم الناصع، وتاريخه العبق الشذي، نسأل الله سبحانه أن يتغمَّد فقيد العلم بواسع رحمته وسوابغ إحسانه، وأن يخلف على المسلمين خيراً، وأن يعوِّضهم عن فَقْد علمائهم وصُلحائهم إنه أكرم مسؤول وخير مأمول[1].

---

(١) المصادر: علماء من حلب في القرن الرابع عشر للأستاذ: محمد عدنان كاتبي. ومقدمة تيسير البلاغة للأستاذ صفوان داودي.

## العالم البحّاثة الداعية المفكّر هاني الطايع[1]
## (١٣٥٥ ـ ١٤٣٠هـ) (١٩٣٦ ـ ٢٠٠٩م)

بقلم: مَجْد مكي

انتقل إلى رحمة الله تعالى في صباح يوم الثلاثاء ١٤٣٠/١/١٧ الأخ الكريم الداعية المُربِّي الأستاذ هاني الطايع (أبو ربيع)، وهو من خيرة من عرفت من الدعاة الأوفياء والمفكرين الأدباء.

### لمحات من حياته:

والأستاذ أبو ربيع من مواليد اللاذقية ١٩ تموز ١٩٣٦م، درس اللغة العربية في جامعة دمشق، وتتلمذ على كبار العلماء فيها وتعرف على الدكتور مصطفى السباعي، وأصبح من أقرب تلاميذه إليه، وكان له دور في إدارة مجلة «حضارة الإسلام». انتقل في أواخر الستينات الميلادية إلى دولة قطر فكان أحد رجالاتها المساهمين في نهضتها التعليمية من خلال اشتراكه في وضع المناهج الدراسية.

(١) نشرت بتاريخ ٢٠٠٩/١/١٨م، في موقع: (الإسلام في سورية) www.islamsyria.com.



### صلتي به:

وتعود صلتي به منذ أكثر من عشر سنوات في أول لقاء لي به في منزل الدكتور عبداللطيف الهاشمي، وكان حديثه عن ذكرياته بأستاذه السباعي ـ رحمه الله تعالى ـ.

وأُعجبت بوفرة المعلومات، ودقة التحليل، وروعة الأسلوب... وأَسَرني بحُسن إلقائه وجميل مودته وكريم صلته.

### لقاءات في جُدة وشدة حبه للكتب:

وتتابعت لقاءاتي به في زياراته المستمرَّة لجدة، وتوثَّقت صلتي به، وكان دائم السؤال لكل جديد في عالم الكتب، ولا أعرف مثيلاً له في حُبِّه للكتاب، وحرصه على اقتنائه ومطالعته، ومتابعته المستمرة للثقافة بكل أفنانها ومختلف ألوانها.

### إقامته في قطر وصلاته العلمية والدعوية:

أقام في قطر منذ أكثر من خمسة وأربعين سنة، وتربطه صلات وثيقة مع كبار الدعاة في العالم الإسلامي، فهو من خواصِّ أصحاب الأستاذ السباعي، وقد أمد الدكتور عدنان زرزور، بأضابير مهمّة عند قيامه بكتابته الواسعة عن الشيخ السباعي، وذكره في مقدمة كتابه عن الأستاذ السباعي، وأثنى على جهده وما بذله له من معلومات ووثائق.

وللأستاذ ـ رحمه الله تعالى ـ صلات وثيقة مع الأستاذ الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، والشاعر عمر بهاء الأميري رحمهما الله تعالى، والدكتور الشيخ يوسف القرضاوي، والأستاذ المربي الداعية الفاضل عادل كنعان، والشيخ العالم الداعية مصطفى الصيرفي، وعشرات من كبار العلماء الأثبات والدعاة الثقات، وذكريات عطرة عنهم، تأسر المستمع إليه فلا يكاد يملُّ من حديثه وفوائده.

### زيارتي له في بيته بقطر:

وزرته منذ أكثر من عام في بيته العامر في (الدوحة) عند حضوري لمؤتمر شيخنا القرضاوي في ٦/٢٩ - ١٤٢٨/٧/٢هـ، الموافق ١٤ - ٢٠٠٧/٧/١٦م، ودُهشت من مكتبته الواسعة التي تكتظُّ بها جدران بيته الواسع... ولديه ملفات ضخمة تتضمّن الكثير من مشاريعه العلميّة والتربوية والدعوية واللغوية.

### آخر لقاء:

وكان آخر لقاء لي به في شعبان من السنة الفائتة **١٤٢٩**، إذ حضر لشهود عقد ابنة ابنته وصهره الأخ الكريم الأستاذ مصطفى صباغ، وألقى كلمة رائعة جميلة، وتكرَّرت زياراتنا له مع إخواننا الذين يتَّصل بهم، حيث كان يجد أُنسه وسعادته مع أصفيائه وأصدقائه في جدة من أمثال: الأخ الدكتور عبداللطيف هاشمي، والأخ الشاعر سليم عبدالقادر، والأخ الأديب عبدالله زنجير، والأخ الإعلامي الأستاذ سداد عقاد... واجتمعنا في أمسية شعرية رائعة في بيت الأخ المفضال الكريم الأستاذ وليد الزعيم، وحضرها مجموعة من الشعراء منهم: الأستاذ أحمد البراء الأميري، والدكتور محمد نجيب مراد، والدكتور محمد وليد، والأستاذ سليم عبدالقادر، شارك فيها بتعليقاته الرائعة ونقداته الأدبية العميقة.

### كنوز علمية وأدبية:

ألحَّ الإخوة عليه بتسجيل ذكرياته، وتدوين تاريخ الدعوة، وإخراج ما لديه من كنوز علمية، وكان يعد... ولكن لم يخرج شيئاً من تلك الآثار المكنوزة في صدره ومكتبته... ولعل الله يُقيِّض من أبنائه؛ الأخوين الكريمين: ربيع ومرهف، أو من إخوانه: صبحي[١] وعثمان، أو من أصهاره من يحقق هذا الأمل المُرتجى، ويستفيد من مكتبته الضخمة، وأرشيفه

(١) توفي رحمه الله تعالى في **١٩** رمضان سنة **١٤٣٠**، إثر جلطة دماغيّة مفاجئة، ودفن في جدة.



الواسع، نسأل الله سبحانه أن يتغمَّد الفقيد الكريم بواسع رحمته، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

### كلمة الدكتور القَرَضاوي في رثائه:

وقد صلى عليه فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي، وعقب مواراة جثمانه الطاهر ألقى كلمة عدَّد فيها مناقبه قال فيها:

«علمتُ اليوم بالخبر، وكنت أتمنى أن أعوده، فقد كان بالمستشفى، لكنني لم أكن أعلم، وقد جئت مؤخَّراً من سفر... إنَّ من حقِّ المسلم على المسلم أن يعودَه إذا مرض، فما بالك إذا كان هذا صديقاً عزيزاً وأخاً حبيباً؟ عرفناه سنين طويلة مؤدياً لواجبه نحو أسرته، ونحو عمله، ونحو إخوانه، ونحو دينه ورسالته، لم يفرط في شيء... وتابع قائلاً:

كان أبو ربيع أحد الرجال الذين يتميَّزون بالعقل والفكر والقراءة والثقافة، فقد كان يقرأ كثيراً ويطالع كثيراً، وكنت أقول له: أود أن تكتب، وأحسبه كتب ولم ينشر، وأنصح أبناءه بأن يكلفوا بعض الشباب للبحث في مكتبته ونشره...

وذكر أنه كثيراً ما كان يستعير كتباً من مكتبة أبو ربيع، مشيراً إلى أنه:

كان رجلاً مثقفاً، بل من خيار المثقفين، فالثقافة وحدها لا تغني، فكم من مثقفين باعوا ضمائرهم وأقلامهم، أما أبو ربيع فقد كان مثقفاً ملتزماً وصاحب رسالة في هذه الدنيا يعيش بها ويموت بها، ويضحّي من أجلها، وهي رسالة الإسلام... وكان طاهر السريرة حَسَن السيرة، وقد أحبه كل مَنْ عرفه، فإذا ازداد معرفة به ازداد حباً له، وهذا دليل من دلائل حب الله... «ألسنة الخلق أقلام الحق».

واختتم القرضاوي كلمته بقوله: «لقد اختطف الموت منا رجلاً، والرجال قليل في هذا الوقت، الذي تُعاني فيه الأمة ما تعاني من حرب وحشية على غزة المرابطة المجاهدة، ودعا للمجاهدين دعاءً مؤثراً».

**رثاء الأخ الشاعر الأستاذ سليم زنجير:**

وكتب الأخ الشاعر الأستاذ سليم عبدالقادر كلمة رقيقة في رثائه قال فيها:

«رقّت الروح عائدةً إلى بارئها... لقد انتهت الرحلة... ورحل الأستاذ الأديب المفكر المربّي الداعية هاني محمد طايع من دار الفناء إلى عالم الخلود...

رحل الأستاذ هاني (أبو ربيع) غريب الديار، وكان دائم الحنين إلى مراتع الصبا في اللاذقية، ولكنه حنين الكريم الأبيّ المؤمن، الذي يأبى أن يحني رأسه لغير ربه... رحل موفور الكرامة راضياً بقضاء ربه، فخسره أهل الأرض وربحه أهل السماء... وكأن أبا تمام كان يعنيه بقوله:

مضى طاهر الأنفاس، لم تَبْقَ روضة غداة ثوى إلا اشتهت أنها قبر

رحمك الله يا أبا ربيع، وأعلى مقامك في الخالدين» اهـ.

**كتبه مجد مكي**
**قبيل ظهر الثلاثاء**
**١٤٣٠/١/١٧هـ**

❑ ❑ ❑ ❑ ❑



## وداعا... أبا ربيع[1]

**بقلم: د.عدنان زرزور**

ألحّ عليّ وأنا أقرأ اليوم خبر نعيك بعين دامعة: ما قاله شوقي في رثاء حافظ إبراهيم:

قد كنتُ أوثر أن تقولَ رثائي ........................

وما كان يقوله أول ملوك الإسلام معاوية رضي الله عنه إذا نُعي إليه أحد أقرانه: (أنا والله من زرع قد استحصد)، أي: حان وقت حصاده!

**من صفات أبي ربيع:**

يا أبا ربيع، عرفتك في ربيع العمر ونحن لم نتجاوز الخامسة والعشرين، وصحبتك حتى بلغنا خريف العمر، فما عرفتك والله إلا أخاً صادقاً ودوداً، صاحب حماسة متّقدة في الدعوة إلى الله، والدفاع عن الإسلام والمسلمين، وصاحب عاطفة جيّاشة تفيض بالأنس كما تفيض بالدمع، وصاحب قلم أديب بليغ، تهزُّه البلاغة والبيان، ويخشع لإعجاز القرآن...

---

(١) نشرت بتاريخ ٢٠٠٩/١/٢١م، في موقع: (الإسلام في سورية) .www.islamsyria.com

### أثره في مناهج اللغة والأدب:

ولسوف يذكر لك الإخوة في قطر وفي أصقاع العروبة والإسلام، ما تركته من أثر لا يمحى في مناهج اللغة والأدب وغيرها في مراحل التعليم الأساسي، ولقد قلت ذات يوم وأنا أطالع كتب النحو والأدب التي وضعت مناهجها وشاركت في تأليفها: لو كان الأمر بيدي لعمَّمت هذه الكتب والمناهج في سائر بلدان الوطن العربي والعالم الإسلامي، ولو تمَّ هذا، مع سائر المناهج القطرية في ذلك الحين، وبخاصَّة كتب ومناهج التاريخ، إذن لكان الجيل الذي خرج على الحياة العامة أحسن حالاً من هذا الذي نراه اليوم بكثير. . .

### إدارته تحرير جريدة (اللواء) الدمشقية:

ذكريات ربيع العمر التي مضى عليها خمسة وأربعون عاماً أو تزيد، لا تمحى أبد الدهر، يوم عرفتك في جريدة (اللواء) الدمشقية، مديراً للتحرير، وكنت أتردَّد على الجريدة، بحكم إشرافي على صفحة الجامعة، ولبعض المراجعات، وكنا نبقى حتى ساعة متأخرة من الليل، وفي كثير من الأحيان كنا نغادر الجريدة مع أذان الفجر، وقد طلبت مني وزيَّنت لي في إحدى الأمسيات أن أقوم بكتابة افتتاحية الجريدة، نظراً لسفر رئيس التحرير، ففعلت، وقد حملت هذه الافتتاحية ـ الأولى ـ عنوان (الإسلام أولاً). وكانت الرؤية الفكرية أو العقائدية تبرز في كل المقالات السياسيَّة في ذلك الحين بحكم توجُّهات تلك المرحلة من تاريخ العرب والمسلمين الحديث. أو على الأقل: لم تكن هذه الرؤية بعيدة عن المقالات والتحليلات السياسيَّة؛ وأدركت في تلك الأمسية مدى عنايتك بالكتب ومواكبتك المبكرة لحركة التأليف حين قلت لي بعد أن قرأت تلك الافتتاحية المطوَّلة: كأنك ترد على ساطع الحصري في كتابه (العروبة أولاً) فقلت لك: إنه لا علم لي بهذا الكتاب، وكنت لم أقرأ للحصري غير كتابيه: (ما هي القومية)، و(محاضرات في نشوء الفكرة القومية).

ثم توالت الكتابات أو (الافتتاحيات)، وكنت أدع لك في الغالب أن تضع أو تقترح عناوينها، وأذكر من تلك العناوين الآن، هذا العنوان: (دور الأنظمة المتهالكة في الغزو العقائدي)، وقد أثنى على هذه المقالة، وسائر المقالات أو الافتتاحيات الأخرى، أستاذنا الشيخ مصطفى الزرقا ـ وكانت تكتب باسم الجريدة، ولا يذكر فيها اسم الكاتب ـ مشيراً إلى أن مقالات الجريدة أضحت تحمل طابعاً مميَّزاً منذ بعض الوقت، وشعرت بأن شيخنا الزرقا عليه رحمة الله كأنه أصيب بشيء من الإحباط حين قال له أحد الحضور ـ وكان ذلك في منزل أستاذنا السباعي رحمه الله ـ إن كاتب هذه الافتتاحيات فلان، وكنت حاضراً؛ فلم أجد سبيلاً للخروج من بعض هذا المأزق ـ إن صحَّ التعبير ـ إلا أن أقول، وقد خصَّ الأستاذ الزرقا الافتتاحية التي تحمل العنوان المشار إليه بالمدح والثناء! ولكن هذا العنوان من اقتراح أخي وزميلي الأستاذ هاني طابع، مدير تحرير الجريدة.



### أثره في التربية والتعليم في قطر:

ثم انقطعتُ للدراسة في سائر عقد الستينيات في مصر، وعدت في عام **١٩٦٩** لأجد أخي هاني وقد ذهب للتعليم في دولة قطر، ثم اتصل ما بيننا حين عملت في جامعة قطر نحواً من خمسة عشر عاماً حتى عام **٢٠٠٠**م ولن ينسى أحدٌ أثره في التربية والتعليم في المجتمع القطري، ومجالسه التي كانت تفيض بالبشر، وبالمتابعات الثقافية والدعوية الواسعة والمتشعبة، وقلما لقيته مرة في أحد بيتينا أو أحد بيوت الإخوة الآخرين، إلا وقد حمل إلينا كتاباً، أو صور له مقالة أو صفحات فيها الجديد، أو الذي يقدر أهمية الاطلاع عليه، لقد كانت شخصيته الأنيسة المُحبَّبة تحب الخير وإشاعة المعرفة عند الآخرين.

### حياته لدينه ودعوته:

ولا ريب في أن أبا ربيع عاش لدعوته ودينه ومجتمعه فوق ما عاش لنفسه أو لأسرته، وكانت تخنقه العبرات أمام أنباء الكوارث التي تنزل بالمسلمين في كل مكان، أو أمام موقف لله تعالى يقفه واحد من الدعاة

والمصلحين في بقاع الأرض، يدافع فيه عن دين أو نفس أو عرض، وقد كتب الله تعالى له أن يقدم عليه في هذه الأيام، أيام مواكب الشهداء في غزة وفلسطين، رحمهم الله، ورحم أبا ربيع، وجعلهم جميعاً في عليين.

### إمدادي بالمصادر عن الأستاذ مصطفى السباعي:

لن أنسى في قطر يوم حمل إليَّ في بيتي الكتب والرسائل والمُصوَّرات التي كان قد جمعها عن شيخنا وإمام الدعوة الإسلامية في بلاد الشام: مصطفى السباعي... عندما علم بعزمي على الكتابة عن الشيخ رحمه الله... فقلت له: إن من يجمع هذا أحق بالكتابة عن الأستاذ السباعي، فقال: لا... اكتب أنت، وإذا جدَّت الحاجة لديك إلى مصادر أخرى فربما كانت عندي... وقد حصل ذلك بالنسبة لبعض أعداد مجلة (الفتح) التي كان يصدرها في مصر السيد محب الدين الخطيب، فاتَّصلت به عن طريق الهاتف ليعطيني بعض المعلومات عن أعداد بعينها أو بأرقامها، ولما لاحظ أن هذا تكرَّر مرتين؛ ما كان منه إلا أن حمل أعداد المجلة كلها ـ نحواً من عشرين مجلداً ـ وجاء بها بسيارته إلى بيتي... فأتاح لي فرصة مراجعة جميع الأعداد، جزاه الله عني وعن شيخنا الأستاذ السباعي، وعن العلم والدين، أفضل ما يجزي عباده الصالحين.

### مكتبته الضخمة:

لقد كانت عناوين مكتبته تزيد على عشرين ألف عنوان فيما أقدّر، مع ملاحظة أن العنوان الواحد قد تربو أعداد مجلداته على العشرين أو الثلاثين... وأعتقد أن وفاء قطر له ـ رحمه الله ـ وهي البلد التي فُطرت على الوفاء أن تقوم بعض الجهات الحكومية بشراء هذه المكتبة النفيسة، وتجعلها مكتبة عامة يرتادها الطلبة والعلماء والباحثون، على أن تحمل اسم الفقيد الراحل...

رحم الله الأخ العزيز الغالي... الداعية المُربِّي، والأديب الناقد، والعالم الباحث هاني طايع، وكتب له ثواب المجاهدين الصابرين، وعوَّض أهله والمسلمين خيراً، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



## العَالِم الصَّالح المقرئ الشيخ عبدالغفار الدروبي[1]

## (١٣٣٨ ـ ١٤٣٠هـ = ١٩٢٠ ـ ٢٠٠٩م)

بقلم: مجد مكي

انتقل قبيل ظهر أمس الجمعة ٢٠ محرم ١٤٣٠هـ العالم الصالح القارئ المتقن الفقيه الواعظ المُربِّي الفاضل الشيخ عبدالغفار الدروبي عن عمر ناهز التسعين عاماً، أمضاها في خدمة العلم والدين وتعليم القرآن الكريم. وقد صلى فضيلة الشيخ صلاة الفجر إماماً في مسجده بجدَّة الذي يؤمُّ فيه، وقنت في الصلاة، وأطال الدعاء لأهل غزّة المحاصرين. وبعد أن أفطر الشيخ واغتسل ليستعدَّ لصلاة الجمعة وافاه أجله المحتوم في تمام الساعة العاشرة، وهو على أحسن حال وإقبال على الطاعة.

**ومن علامات حُسْن الختام:** وفاته في يوم الجمعة، بعد صلاة الفجر جماعة، للحديث الذي رواه مسلم: «**من صلى الصُّبح في جماعة فهو في**

(١) نشرت بتاريخ ٢٠٠٩/١/١٨م، في موقع: (الإسلام في سورية) .www.islamsyria.com

ذمَّة الله»[1]، و«مَنْ مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وُقِيَ فتنة القبر»[2].

## تشييع جنازته:

وقد غُسِّل الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في مغسلة جامع اللامي بجُدة، واجتمع ثلة من أحبابه وتلاميذه، وألقوا على مُحيَّاه الطاهر نظرة الوداع، ونُقل إلى مكة المكرمة، ووصل جثمانه الطاهر إلى المسجد الحرام بعد صلاة العصر، وكنت من جملة مشيعيه، من جدة إلى مكة، بصحبة الأخ الوفيِّ الحفيِّ الأستاذ عبدالرحمٰن حجار وفقه الله.

وقد اجتمع حول نعشه محبوه، وصُلي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة المغرب، وحُمل على الأكتاف إلى مقبرة المعلاة. وكان من العلماء الحاضرين والمحبين المشيعين: الشيخ ممدوح جنيد، والشيخ محمد علي الصابوني، والشيخ أبو النور قره علي، والدكتور منير الغضبان، والدكتور عبدالمهيمن طحان، والشيخ محمد ياسر المسدي، والشيخ عبدالنافع الرفاعي، والدكتور محمد بشير حداد، والقارئ الشيخ هيثم حبال، والقارئ الشيخ يحيى بلال، والقارئ الشيخ موسى بلال، والدكتور طاهر نور ولي، والدكتور الفقيه علي أحمد الندوي، ومن أحبابه وخواصِّ تلاميذه: الأستاذ حسام السباعي، والدكتور عباس زغنون، والدكتور حسان شمسي باشا، والمهندس الأستاذ منيب رجوب، والدكتور نسيب رجوب، وأبناء فضيلة الشيخ عبدالعزيز عيون السود، وأبناء فضيلة الشيخ وصفي المسدي، وعدد كبير من فضلاء مكة وجدة نعتذر عن عدم استيفائنا لأسمائهم الكريمة، فما كان حضورهم ليذكروا وإنما كان لينالوا الأجر بتشييع شيخهم، ويُعلنوا عن حبهم وولائهم لعالم تقيّ ورع أفنى عمره في طاعة الله، وتعليم القرآن ونشر العلم وخدمة تلاميذه ومحبيه.

وقد صُلِّي على الشيخ ـ رحمه الله ـ في مدينة حمص ظهر اليوم السبت صلاة الغائب في مسجده، وأمَّ المصلِّين نَجْلُه فضيلة الشيخ المقرئ فيصل الدروبي، وأقيم عزاء الشيخ في مكتبة جامع النوري الكبير بحمص.

---

(١) رواه مسلم (٦٥٧) في كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٦٦٤٦) وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف.



## لمحات من حياته:

والشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ من مواليد حمص ١٣٣٨هـ = ١٩٢٠م ودرس فيها، وحفظ القرآن الكريم في الكتَّاب على يد الشيخ مصطفى الحصني، وتعلم الكتابة والحساب على الشيخ أحمد الترك، ثم التحق بالمدرسة العلمية الوقفية فدرس فيها على العلامة زاهد الأتاسي الفقه الحنفي والعلوم الاجتماعية، والشيخ محمد الياسين بسمار، والشيخ أنيس الكلاليب، وأخذ عن الشيخ أحمد صافي، والشيخ سليم صافي، وأخذ أيضاً عن والده الشيخ عبدالفتاح الدروبي، درس عليه القراءات العشر، وعن الشيخ عبدالعزيز عيون السود، قرأ عليه القراءات العشر من طريقي الشاطبية والدرة، ودرس على العلامة عبدالقادر الخوجة الفقه والحديث والتفسير، وأخذ الفقه الشافعي عن العلامة طاهر الرئيس الحمصي.

عُيِّن إماماً في المساجد بقرى حمص، ومدرساً للعلوم الدينية في المعهد العربي الإسلامي بحمص، ثم في المعهد العلمي الشرعي، وكان إماماً لمسجد (جورة الشياح)، وقد تميَّز مسجد الشيخ (جامع الدعوة) في مدينة حمص بمنطقة جورة الشياح الذي كان خطيبه وإمامه، بأنه كان منبراً لدعوته وعلمه وتخريج طلابه، وما من أحد من أهل حمص الذين عاصروا الشيخ إلا ويذكر كم كان لهذا المسجد من دور كبير في النهضة الإسلامية وقتما كان برعاية شيخنا رحمه الله، وبفضل الله تمَّ تجديد بنائه وتوسعته لتتضاعف مساحته حوالي ٣ مرات بعدما أصبح لا يتَّسع للمصلين في الصلوات العادية فضلاً عن صلاة الجمعة، ويعرف الآن بـ(جامع الشيخ عبدالفتاح الدروبي).

## إقامته بمكة المكرمة وتدريسه بجامعة أم القرى:

انتقل إلى مكة المكرمة عام ١٤٠١هـ من الهجرة، وطفق يدرس القرآن والقراءات العشر بجامعة أم القرى حتى عام ١٤١٨. ومن الذين أخذوا عليه القراءات: محمد بن عبدالله الشنقيطي، ويحيى عبدالرزاق غوثاني، وهيثم الحبال، وراضي إسماعيل، وعبدالدائم المغربي، وعبدالرحيم المغربي،

وحفيده عبدالغفار الدروبي، وعلي السنوسي، وأحمد باتياه، وسعيد عبدالدائم، ويحيى بلال الهندي، وغانم المعصراني الحمصي.

### أخلاقه وسماته:

كان الشيخ نموذجاً يقتدى به في الورع والزهد والصمت والرضا عن الله عزَّ وجلَّ والتوكُّل عليه والصبر على البلاء والمحن. وكان مجلسه مجلس وقار وخشوع يعلِّم الأدب والتواضع وعفَّة القول وسلامة الصدر.

**قال تلميذه الحفيّ الوفيّ بشيوخه الأخ الأستاذ حسام السباعي:**

«رحمك الله يا شيخنا، يا قدوتنا، يا أستاذنا، يا معلِّمنا، رحمك الله رحمة واسعة، فقد نزلت بضيافة الله وتلقَّتك ملائكة الله، فقد قلت لي ليلة وفاتك ونحن عائدون إلى منزلك بابتسامتك المشرقة: «إنني أنتظر لقاء الله». وليس غريباً على أمثالك من أهل الصفاء والمعرفة أن يقول مثل هذه الكلمة عندما يستشعر بقرب اللقاء. فقد كان لك ما انتظرت، وفتحت لك السماء أبوابها لاستقبال روحك الطاهرة بعد أقلّ من عشر ساعات من قولك لي هذه الجملة.

فقد كان لقاء الله في يوم الجمعة بعد أن اغتسلت، وصلَّيت، وقرأت تنتظر الصلاة، هذا اللقاء الذي تنتظره بكل شوق وحب واستعداد تام، فهنيئاً لك يا سيدي ما قدمت لهذا اللقاء، هنيئاً لك بلقاء الأحبة محمدٍ وصحبه.

هذا العالم الربَّاني الجليل الذي اتصف بصفات السلف الصالح رضوان الله عليهم.

إنه الشيخ عبدالغفار بن عبدالفتاح الدروبي، المربِّي الزاهد، الفقيه المحدث، القارئ المقرئ، النحْوي الشاعر، المجاهد الصابر، الأب الرحيم، الزوج العطوف، صاحب الفضائل والشمائل التي تندر أن تجتمع برجل واحد.

تجلّت بشخصيته أسمى معاني الصبر والثبات على المبدأ في زمن



الفتن والمحن وتبدل الثوابت، رأيت في شخصيته معاني التوكل والإيمان العميق الذي يزداد تألقاً يوماً بعد يوم، عالماً متواضعاً بكل معاني التواضع.

تجلّت شخصيته بمعاني الزهد الحقيقي، والرضا القلبي، والوقار، والحياء، والصمت والملاحظة، فقد كان قرآناً ناطقاً متحركاً، يهيمن القرآن الكريم بأخلاقه ومعانيه السامية على كل حركات الشيخ وسكناته. من رآه من بعيدٍ هابه، ومن رآه من قريب أحبه، ومن جالسه وعايشه عشقه، لما يرى فيه الناظر والجالس من صفات الهيبة والوقار والكمال والجلال.

كلامه مسك وعنبر، نظراته مختلفة عن باقي البشر، صمته يذكرك بصفة سيد البشر، حنانه وعطفه على كل البشر، الصغير والكبير، والقريب والبعيد، الزوجة والابن والأحفاد، يشهد بذلك كل من عرف وعايش الشيخ عبدالغفار.

رحمك الله يا سيدي يا أبا فيصل رحمةً واسعةً، وعوض الله الأمة الإسلامية من أمثالك ليكونوا كما كنت، ونسأل الله الذي أكرمنا بصحبتك في هذه الدنيا أن يحشرنا معك يوم القيامة تحت لواء النبيّ المصطفى ﷺ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين» انتهى.

رحم الله الشيخ رحمةً واسعةً، وجزاه خيراً عمَّا قدَّم من علم نافع وعمل صالح مبرور، وعوَّض المسلمين خيراً عن فقد علمائهم وصلحائهم الذين قلّ نظيرهم في عصرنا هذا.

□ □ □ □ □

# وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
# الشيخ عبدالغفار الدروبي [١]

بقلم: ياسر مسدي

في صبيحة خير يوم طلعت فيه الشمس، يوم الجمعة الموافق التاسع عشر من شهر الله المحرم ١٤٣٠هـ، اغتسل الشيخ عبدالغفار وتوضأ

(١) نشرت بتاريخ ٢٠٠٩/١/٢١م، في موقع: (الإسلام في سورية) www.islamsyria.com.
وجاء في مقدمة الترجمة كلمة المشرف الشيخ مجد مكي التالية:

أقيم ليلة أمس الثلاثاء ١٤٣٠/١/٢٤، الموافق ٢٠٠٩/١/٢٠ في منزل الشيخ الوجيه الفاضل يوسف بشناق اجتماع عامر لقراءة ختمة على روح فضيلة الشيخ عبدالغفار الدروبي، وقد حضره عدد كبير من العلماء وتلاميذ الشيخ ومحبيه، وقد تليت عدة ختمات على روحه، وألقى حفيده الشيخ عبدالغفار بن فيصل كلمة عن جده ومآثره، ثم ألقى الأستاذ الشيخ جمال سيروان كلمة رائعة عن فضل العلماء وأثر الشيخ وفضله، ثم تكلم الشيخ أبو النور قره علي كلمة خطابية مؤثرة عن منهج الشيخ وأهمية متابعة المنهج وتوارثه.

ثم ألقى فضيلة الشيخ ممدوح جنيد كلمة مختصرة عن صلته بالشيخ وأخلاقه الرفيعة العالية. ثم ختم المجلس بالدعاء، والعشاء، وقد تكرَّم الأخ الدكتور ياسر مسدي بكتابة هذه الكلمة في رثاء الشيخ أحببنا أن نقدمها للقراء الكرام.



وصلى ما كتب الله له من صلاة الضحى، وجلس ينتظر الذهاب إلى صلاة الجمعة وهو على أحسن حال من الطهر والذكر وتلاوة القرآن، والصلاة على رسول الله ﷺ. وإذا بهذه الروح الطيبة المباركة تُلبِّي أمر ربها في موعدها المحتوم، تخرج من الجسد الطيِّب حميدةً مبشَّرةً ـ بإذن الله تعالى ـ برَوْح وريحان وربٍّ غير غضبان، ويسري هذا الخبر خلال لحظات إلى أهله وإخوانه وطلابه ومحبيه فيعزِّي الجميع بعضهم بعضاً لأن المصاب بفقد العالم مصاب الجميع، وخاصَّة في زمن قلَّ فيه العلماء الربانيون الزاهدون في الدنيا الراغبون بما عند الله من نعيم مقيم.

## المصاب بفقد العلماء:

إنَّ المصاب بفقد العلماء مُصَابٌ كبير، وخاصَّة في هذه الأيام العصيبة التي يعيشها المسلمون، ورحم الله الإمام علي رضي الله عنه إذ يقول: «إذا مات العالم ثُلِمَ في الإسلام ثُلمة لا يسدُّها إلا خلف منه»[١]، كما أثر عن الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ قوله: «يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء»[٢] كما روي مرفوعاً عن أبي الدرداء وأنس، ولعل الحسن سمع منه.

نعم العلماء هم المشاعل يضيئون الطريق للناس، ويُعرِّفونهم السنَّة من البدعة.

نعم العلماء العاملون المخلصون هم القادة، وهم الهداة، وهم الأدلة على الخير تُقْتفى آثارهم وترمق أفعالهم.

## ثُلَّةٌ مباركة من علماء حمص:

ولقد منَّ الله عليَّ أن عشتُ فترة من الزمن أستظل بظلِّ الثلة المباركة من علماء حمص في المعهد العلمي الشرعي، إذ كنت مشرفاً على الطلاب في المعهد، حيث كان والدي ـ رحمه الله تعالى ـ مديراً للمعهد يشاركه في التدريس السادة العلماء أمثال: الشيخ وصفي المسدي حفظه الله ورعاه،

(١) أورده الغزالي في الإحياء، وعزاه العراقي إلى الخطيب في «تاريخه».
(٢) تقدم تخريجه ص٥١.

والشيخ عبدالغفار الدروبي، والشيخ أحمد الكعكة، والشيخ محمد جندل الرفاعي رحمهم الله رحمة واسعة، هذا بالإضافة إلى بقية العلماء الآخرين من خارج المعهد أمثال الشيخ: أبو السعود عبدالسلام، والشيخ محمود جنيد، والشيخ عبدالعزيز عيون السود، رحمهم الله جميعاً، وكذلك الشيخ محمد علي مشعل حفظه الله تعالى، والحديث عن خصال ومآثر كلٍّ واحد ممن ذكرتُ يحتاج إلى سجلات يضيق الوقت عن تسجيلها الآن، ولكن لا بد لي من أن أسجل في هذه العجالة ـ وقد طلب إليَّ الأخ الشيخ مجد جزاه الله خيراً أن أكتب كلمة رثاء وتعريف بشيخنا الشيخ عبدالغفار الدروبي رحمه الله تعالى ـ رغم أني لست ممَّن لازم الشيخ فترة طويلة غير أني لم أنقطع عن الصلة به سواء في حمص أم في أرض المهجر.

## بقية السلف الصالح:

كنت ـ منذ نعومة أظفاري ـ إذا نظرت إلى الشيخ شعرت بأني أمام عالم رباني من بقية السلف الصالح، يعلمك بلسان حاله قبل أن يعلمك بلسان مقاله، أتمثَّل في سَمْته ونظراته قول الرسول الكريم ﷺ عندما سئل: أيُّ جلسائنا خير؟ فقال: «**مَنْ ذكَّركم بالله رؤيته، وزاد في علمكم منطقُه، وذكَّركم بالآخرة عمله**»[1].

وفي هذا المقام يقول ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «صيد الخاطر»: كان جماعة من السلف يقصدون العبدَ الصَّالحَ للنظر إلى سمته وهديه لاقتباس علمه، وذلك أن ثمرة علمه هديه وسمته.

## في مسجد الدعوة:

لقد عرفت الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ إماماً ومدرساً ومربياً وداعيةً في مسجد جُورة الشَّياح (الذي أطلق عليه فيما بعد مسجد الدعوة) نظراً للجهود الدعوية المباركة التي كانت تقام فيه، وخطيباً للجمعة في مسجد علاء الدين الحسامي.

---

(١) رواه عبد بن حُميد (٦٣١) وأبو يعلى (٢٤٣٧) في مسنديهما وتقدم تخريجه ص٦٠٥.



كانت دروسه متواصلة بعد الفجر وبعد العصر وبعد المغرب، بالإضافة إلى الدروس المتنقلة بعد العشاء.

## عنايته بالشباب:

لقد كان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ يعطي الشباب الناشئ من وقته، من علمه، من أخلاقه، من أسلوبه الدعوي الفذ، يرعاهم كما ترعى الأم الحنون أولادها.

## في المعهد الشرعي:

هذا بالإضافة إلى تدريسه في المعهد الشرعي ما يقارب من عشرين سنة، حيث كان يفرض شخصيته على الطلاب، من خلال الهيبة التي حباه الله بها، وما عُرف عنه ـ رحمه الله تعالى ـ أنه ضرب طالباً أو وبخه بكلمات نابية، بل إنَّ مما أذكر في هذا المجال أنه ضرب طالباً مرة ضرباً خفيفاً، ولما ذهب إلى بيته أخذ يحاسب نفسه، وشعر ـ رحمه الله تعالى ـ كأنه اقترف ذنباً، فما كان منه إلا أن جاء إلى القسم الداخلي للطلاب، وسأل عن الطالب، وطلب منه العفو والسماح.

## الجانب الدعوي والتربوي:

لقد غلب على الشيخ اهتمامه بالجانب الدعوي والتربوي رغم أنه المقرئ المتقن والفقيه الحاذق، وبالإضافة إلى اهتمام الشيخ بالدعوة في مدينة حمص، فقد كان يهتم بالدعوة في القرى اهتماماً كبيراً، حيث إن الدعوة في القرى في تلك الأيام كانت ضعيفة جداً. ولقد كان الشيخ في هذا الجانب يواصل مشوار والده العالم الزاهد الورع الشيخ عبدالفتاح الدروبي الذي لم يكتفِ بالدعوة في قرى حمص، فقد كان لقرى شمال لبنان (منطقة الضنية)، نصيب من ذلك، وله ولوالده رحمهما الله بصمات في الدعوة والتربية هناك.

وكثيراً ما كان الشيخ يأخذ طلابه معه إلى القرى يوماً في الأسبوع أو الشهر على حسب البرنامج، وفي هذه الرحلات الدعوية كان الشيخ يدرب طلابه على آداب السفر، وآداب الصحبة والخشونة في المعيشة، حيث كانوا ينزلون في مسجد القرية التي يذهبون إليها كما كان يدربهم على أصول الدعوة والصبر على طريقها الطويل.

## العالم المعلم والصابر المحتسب:

لقد أمضى الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ حياته تعلُّماً وتعليماً لأصول الدين، وقراءةً وإقراءً للقرآن الكريم، صابراً على كلِّ ما اعترض طريقه من مشاقّ وآلام. كان يعيش آلام أمته ففي أحداث **١٩٨٠** التي حدثت في سوريا فقد الشيخ كثيراً من طلابه واثنين من أبنائه وأحد أصهاره فصبر واحتسب، وكان مثالاً للصبر والرِّضا، رغم أن الشيخ لم يكن يحب المجابهة مع الحكام، ولكنه كان يوجِّه طلابه إلى الحكمة والاعتدال بهدوء فلا يشتد مع مَن خالف رأيه، بل يأخذه بالحِلْم والرويَّة، ويلتمس له عذراً.

وأقول شهادة ألقى الله تعالى بها بأن الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ لم تفتنه الدنيا ولم تُغيِّر من حاله، فإذا نظرت إلى وجهه تشعر أنه يحمل هموم المسلمين وآلامهم، ويتابع أخبارهم، ويتابع طلابه وأحبابه، وينصحهم ويوجههم، ففي يوم وفاته صلى الصبح إماماً بالمسجد وقنت بالمصلين، ودعا لأهل غزة أن يفرج كربتهم. نعم هكذا ينبغي أن يكون أهل العلم. يعيشون مع الناس يحملون همومهم وآلامهم، ويتفقدون أحوالهم لأن مسؤولية العالم كبيرة جداً.

ويكفي أن نفهم مهمّة العالم بقول الرسول ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء**» ومهما كتبت عن شيخنا فلن أوفِّي نَزْراً يسيراً من حقه، وقد آثرت الحديث عن الجانب الدعوي والتربوي في حياة الشيخ لأترك المجال لطلابه، ومحبيه، أن يستوعبوا بقية الجوانب الأخرى.



اللهمَّ اؤْجرنا في مصيبتنا بفقدنا للشيخ وعوضنا خيراً منها، وبارك في عقبه وتلامذته، واجعلهم خير خلف لخير سلف، وارحم الشيخ واجعله في عليين مع النبيين والشهداء والصالحين، واحشرنا يا ربي في زمرتهم، إنك سميع مجيب.

العالم الصالح الزاهد عبدالغفار الدروبي رحمه الله

❒ ❒ ❒ ❒ ❒

# الفهرس الإجمالي


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| **تقديم الكتاب** | ٥ |
| كلمات حول مجلة «حضارة الإسلام» | ٩ |
| ركن «رجل فقدناه» | ٣٥ |
| إذا مات العالم | ٤٩ |
| شيخنا العظيم محمد بدر الدين الحسني محدث الديار الشامية، بقلم: محمد المبارك | ٥٣ |
| الشيخ عز الدين القسّام إمام الشهداء، بقلم التحرير | ٧٩ |
| عبدالحميد بن باديس، بقلم: حمزة بوكوشة | ٨٨ |
| الشيخ قاسم القيسي، بقلم: محمود شيث خطاب | ١٠١ |
| الشيخ عبدالقادر المغربي، بقلم: عدنان الخطيب | ١١٣ |
| محمد الخضر حسين في جهاده، بقلم: سعدي أبو جيب | ١٣٠ |
| أنيس الملوحي، بقلم: نهاد القاسم | ١٤٠ |
| هاشم الأتاسي، بقلم: مصطفى السباعي | ١٤٧ |
| الشيخ أبو الخير الميداني، بقلم: عمر عودة الخطيب | ١٥٣ |
| الدكتور عبدالعلي الحسني، بقلم: أبو الحسن الندوي | ١٥٨ |
| الشيخ حسني السباعي، بقلم ابنه: مصطفى السباعي | ١٦٨ |
| الشيخ عبدالقادر الرّائي پوري، بقلم: سعيد الأعظمي الندوي | ١٧٥ |
| مولانا حفظ الرحمٰن السيوهاروي، بقلم: رئيس أحمد | ١٧٨ |

الموضوع | الصفحة

مولانا محمد حفظ الرحمٰن، بقلم: عبدالمنعم النمر ........ ١٨٣
الشيخ أحمد الحارون، بقلم: مصطفى السباعي ........ ١٨٩
محمد فؤاد الآلوسي، بقلم: عبدالعزيز البدري ........ ١٩٧
الأمير محمد عبدالكريم الخطابي، بقلم: عدنان زرزور ........ ٢٠٧
الأستاذ محمد الحموي تعريف بالفقيد بقلم: عبدالرحمن الميداني ........ ٢١٨
رثاء المرحوم الأستاذ محمد الحموي، للشاعر ضياء الدين صابوني ........ ٢١٩
الأستاذ الشيخ محمد معدل، بقلم: أحمد علي زخور ........ ٢٢١
الشيخ عبدالمحسن الأسطواني، بقلم: مصطفى السباعي ........ ٢٢٣
الشيخ عبدالحميد الحجازي، بقلم التحرير ........ ٢٣٠
نجيب باقي، بقلم التحرير ........ ٢٣١
الشيخ إبراهيم أحمد المظاهري، بقلم: أبي الحسن الندوي ........ ٢٣٥
عباس محمود العقاد، بقلم: محمد بسام الأسطواني ........ ٢٤٠
عباس محمود العقاد، بقلم: محمد المبارك ........ ٢٤٦
انطباعات عن العقاد، بقلم: عبدالرزاق محيي الدين ........ ٢٥٢
مؤلفات العقاد ........ ٢٥٤
الدكتور عبدالحليم نجّار، بقلم: مازن المبارك ........ ٢٥٧
مصطفى السباعي تاريخ دعوة في حياة رجل، بقلم: محمد بسام الأسطواني ٢٦١
خصائص في حياة السباعي، بقلم: محمد سعيد رمضان البوطي ........ ٢٩٥
الشيخ محمد حريري، بقلم: عبدالله علوان ........ ٣٠٣
في ذكرى وفاة الشيخ الإبراهيمي، بقلم: محمد المبارك ........ ٣٠٦
محمد البشير الإبراهيمي، بقلم: عمر الحكيم ........ ٣١٣
محمد البشير الإبراهيمي، بقلم: عبدالرحمٰن الغريب ........ ٣٢٠
من عظمة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، بقلم: محمد الطاهر فضلاء .... ٣٣٢
الأستاذ المربّي محمد خير الجلاّد، بقلم: محمد أديب الصالح ........ ٣٤٤
صالح زركان فقيد كلية الشريعة، بقلم: محمد المبارك ........ ٣٤٨
في ذكراك يا صالح، بقلم: خالد الرفاعي ........ ٣٥٢
الشيخ يونس عبدالغني، بقلم: عبدالله الطنطاوي ........ ٣٥٤



الموضوع | الصفحة

الشيخ محمد نجيب خياطة، بقلم: محمد أبو اليمن خياطة ........ ٣٦٠
الأستاذ مصطفى الأعسر رحمه الله، بقلم التحرير ........ ٣٦٦
عبدالرحمٰن الزعبي «الطيبي»، بقلم: محمد بهجت البيطار ........ ٣٦٩
مع الرجل العظيم الداعية الرباني الشيخ محمد الحامد، بقلم التحرير ...... ٣٧١
حين تعرف الأمة رجالها، بقلم: محمد أديب الصالح ........ ٣٧٥
أخي كما عرفته، بقلم: عبدالغني الحامد ........ ٣٨٢
حماة... وعالِمها الرّاحل، بقلم: محمد سعيد رمضان البوطي ........ ٣٩٠
ضيف الحضارة: فضيلة الشيخ محمد الحامد ........ ٤٠٢
الشيخ محمد إبراهيم الختني، تقديم: محمد أديب الصالح ........ ٤١٦
الفقيه الصالح محمد إبراهيم الختني، بقلم: وهبي سليمان الغاوجي ...... ٤١٧
العلامة الشيخ محمد إبراهيم الختني المدني، بقلم: محمد سعيد دفتردار .. ٤٢٢
الشيخ عبدالله هارون، بقلم: علي الخطيب ........ ٤٢٧
الإمام عبدالله هارون، بقلم ابنه: محمد عبدالله هارون ........ ٤٣٠
محب الدين الخطيب كما عرفته، بقلم: أبي الوفا المراغي ........ ٤٣٣
علي أحمد باكثير، بقلم: محمد الحسناوي ........ ٤٣٩
محمد وحيد الدين العالي الحيدر آبادي، بقلم: محمد عبدالستار خان .... ٤٤٧
الشيخ عبدالوهاب الحافظ الملقب بـ(دبس وزيت)، بقلم التحرير ........ ٤٥٩
الشيخ محمد بن إبراهيم رجل علم وعمل، بقلم: عبدالرحمٰن رأفت الباشا . ٤٦٤
الشيخ صالح العقّاد رجل فقدته الأمة الإسلامية، بقلم: محمد سعيد الفيومي ٤٦٨
الشيخ صالح العقاد رحمه الله، بقلم: محمد الصباغ ........ ٤٧٨
محمد الفاضل ابن عاشور، بقلم: محمد أنور الجندي ........ ٤٨٥
محمد الفاضل ابن عاشور، بقلم: محمد الدسوقي ........ ٤٩٣
الشيخ محمد السيد رحمه الله، بقلم: سعيد السيد ........ ٥٠١
القاضي محمد أديب الأهدلي، بقلم: محمد صالح ........ ٥٠٤
أبا الأهدلي، قصيدة بقلم الشاعر: محمد الحسناوي ........ ٥١٢
الدكتور عبدالكريم عثمان، بقلم: محمد أديب الصالح ........ ٥١٥
وداعاً يا عبدالكريم، بقلم: محمد منلا غزيل ........ ٥٢٢

الموضوع — الصفحة

الشيخ نعيم النعيمي الجزائري، بقلم: بلقاسم النعيمي .................. ٥٢٧
الشيخ عبدالكريم الرفاعي، بقلم: عدنان زرزور .................. ٥٤٣
العالم العامل الشيخ عبدالكريم الرفاعي، بقلم: عبدالغني الدقر .......... ٥٥٢
الأستاذ عمر الحكيم رحمه الله، بقلم: عدنان زرزور .................. ٥٥٨
الشهيد العالم عمر الحكيم رحمه الله، بقلم: شفيق يبرودي ............ ٥٧١
عبدالله التّل، بقلم: ماجد الكيلاني .................. ٥٧٧
الأستاذ عبدالقادر السبسبي رحمه الله، بقلم: عبدالوهاب التونجي ........ ٥٨٤
المحامي عبدالقادر السبسبي رحمه الله، بقلم: محمد فؤاد قسطلي ....... ٥٩٥
الأستاذ عبدالقادر السبسبي رحمه الله، بقلم ابنه: أنس السبسبي .......... ٦٠٠
حفل تأبين الأستاذ عبدالقادر السبسبي .................. ٦٠٨
الأستاذ خالد الرّفاعي، بقلم: عمر عبيد حسنة .................. ٦١٢
مالك بن نبي... الفيلسوف الرائد، بقلم: عمر مسقاوي .................. ٦٢٠
لمحات في وداع مالك بن نبي، بقلم: محمد منلا غزيل .................. ٦٢٧
لمحة جديدة في ذكرى مالك بن نبي، بقلم: محمد منلا غزيل ............ ٦٣١
السيد محمد المكي الكتاني، بقلم: عمر بهاء الأميري .................. ٦٣٥
الأستاذ إبراهيم أبازيد، بقلم: محمود مفلح .................. ٦٤٢
الشيخ محمد أبو زهرة، بقلم: وهبة الزحيلي .................. ٦٤٧
العلامة محمد أبو زهرة، بقلم: عدنان زرزور .................. ٦٥٤
الحاج محمد أمين الحسيني، بقلم التحرير .................. ٦٦٨
علال الفاسي، بقلم: عمر بهاء الدين الأميري .................. ٦٧٧
الأستاذ عبدالباسط عباس، بقلم: مصطفى البيراوي .................. ٦٨٤
في وداع عبدالباسط عباس، قصيدة للشاعر: محمد منلا غزيل ............ ٦٨٨
الأستاذ جلال حسون، بقلم: إبراهيم عاصي .................. ٦٨٩
الأخ الحبيب محمد علي الدعاس، بقلم: عبدالنافع الرفاعي ............ ٦٩٣
الشيخ أحمد عز الدين البيانوني، بقلم: عبدالله علوان .................. ٦٩٦
الشيخ محمد سعدي الياسين رحمه الله، بقلم: مسلّم الغنيمي ............ ٧٠١
الشيخ محمد بهجة البيطار رحمه الله، بقلم: مسلّم الغنيمي ............ ٧٠٨



الموضوع — الصفحة

العلامة المصلح محمد بهجة البيطار، بقلم: سعدي أبو جيب ............ ٧١٨
الشيخ محمد سعيد المسعود: مفتي الباب، بقلم: حسن عبدالحميد ....... ٧٢٨
الدكتور تيسير رمضان الحصاد، بقلم: محسن خرابة .................. ٧٣٥
الشيخ أحمد الدقر، بقلم: عبدالغني الدقر .................. ٧٤٣
الدكتور محمد أمين المصري، بقلم: مجد مكي .................. ٧٥١
الشيخ زين العابدين التونسي، بقلم: علي الرضا التونسي ............ ٧٥٥
الشيخ محمد يوسف البنوري، بقلم: عبدالعزيز عبدالجليل ............ ٧٦٠
السيد محمد يوسف البنوري، بقلم: مجد مكي .................. ٧٦٦
الأستاذ محمد غسان المراد، بقلم: عبدالقادر حداد .................. ٧٧٤
الشيخ محمد سيادي المراد رحمه الله تعالى، بقلم: محمد بشير المراد .... ٧٧٨
العلامة المجاهد الشيخ حسن حبنكة رحمه الله، بقلم: عبدالرحمٰن حبنكة .. ٧٨٤
الشيخ حسن حبنكة: ظاهرة وتاريخ، بقلم: عدنان زرزور ............ ٧٩٣
الشيخ عبدالعزيز عيون السود، بقلم: محمد علي مشعل ............ ٨٠٩
الشيخ بكري رجب، بقلم: عبدالله علوان .................. ٨١٧
الشيخ بكري رجب، بقلم: فياض عبسو .................. ٨٢١
وفاة الأستاذ المودودي رحمه الله، بقلم التحرير .................. ٨٢٦
الشيخ خيرو ياسين، بقلم: محمد عيد البغا .................. ٨٣٢
الأستاذ محمد المبارك، بقلم: مصطفى الزرقا .................. ٨٣٦
الشيخ محمد صالح الفرفور، بقلم: مجد مكي .................. ٨٤٣
الشيخ محمد أبو الفرج الخطيب، بقلم: مجد مكي .................. ٨٥٤
الشيخ عبدالله علوان، بقلم: مجد مكي .................. ٨٦٦
الشاعر عمر بهاء الدين الأميري، بقلم: باسل رفاعي .................. ٨٧٢
لمحات من حياة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، بقلم: مجد مكي ............ ٨٧٥
العلامة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، قلَّ نظيره في علمه وأدبه، بقلم: حسن قاطرجي .................. ٨٨٠
الشيخ عبدالرحمٰن الصوفي، بقلم: نبيل طويل .................. ٨٩٨
الشيخ عبدالرحمٰن الصوفي، رائد من رواد العمل الإسلامي في سورية،

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| بقلم: عبداللطيف الهاشمي | ٩٠٢ |
| الشيخ علي الطنطاوي من حماة الإسلام، بقلم: مجد مكي | ٩٠٦ |
| الشيخ علي الطنطاوي ومجالسه المباركة، بقلم: مجد مكي | ٩١٥ |
| الشيخ مصطفى الزرقا أستاذ جيل وإمام عصر، بقلم: أحمد الحجي الكردي | ٩٢٤ |
| الشيخ مصطفى الزرقا الفقيه النابغة، بقلم: مجد مكي | ٩٣٣ |
| الشيخ عطية محمد سالم، بقلم: مجد مكي | ٩٤٢ |
| أبو الحسن الندوي، داعية عالمي من الطراز الرفيع، بقلم: حسن قاطرجي | ٩٤٨ |
| محمد مجاهد شعبان، العالم الداعية المجاهد، بقلم: عائشة خياطة | ٩٥٤ |
| الآثار العلمية والأدبية للشيخ محمد مجاهد شعبان، بقلم: عبدالرحمٰن الحاج | ٩٥٩ |
| الشيخ عبدالله سراج الدين، بقلم: محمد عوامة | ٩٦٤ |
| الشيخ عبدالله سراج الدين، بقلم: بكري الشيخ أمين | ٩٦٩ |
| عبدالغني الدقر، النحوي الفقيه والمؤرخ الأديب، بقلم: مجد مكي | ٩٧٦ |
| الفقيه الكبير أحمد فهمي أبو سُنّة، سيرة حياته بقلمه | ٩٨٥ |
| الشيخ أحمد فهمي أبو سنة... سيرة موجزة لعالم، بقلم: وفاء سعداوي | ٩٩٧ |
| الشيخ عبدالرحمٰن حبنكة الميداني، بقلم: مجد مكي | ١٠٠٤ |
| الشيخ الدكتور ناجي عجم، بقلم: مَجْد مكي | ١٠١٤ |
| الشيخ الدكتور مصطفى الخن، بقلم: مجد مكي | ١٠١٨ |
| الشيخ محمد الحجار العابد الزاهد، بقلم: مجد مكي | ١٠٣٠ |
| الشاعر الإسلامي محمد الحسناوي، بقلم: مجد مكي | ١٠٤٣ |
| الشيخ صادق حبنكة الميداني، بقلم: مجد مكي | ١٠٥٠ |
| الشيخ أحمد قلاش، بقلم: مجد مكي | ١٠٥٣ |
| الأستاذ هاني الطايع، بقلم: مجد مكي | ١٠٦٠ |
| وداعاً أبا ربيع، بقلم: عدنان زرزور | ١٠٦٥ |
| الشيخ عبدالغفار الدرّوبي، بقلم: مجد مكي | ١٠٦٩ |
| في وداع الشيخ عبدالغفار الدروبي، بقلم: محمد ياسر مسدي | ١٠٧٤ |

□ □ □ □ □



## الفهرس التفصيلي

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| **تقديم كتاب «رجال فقدناهم»** | ٥ |
| عملي في هذا الكتاب | ٦ |
| **كلمات حول مجلة «حضارة الإسلام»** | ٩ |
| مجلة «حضارة الإسلام» ودَوْرُ مُؤسِّسها في الصحافة الإسلامية | ٩ |
| المجلة في عامها الجديد | ١١ |
| تسمية المجلة «حضارة الإسلام» بدلاً من «المسلمون» | ١٣ |
| مهمة المجلة الرئيسية | ١٣ |
| نحن وكلمة الحق في عامنا الجديد | ١٥ |
| دعوة الحق وظيفة كل مسلم | ١٥ |
| الجهاد بالكلمة الصَّادقة | ١٦ |
| الدفاع عن قضايا العالم الإسلامي الكبير | ١٧ |
| من أبواب المجلة | ١٨ |
| في ميدان الأخبار | ١٩ |
| كلمة مدير تحرير المجلة في ختام السنة الرابعة | ١٩ |
| كلمتنا مع ختام السنة الرابعة | ٢٠ |
| من أهداف المجلة | ٢٠ |
| عرض الفكرة الإسلامية | ٢١ |

الموضوع — الصفحة


معالجة مشكلات العالم الإسلامي ........ ٢١
«من وقائع الحضارة الإسلامية» و«من وقائع الحضارة الغربية» ........ ٢٢
مزايا الحضارة الإسلامية ومساوئ الحضارة الغربية ........ ٢٣
الجانب العلمي من الحضارة الغربية ........ ٢٤
قيمة الحضارة الإسلامية ........ ٢٤
الحضارة الغربية في جانبها الاجتماعي والأخلاقي ........ ٢٥
كلمة مدير تحرير المجلة في أول العام الخامس ........ ٢٦
تحيَّة العام الجديد ........ ٢٦
أبواب جديدة متنوِّعة ........ ٢٧
مع العلماء الأولياء ........ ٢٧
قالوا في الحضارة الإسلامية، وقالوا في الحضارة الغربية ........ ٢٨
نجاح الحضارة الإسلامية ........ ٢٩
ضيف الحضارة ........ ٢٩
صوت الصحافة في الشرق والغرب ........ ٢٩
الدكتور محمد أديب الصالح رئيس تحرير المجلة ........ ٣٠
عهد ووفاء ........ ٣٠
أعلام الأمة المنار الهادي ........ ٣١
كلمة مدير تحرير المجلة في ختام السنة الخامسة ........ ٣٢
أخي القارئ الكريم ........ ٣٢
الأمانة الغالية ........ ٣٣
كلمة المجلة في بداية السنة الثامنة عشرة ........ ٣٣
أخي القارئ الكريم ........ ٣٣
**ركن «رجل فقدناه»** ........ ٣٥
عناية الأستاذ السباعي بهذا الركن من المجلة ........ ٣٥
تراجم علماء سورية ........ ٣٥
المترجمون أكثر من مرّة ........ ٣٨
ترجمة الدكتور مصطفى السباعي ........ ٣٨




الموضوع — الصفحة


ترجمة العلامة الشيخ محمد الحامد ........ ٣٨
التراجم التي أضفتها إلى الكتاب ........ ٣٩
تتمة تراجم «حضارة الإسلام» ........ ٤٣
أسماء التراجم الذين اخترت إضافتهم إلى هذا الكتاب ........ ٤٣
صدى تراجم «حضارة الإسلام» ........ ٤٦
**إذا مات العالم: بقلم الدكتور محمد أديب الصالح** ........ ٤٩
**شيخنا العظيم محمد بدر الحَسَني محدث الديار الشامية الأكبر الأستاذ محمد المبارك** ........ ٥٣
ثقافته العلميَّة ........ ٥٥
محافظته على نظام عمله وترتيب أوقاته ........ ٥٥
اختلاؤه عن الناس في بداية طلبه للعلم ........ ٥٥
ولوعه بِجَمْع الكتب واقتنائها ........ ٥٦
تدريسه للعلوم الرياضية ........ ٥٦
طريقته في تدريس العلوم الرياضية ........ ٥٧
مرونته العلمية وسَعَة إدراكه وجودة تحقيقه ........ ٥٨
نفائس الكتب المخطوطة والمطبوعة في العلوم الرياضية ........ ٥٨
طريقة تدريسه ........ ٥٩
درسه الخاصّ في دار الحديث ........ ٥٩
درسه في مسجد بني أمية تحت قبة النَّسر ........ ٦٠
قوة ذاكرته ........ ٦١
تفرُّسه في وجوه الحاضرين ........ ٦١
دروسه في داره بعد صلاة المغرب ........ ٦١
سبب إعراضه عن الإجابة على بعض الأسئلة ........ ٦٢
جوابه عن حكم نشر الدعاية الإسلامية في البلاد الأوروبية ........ ٦٣
جوابه عن حكم تعلم اللغات الأجنبية ........ ٦٣
طبائعه وأوضاعه الخاصَّه ........ ٦٤
صورة من صور العهد الماضي ........ ٦٤

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| **شيخنا العظيم محدث الديار الشامية الأكبر ـ ٢ ـ الأستاذ محمد المبارك** | ٦٥ |
| ابتداء صلة الأستاذ المبارك بالشيخ | ٦٥ |
| دروسه الخاصَّة | ٦٦ |
| الكتب التي كان يُدرِّسها في حلقته الخاصَّة | ٦٦ |
| ينابيع الثقافة الإسلامية | ٦٧ |
| سلوك الشيخ وحياته الخاصَّة | ٦٧ |
| عبادته | ٦٧ |
| غرفته في دار الحديث | ٦٨ |
| مطالعته ودروسه | ٦٨ |
| درسه العام في داره الواسعة | ٦٨ |
| امتناعه عن الكلام ولقاء الناس بعد صلاة العشاء | ٦٩ |
| زيارات الشيخ | ٦٩ |
| لباسه | ٧٠ |
| تحرُّزه من عادات الناس اليوميَّة | ٧١ |
| سَعَة رزقه وصدقاته | ٧١ |
| هيبته العظيمة | ٧٢ |
| تواضعه والتزامه للسنة وموقفه من تقبيل اليد والقيام | ٧٣ |
| كراهته لقيام الناس له | ٧٣ |
| تباسطه في الكلام مع بسطاء الناس | ٧٤ |
| طريقته الإصلاحيَّة ونظرته الاجتماعيَّة | ٧٤ |
| حادثة عجيبة | ٧٥ |
| دعوته إلى تعلُّم الثقافة الحديثة | ٧٥ |
| موقفه من الحكام | ٧٦ |
| تحريضه على الجهاد وصلته برجال الثورة | ٧٦ |
| مشاركة تلاميذه في الحركة الوطنية | ٧٧ |
| رِفْعة مكانته في أعين الناس | ٧٧ |
| منزلته العظيمة | ٧٨ |



| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| **الشيخ عز الدين القسَّام إمام الشهداء وفخر المجاهدين بقلم التحرير** | ٧٩ |
| قداسة فلسطين تستهوي القسام | ٧٩ |
| مولده ونشأته | ٨٠ |
| مدرس وإمام ومأذون شرعي | ٨١ |
| جامع الاستقلال في حيفا مدرسة للوطنية | ٨١ |
| الثورة على ظلم الانتداب البريطاني | ٨٢ |
| ثورات الشعب الفلسطيني | ٨٢ |
| حركة القسام السريَّة | ٨٤ |
| استنكار السياسة البريطانية المتواطئة | ٨٤ |
| القسَّام يخرج إلى الجهاد | ٨٤ |
| رفاق القسام الأوائل | ٨٥ |
| استشهاد الشيخ القسام وبعض رفاقه | ٨٥ |
| دفن الشهيد في حيفا | ٨٦ |
| أثر ثورة القسام | ٨٦ |
| استشهاد القسام في التقرير السنوي البريطاني | ٨٦ |
| **رواد الإصلاح الإسلامي الحديث عبدالحميد بن باديس بقلم: حمزة بوكوشة** | ٨٨ |
| ولادته ونشأته | ٨٨ |
| تعلُّمه | ٨٩ |
| هجرته في طلب العلم | ٨٩ |
| سفره إلى الشرق | ٨٩ |
| مباشرته للتدريس | ٨٩ |
| اشتغاله بالصحافة | ٩٠ |
| محاولة اغتياله | ٩٠ |
| مكانة الشهاب | ٩٠ |
| عبدالحميد ونادي الترقِّي | ٩١ |
| عبدالحميد رئيس جمعية العلماء | ٩٢ |

الموضوع — الصفحة

طريقه في الاحتجاج على الحكومة ........ ٩٣
عبدالحميد بن باديس والمؤتمر الإسلامي ........ ٩٤
وفد المؤتمر إلى باريس ........ ٩٧
شبح الحرب الأخيرة، وأثره في نفس عبدالحميد ........ ٩٧
تفكيره في الثورة ........ ٩٩
طريقته في العمل ........ ٩٩
صموده وثباته إلى أن مات ........ ١٠٠
**الشيخ قاسم القيسي بقلم: محمود شيث خطاب** ........ ١٠١
١ ـ مولده ونشأته ودراسته وشيوخه ........ ١٠١
٢ ـ مناصبه ........ ١٠٣
٣ ـ تحصيله العلوم ........ ١٠٤
٤ ـ نثره وشعره ........ ١٠٦
٥ ـ مؤلفاته ورسائله وتعليقاته ........ ١٠٧
٦ ـ وفاته وتشييع جثمانه ........ ١١٠
**الشيخ عبدالقادر المغربي بقلم: عدنان الخطيب** ........ ١١٣
كلمة مجلة «حضارة الإسلام» ........ ١١٣
تأسيس المجمع العلمي العربي ........ ١١٤
صفات المغربي الخَلقيّة والخُلقية ........ ١١٤
لغة الشيخ ........ ١١٥
نزوله دمشق وحبه لها ........ ١١٥
ولادته ونشأته ........ ١١٥
اتّصاله بالأفغانيّ ومحمد عبده ........ ١١٦
انتقاله إلى مصر وعمله في الصحافة ........ ١١٦
عودته إلى دمشق وعمله في تحرير جريدة (الشرق) وعضويته في المجمع ........ ١١٧
محاضرة المغربي عن وليمة ابن واسانة في قرية جمرايا ........ ١١٧
امتلاك عبدالقادر الخطيب قطعة أرض في «جمرايا» ........ ١١٨



الموضوع — الصفحة

إحياء الأستاذ عبدالقادر الخطيب ذكرىٰ وليمة ابن واسانة ........ ١١٩
جولة الأستاذ عدنان الخطيب مع العلامة المغربي في قرية جمرايا ........ ١٢٠
استعمال المغربي في مقالاته الصحفيَّة للمعرَّب والدخيل ........ ١٢١
كتاب: «الاشتقاق والتعريب» ........ ١٢١
مشاركته في ترجمة بعض المصطلحات ........ ١٢٢
الوعي اللغوي في الأمة العربية ........ ١٢٣
دعوته إلى إنشاء مجمع لغوي ........ ١٢٤
صعوبة التمييز بين المُولَّد والعامي ........ ١٢٤
تحقق أمنيته بتأسيس المَجْمَعَيْن اللغويين في دمشق والقاهرة ........ ١٢٥
الاشتقاق من أسماء الأعيان ........ ١٢٦
تفسير «جزء تبارك» ........ ١٢٦
نموذج من تفسيره ........ ١٢٦
مقال للمغربي في جريدة المؤيد بعنوان: «الإصلاح العملي» ........ ١٢٨
أهم الأسس الإصلاحية التي دعا إليها ........ ١٢٨
وفاته وآثاره ........ ١٢٨
مكان الشيخ سيظلُّ شاغراً ........ ١٢٩
**مع العلامة محمد الخضر حُسين في جهاده بقلم: سعدي أبو جيب** ........ ١٣٠
صفوة الصفوة من أهل العلم ........ ١٣٠
مولده ونشأته ........ ١٣١
في الزيتونة ........ ١٣٢
الرحيل ........ ١٣٢
فهل يسكن الثائر المجاهد، ويستكين؟ ........ ١٣٣
في دمشق ........ ١٣٤
في مصر ........ ١٣٥
اختياره شيخاً للأزهر ........ ١٣٥
تأسيس جمعية الشبّان المسلمين والهداية الإسلامي ........ ١٣٧
نقض كتاب «في الشعر الجاهلي» ........ ١٣٨

الموضوع | الصفحة

نقض كتاب «الإسلام وأصول الحكم» ١٣٨
وبعد ١٣٩
**أنيس الملوحي بقلم: نهاد القاسم** ١٤٠
كلمة مجلة الحضارة ١٤٠
كلمة الأستاذ نهاد القاسم وزير العدل ١٤١
رجولة مبكِّرة ١٤١
في القضاء ١٤١
طرفان متنازعان ١٤٢
عضويته في المحكمة العليا ١٤٣
ألسنة الخلق أقلام الحق ١٤٤
الفقيد في سطور ١٤٦
**هاشم الأتاسي بقلم: مصطفى السباعي** ١٤٧
كفاحه ضد الاستعمار الفرنسي ١٤٨
رئاسته الجمعية التأسيسية ثمَّ رئاسة الجمهورية ١٤٨
رئاسته الثانية للجمهورية السورية ١٤٨
أخلاقه وشمائله ١٤٩
التزامه حدود الدستور ١٤٩
مَثَلٌ حيّ لما يرجوه الشعب في قائده ١٥٠
حياة الفقيد العظيم في سطور ١٥١
**الشيخ أبو الخير الميداني بقلم: عمر عودة الخطيب** ١٥٣
ولادته ونشأته ١٥٤
متابعة دراسته في استانبول ١٥٤
دراسته وتحصيله ١٥٥
دروسه في جامع التوبة وزاوية الآجري ١٥٥
الصورة الصادقة للمسلم الزاهد ١٥٥
المرشد الصادق ١٥٦
دار الشيخ ١٥٦



الموضوع | الصفحة

**الدكتور السيد عبدالعلي الحَسَني مدير ندوة العلماء بقلم: أبو الحسن الندوي** ١٥٨
ولادته ونشأته ١٥٨
التحاقه بدار العلوم «ديوبند» ١٥٩
دراسته الطب العربي القديم ١٥٩
دراسته اللغة الإنجليزية والعلوم العصرية ١٦٠
إدارته لندوة العلماء ١٦٠
ممارسته حرفة الطب ١٦١
أخلاقه وسجاياه ١٦١
مرضه ووفاته ١٦١
مثالٌ نادرٌ للمصلحين ١٦٢
صلته بالشيخ حسين أحمد المدني ١٦٣
صلته بالشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ١٦٤
تعلُّقه بالحجاز وشدّة تعظيمه للنبيِّ ﷺ وأصحابه وأهل بيته ١٦٤
حبه للعرب ١٦٤
اطِّلاعه على شؤون العالم الإسلامي ١٦٥
عنايته بالحديث النبوي الشريف ١٦٥
عنايته باللغة العربية ونشرها وتعليمها ١٦٦
أثره في أخيه السيد أبي الحسن ١٦٦
أثر مجالسه الرزينة وتوجيهاته الحكيمة ١٦٦
**حسني السباعي بقلم ابنه: مصطفى السباعي** ١٦٨
سليل بيت علمي ١٦٩
قوة شكيمته ومساندته للحركات الوطنية ١٦٩
تعاونه مع المجاهدين في الثورة السورية بحمص ١٧٠
امتناعه عن حضور صلاة عيد الفطر تضامناً مع الثوار ١٧٠
محبّته للخير وإسهامه في تأسيس الجمعيات الخيرية ١٧١
محبته لدعوة الإصلاح ١٧٢

الموضوع — الصفحة


منهجه في محاربة بدعة (خميس المشايخ) ........ ١٧٢
موقفه من مشاركة ابنه في الجهاد في فلسطين ........ ١٧٣
**عبدالقادر الرائي پوري بقلم: سعيد الأعظمي الندوي** ........ ١٧٥
فاجعتان عظيمتان ........ ١٧٥
زاويته العامرة ........ ١٧٦
**وفاة مولانا حفظ الرحمٰن السيوهاروي بقلم: رئيس أحمد** ........ ١٧٨
مجاهد سياسي ........ ١٧٨
كفاحه السياسي ........ ١٧٩
دفاعه عن حقوق المسلمين ........ ١٧٩
مطالبته بجعل لغة (أردو) إحدى لغات الهند الأساسية ........ ١٧٩
جهاده ضدّ الإنكليز ........ ١٨٠
مآثره السياسيَّة ........ ١٨١
تأسيسه ندوة المصنِّفين بالهند ........ ١٨١
شخصيةٌ جامعة ........ ١٨١
ولادته ووفاته ........ ١٨٢
مرضه وسفره للتداوي ........ ١٨٢
**من زعماء المسلمين بالهند مولانا محمد حفظ الرحمٰن، بقلم: عبدالمنعم النمر** ........ ١٨٣
ولادته ودراسته وجهاده ........ ١٨٤
السكرتير العام لجمعية علماء الهند ........ ١٨٤
حرصه على بقاء المسلمين في الهند ........ ١٨٤
عضويته في البرلمان المركزي ........ ١٨٥
معركة التجديد في مناهج دار العلوم ........ ١٨٥
حماسه لمصالح المسلمين وقضاياهم ........ ١٨٦
قضاء مصالح الناس ........ ١٨٧
مؤلفاته باللغة الأوردية وإتقانه للغة الإنجليزية ........ ١٨٧
مرضه ووفاته وجنازته ........ ١٨٧




الموضوع — الصفحة


**الشيخ أحمد الحارون بقلم: مصطفى السباعي** ........ ١٨٩
آفات ثلاث أفسدت صفاء التصوف ........ ١٩١
تخلُّف المجتمع الإسلامي عن ركب الحضارة ........ ١٩٢
المرشدون الهُداة ........ ١٩٣
العارف بالله فقيد الإسلام أحمد الحارون ........ ١٩٣
نشأته الأُميَّة وعمله بقطع الحجارة ........ ١٩٣
منار المهتدين ........ ١٩٤
تواضعه وزهده وسخاؤه ........ ١٩٤
فهمه الصحيح للإسلام ........ ١٩٤
عطاؤه الروحي والعلمي ........ ١٩٥
المثل الصادق لروح الإسلام ........ ١٩٦
**محمد فؤاد الآلوسي بقلم: عبدالعزيز البدري** ........ ١٩٧
العلماء العاملون ........ ١٩٧
وفاة عالميْن في يوم واحد ببغداد ........ ١٩٩
حياة الشيخ الآلوسي العلمية ........ ١٩٩
شيوخه ........ ٢٠٠
تولِّيه الإمامة والخطابة والتدريس ........ ٢٠٠
شغفه بالتدريس ........ ٢٠١
برّه بتلاميذه ........ ٢٠١
علمه الواسع وفهمه العميق ........ ٢٠١
تَتَلْمذ الشيخ البدري عليه خمسة عشر عاماً ........ ٢٠١
زهده وجرأته في الحق ........ ٢٠٢
آراؤه السياسيَّة الناضجة ........ ٢٠٢
طريقته في الوعظ ........ ٢٠٣
تصوُّفه النَّقيُّ ........ ٢٠٣
أمله بنصر الإسلام ........ ٢٠٤
نبأ نعيه وتشييع جنازته ........ ٢٠٤

الموضوع — الصفحة

المصيبة بموت العالم العامل ........ ٢٠٤
**الأمير محمد عبدالكريم الخطابي بقلم: عدنان زرزور** ........ ٢٠٦
حالُ المسلمين عَقِبَ وفاة النبيِّ ﷺ وحالهم في مطلع هذا القرن ........ ٢٠٧
تسلُّم الحضارة الغربية زمام الركب البشري ........ ٢٠٧
من ثمار الحضارة الغربية ........ ٢٠٨
اقتسام العالم الإسلامي ........ ٢٠٨
بزوغ سيف الأمير الخطابي ........ ٢٠٩
العالم الإسلامي مزرعة الغرب ........ ٢٠٩
ولادة الأمير محمد عبدالكريم ونشأته ودراسته ........ ٢١٠
وظيفته وقبض الإسبان عليه ........ ٢١٠
حواره مع رئيس المجلس العسكري ........ ٢١٠
محاولة هروبه من السجن ........ ٢١١
محاولة الضغط على والده ........ ٢١١
معارك أهل الريف والإسبان ........ ٢١٢
استرداد المجاهدين لمركز (أبسران) ........ ٢١٢
إبادة الجيش الكبير ........ ٢١٢
عناية الأمير بالريف ........ ٢١٣
معارك لاهبة متلاحقة ........ ٢١٣
اتفاق القوَّتين الفرنسية والإسبانية على محاربته ........ ٢١٣
هجوم الفرنسيين ........ ٢١٤
سقوط المقاومة في (البرانس) واعتقال الأمير ........ ٢١٥
نفيه إلى جزيرة (رينيون) واعتكافه على العلم والعبادة ........ ٢١٥
إطلاق سراح بطل الريف ........ ٢١٦
اللجوء إلى مصر والإقامة فيها ........ ٢١٦
شهادة عضو مجلس العموم البريطاني ........ ٢١٦
صدى الصوت الذي أطلقه الأمير محمد عبدالكريم ........ ٢١٦
**الأستاذ محمد الحَمَوي، بقلم: عبدالرحمن الميداني** ........ ٢١٨



الموضوع — الصفحة

رثاء الأستاذ محمد الحموي، للشاعر ضياء الدين الصابوني ........ ٢١٩
**الأستاذ الشيخ محمد معدل بقلم: أحمد علي زخور** ........ ٢٢١
**سماحة العلامة الشيخ عبدالمحسن الأسطواني شيخ المُعَمَّرين في بلاد الشام بقلم: مصطفى السباعي** ........ ٢٢٣
ولادته وأسرته ........ ٢٢٣
وظائفه العلمية والسياسيَّة ........ ٢٢٥
القاضي الشرعي ورئيس محكمة التمييز الشرعية ........ ٢٢٥
إحالته إلى التقاعد وعكوفه على المطالعة ومجالس العلم ........ ٢٢٥
مجلس الشيوخ ........ ٢٢٦
درسه في جامع السلطان بإستانبول ........ ٢٢٦
نكته ودعاباته ........ ٢٢٨
مناجاة من قصيدة للفقيد نظمها في أيامه الأخيرة ........ ٢٢٩
**الشيخ عبدالحميد حجازي، بقلم (التحرير)** ........ ٢٣٠
**نجيب باقي بقلم التحرير** ........ ٢٣١
ولادته وأسرته ونشأته ........ ٢٣٢
وظائفه وإنشاؤه المدرسة الفاروقية ........ ٢٣٢
تأسيسه دار الأيتام الإسلامية بحلب ........ ٢٣٢
تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية ........ ٢٣٣
تأسيس المعهد العربي الإسلامي ........ ٢٣٣
رئيس اتحاد الجمعيات الخيرية بحلب ........ ٢٣٣
في ميادين الجهاد ........ ٢٣٤
في ميادين الاقتصاد ........ ٢٣٤
**الشيخ إبراهيم أحمد المظاهري بقلم: أبي الحسن الندوي** ........ ٢٣٥
عالم بورما والزعيم الإسلامي ........ ٢٣٥
أبرز ملامحه ومزاياه ........ ٢٣٦
رئيس جمعية العلماء في بورما ........ ٢٣٧
اهتمامه بالدعوة إلى الإسلام ونشرها في غير المسلمين ........ ٢٣٧

الموضوع | الصفحة

تأييده للجماعات الإسلامية والمشاريع الخيرية ........ ٢٣٧
قصَّة إسلامه ........ ٢٣٨
رفع قضيَّته إلى المحكمة ........ ٢٣٨
دراسته في مظاهر العلوم ........ ٢٣٩
وفاته وتشييع جنازته ........ ٢٣٩
**عباس محمود العقاد بقلم: محمد بسام الأسطواني** ........ ٢٤٠
رثاء طه حسين للعقاد ........ ٢٤١
رثاء أمين نخلة للعقاد ........ ٢٤١
كلمة ميخائيل نعيمة عن العقاد ........ ٢٤٢
العقاد فرض نفسه على الناس بقوة فكره وغزارة علمه ........ ٢٤٢
تراجع العقاد أمام الرافعي ........ ٢٤٢
تصدِّي العقاد لمفتريات أعداء الإسلام ........ ٢٤٣
دراسات العقاد الإسلامية ........ ٢٤٣
فترة النضج الفكري والأدبي ........ ٢٤٤
ضرباته القاتلة لأعداء اللغة العربية ........ ٢٤٤
مراهقو الأدب والتفكير ........ ٢٤٤
آثار العقاد دائرة معارف غنية ........ ٢٤٥
**عباس محمود العقاد رائد من روّاد الفكر العربي والإسلامي بقلم: محمد المبارك** ........ ٢٤٦
من أعلام الفكر والأدب ........ ٢٤٦
أشهر كُتَّاب العربية ........ ٢٤٦
أثر المنفلوطي والرافعي وطه حسين في أبناء الجيل المثقف ........ ٢٤٧
أثر العقاد في الجيل المثقف ........ ٢٤٧
دراسة العقاد لابن الرومي نموذج للتحليل الأدبي ........ ٢٤٨
الكشف عن تاريخ العرب وحضارة الإسلام ........ ٢٤٨
كشفه عن حقائق الإسلام ........ ٢٤٩
كتبه المتتابعة في ميدان الثقافة الإسلامية ........ ٢٤٩



الموضوع | الصفحة

دفاعه عن العربية الفصحى وتراثها ........ ٢٥٠
مراحل حياة العقاد الفكرية والأدبية ........ ٢٥٠
عَلَمٌ شامخٌ من أعلام هذا العصر ........ ٢٥١
**انطباعات عن العقاد بقلم: عبدالرزاق محيي الدين** ........ ٢٥٢
تنوُّع فنون المعرفة ........ ٢٥٢
صناعة التأليف ........ ٢٥٢
التزامه بالرأي وإصراره عليه ........ ٢٥٣
الحُريَّة الفرديَّة في التفكير والعمل ........ ٢٥٣
إيمانه العميق المدرك ........ ٢٥٣
شعر العقاد ........ ٢٥٣
مؤلفات العقاد ........ ٢٥٤
**الدكتور عبدالحليم النجار بقلم: مازن المبارك** ........ ٢٥٧
رئيس المركز الإسلامي بواشنطن ........ ٢٥٧
مرضهُ ووفاته ........ ٢٥٧
في ميادين العمل العلمي والإسلامي ........ ٢٥٨
عمله في كتاب «المحتسب» لابن جنِّي ........ ٢٥٨
رسوخه في علوم العربية ........ ٢٥٨
جمعه بين الثقافتين الإسلامية العربية والغربية الحديثة ........ ٢٥٨
خلقه الكريم ........ ٢٥٩
مختاراته المترجمة ........ ٢٥٩
ترجمته كتاب بروكلمان «تاريخ آداب اللغة العربية» وتعقيبه عليه ........ ٢٥٩
**مصطفى السباعي تاريخ دعوة في حياة رجل بقلم: محمد بسام الأسطواني** ........ ٢٦١
ولادتُه ونَشْأَته ........ ٢٦١
طلبه العلم ........ ٢٦٢
متابعة دراسته الشرعية بمصر ........ ٢٦٣
مباشرته التدريس والوظائف التي شغلها ........ ٢٦٤

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| تدريسه في كلية الحقوق بجامعة دمشق | ٢٦٥ |
| تأسيسه كلية الشريعة وتسلُّمه عمادتها | ٢٦٥ |
| إنشاء موسوعة الفقه الإسلامي | ٢٦٦ |
| عنايته بمناهج كلية الشريعة | ٢٦٦ |
| درسه الأسبوعي «قاعة البحث» | ٢٦٦ |
| همَّته العالية وعزيمته الماضية | ٢٦٧ |
| مناصبه السياسيَّة وثقة الأمة به وتكريمها له | ٢٦٧ |
| إيثاره العمل الشعبي على المناصب | ٢٦٨ |
| بداية الكفاح والانطلاق في العمل العام | ٢٦٨ |
| مقاومة مدارس التبشير الأجنبيَّة | ٢٦٩ |
| إعلانه الحرب على الاستعمار | ٢٦٩ |
| متابعة كفاحه الوطني في مصر | ٢٧٠ |
| عودته إلى سورية واعتقال الفرنسيين له | ٢٧١ |
| كفاحه من أجل القضية الفلسطينية | ٢٧١ |
| قيادته للمقاومة المسلَّحة ضدَّ الفرنسيين | ٢٧٣ |
| البدء بالدعوة وبعث الفكرة الإسلامية | ٢٧٣ |
| اتصاله بالإمام الشهيد حسن البنا | ٢٧٥ |
| إلى ميدان الجهاد وخط النار | ٢٧٧ |
| كفاحه في ميدان الصحافة | ٢٧٩ |
| إنشاء جريدة «المنار» | ٢٨٠ |
| إنشاء جريدة «الشهاب» | ٢٨٠ |
| مجلة «حضارة الإسلام» | ٢٨١ |
| من مواقف الرجولة والكرامة | ٢٨٢ |
| محاولة اغتياله | ٢٨٣ |
| مؤتمرات ورحلات عالمية | ٢٨٣ |
| زيارة الجامعات الغربية | ٢٨٥ |
| سفره إلى موسكو | ٢٨٦ |





| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| كفاحه في ميادين الخدمة الاجتماعية | ٢٨٧ |
| رحلات الحج والعمرة | ٢٨٨ |
| مغالبته لآلام المرض الطويل | ٢٨٩ |
| فترة مرضه أخصب فترات حياته إنتاجاً | ٢٩٢ |
| الصبر الجميل والرضا والتسليم | ٢٩٢ |
| وفاته | ٢٩٣ |
| **خصائص في حياة السباعي، بقلم: محمد سعيد رمضان البوطي** | ٢٩٥ |
| يا لَضَعْف القلم | ٢٩٥ |
| وقع نبأ وفاة السباعي | ٢٩٦ |
| السباعي في صراعه مع المرض | ٢٩٦ |
| عمل دائب وجهاد مستمر | ٢٩٦ |
| حياة السباعي في سبيل الله وحده | ٢٩٧ |
| سلامة صدره | ٢٩٨ |
| ما أسهل الخلاف في الرأي والغلط في البحث إذا كان القصد مرضاة الله | ٢٩٨ |
| شفاؤه من أوْصاب الدنيا | ٢٩٩ |
| موت السباعي ترك فراغاً في التوجيه القويم والقيادة الرشيدة | ٢٩٩ |
| صفات ثلاثة للسباعي | ٢٩٩ |
| العمل الإيجابي الدائب | ٢٩٩ |
| كفاءةٌ قياديَّةٌ رائعة | ٣٠٠ |
| لَوْعة قلبيَّة ثائرة | ٣٠٠ |
| حالته القلبيَّة مع الله في أيام مرضه | ٣٠٢ |
| **الشيخ محمد حريري بقلم: عبدالله علوان** | ٣٠٣ |
| **في ذكرى وفاة الشيخ الإبراهيمي، بقلم: محمد المبارك** | ٣٠٦ |
| جمعية العلماء ومكانها في تاريخ الجزائر الحديث | ٣٠٦ |
| دور جمعية العلماء المسلمين في نهضة الجزائر واستقلالها | ٣٠٦ |
| تعرُف الأستاذ المبارك على جمعية العلماء الجزائرية | ٣٠٧ |
| جريدتا «البصائر» و«الشهاب» | ٣٠٧ |

الموضوع — الصفحة

أثر منشورات جمعية العلماء في المسلمين الجزائريين ........ ٣٠٧
خطط الاستعمار الفرنسي في التنكيل بالجزائريين ........ ٣٠٨
منهج حركة جمعية العلماء الجزائريين ........ ٣٠٨
من أعلام الجمعية ........ ٣٠٩
إحياء الإسلام في عقيدته ولغته ........ ٣٠٩
نشر الوعي الإسلامي عن طريق الشعب والجيل الناشئ ........ ٣٠٩
الوعي السياسي الشامل في جمهور الجزائر ........ ٣١٠
واجب الوفاء لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومؤسِّسيها ........ ٣١١
إحياء ذكرى ابن باديس والإبراهيمي ........ ٣١٢
**محمد البشير الإبراهيمي علم من أعلام العرب في القرن العشرين، بقلم: عمر الحكيم** ........ ٣١٣
زيارة الإبراهيمي للملك سعود ........ ٣١٣
تصوير واقع الثورة الجزائرية ........ ٣١٤
حاجة الثورة إلى إمدادها بكلِّ أنواع المساعدة ........ ٣١٥
انتهاء مقابلة الإبراهيمي ومعاناته آلام المرض والشيخوخة ........ ٣١٦
بين الزاهدين في الحكم والمتطلِّعين إليه ........ ٣١٧
مهمة البشير الإبراهيمي رئيس رابطة العلماء الجزائريين ........ ٣١٧
من مرحلة المعرفة النظرية إلى مرحلة المعرفة العملية ........ ٣١٨
من طَوْر الدعاء والفخر بالثورة إلى طور البذل المادي والعون السياسي ........ ٣١٨
استجابة الملك سعود لنصرة مجاهدي الجزائر ........ ٣١٩
**الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، بقلم: عبدالرحمن الغريب** ........ ٣٢٠
وفي الليلة الظلماء يُفْتَقَدُ البدر ........ ٣٢٠
عروبة الشمال الإفريقي ........ ٣٢١
السياسي البارع ........ ٣٢٣
المعلِّم المربِّي ........ ٣٢٥
تنظيم التعليم العربي والإسلامي ........ ٣٢٥



الموضوع — الصفحة

الناصح الصادق ........ ٣٢٧
منبع الشفاء ومبعث البلاء ........ ٣٢٧
أسلحة لا نُحسن استعمالها ........ ٣٢٨
كذب فرنسا على التاريخ وتزويرها للأحداث ........ ٣٢٩
سُبُل المُتَسلِّطين لدوام السلطة ........ ٣٢٩
الإبراهيمي الأديب ........ ٣٣١
شعره وسجعه ........ ٣٣١
**من عظمة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، بقلم: محمد الطاهر فضلاء** ........ ٣٣٢
ما أعظمك وأجملك حياً وميتاً ........ ٣٣٢
أثر فقد العلامة الإبراهيمي ........ ٣٣٣
في صحف النهضة ........ ٣٣٤
طالب وأستاذ ........ ٣٣٤
الشيخان الإبراهيمي وابن باديس ........ ٣٣٥
سر.. وحلم ........ ٣٣٦
من عالم الغيب ........ ٣٣٦
ثِقَل الأمانة ........ ٣٣٧
تغريب الأمة ........ ٣٣٧
بطل وشعب... ........ ٣٣٩
موت العظماء وخلود ذكرهم ........ ٣٤٠
العظمة الحقَّة ........ ٣٤١
... عظيم في حياته وعظيم في موته ........ ٣٤١
**١٩** ماي و**١٩** جوان ........ ٣٤٢
مطالب لتجديد ذكرى الإبراهيمي ........ ٣٤٢
**الأستاذ المربي محمد خير الجلاد، بقلم: محمد أديب الصالح** ........ ٣٤٤
الأستاذ المُربِّي الناجح ........ ٣٤٥
تواضعه وكراهته للظهور ........ ٣٤٥
الأستاذ الجلاد في سطور ........ ٣٤٦

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| **دمعة في ذكرى الأخ صالح زركان، كلمة مجلة الحضارة** | ٣٤٧ |
| كلمة الأستاذ محمد مبارك | ٣٤٨ |
| بذرة صالحة طيبة | ٣٤٨ |
| إيفاده للدراسات العليا في دار العلوم بالقاهرة | ٣٤٨ |
| صلاحه وصبره على طلب العلم | ٣٤٩ |
| دراسة نفيسة عن الإمام الرازي وآرائه الكلامية والفلسفية | ٣٤٩ |
| الجيل الجديد الذي يحمل رسالة الإسلام | ٣٥٠ |
| **في ذكراك يا صالح، بقلم: خالد الرفاعي** | ٣٥٢ |
| ذكرى الفضيلة والرجولة والوعي | ٣٥٢ |
| (صالح) الإنسان الذي نبحث عنه | ٣٥٣ |
| **الشيخ يونُس عبدالغني، بقلم: عبدالله الطنطاوي** | ٣٥٤ |
| ملامح شخصيته المميزة | ٣٥٥ |
| جرأته وصدعه بالحق | ٣٥٥ |
| شغفه الشديد بالعلم | ٣٥٥ |
| سعيُه الحثيث في سبيل نشر الإسلام وتطبيق أحكامه | ٣٥٦ |
| عزَّته الإيمانية | ٣٥٧ |
| إسهامه في بناء المساجد | ٣٥٧ |
| ضمير القرية | ٣٥٨ |
| سبب تعلُّق الناس به | ٣٥٨ |
| الحزن على وفاته | ٣٥٩ |
| **الشيخ محمد نجيب خياطة، بقلم: محمد أبو اليمن خياطة** | ٣٦٠ |
| اسمه ومولده | ٣٦٠ |
| طلبه للعلم وأساتذته | ٣٦١ |
| نشره للعلم | ٣٦٢ |
| أخذه لعلم القراءات | ٣٦٢ |
| إجازاته | ٣٦٣ |
| أخلاقه وحياته مع طلابه | ٣٦٤ |



| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| مؤلفاته | ٣٦٤ |
| وفاته | ٣٦٥ |
| **الأستاذ مصطفى الأعسر رحمه اللَّه، بقلم التحرير** | ٣٦٦ |
| ولادته ونشأته ودراسته وتدريسه | ٣٦٦ |
| إخلاصه وجِدّه | ٣٦٦ |
| خطبه وجرأته | ٣٦٧ |
| وفاته وتشييعه | ٣٦٧ |
| أسرته | ٣٦٧ |
| صفاته وخصائصه | ٣٦٨ |
| **الشيخ عبدالرحمن الزعبي الطيبي بقلم: محمد بهجت البيطار** | ٣٦٩ |
| **مع الرجل العظيم، الداعية الربَّاني الشيخ محمد الحامد، بقلم التحرير** | ٣٧١ |
| يبعث أمةً وحده | ٣٧٢ |
| مصاب الأمة ورفع العِلم.. | ٣٧٢ |
| أحبَّ لقاء الله فأحبَّ الله لقاءه | ٣٧٣ |
| **حين تعرف الأمة رجالها. فقيد الإسلام الشيخ محمد الحامد، بقلم: محمد أديب الصالح** | ٣٧٥ |
| واجب الوفاء | ٣٧٥ |
| الهدير الإيماني المعبِّر | ٣٧٦ |
| الميراث العلمي | ٣٧٦ |
| موضع الثقة في النقل والحُجَّة في العمل والقدوة | ٣٧٧ |
| الزهد في الدنيا | ٣٧٧ |
| تعدُّد جوانب شخصيته | ٣٧٧ |
| جَعَل علمه زُلفى إلى مرضاة الله وطريقاً إلى الجنة | ٣٧٧ |
| الوعي الكبير لطبيعة العمل الإسلامي | ٣٧٨ |
| إعدادٌ صادقٌ | ٣٧٨ |
| الشمول في نظرته إلى ساحة العمل الإسلامي | ٣٧٩ |
| معالم توجيهه وإرشاده | ٣٧٩ |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |


رائد من روّاد القافلة المؤمنة ........ ٣٨٠
الغايات الكبار والنفوس الكبار ........ ٣٨١
**أخي كما عرفته بقلم: عبدالغني الحامد** ........ ٣٨٢
ولادته ونشأته ........ ٣٨٢
أسرته ........ ٣٨٣
مواقفه الجريئة في الدفاع عن الإسلام ........ ٣٨٣
جنازته ........ ٣٨٣
ذكريات عن أخوي: محمد وبدر الدين ........ ٣٨٣
عاطفته وحُنوُه وصدقه ........ ٣٨٤
نشأته الصَّالحة ........ ٣٨٤
في مدرسة دار العلوم الشرعية بحماة ........ ٣٨٥
في المدرسة الخسروية بحلب ........ ٣٨٥
في كلية الشريعة بالأزهر ........ ٣٨٥
إيثاره العودة إلى بلده ........ ٣٨٦
الخطيب المدرِّس ........ ٣٨٦
دعوته إلى الجهاد ........ ٣٨٦
في ثانوية ابن رشد ........ ٣٨٧
جهوده في الدعوة إلى الله تعالى ........ ٣٨٧
مؤلفاته وفتاويه ........ ٣٨٧
مرضه ........ ٣٨٨
رضاه عن الله عزَّ وجل ........ ٣٨٨
وفاته ........ ٣٨٨
**حماه... وعالمها الراحل، بقلم: محمد سعيد رمضان البوطي** ........ ٣٩٠
صورة حماة المتميِّزة الفريدة ........ ٣٩٠
حديث النواعير الصاعدة الهادرة ........ ٣٩٠
مرشد حماة العظيم ........ ٣٩١
منزل متواضع ........ ٣٩٢




| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |


رؤية الشيخ محمد الحامد لأول مرة ........ ٣٩٢
تأثير الشيخ في مدينته ........ ٣٩٣
حديثه من أغوار نفسه المؤرقة المتأملة ........ ٣٩٣
فكر ناقد بصير ........ ٣٩٣
في صفوف الطلاب ........ ٣٩٤
سرُّ انصياع حماة لشيخها العظيم ........ ٣٩٤
التكامل الرائع في حياته الإسلامية ........ ٣٩٥
الشباب الواعي مادة العمل الإسلامي ........ ٣٩٦
بناء صرح الحقيقة الإسلامية ........ ٣٩٦
العالِم المسلم الحق ........ ٣٩٧
التحذير من رجلين: خامل ومهيِّج ........ ٣٩٨
أثر الحامد المتكامل ........ ٣٩٨
وعي تلاميذه وتكامل حياتهم وأفكارهم ........ ٣٩٨
الفراغ الخطير الذي خلَّفه الشيخ الحامد ........ ٤٠٠
صورة حماة الحيَّة المشرقة ........ ٤٠٠
**ضيف الحضارة محمد حامد، التحرير** ........ ٤٠٢
قال الأستاذ الحامد ........ ٤٠٢
دراستي وتكويني العلمي ........ ٤٠٣
المدرسة الخسروية الشرعية بحلب ........ ٤٠٣
الأستاذ الشيخ أحمد الزرقا ........ ٤٠٣
شيوخي في المدرسة الخسروية ........ ٤٠٤
الالتحاق بالجامع الأزهر ........ ٤٠٤
الدروس الخاصة والعامة ........ ٤٠٥
إيثار العلم على لذائذ الدنيا ........ ٤٠٥
احترام خلاف الأئمة في الفروع الفقهية ........ ٤٠٥
الشخصيات التي تأثَّرت بها في العصر الحاضر ........ ٤٠٦
محمد سعيد الجابي وتوفيق الصباغ ........ ٤٠٦

| الصفحة | الموضوع |
|---|---|


محمد سعيد النعساني ........ ٤٠٦
أحمد المراد ........ ٤٠٦
العارف بالله محمد أبو النصر الحمصي النقشبندي ........ ٤٠٧
الشيخ عيسى البيانوني ........ ٤٠٨
الشيخ إبراهيم الغلاييني ........ ٤٠٩
الإمام الشهيد حسن البنا ........ ٤١٠
أبرز الأمور التي لها أثر في حياتي ........ ٤١١
عملي وإنتاجي العلمي ........ ٤١٢
تنشئة الجيل المسلم ........ ٤١٣
طريقة إبلاغ الجمهور حقائق الإسلام ........ ٤١٤
التربية في البيت ........ ٤١٤
سبل الخلاص ........ ٤١٥
**الشيخ محمد إبراهيم الختني، بقلم الدكتور: محمد أديب الصالح** ........ ٤١٦
**الفقيه الصالح الشيخ محمد إبراهيم الخُتَّني رحمه اللّه تعالى، بقلم: وهبي سليمان الغاوجي الألباني** ........ ٤١٧
اسمه وولادته ........ ٤١٨
مؤلفاته ........ ٤١٨
سفره إلى بخارى في طلب العلم ........ ٤١٩
مجيئه إلى الحجاز ........ ٤١٩
تدريسه في المدينة المنورة ........ ٤٢٠
**فضيلة العلامة المحقِّق الشيخ محمد إبراهيم الفضيلي الختني ثم المدني بقلم: محمد سعيد دفتردار** ........ ٤٢٢
ولادته ونشأته ودراسته ........ ٤٢٢
رحلته في طلب العلم ........ ٤٢٢
انتهاؤه من التحصيل وإجازاته ........ ٤٢٣
متابعته الرحلة في طلب العلم ........ ٤٢٣
رحلته إلى الحج ........ ٤٢٤




| الصفحة | الموضوع |
|---|---|


دراسته على الشيخ محمد عبدالباقي الأنصاري وتدريسه في مدرسته ........ ٤٢٤
تدريسه في مدرسة العلوم الشرعية ........ ٤٢٤
عمله في مكتبات المدينة المنورة ........ ٤٢٤
اطلاعه على المخطوطات النادرة ........ ٤٢٥
التدريس في المسجد النبوي ........ ٤٢٥
مؤلفاته ........ ٤٢٥
دروسه في بعض المدارس ........ ٤٢٥
رحلاته ........ ٤٢٦
صفاته وأخلاقه وعاداته ........ ٤٢٦
مرضه ووفاته ........ ٤٢٦
**الشيخ عبدالله هارون شهيد جنوب إفريقية، بقلم: علي الخطيب** ........ ٤٢٧
معارضته السياسيَّة للحكومة العنصريَّة ........ ٤٢٨
آثار الشيخ الشهيد عبدالله هارون ........ ٤٢٨
صحيفة الشهيد ........ ٤٢٩
جماعة الصدق ........ ٤٢٩
**الإمام عبدالله هارون، بقلم ابنه: محمد عبدالله هارون** ........ ٤٣٠
ولادته ودراسته ........ ٤٣٠
نشاطه العلمي والدعوي ........ ٤٣١
مقاومته الدعوة العنصريَّة ........ ٤٣١
مغادرته البلاد ........ ٤٣١
إقامته بمكة المكرمة ........ ٤٣١
اعتقاله واستشهاده ........ ٤٣٢
**محبُّ الدين الخطيب.. كما عرفته، بقلم: أبي الوفا المراغي** ........ ٤٣٣
تاريخ حافل بالجهاد في ميادين كثيرة ........ ٤٣٣
ثقافته وذكاؤه ........ ٤٣٤
تنقُّلاته واستقراره بمصر ........ ٤٣٤
جهوده في الصحافة والجماعات الإسلامية ........ ٤٣٤

الموضوع | الصفحة


مجلة الفتح ..... ٤٣٥
جولاته القلميَّة العنيفة ..... ٤٣٥
محب الدين كان كاتباً لا أديباً ..... ٤٣٥
مجلة (الزهراء) ورئاسته تحرير مجلة (الأزهر) ..... ٤٣٦
المطبعة السلفية ..... ٤٣٦
من آثاره العلمية ..... ٤٣٦
سبيل الإصلاح ..... ٤٣٦
جهاده في بعض المعارك ..... ٤٣٧
غلبة اللون التاريخي على بحوثه ..... ٤٣٧
صلابته في الرأي ..... ٤٣٧
حياة محب الدين الاجتماعية ..... ٤٣٧
**علي أحمد باكثير، بقلم: محمد الحسناوي** ..... ٤٣٩
حياته ..... ٤٣٩
عمله ..... ٤٤٠
رحلاته ..... ٤٤٠
طبعه وهواياته ..... ٤٤١
بواكيره الأدبية ..... ٤٤٢
مواقفه ..... ٤٤٢
آخر ما كتبه ..... ٤٤٣
محاضرته عن دور الأديب العربي في المعركة ضد الاستعمار ..... ٤٤٤
صدى وفاته ..... ٤٤٥
دارسو أدبه ..... ٤٤٥
عروض مسرحياته ورواياته ..... ٤٤٦
**الشاعر محمد وحيد الدين العالي الحيدر آبادي، بقلم: محمد عبدالستار خان** ..... ٤٤٧
الدولة الآصفية ..... ٤٤٧
أصله ونشأته وشبابه ..... ٤٤٧




الموضوع | الصفحة


طلبه العلم وشيوخه ..... ٤٤٨
أدبه وشعره ..... ٤٤٩
ديوانه «الجواهر الزاهرة» ..... ٤٤٩
القصيدة الأولى ..... ٤٤٩
القصيدة الثانية ..... ٤٥٠
القصيدة الثالثة ..... ٤٥١
قصيدته في أحوال المسلمين في عصره ..... ٤٥٣
حُسْن الاستهلال وجمال التخلُّص ..... ٤٥٥
رثاؤه لمصطفى كامل ..... ٤٥٦
بيت فضيلة وشرف ..... ٤٥٧
اشتغاله بتصحيح أمهات الكتب ..... ٤٥٨
وفاته ..... ٤٥٨
**الشيخ عبدالوهاب الحافظ الملقب بـ (دبس وزيت)، بقلم التحرير** ..... ٤٥٩
من أعلام الفقه وأشراف الأمة ..... ٤٥٩
أسرته ..... ٤٦٠
طلبه للعلم وشيوخه ..... ٤٦٠
نشره للعلم ودروسه ..... ٤٦١
أخلاقه ..... ٤٦١
الدروس الدوريَّة التي كان يقوم بها طلابه ..... ٤٦٢
وفاته ..... ٤٦٣
**الشيخ محمد بن إبراهيم رجل علم وعمل، بقلم: عبدالرحمن رأفت الباشا** ..... ٤٦٤
أعباء جسام ..... ٤٦٥
العلم وتربية الأجيال ..... ٤٦٥
اهتمامه بشؤون القضاء ..... ٤٦٥
كريم شمائله ..... ٤٦٦
تبيُّنه وتثبُّته ..... ٤٦٦
لا ينتقم لنفسه ..... ٤٦٦

الموضوع | الصفحة

معرفته أقدار الناس ........ ٤٦٦
تواضعه الجمّ ........ ٤٦٦
**الشيخ صالح العقاد رجل فقدته الأمة الإسلامية، بقلم: محمد سعيد الفيومي** ........ ٤٦٨
اسمه ولقبه ........ ٤٦٩
دراسته وشيوخه ........ ٤٦٩
ثقة أساتذته به ........ ٤٧٠
اشتغاله بالصناعة والتجارة ........ ٤٧٠
انصرافه إلى العلم ........ ٤٧٠
دروسه العامّة والخاصَّة ........ ٤٧١
لباسه ........ ٤٧١
طعامه ........ ٤٧٢
كثرةُ عبادته ........ ٤٧٢
بيعه وشراؤه ........ ٤٧٢
كراهته تقبيل يده وفتواه في استحبابها لزهد صاحبها أو صلاحه ........ ٤٧٣
موقفه من خصومه ........ ٤٧٤
سماحة نفسه ........ ٤٧٤
كراهته الجدل ........ ٤٧٤
شدّة تواضعه وحُنوه على الضعفاء ........ ٤٧٥
احترامه للعلماء العاملين ........ ٤٧٥
منزلته عند الناس ........ ٤٧٥
حلُه المشكلات وتسويته الخصومات ........ ٤٧٦
كريم شمائله ........ ٤٧٦
محاربته البدع ........ ٤٧٦
وفاته رحمه الله تعالى ........ ٤٧٧
**الشيخ صالح العقاد، بقلم: محمد الصباغ** ........ ٤٧٨
بقيَّةُ السَّلف الصالح ........ ٤٧٨



الموضوع | الصفحة

الفقيه الشافعي الكبير ........ ٤٧٩
صدعه بالحق ........ ٤٨٠
كسبه وتجارته ........ ٤٨١
ورعه وزهده ........ ٤٨١
امتناعه من قبول وظيفة الإفتاء ........ ٤٨٢
اعتذاره عن الذهاب إلى الحكام ........ ٤٨٢
كراهته الاستدانة ........ ٤٨٢
مشاركته في الحياة العامّة ........ ٤٨٢
استمراره في العمل ........ ٤٨٣
دروسه ........ ٤٨٣
تلاميذه من التجار والشباب ........ ٤٨٤
**الفقيه اللغوي العلامة الفاضل ابن عاشور، بقلم: محمد أنور الجندي** ... ٤٨٥
عميد كلية الزيتونة ........ ٤٨٥
رحلاته العلمية ومحاضراته ........ ٤٨٥
والده العلامة الطاهر بن عاشور ........ ٤٨٦
دراسته وشيوخه ........ ٤٨٦
تخرّجه في كلية الآداب في جامعة الجزائر ........ ٤٨٧
تدريسه في جامعة الزيتونة والمدرسة الصادقيَّة ........ ٤٨٧
مشاركاته في مجال الثقافة الإسلامية والعربية ........ ٤٨٨
أداؤه العربي والفرنسي واطلاعه على الفكر الإسلامي والغربي ........ ٤٨٨
دروسه ومحاضراته ومؤلفاته ........ ٤٨٩
مشاركاته في المؤتمرات الإسلامية والعربية ........ ٤٨٩
ميادين ثلاثة ........ ٤٩٠
وطن الارتكاز ووطن الامتداد ........ ٤٩٠
ظاهرة تطلع المغرب إلى المشرق ........ ٤٩١
حصيلة ضخمة من العلم والثقافة ........ ٤٩١
**محمد الفاضل ابن عَاشُور، بقلم: محمد الدسوقي** ........ ٤٩٣

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| العالم الفقيه اللغوي الأديب المؤرخ | ٤٩٣ |
| بيت العلم والأدب | ٤٩٤ |
| دراسته | ٤٩٤ |
| تدريسه في جامع الزيتونة | ٤٩٥ |
| رئاسته للجمعية الخلدونية | ٤٩٥ |
| مفتي الديار التونسية ووظائفه الأخرى | ٤٩٥ |
| معرفته بمخطوطات الخزائن التونسية | ٤٩٦ |
| مشاركته في مؤتمرات المجامع العلمية | ٤٩٦ |
| عضويته في مجمع البحوث ومجمع اللغة العربية | ٤٩٦ |
| بحثه في المصطلح الفقهي في المذهب المالكي | ٤٩٦ |
| بحثه عن الاجتهاد في ماضيه وحاضره | ٤٩٧ |
| دراساته النَّحويَّة واللغويَّة | ٤٩٨ |
| مؤلفاته الأدبية والعلمية | ٤٩٩ |
| **الشيخ محمد السيد، بقلم: سعيد السيد** | ٥٠١ |
| اتصاله بالشيخ علي الدقر | ٥٠١ |
| موسم الحصاد | ٥٠٢ |
| معرفته الحقَّة بالإسلام | ٥٠٢ |
| سلوكه في حياته | ٥٠٢ |
| محنته وسجنه | ٥٠٣ |
| صبره وعزيمته | ٥٠٣ |
| **القاضي محمد أديب الأهدلي، بقلم: محمد صالح** | ٥٠٤ |
| اسمه وكنيته ولقبه ونسبه | ٥٠٤ |
| موطنه الأصلي ومسكنه الجديد | ٥٠٥ |
| موجز عن تاريخ حياته العلميَّة والعمليَّة | ٥٠٥ |
| أضواء على شخصيته | ٥٠٦ |
| مناضلته ضد الاستعمار | ٥٠٧ |
| إصلاحاته الدينية والاجتماعية | ٥٠٨ |





| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| آراء علماء عصره وفضلائه فيه | ٥٠٩ |
| مؤلفاته | ٥١٠ |
| **أبا الأهدلي: قصيدة للشاعر محمد الحسناوي** | ٥١٢ |
| **الدكتور عبدالكريم عثمان، بقلم: محمد أديب الصالح** | ٥١٥ |
| في ريعان الشباب وأَوْج القوة ونُضْرة الحياة | ٥١٥ |
| تقدير الروّاد | ٥١٦ |
| الداعية المؤمن | ٥١٧ |
| اهتمامه بواجب الدعوة والعطاء | ٥١٧ |
| مجال العلم | ٥١٧ |
| مؤلفاته | ٥١٨ |
| التطلُّع إلى الحقيقة والسعي وراء المعرفة | ٥١٨ |
| الإخلاص وصفاء النفس | ٥١٩ |
| دعوة لليقظة والتنبُّه | ٥١٩ |
| لوعة القلب.. ومعالم الرضا | ٥٢٠ |
| حياة الفقيد في سطور | ٥٢١ |
| **وداعاً... يا عبدالكريم، بقلم: محمد منلا غزيل** | ٥٢٢ |
| شجون وذكريات | ٥٢٢ |
| مفهوم الثقافة والحضارة والمدنية | ٥٢٣ |
| خصائص الثقافة الإسلامية | ٥٢٣ |
| تحديات الثقافة الإسلامية | ٥٢٤ |
| تحديات الحضارة الحديثة وثقافتها | ٥٢٥ |
| موقف الثقافة الإسلامية من تحديات الغرب | ٥٢٥ |
| الحركات الإصلاحية الحديثة | ٥٢٦ |
| مستقبل الثقافة الإسلامية | ٥٢٦ |
| **الشيخ نعيم النعيمي في ذمَّة الله، بقلم: بلقاسم النعيمي** | ٥٢٧ |
| تمهيد | ٥٢٧ |
| اسمه وعائلته | ٥٢٨ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| ولادته | ٥٢٩ |
| والده | ٥٢٩ |
| إخوته | ٥٢٩ |
| حفظه للقرآن | ٥٢٩ |
| انتسابه إلى زاوية الشيخ المختار | ٥٣٠ |
| شيوخه في الزاوية | ٥٣١ |
| سفره إلى تونس للدراسة في جامع الزيتونة | ٥٣١ |
| الرحلة الطويلة | ٥٣٢ |
| اتصاله برجال العلم واطلاعه الواسع على الكتب | ٥٣٢ |
| تصوفه | ٥٣٣ |
| مطالعته الصحف والمجلات الإسلامية | ٥٣٣ |
| اشتراكه في جمعية العلماء المسلمين | ٥٣٣ |
| في ميدان الإصلاح والتعليم | ٥٣٣ |
| نفيُه من (طولقة) وإقامته في (بسكرة) وتأسيسه معهداً تعليماً | ٥٣٤ |
| استقراره في قسنطينة وتدريسه في معهد ابن باديس | ٥٣٤ |
| حضوره المؤتمر الثقافي الإسلامي بتونس | ٥٣٤ |
| بين صفوف المجاهدين | ٥٣٥ |
| التحاقه بجيش التحرير | ٥٣٥ |
| سفره إلى تونس للعلاج وإسناد مهمة المسامرات إليه | ٥٣٦ |
| مواضيع مسامراته العلمية والدعوية | ٥٣٦ |
| جولاته في القطر التونسي | ٥٣٦ |
| تلقيه علم القراءات وروايته للحديث | ٥٣٧ |
| سفره إلى الحج | ٥٣٧ |
| زيارته لعدد من البلاد وإقامته بحمص | ٥٣٧ |
| إشرافه على مفتشية الأوقاف في قسنطينة | ٥٣٨ |
| حضوره المؤتمر الإسلامي في تونس | ٥٣٨ |
| رئاسته لجنة الفتوى في المجلس الإسلامي الأعلى في الجزائر | ٥٣٨ |



| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| مرضه ووفاته | ٥٣٨ |
| الجانب العلمي | ٥٣٩ |
| العلوم التي اهتم بها | ٥٤٠ |
| درايته الواسعة بالأدب العربي | ٥٤٠ |
| موهبته الشعرية | ٥٤٠ |
| في ميدان النثر | ٥٤١ |
| وصف سفره للحج | ٥٤١ |
| ضياع إنتاجه العلمي | ٥٤١ |
| من آثاره العلمية | ٥٤٢ |
| **الشيخ عبدالكريم الرفاعي، بقلم: عدنان زرزور** | ٥٤٣ |
| صورة وخاطرة | ٥٤٣ |
| الدعاة والمصلحون هم الذين يصنعون التاريخ | ٥٤٤ |
| أثر الحماسة الروحيَّة | ٥٤٤ |
| تاريخنا الحقيقي الذي نفخر به | ٥٤٤ |
| في حلقة الشيخ علي الدقر | ٥٤٥ |
| رسالة الشيخ بدر الدين الحسني في الإصلاح والنهضة العلمية | ٥٤٥ |
| من أعلام الدعوة والهداية والإرشاد | ٥٤٦ |
| تدريسه الفقه الشافعي والتوحيد وأصول الفقه | ٥٤٦ |
| استحضاره العجيب لأخبار الصحابة | ٥٤٧ |
| المسجد مَهْد الدعوة وملاذها | ٥٤٧ |
| إخلاص الجندي وحماسة القائد | ٥٤٧ |
| الحبُّ: أساس دعوته إلى الإسلام | ٥٤٨ |
| سرُّ نجاحه: الصدق والرفق | ٥٤٨ |
| معاني الصدق عند الشيخ | ٥٤٨ |
| رِفْقُ الشيخ رحمه الله | ٥٤٩ |
| صور ومناسبات يرتبط بعضها ببعض | ٥٥٠ |
| بشائر ربيع الشام ونسائمه | ٥٥١ |

الموضوع — الصفحة

**العالم العامل الشيخ عبدالكريم الرفاعي، بقلم: عبدالغني الدقر** ........ ٥٥٢
منهج الشيخ علي الدقر في تربية تلاميذه ........ ٥٥٢
التربية الصوفية الصالحة ........ ٥٥٣
إقبال الفتى على العلم ........ ٥٥٣
المنهج العلمي في التلقِّي ........ ٥٥٤
حضوره عند الشيخ بدر الدين الحسني ........ ٥٥٤
من أركان الدعوة والعلم والإرشاد ........ ٥٥٤
دينُه واستقامتُه وحُسْن سَمْته ........ ٥٥٥
وفاؤه لشيخه الكبير علي الدقر ........ ٥٥٥
عنايته بتربية الشباب وتعليمهم ........ ٥٥٦
ثمرات دعوته وتعليمه ........ ٥٥٦
ثروة ضخمة ........ ٥٥٧
**الأستاذ عمر الحكيم، بقلم: عدنان زرزور** ........ ٥٥٨
رثاء الرجال في وقت يعزُّ فيه الرجال ........ ٥٥٨
المسؤوليات الجسام التي نهض بها جيل الأستاذ عمر الحكيم ........ ٥٥٩
الجيل الطليعي الاستقلالي ........ ٥٥٩
التحاقه بالكلية الحربية الفرنسية ثم المعهد الجغرافي ........ ٥٥٩
ملاحقته من الاستعمار الفرنسي ........ ٥٦٠
إيقاظ الشعور بالامتياز والتفوُّق على الحضارة الغربية ........ ٥٦٠
تناوله القضايا بشجاعة ورجولة وتفصيل ........ ٥٦١
تأكيده على التصوف الإسلامي النقي ........ ٥٦١
اهتمامه بالقضايا العربية والإسلامية ........ ٥٦٢
فهمه العميق لقضيَّة الدولة العثمانية ........ ٥٦٢
تحليله الدقيق للقضية الفلسطينية ........ ٥٦٢
السبيل الوحيد لإزالة الدولة اليهودية ........ ٥٦٣
تركيزه الذكي المبكر على إفريقية السوداء ........ ٥٦٣
مستقبل البلاد الإسلامية ........ ٥٦٤



الموضوع — الصفحة

الناحية الجغرافية للعالم الإسلامي ........ ٥٦٥
تقديم الأقوات النباتية للبشرية ........ ٥٦٥
أهمية الزراعة في الجزيرة العربية ........ ٥٦٦
مستقبل الصحراء في إفريقية ........ ٥٦٦
تصدُّر العالم الإسلامي المكانة الأولى في الاقتصاد العالمي ........ ٥٦٧
الثروات التّعدينيَّة والبتروليَّة والزراعيَّة في القارة الإفريقية ........ ٥٦٧
أثر العنصر البشري في البلاد الإسلامية ........ ٥٦٨
نظرته إلى المستقبل ........ ٥٦٨
صفحة ابتدأت بالغربة وانتهت بالشهادة ........ ٥٦٩
مؤمن قوي الإيمان ........ ٥٦٩
ذكريات رحلة جامعية ........ ٥٦٩
في الطريق إلى المدينة المنورة ........ ٥٧٠
**الشهيد العالم عمر الحكيم، بقلم: شفيق يبرودي** ........ ٥٧١
شخصيَّةٌ قويَّةٌ وجاذبيَّة عظيمة ........ ٥٧١
مبادئُه في الحياة ........ ٥٧١
دعوته إلى العلم التجريبي المعاصر ........ ٥٧٢
الإسلام روح المقاومة والثورة في العالم ........ ٥٧٢
تلازم العروبة والإسلام ........ ٥٧٢
استقامته في سلوكه ........ ٥٧٢
تلامذته الكثيرون ........ ٥٧٢
دوره في النهضة الثقافية المعاصرة ........ ٥٧٣
تَعَمُّقه في علم أشكال الأرض ........ ٥٧٣
ترجمته كتاب «الجغرافية الطبيعية» ........ ٥٧٣
كتابه «المدخل إلى علم الجغرافية» ........ ٥٧٤
مؤلفاته التاريخية ........ ٥٧٤
ترجمته كتاب «الإسلام في إفريقية السوداء» ........ ٥٧٤
الاستعمار الفرنسي في الشمال الإفريقي ........ ٥٧٤

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| مذكرات والده خالد الحكيم | ٥٧٥ |
| انتسابه إلى الكلية العسكرية ودراسته في المعهد الجغرافي | ٥٧٥ |
| اشتغاله بالحركة الوطنية | ٥٧٥ |
| تنوُّع ثقافته | ٥٧٦ |
| وفاته في حادث سيارة في طريقه إلى مكة المكرمة | ٥٧٦ |
| **عبدالله التل سيف من سيوف الإسلام أغمدته أمَّتُه، بقلم: ماجد الكيلاني** | ٥٧٧ |
| الرجولة المؤمنة والعبقريَّة الفذَّة | ٥٧٧ |
| شمائل الرجولة الأصيلة | ٥٧٨ |
| في ميدان الجندية والقيادة | ٥٧٨ |
| جهاده في حرب عام ١٩٤٨ | ٥٧٨ |
| اتهام اليهود بالتطرُّف والإرهاب | ٥٧٩ |
| أخلاقياته الإسلامية في الحروب | ٥٧٩ |
| تبصيره الأمة بأبْعاد الخطر اليهودي | ٥٨٠ |
| مقال الدكتورة بنت الشاطئ عن كتابه «خطر اليهودية العالمية» | ٥٨٠ |
| بيته منتدى الوافدين | ٥٨١ |
| أثر نكبة ١٩٦٧ | ٥٨١ |
| في ميدان الدعوة | ٥٨٢ |
| تواضعه للفقراء والمساكين | ٥٨٢ |
| أَنَفَتُه وترفُّعه عن المراتب والمناصب | ٥٨٣ |
| **في ذكرى المرحوم عبدالقادر السبسبي، للقاضي الأستاذ عبدالوهاب التونجي** | ٥٨٤ |
| نشأته وشيوخه | ٥٨٤ |
| في مهنة المحاماة | ٥٨٥ |
| تدريسه في المدرسة الفاروقية | ٥٨٥ |
| زمالتي له ومشاركتي له في مهنة المحاماة | ٥٨٥ |
| المحامي الفقيه العامل | ٥٨٥ |
| ١ ـ عمله في المحاماة | ٥٨٦ |



| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| استظهاره مواد القوانين عن ظهر قلب | ٥٨٦ |
| في دائرة الأوقاف الإسلامية | ٥٨٦ |
| في محكمة البداية المدنيَّة | ٥٨٦ |
| استعانة المحامين برأيه، واستشارة القضاة له | ٥٨٧ |
| ٢ ـ صفاته العلمية وقوة حافظته | ٥٨٧ |
| مقالاته الكثيرة ورسائله المطبوعة | ٥٨٨ |
| اطلاعه على المذاهب الفقهية | ٥٨٨ |
| انطباق قانون التجارة السوري على المذهب المالكي | ٥٨٨ |
| حافظته القوية | ٥٨٩ |
| نادرتان عن قوة حافظته | ٥٨٩ |
| ردوده العلمية | ٥٩٠ |
| ملاحظاته على الموسوعة الفقهية | ٥٩٠ |
| ملاحظاته على تفسير العلامة جمال الدين القاسمي | ٥٩١ |
| ملاحظاته على كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب) | ٥٩١ |
| ٣ ـ مشاركته في خدمة المجتمع وأعماله الدعوية | ٥٩٢ |
| أخلاقه العالية | ٥٩٢ |
| نكاته اللطيفة | ٥٩٣ |
| ردُّه على قانون الطوائف | ٥٩٣ |
| قانون الطوائف | ٥٩٣ |
| **الأستاذ عبدالقادر السَّبسبي، بقلم: محمد فؤاد قسطلي** | ٥٩٥ |
| من بقايا السلف الصالح | ٥٩٦ |
| في دار الأرقم | ٥٩٦ |
| العملُ الجادُّ الحثيث في الدعوة إلى الله | ٥٩٧ |
| من أساطين القانون والشريعة | ٥٩٧ |
| طلابه من القضاة والمحامين | ٥٩٨ |
| في ميادين الدفاع عن الشريعة | ٥٩٨ |
| **الأستاذ عبدالقادر السَّبسبي، بقلم ابنه: أنس السبسبي** | ٦٠٠ |

الموضوع — الصفحة


حَفْل نقابة المحامين التأبيني ........ ٦٠٠
ولادته ونشأته وطلبه العلم ........ ٦٠١
اشتغاله بالمحاماة ........ ٦٠٢
روح الدعابة الصافية ........ ٦٠٣
صلات كبار علماء العصر به ........ ٦٠٣
منتدى دار الأرقم ........ ٦٠٣
جمعية تعليم الأميين ........ ٦٠٣
دراسة مشروع قانون الأحوال الشخصية ........ ٦٠٤
أعماله الاجتماعية ........ ٦٠٤
رسالته في الردِّ على قانون الطوائف ........ ٦٠٤
المحامون الذين تمرَّنوا عنده ........ ٦٠٤
الداعية المصلح ........ ٦٠٥
ردوده على المستشرقين والحاقدين ........ ٦٠٥
وفاته رحمه الله تعالى ........ ٦٠٦
دعاء ورجاء ........ ٦٠٦
وصيته لأبنائه ........ ٦٠٧
**الأستاذ المحامي عبدالقادر السبسبي** ........ ٦٠٨
الحفل التأبيني في مقر نادي المحامين بحلب ........ ٦٠٨
كلمة المحامي طريف كيالي رئيس نادي المحامين ........ ٦٠٨
كلمة الأستاذ إحسان كيالي رئيس فرع نقابة المحامين بحلب ........ ٦٠٩
كلمة القاضي فؤاد القسطلي ........ ٦١٠
كلمة المحامي أسامة الصابوني ........ ٦١٠
كلمة أسرة الفقيد للمهندس أنس السبسبي ........ ٦١١
**الداعية المجاهد الأستاذ خالد الرّفاعي، بقلم: عمر عبيد حسنة** ........ ٦١٢
اهتمامه بالعمل الإسلامي رغم اشتداد وطأة المرض عليه ........ ٦١٣
شكره وصبره ........ ٦١٣
المرض درس كبير ........ ٦١٤




الموضوع — الصفحة


سفره إلى ألمانيا للعلاج ........ ٦١٤
مبعث سعادته وطمأنينته ........ ٦١٥
المسلم الداعية في كلِّ الأوقات ........ ٦١٥
أمله الكبير بالمستقبل لهذا الدين ........ ٦١٦
آلفٌ مألوف ........ ٦١٦
زهده في متاع الحياة الدنيا ........ ٦١٧
شجاعته وسرعة عودته إلى الحق ........ ٦١٧
التربية بالقدوة ........ ٦١٧
حياة الفقيد في سطور ........ ٦١٩
**مالك بن نبي.. الفيلسوف الرائد، بقلم: عمر مسقاوي** ........ ٦٢٠
قضيَّة المجتمع الإسلامي المعاصر ........ ٦٢١
من صفحة الأرقام إلى صفحة الفكر ........ ٦٢١
بناء الإنسان ........ ٦٢١
مقارنة بين طه حسين وابن نبي ........ ٦٢٢
الفكرة في المجتمع الإسلامي ........ ٦٢٣
عالم الأشياء وعالم الأفكار ........ ٦٢٤
قيام ألمانيا بنهضتها خلال عشر سنوات ........ ٦٢٥
**لمحات في وداع مالك بن نبي، بقلم: محمد منلا غزيل** ........ ٦٢٧
رسالة قلبية في وداع مالك بن نبي ........ ٦٢٧
لقائي بالأستاذ مالك بن نبيّ ........ ٦٢٨
أثره في بنيان الوعي الإسلامي المعاصر ........ ٦٢٨
تقبُّله النقد والنصح ........ ٦٢٩
بين سيد ومالك بن نبي ........ ٦٢٩
وختاماً يا أيتها الروح المؤمنة ........ ٦٢٩
**لمحة جديدة في ذكرى مالك بن نبي، بقلم: محمد منلا غزيل** ........ ٦٣١
التفريق بين صفة (المسلم) و(الإسلامي) ........ ٦٣١
ولادته ووفاته ........ ٦٣٢

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| إحياء ذكرى مالك بن نبي ودوره في النهضة الإسلامية المعاصرة | ٦٣٢ |
| إطفاء ضوء النهار على الشعوب المستيقظة | ٦٣٤ |
| الصِّراع العالمي بسبب الخلاف بين المذاهب والنُّظم | ٦٣٤ |
| **السيد محمد المكِّي الكتَّاني في ذمَّة الله، بقلم: عمر بهاء الأميري** | ٦٣٥ |
| شباب محمد ﷺ | ٦٣٦ |
| مؤتمر علماء بلاد الشام | ٦٣٦ |
| ألفة الأرواح المتعارفة | ٦٣٦ |
| زياراتي وصحبتي له | ٦٣٧ |
| آخر لقاء | ٦٣٧ |
| أثرُ نعيه | ٦٣٧ |
| تكريم العلم والعمل والجهاد | ٦٣٨ |
| مزاياه وسجاياه | ٦٣٨ |
| حَمْل أمانته وتحقيق رسالته | ٦٣٩ |
| تأبين الهضيبي ومالك بن نبي | ٦٣٩ |
| وفاة عدد من كبار العلماء العاملين المخلصين | ٦٣٩ |
| قوافل العلماء العاملين | ٦٤٠ |
| **الأستاذ إبراهيم أبا زيد رحمه الله شاب... ولكن!؟ بقلم: محمود مفلح** | ٦٤٢ |
| شاب لم يتجاوز الثلاثين | ٦٤٢ |
| دراسة الأدب العربي وتخرُّجه في جامعة دمشق | ٦٤٣ |
| وفاؤه بالوعد | ٦٤٣ |
| سفره في طلب العلم الشرعي | ٦٤٤ |
| صمته البليغ | ٦٤٤ |
| الثبات على الحق والجرأة فيه | ٦٤٥ |
| تواضعه الجمّ | ٦٤٥ |
| **الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة أبرز رجال الفقه الإسلامي المعاصرين للدكتور وهبة الزحيلي** | ٦٤٧ |
| أ ـ لمحات عن شخصيته | ٦٤٧ |



| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| ب ـ خصائص كتبه وأهميتها | ٦٤٨ |
| مجموعته التاريخية عن أئمة المذاهب | ٦٤٩ |
| دفاعه عن شريعة الإسلام | ٦٥٠ |
| تجديدُه في عرض الأحكام | ٦٥٠ |
| خصائص أخرى في كتب «أبو زهرة» | ٦٥١ |
| دعوته إلى الوحدة الجامعة | ٦٥١ |
| تنديده بالهدّامين | ٦٥٢ |
| ومضات من حياة (أبو زهرة) | ٦٥٣ |
| **الأستاذ العلامة الشيخ محمد أبو زهرة، بقلم: عدنان زرزور** | ٦٥٤ |
| نعيُ العلامة الشيخ أبو زهرة بين التَّصديق والشك | ٦٥٤ |
| التطواف في صفحات التاريخ | ٦٥٥ |
| وعيُ المؤرِّخين | ٦٥٥ |
| خواطر وذكريات عن (أبو زهرة) | ٦٥٥ |
| محاولة قراءة شخصية (أبو زهرة) | ٦٥٦ |
| لمحات من حياته | ٦٥٦ |
| إشرافه على عشرات رسائل الماجستير والدكتوراه | ٦٥٧ |
| أثر مدرسة القضاء الشرعيّ | ٦٥٧ |
| عاطف بك بركات | ٦٥٨ |
| كتبه في فروع الثقافة الإسلامية | ٦٥٨ |
| مقالاته وبحوثه | ٦٥٩ |
| شدَّة اعتزازه بكتابه عن الإمام الشافعي | ٦٦٠ |
| كلامه عن عصر كل مجتهد | ٦٦٠ |
| محاضرات في النصرانية | ٦٦٠ |
| عميد الفقهاء ومجتهد العصر | ٦٦١ |
| غزالي العصر | ٦٦١ |
| الكلمة عند الأستاذ أبي زهرة | ٦٦١ |
| الكلمة عند الأستاذ الشيخ مصطفى الزرقا | ٦٦٢ |

الموضوع — الصفحة


الكلمة عند الأستاذ السباعي ..... ٦٦٢
قدرة الأستاذ أبي زهرة على الخطابة في الفقه والقانون ..... ٦٦٢
مفتاح شخصيته: الكرامة والعزَّة ..... ٦٦٣
حبُّه لسعد زغلول وتأثُّره به ..... ٦٦٤
ذكريات وصور ..... ٦٦٥
عزمه على وضع كتاب في السيرة ..... ٦٦٥
من عالم التَّبعات والحقوق إلى عالم السؤال والملكوت ..... ٦٦٦
عمل ودأب وجهاد حتى آخر دقيقة ..... ٦٦٦
آخر كلماته المكتوبة ..... ٦٦٦
في صفحات التاريخ ..... ٦٦٧
**الحاج محمد أمين الحُسَيْني، بقلم التحرير ..... ٦٦٨**
ارتباط اسمه بقضية فلسطين ..... ٦٦٨
المعركة مع اليهود جهاد مقدس ..... ٦٦٨
تحذيره من خطر الحل السِّلمي ..... ٦٦٩
محاربة اليهود له ..... ٦٦٩
جهاد الحاج محمد أمين الحسيني ..... ٦٦٩
الفقيد في سطور ..... ٦٧٠
نبذة من آرائه وأقواله ..... ٦٧٣
**علال الفاسي كان الإسلام سيماءه وانتماءه، بقلم: عمر بهاء الدين الأميري ..... ٦٧٧**
حجم علال الفاسي في الزمان ..... ٦٧٧
صُوَر وعَبَرات ..... ٦٧٨
لقاءات ومشاركات ..... ٦٧٩
في مؤتمر القدس ..... ٦٧٩
مؤتمر مكة الذي انبثقت عنه رابطة العالم الإسلامي ..... ٦٧٩
في مجال العمل الإسلامي العام ..... ٦٨٠
موقفه من قضية الشهيد سيد قطب وإخوانه ..... ٦٨٠




الموضوع — الصفحة


الرجل الموسوعة ..... ٦٨١
حجمه في المكان ..... ٦٨١
رحلة دائبة على دروب المجد والجهاد ..... ٦٨١
الإسلامية الحيَّة الحركيَّة ..... ٦٨٢
نموذج من سلسلة الرجال في هذه الأمة ..... ٦٨٢
**الداعية المجاهد عبدالباسط عباس رحمه الله، بقلم: مصطفى البيراوي ..... ٦٨٤**
عِظَم خسارة الدعاة ..... ٦٨٤
جنازته المشهودة ..... ٦٨٥
مناقبه وأخلاقه ..... ٦٨٥
منهجه في الدعوة ..... ٦٨٦
حياة الفقيد في سطور ..... ٦٨٧
**في وداع عبدالباسط عباس، قصيدة للشاعر محمد منلا غزيل ..... ٦٨٨**
**الأستاذ جلال حسُّون، بقلم: إبراهيم عاصي ..... ٦٨٩**
الداعيةُ الصَّادقُ الصَّابرُ ..... ٦٨٩
ولادته ونشأته ودراسته ..... ٦٩٠
ممارسته المحاماة ..... ٦٩٠
رابطة أخوة في الله قوية متينة ..... ٦٩٠
شاب عصامي ..... ٦٩١
المعلم المربي ..... ٦٩١
المحامي المدافع عن المظلومين ..... ٦٩١
صبره على البلوى ..... ٦٩١
حَمْلُهُ مسؤولية الدعوة ..... ٦٩٢
**الأخ الحبيب محمد علي الدعَّاس، بقلم: عبدالنافع الرفاعي ..... ٦٩٣**
وفاة أستاذ عالم داعية ..... ٦٩٣
القائد العالم ..... ٦٩٤
من جنود الإسلام ..... ٦٩٤
حياته مع الناس ..... ٦٩٥

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| حميته وشجاعته | ٦٩٥ |
| الاشتراك في المصيبة بفقده | ٦٩٥ |
| **الشيخ أحمد عز الدين البيانوني، بقلم: عبدالله علوان** | ٦٩٦ |
| المزيَّة الأولى: الحرص التام على التزام السنة والتطبيق | ٦٩٧ |
| المزية الثانية: الدقة المتناهية في الإعداد والتكوين | ٦٩٨ |
| المزية الثالثة: المجاهرة بالحق أينما كان | ٦٩٨ |
| موقف بطولي عظيم | ٦٩٩ |
| حاجة العلماء والدعاة إلى التحقُّق بتلك المزايا الكريمة | ٦٩٩ |
| **الشيخ محمد سعدي الياسين، بقلم: مسلم الغنيمي** | ٧٠١ |
| أسلوبه في التربية | ٧٠١ |
| مكارم الأخلاق | ٧٠٢ |
| أسرة كريمة | ٧٠٣ |
| تربيته جيلاً يفهم حقيقة الإسلام ويلتزم تعاليمه | ٧٠٣ |
| سلوك طريق السلف الصالح | ٧٠٣ |
| خطَّاطٌ شاعرٌ | ٧٠٤ |
| مسرحية تاريخية في مدرسة المقاصد الخيرية | ٧٠٤ |
| كلب الروم | ٧٠٦ |
| عنايته بالشباب المؤمن وأثره في توجيههم | ٧٠٧ |
| **الشيخ محمد بهجة البيطار رحمه الله، بقلم: مسلّم الغنيمي** | ٧٠٨ |
| نعيُ العلامة محمد بهجة البيطار | ٧٠٨ |
| تشييعه وجنازته | ٧٠٨ |
| صدّ وإعراض ومُحَارَبة ثم إقبال ومحبة واعتزاز | ٧٠٩ |
| كثرة مُشيِّعيه | ٧٠٩ |
| زهده في المال ومحافظته على الصداقة | ٧١٠ |
| حرصه على الدرس وأسلوبه في عتاب طلابه | ٧١١ |
| قصة محمد الخضر حسين مع الطلبة المتأخرين عن حضور مجالس العلم | ٧١٢ |
| موقفه ممَّن يناوئه ويعاديه | ٧١٣ |





| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| رفقه بالموعظة وحُسْن أسلوبه فيها | ٧١٣ |
| ذكريات خمسين سنة | ٧١٤ |
| موجز عن حياته العلمية والعملية | ٧١٥ |
| وظائفه وأعماله | ٧١٥ |
| أهم رحلاته إلى البلاد العربية والأجنبية | ٧١٦ |
| مؤلفاته وما أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه | ٧١٧ |
| **العلامة المصلح محمد بهجة البيطار، بقلم: القاضي سعدي أبو جيب** | ٧١٨ |
| وَصْفُ البيطار لحال الأمة الإسلامية في عصره | ٧١٨ |
| دعائم الإصلاح عند الشيخ البيطار | ٧٢٠ |
| ١ ـ الدين | ٧٢٠ |
| واجب فقهاء الأمة | ٧٢١ |
| ٢ ـ المحبة | ٧٢٢ |
| ٣ ـ العلم | ٧٢٢ |
| عزوفه عن السياسة والأحداث العظام التي مرَّت بها الأمة | ٧٢٢ |
| دعوته إلى العلوم الدينيَّة والعصريَّة | ٧٢٣ |
| حثه على تعليم المرأة | ٧٢٤ |
| رده على من زعم أن حجاب المرأة وتعليمها لا يجتمعان | ٧٢٤ |
| اهتمامه بالمعلِّمين | ٧٢٥ |
| ٤ ـ العمل | ٧٢٦ |
| القوَّة والأمانة صفتان مترابطتان | ٧٢٦ |
| كلمة العلامة الإبراهيمي في وصف البيطار | ٧٢٦ |
| **الشيخ محمد سعيد المسعود: مفتي الباب، بقلم: حسن عبدالحميد** | ٧٢٨ |
| منزلة العلماء | ٧٢٨ |
| ستة في المدرسة الخسروية | ٧٢٩ |
| دروسه ونشره العلم | ٧٢٩ |
| إحياؤه رسالة المسجد | ٧٢٩ |
| تشجيعه طلاب العلم | ٧٢٩ |

الموضوع الصفحة

في دار الأرقم ..... ٧٢٩
نشاطه الاجتماعي ..... ٧٣٠
حُبُّه للشباب المسلم ..... ٧٣٠
جمعه بين العلم والسلوك ..... ٧٣١
سَعْيُه في بناء المساجد ..... ٧٣١
كرمه البالغ ..... ٧٣١
اهتمامه بدعوة النساء ..... ٧٣٢
اطلاعه على المجلات والكتب الإسلامية المعاصرة ..... ٧٣٢
منهجه في الفتوى ..... ٧٣٢
موقفه من خصومه ..... ٧٣٢
خبر وملاحظة ..... ٧٣٤
**الدكتور تيسير رمضان الحصَّاد، بقلم: محسن خرابة** ..... ٧٣٥
الفقيد في سطور ..... ٧٣٥
ولادته ونشأته ..... ٧٣٦
تعلُّق قلبه بالمساجد ..... ٧٣٦
تَحَسُّسه قضايا المسلمين ..... ٧٣٦
دراسته في كلية الطب ..... ٧٣٦
متابعته الاختصاص في طب الأطفال ..... ٧٣٧
وفاته بحادث سيارة ..... ٧٣٧
نقل جثمانه إلى بلده دير الزور ..... ٧٣٧
نفسٌ توَّاقة ..... ٧٣٨
دعاؤه بالشهادة في سبيل الله ..... ٧٣٩
قافلة الشهداء ..... ٧٤٠
أثره في ديار الغربة ..... ٧٤٠
ترفُّعه عن متاع الدنيا ..... ٧٤١
**الشيخ أحمد الدقر، بقلم: عبدالغني الدقر** ..... ٧٤٣
مرشد بلاد الشام الشيخ علي الدقر ..... ٧٤٣



الموضوع الصفحة

مَوْضع الشيخ أحمد الدقر من جهاد أبيه وإرشاده ..... ٧٤٤
بروز مظاهر التَّديُّن بين الناس ..... ٧٤٤
العدوُّ الأول والأمضى للمستعمر ..... ٧٤٥
دعوة الشيخ علي الدقر للجهاد وتحذيره من أعداء الدين والوطن ..... ٧٤٥
أثر دروس الشيخ علي الدقر ..... ٧٤٥
الجهاد في سبيل الله ..... ٧٤٦
صُحبته العلامة بدر الدين الحَسَني في رحلته إلى بلاد الشام للحثِّ على الجهاد ..... ٧٤٦
اندلاع ثورة سنة **١٩٢٥** ..... ٧٤٧
نَشْرُ العلم الشرعيِّ ..... ٧٤٧
إرسال الطلبة المرشدين إلى قرى دمشق ووصاياه لهم ..... ٧٤٧
فتح المدارس لأبناء المسلمين ..... ٧٤٨
ظهور الجمعية الغرَّاء ..... ٧٤٨
اهتمام الشيخ علي الدقر بابنه أحمد ..... ٧٤٩
أثر الشيخ أحمد الدقر في الجمعيَّة الغرَّاء ومعهدها الشرعي ..... ٧٤٩
صفاته الذاتيَّة ..... ٧٥٠
مَرَضُه وصبره ورضاه ..... ٧٥٠
**الدكتور محمد أمين المصري، بقلم: مجد مكي** ..... ٧٥١
ولادته ونشأته ودراسته ..... ٧٥١
دراسته وشيوخه ..... ٧٥١
عنايته بتدبّر سورة الأنفال ..... ٧٥٢
اهتمامه بالتربية ..... ٧٥٢
تعيينه ملحقاً ثقافياً للسفارة السورية بباكستان ..... ٧٥٢
حصوله على شهادة الدكتوراه من بريطانيا ..... ٧٥٣
إقامته في السعوديّة وتأسيسه قسم الدراسات العليا في مكّة المكرمة ..... ٧٥٣
أبرز كتبه ومؤلَّفاته ..... ٧٥٣
وفاته ..... ٧٥٤

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| **الشيخ زين العابدين الحسين التونسي، بقلم: علي الرضا التونسي** | ٧٥٥ |
| أسرة علم وعمل | ٧٥٥ |
| في جامع الزيتونة | ٧٥٦ |
| خروجه مع أسرته مهاجراً في سبيل الله إلى دمشق | ٧٥٦ |
| نشره العلم في مساجد دمشق | ٧٥٧ |
| جهاده العلمي في مدارس دمشق | ٧٥٧ |
| التوجيه والوعظ والإرشاد | ٧٥٧ |
| تأليفه «المعجم المدرسي» و«المعجم في النحو والصرف» | ٧٥٧ |
| مؤلفاته الكثيرة | ٧٥٨ |
| رثاء الأستاذ علي الرضا التونسي لأبيه | ٧٥٨ |
| **الشيخ محمد يوسُف البنُوري وجهوده العلمية، بقلم: عبدالعزيز عبدالجليل** | ٧٦٠ |
| نسبته وبيئته | ٧٦٠ |
| طلبه للعلم | ٧٦١ |
| مناصبه العلمية | ٧٦١ |
| ثناء العلامة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة على شيخه البنُوري | ٧٦١ |
| المُحدِّث المفسِّر | ٧٦٢ |
| العالم الفقيه | ٧٦٢ |
| الأديب الشاعر | ٧٦٣ |
| مؤلفاته | ٧٦٣ |
| دوره في الدعوة الإسلامية | ٧٦٤ |
| تأسيس جامعة العلوم الإسلامية بكراتشي | ٧٦٥ |
| وفاته ورثاؤه | ٧٦٥ |
| **المحدِّث الأديب السيد محمد يوسف البنوري الحسيني، بقلم: مجد مكي** | ٧٦٦ |
| سلالة دوحة مباركة | ٧٦٦ |
| مولده | ٧٦٦ |
| أسرته الراشدة | ٧٦٧ |





| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| نشأته العلمية ومراحل دراسته المختلفة | ٧٦٧ |
| نشاطُه المتنوِّع بعد التخرج | ٧٦٨ |
| أبرز مشايخ العصر الذين أجازوه في الحديث الشريف | ٧٦٩ |
| النشاط التدريسي والتلامذة | ٧٦٩ |
| أبرز الشخصيات التي استجازت من البنُوري في الحديث وعلومه | ٧٧٠ |
| تصانيفه | ٧٧١ |
| مناصبه وامتيازاته | ٧٧٢ |
| وفاته | ٧٧٣ |
| **الأستاذ محمد غسان المراد، بقلم: عبدالقادر حداد** | ٧٧٤ |
| ولادته ونشأته العلمية | ٧٧٥ |
| مزايا الفقيد رحمه الله تعالى | ٧٧٥ |
| أبيات الشاعر عبدالقادر حداد في رثائه | ٧٧٦ |
| **الشيخ محمد سيادي المراد، بقلم: محمد بشير المراد** | ٧٧٨ |
| المصيبة بفقد العلماء | ٧٧٨ |
| القاضي الفقيه | ٧٧٩ |
| ولادته ونشأته | ٧٧٩ |
| طلبه العلم | ٧٨٠ |
| في المدرسة الخسروية بحلب | ٧٨٠ |
| دراسته في كلية الشريعة بالأزهر | ٧٨١ |
| تعيينه قاضياً في الحسكة وتنقله في المحافظات السورية | ٧٨١ |
| تعيينه مديراً للتعليم الشرعي في سورية | ٧٨١ |
| انتقاله إلى دمشق ووفاته في بلدة حماة | ٧٨١ |
| علمه وأخلاقه | ٧٨٢ |
| **العلامة المجاهد الشيخ حسن حبنَّكة، بقلم: ولده عبدالرحمٰن حبنكة الميداني** | ٧٨٤ |
| العلامة المربّي المجاهد الربَّاني | ٧٨٤ |
| الفجيعة بموته | ٧٨٥ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| تشييع جنازته ودفنه في حُجْرة ملحقة بجامع الحسن | ٧٨٥ |
| انتصار الشيخ لقضية الإيمان وعصمته من مكايد أعدائه | ٧٨٥ |
| خروجه من السجن ومتابعته جهاده ودعوته | ٧٨٦ |
| ولادته وأسرته | ٧٨٦ |
| نشأته وعصاميّته | ٧٨٦ |
| تعلُّق قلبه بالعلم | ٧٨٦ |
| تلقيه العلم | ٧٨٧ |
| منهجه في دروسه وخطاباته | ٧٨٧ |
| مشاركته في الثورة السورية | ٧٨٧ |
| استئناف الجهاد العلمي | ٧٨٧ |
| النهضة التعليمية في دمشق | ٧٨٨ |
| مع الجمعية الغرَّاء | ٧٨٨ |
| انقطاعُ لحلقاته الخاصَّة في جامع منجك | ٧٨٨ |
| تأسيسه جمعية التوجيه الإسلامي | ٧٨٨ |
| طلاب معهد التوجيه الإسلامي | ٧٨٩ |
| مصادرة الجمعية والمعهد | ٧٨٩ |
| مشاركته في تأسيس رابطة العلماء في سورية | ٧٨٩ |
| مناصحته للحكام ومكافحته لأعداء الإسلام | ٧٩٠ |
| رثاء الشيخ عبدالرحمٰن حبنكة لأبيه | ٧٩١ |
| **الشيخ حسن حَبَنَّكة ظاهرة وتاريخ، بقلم: عدنان زرزور** | ٧٩٣ |
| من عالم الغيب إلى عالم الشهادة | ٧٩٣ |
| توديع تاريخ حافل | ٧٩٤ |
| الإحساس بمرارة فقده | ٧٩٥ |
| حياته للإسلام والمسلمين | ٧٩٥ |
| مراحل التاريخ المعاصر | ٧٩٥ |
| العلماء الأفذاذ الذين تأثر بهم | ٧٩٦ |
| عدم استفادة علماء الشام من تجربة الإمام محمد عبده | ٧٩٦ |





| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| العامل الأول: في التكوين العلمي للشيخ هو الأصالة والإحاطة بفروع العلم | ٧٩٧ |
| العامل الثاني: ظروف العمل الوطني والسياسي | ٧٩٧ |
| ذاكرته الهائلة ومعرفته العميقة | ٧٩٧ |
| دور العلماء في مقاومة الاستعمار | ٧٩٨ |
| التربية العملية العالية | ٧٩٨ |
| الأصالة العلميَّة | ٧٩٨ |
| الجهاد والعمل العام | ٧٩٩ |
| خطيب من طراز خاص | ٧٩٩ |
| بُعده عن الانفعاليَّة وسرعة التأثر والاستهواء | ٨٠٠ |
| إغراق العوام في حُبِّهم لا يفتح باب التجاوز عن الثوابت | ٨٠١ |
| حياته تلخيص لتاريخ البلاد المعاصر | ٨٠٢ |
| الاستجابة العفويَّة للشيخ من الجمهور | ٨٠٢ |
| الحاجة إلى تطوير الوسائل في العمل والإصلاح | ٨٠٣ |
| الحجم الحقيقي لدور الشيخ الاجتماعي والسياسي | ٨٠٣ |
| صلته واحتكاكه بالعاملين للإسلام | ٨٠٤ |
| الاختلاف في وجهات النظر مع القائمين على العمل الإسلامي | ٨٠٤ |
| سفينة النجاة في الساحة الإسلامية | ٨٠٥ |
| حرصه على كرامة الدين من أن تُذل أو تُهان | ٨٠٦ |
| بُعده عن المناصب الرسميَّة | ٨٠٦ |
| ظاهرة وتاريخ | ٨٠٧ |
| سجاياه النفسيَّة العالية | ٨٠٧ |
| **فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالعزيز عيون السود، بقلم: محمد علي مشعل** | ٨٠٩ |
| ولادته وأسرته ونشأته | ٨٠٩ |
| دراسته في دار العلوم الشرعيَّة بحمص | ٨١٠ |
| حفظه للقرآن وعبادته وعلمه | ٨١٠ |
| علوم القراءات | ٨١١ |

الموضوع | الصفحة


دار الإقراء بحمص ........ ٨١٢
علوم الحديث ........ ٨١٣
علم أصول الفقه والفقه والعربية ........ ٨١٣
علم التوحيد ........ ٨١٣
تحفّظه في الفتوى ........ ٨١٤
أخلاقه ........ ٨١٤
حُسْن خاتمته ........ ٨١٤
**الشيخ بكري رجب، بقلم: عبدالله علوان** ........ ٨١٧
خروجه للدعوة وجولاته المستمرة ........ ٨١٩
مجالس وعظه المؤثرة ........ ٨١٩
**الشيخ بكري رجب (عالم فقيه، شاعر أديب)، بقلم: فياض عبسو** ........ ٨٢١
نسبه ومولده ونشأته ........ ٨٢١
دراسته وشيوخه ........ ٨٢٢
أقرانه وأصدقاؤه ........ ٨٢٢
عمله ........ ٨٢٣
صفاته وأخلاقه ........ ٨٢٣
مؤلفاته وآثاره ........ ٨٢٤
كتبه المخطوطة ........ ٨٢٤
وفاته ........ ٨٢٥
**وفاة الأستاذ المودودي، بقلم التحرير** ........ ٨٢٦
تاريخ الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية ........ ٨٢٦
ولادته ونشأته وعمله في الصحافة ........ ٨٢٧
مجلة «ترجمان القرآن» ........ ٨٢٧
مشاركته في إعداد خطة الحكم الإسلامي لدولة باكستان ........ ٨٢٧
دعوة الأستاذ المودودي على صفحات مجلته ........ ٨٢٨
تأسيس الجماعة الإسلامية في باكستان ........ ٨٢٨
رئاسة الجماعة الإسلامية في باكستان ........ ٨٢٨




الموضوع | الصفحة


مطالبته بتنفيذ الدستور الإسلامي وتآمر الحكومة العسكريَّة عليه ........ ٨٢٩
استبدال حكم الإعدام بالسجن مدى الحياة ........ ٨٢٩
إطلاق سراحه ومساعيه في تحكيم الدستور الإسلامي ........ ٨٢٩
سفره إلى الأقطار الإسلامية ........ ٨٣٠
الحَظْر على الجماعة الإسلامية ........ ٨٣٠
أداء فريضة الحج وتعريفه بقضية كشمير ........ ٨٣٠
استقالته من رئاسة الجماعة الإسلامية وتفرغه للتأليف ........ ٨٣٠
مزاياه الشخصيَّة ........ ٨٣١
**الشيخ خيرو ياسين، بقلم: محمد عيد البغا** ........ ٨٣٢
مصيبة فقد العلماء ........ ٨٣٢
نبذة مختصرة عن حياته ........ ٨٣٣
تدريسه في معهد التوجيه الإسلامي ........ ٨٣٣
إقامته حلقات تحفيظ القرآن ........ ٨٣٤
استمراره على التدريس والتعليم في مرضه وشيخوخته ........ ٨٣٤
تيسيره العلم لطلابه ........ ٨٣٤
تواضعه وزهده ........ ٨٣٤
خدمته لأصحابه في رحلاته الكثيرة إلى الحج ........ ٨٣٥
**الأستاذ الكبير الشيخ محمد المبارك أبو هاشم العالم والداعية والمفكر،** ........ ٨٣٦
**بقلم: مصطفى الزرقا** ........ ٨٣٦
في مدرسة عنبر ........ ٨٣٧
في كلية الآداب في جامعة السوربون ........ ٨٣٧
أستاذ الأدب العربي في حلب ........ ٨٣٧
عودته إلى دمشق ونشاطه في الحقل الإسلامي ........ ٨٣٧
نجاحه في الانتخابات النيابية ........ ٨٣٨
المعركة بين الجبهة الإسلامية وخصومها ........ ٨٣٨
تسلُّمه منصب وزارة الأشغال العامة ........ ٨٣٨
الجبهة الإسلامية في مجلس النوَّاب ........

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|


مزايا الأستاذ محمد مبارك ........ ٨٣٩
مادة (نظام الإسلام) ........ ٨٣٩
إعادة النظر في علم الاجتماع ........ ٨٤٠
مواهب متنوِّعة ........ ٨٤١
تولِّيه عمادة كلية الشريعة في جامعة دمشق ........ ٨٤١
من شواهد حفظ الله تعالى لكتابه ........ ٨٤١
**الشيخ محمد صالح الفرفور مؤسس جمعية الفتح الإسلامي ونهضتها العلمية، بقلم: مجد مكي** ........ ٨٤٣
اسمه ونسبه ........ ٨٤٣
ولادته ونشأته ........ ٨٤٣
عمله وكسبه الدنيوي ........ ٨٤٤
صفاته الخِلْقيَّة والخُلقيَّة ........ ٨٤٤
مزاياه وخصائصه الذاتية ........ ٨٤٥
شيوخه وتحصيله العلمي ........ ٨٤٦
نهضته العلمية وتأسيسه جمعية ومعهد الفتح الإسلامي ........ ٨٤٧
نشاطه التعليمي ........ ٨٤٨
أهم الكتب التي أقرأها ........ ٨٤٨
أشهر تلاميذه ........ ٨٤٩
وظائفه الدينية ونشاطاته العلمية ........ ٨٥٠
أبرز مؤلفاته ........ ٨٥٠
أبرز تآليفه المخطوطة ........ ٨٥١
شعره ........ ٨٥١
من أشهر قصائده ........ ٨٥١
وفاته ........ ٨٥٢
**محمد أبو الفرج الخطيب الحَسَني الخطيب المؤرِّخ النسّابة، بقلم: مجد مكي** ........ ٨٥٤
ولادته ونشأته ودراسته ........ ٨٥٤




| الموضوع | الصفحة |
|---|---|


حضوره الحلقات العلميَّة في جامع بني أمية ........ ٨٥٥
مجالسته طبقة عالية من العلماء ........ ٨٥٥
خطيب جامع بني أمية ........ ٨٥٦
دراسته في الجامع الأزهر ........ ٨٥٧
أساتذته في الأزهر ........ ٨٥٧
أعماله العلمية والدعوية ........ ٨٥٧
مشاركته في الجمعيات العلمية ........ ٨٥٨
مشاركاته في المؤتمرات الإسلامية ........ ٨٥٨
انتسابه إلى كلية الشريعة ورحلته إلى الحجاز ونجد ........ ٨٥٩
ترشُّحه للمجلس النيابي وتعيينه مدرساً دينياً ........ ٨٥٩
عميد الجامع الأموي ........ ٨٥٩
عكوفه على كتب التاريخ والتراجم ........ ٨٦٠
مدير جمعية التمدن الإسلامية وجمعية التهذيب والتعليم ........ ٨٦٠
زيارته للحرمين الشريفين ومصر وحضوره موسم الحج ........ ٨٦٠
وفاته ........ ٨٦١
أخلاقه وسجاياه ........ ٨٦١
حُبُّه للحديث النبويِّ الشريف وإجازاته ........ ٨٦٢
تآليفه ........ ٨٦٣
أولاً: الجامع الأموي ........ ٨٦٤
ثانياً: آل البيت السادة الأشراف، وهو في ثمانية أقسام ........ ٨٦٤
ثالثاً: الأنساب ........ ٨٦٤
رابعاً: الخطب والكلمات ........ ٨٦٤
خامساً: كتب شتَّى ........ ٨٦٥
أولاده ........ ٨٦٥
**الشيخ عبدالله علوان العالم الداعية المربي، بقلم: مجد مكي** ........ ٨٦٦
ولادته ونشأته ........ ٨٦٦
في الثانوية الشرعية (الخسروية) ........ ٨٦٧

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| دراسته في الأزهر | ٨٦٧ |
| عمله في مجال التدريس والدعوة | ٨٦٨ |
| دروسه في جامع عمر بن عبدالعزيز وأبرز تلاميذه | ٨٦٨ |
| صلاته مع علماء سورية | ٨٦٩ |
| هجرته وإقامته بالسعودية وتدريسه بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة | ٨٦٩ |
| أخلاقه وصفاته | ٨٦٩ |
| مؤلفاته | ٨٧٠ |
| مرضه | ٨٧٠ |
| وفاته | ٨٧١ |
| **عمر بهاء الدين الأميري.. بقلم: باسل رفاعي** | ٨٧٢ |
| فقيد الأدب الإنساني والفكر الإسلامي | ٨٧٢ |
| ولادته وأسرته ودراسته | ٨٧٢ |
| إسهامه في انطلاق العمل الإسلامي المعاصر | ٨٧٣ |
| شاعر الإنسانيَّة المؤمنة | ٨٧٣ |
| **لمحات من حياة العلامة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، بقلم: مجد مكي** | ٨٧٥ |
| ولادته ونشأته ودراسته | ٨٧٥ |
| أبرز أساتذته في الثانوية الشرعية | ٨٧٥ |
| انتسابه إلى كلية الشريعة في الجامع الأزهر وأبرز شيوخه فيها | ٨٧٦ |
| دراسته خارج الأزهر بمصر وأبرز شيوخه | ٨٧٦ |
| تدريسه في ثانويات حَلب وتأليفه كتباً منهجية دراسيَّة | ٨٧٦ |
| انتخابه في المجلس النيابيّ وانتدابه للتدريس في كلية الشريعة بدمشق | ٨٧٧ |
| رحلته إلى الهند وباكستان وكثرة شيوخه | ٨٧٧ |
| انتقاله إلى السعودية وتدريسه في جامعة الإمام محمد بن سعود | ٨٧٧ |
| تعاقده مع جامعة الملك سعود بالرياض | ٨٧٨ |
| مشاركته في وضع مناهج دراسية | ٨٧٨ |
| انتدابُه أستاذاً زائراً لعدد من الجامعات | ٨٧٨ |
| مشاركاته في عدد من المؤتمرات والندوات | ٨٧٨ |





| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| خدماته العلمية وعضويته في عدد من المجامع العلمية | ٨٧٨ |
| مرضه ووفاته | ٨٧٩ |
| **العلامة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة قلَّ نظيره في علمه وأدبه، بقلم: حسن قاطرجي** | ٨٨٠ |
| لمحات من علمه وأدبه | ٨٨٠ |
| شواهد تفوّقه في العلم | ٨٨١ |
| كثرة شيوخه | ٨٨١ |
| كثرة الكتب التي خدمها | ٨٨٢ |
| حرصه على اقتناء الكتب ومعرفته الواسعة بمخطوطها ومطبوعها | ٨٨٢ |
| مكتبته الضخمة | ٨٨٣ |
| حرصه على تحقيق مسائل العلم وإتقان البحث | ٨٨٣ |
| تحسُّسه لأمانة العلم | ٨٨٤ |
| استفادته من وقته | ٨٨٤ |
| مزايا علمه | ٨٨٥ |
| **العلامة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة قلَّ نظيرُه في علمه وأدبه ـ ٢ ـ** | ٨٨٧ |
| اعتناؤه التامّ بالأدب تعليماً وتطبيقاً | ٨٨٨ |
| ١ ـ أدبه مع الله تعالى | ٨٨٩ |
| تحرّيه الشديد في العبارات التي تقال في جَنْب الله | ٨٩١ |
| تنبيه إلى كلمات لا يجوز أن تقال في حقِّ الله تعالى أو رسوله ﷺ | ٨٩١ |
| ٢ ـ أدبه مع العلماء | ٨٩١ |
| أدبه مع السلف الصالح وغَيْرته عليهم | ٨٩٢ |
| أدبه مع شيوخه | ٨٩٢ |
| أدبه مع شيخه مصطفى الزرقا | ٨٩٣ |
| تقبيله يد أهل العلم والفضل والصلاح | ٨٩٣ |
| غُرر الفوائد وروائع الحكايات في مقدمة «رسالة المسترشدين» | ٨٩٣ |
| ٣ ـ متفرّقات من أدبه المُدْهش | ٨٩٤ |
| حرصه على زيارة الدكتور محمد حميد الله وشكره على صنيعه القديم | ٨٩٤ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| زيارته للأخ حسن قاطرجي في بيته وتواضعه ولطفه | ٨٩٦ |
| نفرته من التوسُّع بالألقاب | ٨٩٦ |
| ذوقه الرفيع وحسُّه الرقيق | ٨٩٧ |
| **الشيخ عبدالرحمٰن الصوفي، بقلم: نبيل طويل** | ٨٩٨ |
| في الدراسة الابتدائية والمدرسة الرسميَّة | ٨٩٩ |
| في ثانوية التجهيز الرسمية وتفوُّقه وابتعاثه | ٨٩٩ |
| في أيام الانتداب الفرنسي | ٨٩٩ |
| تأثير الأستاذ محمد المبارك | ٩٠٠ |
| خلقه الرفيع وهمته العالية | ٩٠٠ |
| شهادة لله عزَّ وجل | ٩٠٠ |
| في ميادين الخير والبر | ٩٠١ |
| الشاعر الملتزم | ٩٠١ |
| افتقاد الأخ النصوح | ٩٠١ |
| **الشيخ عبدالرحمٰن الصوفي «رائدٌ من رُوَّاد العمل الإسلامي في سورية»، بقلم: عبداللطيف الهاشمي** | ٩٠٢ |
| ولادته وأسرته وتأسيسه أول عمل طلابيّ إسلاميّ في الساحل السوري | ٩٠٢ |
| تَفوُّقه في جميع مراحل دراسته | ٩٠٣ |
| دراسته بمصر وحصوله على شهادة الهندسة الزراعيَّة | ٩٠٣ |
| مشاركته في عدة مؤتمرات علمية وإنهاء خدماته بقرار تعسُّفي | ٩٠٣ |
| في أحضان الدعوة الإسلامية | ٩٠٣ |
| تأسيس العمل الإسلامي في الساحل السوري | ٩٠٤ |
| أخلاقه وسماته | ٩٠٤ |
| حفظه القرآن الكريم ونظمه الشعر | ٩٠٤ |
| زيارته ليلة وفاته | ٩٠٤ |
| شعره قبل الرحيل | ٩٠٥ |
| **علي الطنطاوي من حُماة الإسلام، بقلم: مجد مكي** | ٩٠٦ |
| حياته في سطور | ٩٠٧ |



| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| الطنطاويُّ الأديب والصَّحافي | ٩٠٨ |
| إقامته في مكة المكرمة وبرامجه الإذاعية والتلفزيونية | ٩٠٩ |
| مؤلَّفات الطنطاوي وآثاره | ٩١٠ |
| موهبته النادرة وأسلوبه الفريد | ٩١٠ |
| رسائل في سبيل الإصلاح | ٩١١ |
| رسائل سيف الإسلام والهيثميات | ٩١٢ |
| أسماء كتبه وتاريخ صدورها | ٩١٢ |
| ذكريات علي الطنطاوي | ٩١٣ |
| الفتاوى والمقدِّمات | ٩١٣ |
| تراث الشيخ المكتوب والمسموع والمرئي | ٩١٤ |
| **علي الطنطاوي... ومجالسه المباركة، بقلم: مجد مكي** | ٩١٥ |
| ذكريات ولقاءات | ٩١٥ |
| موسوعة معارف متنوّعة | ٩١٥ |
| الطنطاوي المربي | ٩١٦ |
| الطنطاوي المعلم | ٩١٦ |
| الطنطاوي الداعية | ٩١٦ |
| الطنطاوي الفقيه | ٩١٦ |
| الطنطاوي الأديب | ٩١٦ |
| الطنطاوي الإعلامي | ٩١٧ |
| صحبتي للشيخ ـ رحمه الله ـ | ٩١٧ |
| صحبة عدد من الأعلام في مجلسه | ٩١٧ |
| مجمعٌ علميٌّ وندوةٌ أدبيّة | ٩١٨ |
| ذاكرةٌ ثرّة وتاريخٌ شاهد | ٩١٩ |
| هموم المسلمين وقضايا الأمّة | ٩٢١ |
| مدرسةٌ علميّةٌ حافلة | ٩٢١ |
| وَهْن الشيخوخة | ٩٢٢ |
| من حُماة الإسلام | ٩٢٢ |

الموضوع | الصفحة

**الشيخ مصطفى الزرقا أستاذ جيل وإمام عصر، بقلم: أحمد الحجي الكردي** ............ ٩٢٤
اطلاعه على العلوم القانونية واضْطلاعه بتدريسها ............ ٩٢٥
دراسة أكثر كتبه وتدريسها ............ ٩٢٥
اللبنة الأولى في صرح الموسوعة الفقهية ............ ٩٢٦
منهجه في الفقه والفتوى ............ ٩٢٦
طَرَفٌ من أخباره الأُسريَّة رحمه الله تعالى ............ ٩٢٧
آثاره العلمية ـ رحمه الله تعالى ـ ............ ٩٢٨
نماذج من فتاوى الشيخ مصطفى الزرقاء ـ رحمه الله ـ ............ ٩٢٩
مشكلة في الحجاب لدى أجنبيات يعتنقن الإسلام؟ ............ ٩٢٩
العيوب التي يجب ذكرها للخاطب ............ ٩٣٠
موقف الإسلام من تحديد النَّسل ............ ٩٣٠
حكم مشاركة غير المسلم أو مَنْ في ماله ربا ............ ٩٣١
**الشيخ مصطفى الزرقا الفقيه النابغة، بقلم: مجد مكي** ............ ٩٣٣
بين الشيخين الزرقا والطنطاوي ............ ٩٣٣
تعزية الزرقا بصديقة الطنطاوي ............ ٩٣٤
البيئة العلمية الصَّالحة ............ ٩٣٤
تلقِّيه العلم على كبار علماء بلده ............ ٩٣٥
دراسته العصريَّة ............ ٩٣٥
تدريسه في عدد من المدارس والجامعات ............ ٩٣٦
تحقيقاته ومؤلفاته ............ ٩٣٧
مواهبه الأدبية وملكته الشعرية ............ ٩٣٨
مشاركته في المجامع الفقهيَّة والعلميَّة ............ ٩٣٨
جائزة الملك فيصل العالمية ............ ٩٣٩
كثرة أسفاره وتعدُّد رحلاته ............ ٩٣٩
نشاطاته الدعويَّة وجهوده الإصلاحيَّة ............ ٩٤٠
في ميادين العمل السياسي ............ ٩٤٠



الموضوع | الصفحة

إيثاره العلم والدراسة ............ ٩٤٠
لقاءاتي بالشيخ الزرقا ............ ٩٤١
**الشيخ عطية محمد سالم المفسّر الفقيه الواعظ، بقلم: مجد مكي** ............ ٩٤٢
المفسّر الفقيه المدرِّس في المسجد النبويّ ............ ٩٤٢
ولادته ونشأته وقدومه إلى المدينة المنورة ............ ٩٤٣
دراسته في المسجد النبويّ وأشهر شيوخه ............ ٩٤٣
انتسابه إلى المعهد العلمي في الرياض وتخرجه في كليّتي اللغة العربية والشريعة ............ ٩٤٣
صلته بشيخه محمد الأمين الشنقيطي ............ ٩٤٤
أعماله ووظائفه ............ ٩٤٤
تدريسه بالمسجد النبويّ ............ ٩٤٤
دروسه اليومية في شهر رمضان ............ ٩٤٥
مؤلَّفاته ............ ٩٤٥
كتبه المُهيَّأة للطباعة ............ ٩٤٦
**أبو الحسن الندوي داعية عالمي من الطراز الرفيع، بقلم: حسن قاطرجي** ............ ٩٤٨
اللقاء بالندوي بصحبة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة ............ ٩٤٨
ندوة العلماء ............ ٩٤٩
نسبه وأسرته ............ ٩٤٩
ولادته ووالداه ............ ٩٤٩
تدريسه وتأليفه ............ ٩٥٠
وظائفه ومناصبه العلمية ............ ٩٥٠
تأسيسه ورئاسته لعدد من المراكز والمجامع العلمية ............ ٩٥١
رحلاته الدعوية ............ ٩٥١
مواهبه المتعدِّدة ............ ٩٥٢
المفكر الإسلامي ............ ٩٥٢
الداعية الموهوب ............ ٩٥٢
صفات الداعية القائد ............ ٩٥٢

الموضوع — الصفحة

العالم الربَّاني .......... ٩٥٣
وفاته وحُسْن خاتمته .......... ٩٥٣
**محمد مجاهد شعبان العالم الداعية المجاهد، بقلم: عائشة خياط** .......... ٩٥٤
ولادته ونشأته ودراسته .......... ٩٥٤
أعماله ووظائفه .......... ٩٥٤
أعماله العلميّة .......... ٩٥٥
حرصه على مشافهة العلماء والتلقِّي عنهم .......... ٩٥٥
صبره على طلب العلم وتنوُّع معارفه .......... ٩٥٦
أخلاقه وصفاته .......... ٩٥٦
شيوخه وأساتذته .......... ٩٥٧
إجازاته العلمية .......... ٩٥٧
وفاته .......... ٩٥٨
**الآثار العلمية والأدبية للأستاذ محمد مجاهد شعبان، بقلم: عبدالرحمن الحاج إبراهيم** .......... ٩٥٩
أولاً ـ الدراسات والبحوث .......... ٩٥٩
ثانياً ـ رسائل نادرة .......... ٩٦١
ثالثاً ـ كتب لم تكتمل .......... ٩٦١
رابعاً ـ في مجال التحقيق .......... ٩٦١
خامساً ـ المقالات والمحاضرات .......... ٩٦٢
**الشيخ عبدالله سراج الدين العلامة الربَّاني المربِّي، بقلم: محمد عوامة** .......... ٩٦٤
العالم العامل الربَّاني .......... ٩٦٤
ولادته ونشأته العلمية .......... ٩٦٤
توجُّهه إلى حفظ الحديث الشريف .......... ٩٦٥
دروسه العامَّة في مساجد حلب .......... ٩٦٥
إنتاجه العلميّ الواسع .......... ٩٦٥
شاهدا العدل من الكتاب والسنة .......... ٩٦٦
منهجه في دروسه العامة .......... ٩٦٦



الموضوع — الصفحة

منحة إلهية وقدوة محمديَّة .......... ٩٦٦
وفاته ودفنه .......... ٩٦٧
مجالسه التفسيرية لبعض الآيات القرآنية .......... ٩٦٧
إهداء الشيخ محمد عوامة تحقيق كتاب «القول البديع» لشيخه السراج .......... ٩٦٨
**الشيخ عبدالله سراج الدين، بقلم: بكري الشيخ أمين** .......... ٩٦٩
دور العلماء في الأمة .......... ٩٦٩
عالم من بلدي .......... ٩٧٠
اقتداؤه برسول الله ﷺ .......... ٩٧٠
عالم عامل .......... ٩٧٠
ولادته ونشأته العلميَّة .......... ٩٧٠
في مكتب الشيخ عبدالوهاب المصري ثم المدرسة الخسروية .......... ٩٧١
عنايته بالحديث النبوي والعلوم الشرعية .......... ٩٧١
وظائفه .......... ٩٧١
تدريسه في المدرسة الخسرويَّة .......... ٩٧١
في المدرسة الشعبانية .......... ٩٧٢
إجازاته العلمية .......... ٩٧٢
حكمته العلميّة والتربويّة والدعويّة .......... ٩٧٢
دروسه ومصنَّفاته .......... ٩٧٢
إقبال الناس على كتبه .......... ٩٧٤
دروسه في جامع بنقوسا بعد عصر الجمعة .......... ٩٧٤
عزلته عن الناس .......... ٩٧٥
الدمعة الحرّى .......... ٩٧٥
في موكب الوداع .......... ٩٧٥
**عبدالغني الدقر النَّحوي الفقيه والمؤرِّخ الأديب، بقلم: مجد مكي** .......... ٩٧٦
مولده ونشأته .......... ٩٧٦
في المدرسة التجارية .......... ٩٧٧
عكوفه على قراءة كتب المنفلوطي .......... ٩٧٧

الموضوع | الصفحة

مطالعة كتب الأقدمين ........ ٩٧٧
دروسه في جامع السنانية بدمشق ........ ٩٧٧
دروسه في مسجد العدّاس ........ ٩٧٨
نبوغه المبكِّر ........ ٩٧٨
ثناء الشيخ الطنطاوي عليه ........ ٩٧٨
شيوخه ........ ٩٧٩
مطالعته مع أقرانه ........ ٩٧٩
مطالعته ومكتبته ........ ٩٧٩
تعقباته واستدراكاته وتصحيحاته ........ ٩٨٠
آراؤه في دراسة العلوم الشرعيَّة ........ ٩٨٠
مروياته ........ ٩٨١
الوظائف التي تولاها، والأعمال التي شغلها ........ ٩٨١
رحلاته ........ ٩٨٢
حِلْيته ........ ٩٨٢
وفاته ........ ٩٨٢
تعريف بمؤلَّفاته ........ ٩٨٢
أ ـ في مجال العلوم والدِّراسات الإسلامية ........ ٩٨٣
ب ـ في مجال العلوم العربية ........ ٩٨٣
ج ـ في مجال التاريخ والتراجم ........ ٩٨٣
د ـ المقالات ........ ٩٨٤
**الفقيه الكبير أحمد فهمي أبو سُنَّة، بقلمه** ........ ٩٨٥
هذه رحلتي وهذا عطائي.. ........ ٩٨٥
في رحاب الأزهر الشريف ........ ٩٨٥
تطوير منهج الأزهر ........ ٩٨٦
في التعليم العالي ........ ٩٨٦
التحاقه بكلية الآداب بجامعة القاهرة ........ ٩٨٧
عودته للأزهر وتفرغه للدراسة الشرعية ........ ٩٨٧



الموضوع | الصفحة

افتتاح الكليات الأزهرية النظامية ........ ٩٨٧
التحاقه بكلية الشريعة ........ ٩٨٧
أساتذته في هذه المرحلة ........ ٩٨٨
نظام الإصلاح بالأزهر ........ ٩٨٨
أول دكتوراه في الأزهر ........ ٩٨٨
نظام امتحان العالمية ........ ٩٨٩
لجنة تقويم المحاضرة العامة وامتحان التعيين ........ ٩٨٩
مناقشة رسالة الدكتوراه ........ ٩٩٠
التدريس بالجامعات العربية ........ ٩٩١
عنايته بالدراسات الشرعية المختلفة ........ ٩٩١
عضو مجمع البحوث الإسلامية ........ ٩٩١
مظاهر التكريم ........ ٩٩١
عضو مجمع الفقه التابع لرابطة العالم الإسلامي ........ ٩٩٢
أهمية المجامع العلمية ........ ٩٩٢
نشاطه في مجمع البحوث الإسلامية ........ ٩٩٢
موقفه من التأمين التجاري ........ ٩٩٣
مؤلفات وبحوث ........ ٩٩٣
محاضراته عن «حقوق المرأة في الإسلام» ........ ٩٩٣
مقالاته في المجلات ........ ٩٩٤
أحاديثه الإذاعية ........ ٩٩٤
منهجه في البحث ........ ٩٩٤
جبهة علماء الأزهر والشيخ أبو زهرة ........ ٩٩٤
إشرافه على عدد كبير من الرسائل الجامعية ........ ٩٩٥
مواقف وذكريات لا تنسى ........ ٩٩٦
أمنيته الخاصَّة والعامَّة ........ ٩٩٦
**أحمد فهمي أبو سُنَّة بين العلم والحياة... سيرة موجزة لعالم، بقلم: وفاء سعداوي** ........ ٩٩٧

الموضوع — الصفحة

فَقْد الأعلام ........ ٩٩٧
رحيل العلامة الأصولي ........ ٩٩٧
كتابه «العرف والعادة» ........ ٩٩٨
الوسيط في أصول الفقه ........ ٩٩٨
أهمية تيسير علوم الدين ........ ٩٩٩
صلته بكتب الإمام ابن الهمام ........ ٩٩٩
جمعه في كتابته الأصولية بين طريقتي الحنفية والشافعية ........ ٩٩٩
في دمشق الفيحاء ........ ١٠٠٠
مكتبته الحافلة ........ ١٠٠٠
زهده في المناصب ........ ١٠٠١
تفرغه للتعليم وتخريج الأجيال من طلاب العلم ........ ١٠٠١
طلابه الأتراك ........ ١٠٠١
عطفه على تلاميذه ........ ١٠٠١
صلته ببلدته وأعماله وآثاره ........ ١٠٠٢
رابطة آل أبو سنة ........ ١٠٠٢
تعليمه وتربيته لأسرته ........ ١٠٠٣
**الشيخ عبدالرحمٰن حبنكة الميداني العلامة المفكِّر المفسِّر، بقلم: مجد مكي** ........ ١٠٠٤
ولادته ونشأته ........ ١٠٠٤
معهد التوجيه الإسلامي مؤسسة علميّة جامعة ........ ١٠٠٥
متابعة الدراسة والتحصيل ........ ١٠٠٥
تدريسه في ثانويات دمشق، وتسلّمه مديريّة التعليم الشرعيّ ........ ١٠٠٦
إقامته في المملكة العربية السعودية، وتدريسه الجامعي ........ ١٠٠٦
نشاطاته العلميّة والدعويّة والإعلاميّة ........ ١٠٠٦
إنتاجه العلميّ ........ ١٠٠٧
من نتاجه المطبوع ........ ١٠٠٧
أولاً ـ سلسلة في طريق الإسلام ........ ١٠٠٧
ثانياً ـ دراسات قرآنية ........ ١٠٠٧



الموضوع — الصفحة

ثالثاً ـ سلسلة أعداء الإسلام ........ ١٠٠٧
رابعاً ـ سلسلة من أدب الدعوة الإسلامية ........ ١٠٠٧
خامساً ـ كتب متنوعة ........ ١٠٠٨
من أهم آثاره العلمية النافعة ........ ١٠٠٨
مدرسة علميّة متميزة ........ ١٠٠٨
زهده في المناصب ........ ١٠٠٩
بُعده عن الشهرة وحب العاجلة ........ ١٠١٠
حبه المناقشة والحوار العلمي ........ ١٠١٠
تعرّفي عليه وصلتي به ........ ١٠١١
عودته إلى دمشق ........ ١٠١٢
إتمامه تفسير السور المكيّة ........ ١٠١٢
جنازته ........ ١٠١٣
**الشيخ الدكتور ناجي عَجَم، بقلم: مجد مكي** ........ ١٠١٤
اسمه وولادته ........ ١٠١٤
دراسته ........ ١٠١٤
شيوخه ........ ١٠١٥
مؤهّلاته العلميَّة ........ ١٠١٥
أبرز أعماله العلميّة ........ ١٠١٥
مؤلفاته ومقالاته ........ ١٠١٦
أعماله ومؤلفاته فيما يخصُّ الأوقاف الإسلامية ........ ١٠١٦
أخلاقه وصفاته ........ ١٠١٧
مرضه ووفاته ........ ١٠١٧
**الشيخ الدكتور مصطفى سعيد الخن العالم المربِّي الأصولي الفقيه اللغوي، بقلم: مجد مكي** ........ ١٠١٨
اسمه ونسبه ونشأته ........ ١٠١٨
تعرفه على الشيخ حسن حبنكة الميداني ........ ١٠١٩
دراسته بالقسم المسائي ثم النهاري في جامع منجك ........ ١٠١٩

الموضوع | الصفحة


أول طالب علم ينبغ في (آل الخن) ........ ١٠١٩
سيرته العلمية ........ ١٠٢٠
صناعة الشخصية العلمية للشيخ مصطفى الخن ........ ١٠٢٠
العلماء الربانيون الذين زارهم وجلس إلى دروسهم ........ ١٠٢١
العلوم التي بَرَع فيها ودرَّسها ........ ١٠٢١
السفر إلى مصر (الإجازة في الشريعة من الأزهر) ........ ١٠٢٢
شيوخه في مصر ........ ١٠٢٢
العمل في وزارة التربية مدرساً ........ ١٠٢٢
التدريس في جامعة دمشق ........ ١٠٢٢
الإعارة إلى السعودية وصحبته لعدد من العلماء ........ ١٠٢٣
حصوله على شهادة (الدكتوراه) ........ ١٠٢٣
التعيين في جامعة دمشق ........ ١٠٢٣
التعاقد مع السعودية ........ ١٠٢٤
العودة إلى دمشق ........ ١٠٢٤
تدريسه في قسم الدراسات العليا في مجمع أبي النور وقسم التخصُّص في معهد الفتح ........ ١٠٢٤
غرفته الخاصَّة في جامع الدقاق ........ ١٠٢٥
تعريف بمؤلَّفاته ........ ١٠٢٥
المؤلَّفات الخاصَّة ........ ١٠٢٥
المؤلَّفات المشتركة ........ ١٠٢٦
التَّحقيقات الخاصَّة ........ ١٠٢٧
التَّحقيقات المشتركة ........ ١٠٢٧
وفاته وحُسْن خاتمته ........ ١٠٢٨
**الشيخ محمد الحجار العابد الزاهد، بقلم: مجد مكي** ........ ١٠٣٠
ولادته ونشأته ودراسته ........ ١٠٣٠
المعهد الشرعيّ في المدرسة الشعبانية ........ ١٠٣٠
مدير المعهد الشرعي الشيخ: عبدالله سلطان ........ ١٠٣١




الموضوع | الصفحة


شيوخه ........ ١٠٣١
إمامته وخطابته في جامع الزكي بحلب وطلابه الذين قرؤوا عليه وصحبوه ١٠٣٢
صحبته للشيخ البيانوني ومصاهرته ........ ١٠٣٢
أولاده ........ ١٠٣٣
محنته وهجرته إلى المدينة المنورة ........ ١٠٣٣
ملازمته للمسجد النبويّ ........ ١٠٣٣
حرصه على صلاة الجماعة ........ ١٠٣٤
منهجه في العبادة ........ ١٠٣٤
شجاعته وجهره بالحق ........ ١٠٣٥
الدعوة إلى الجهاد والاستعداد ........ ١٠٣٥
اهتمامه بقضية فلسطين ........ ١٠٣٦
تحذيره من الردة ........ ١٠٣٦
تحذيره من الحزبيات المُشَتِّتة للأمة ........ ١٠٣٦
تحذيره من الدعوات الضالة الوافدة ........ ١٠٣٧
تحذيره من انحراف الحكام والقيادات ........ ١٠٣٨
تحذيره من دسائس الأعداء وإثارة عوامل الفرقة ........ ١٠٣٨
منهجه الإصلاحي والدعوي ........ ١٠٣٩
دعوته لترك الإكثار من حج النافلة ........ ١٠٣٩
عنايته بشأن الأسرة والمرأة ........ ١٠٣٩
مؤلفاته وتحقيقاته ........ ١٠٤٠
تلاميذه في المدينة المنورة ........ ١٠٤٠
وفاته ........ ١٠٤١
تحقيق أمنيته ........ ١٠٤١
**الشاعر الإسلامي الأديب المفسِّر محمد الحسناوي، بقلم: مجد مكي** ........ ١٠٤٣
ولادته ونشأته ودراسته ........ ١٠٤٣
أعماله العلميّة ........ ١٠٤٤
كلمته حول تفسيري «المُعين» ........ ١٠٤٤

الموضوع — الصفحة

وحدة الآية وعلاقتها بما قبلها وما بعدها ........ ١٠٤٦
دلالة التعقيب في آخر الآية ........ ١٠٤٦
الاهتمام بأسلوب الالتفات في القرآن ........ ١٠٤٧
جوانب التوفيق في تفسير (المعين) ........ ١٠٤٨
مرضُه ووفاته ........ ١٠٤٩
**الشيخ صادق حبنكة الميداني عالم فقدناه، بقلم: مجد مكي** ........ ١٠٥٠
ولادته ........ ١٠٥٠
زواجه ونشأته ........ ١٠٥٠
صفاته ومواهبه ........ ١٠٥١
نماذج من أدبه ........ ١٠٥١
دراسته ومطالعاته ودروسه ........ ١٠٥٢
وفاته ........ ١٠٥٢
**الشيخ أحمد قلاش عالم عامل فقيه نحوي، بقلم: مجد مكي** ........ ١٠٥٣
ولادته ونشأته ........ ١٠٥٣
تلقِّيه العلوم الشرعية ........ ١٠٥٤
حصوله على الدرجة الأولى في المدرسة الخسروية ........ ١٠٥٥
في ميادين العمل والدعوة والتربية ........ ١٠٥٥
هجرته إلى المدينة المنورة ........ ١٠٥٦
حبه للمطالعة ........ ١٠٥٦
أسلوبه في التعليم ........ ١٠٥٧
كتبه ورسائله ........ ١٠٥٧
أ ـ الكتب العلمية ........ ١٠٥٨
ب ـ الرسائل التوجيهية ........ ١٠٥٨
ج ـ القصص التربوية للأطفال والكبار ........ ١٠٥٨
أخلاقه وصفاته ........ ١٠٥٨
صفاته الخِلْقية ........ ١٠٥٩
مرضه ووفاته ........ ١٠٥٩



الموضوع — الصفحة

**العالم البحّاثة الداعية المفكِّر هاني الطايع، بقلم: مجد مكي** ........ ١٠٦٠
لمحات من حياته ........ ١٠٦٠
صلتي به ........ ١٠٦١
لقاءات في جُدة وشدة حبه للكتب ........ ١٠٦١
إقامته في قطر وصلاته العلمية والدعوية ........ ١٠٦١
زيارتي له في بيته بقطر ........ ١٠٦٢
آخر لقاء ........ ١٠٦٢
كنوز علمية وأدبية ........ ١٠٦٢
كلمة الدكتور القرضاوي في رثائه ........ ١٠٦٣
رثاء الأخ الشاعر الأستاذ سليم زنجير ........ ١٠٦٤
**وداعا... أبا ربيع، بقلم: عدنان زرزور** ........ ١٠٦٥
من صفات أبي ربيع ........ ١٠٦٥
أثره في مناهج اللغة والأدب ........ ١٠٦٦
إدارته تحرير جريدة (اللواء) الدمشقية ........ ١٠٦٦
أثره في التربية والتعليم في قطر ........ ١٠٦٧
حياته لدينه ودعوته ........ ١٠٦٧
إمدادي بالمصادر عن الأستاذ مصطفى السباعي ........ ١٠٦٨
مكتبته الضخمة ........ ١٠٦٨
**العَالِم الصَّالح المقرئ الشيخ عبدالغفار الدروبي، بقلم: مجد مكي** ........ ١٠٦٩
تشييع جنازته ........ ١٠٧٠
لمحات من حياته ........ ١٠٧١
إقامته بمكة المكرمة وتدريسه بجامعة أم القرى ........ ١٠٧١
أخلاقه وسماته ........ ١٠٧٢
**الشيخ عبدالغفار الدروبي، بقلم تلميذه: محمد ياسر مسدي** ........ ١٠٧٤
المصاب بفقد العلماء ........ ١٠٧٥
ثُلَّةٌ مباركة من علماء حمص ........ ١٠٧٥
بقية السلف الصالح ........ ١٠٧٦

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| في مسجد الدعوة | ١٠٧٦ |
| عنايته بالشباب | ١٠٧٧ |
| في المعهد الشرعي | ١٠٧٧ |
| الجانب الدعوي والتربوي | ١٠٧٧ |
| العالم المعلم والصابر المحتسب | ١٠٧٨ |
| **الفهرس الإجمالي** | **١٠٨١** |
| **الفهرس التفصيلي** | **١٠٨٧** |

❑ ❑ ❑ ❑ ❑

## هذا الكتاب

يضمُّ هذا الكتاب التراجم التي نُشرت في ركن «رجل فقدناه» من مجلة «حضارة الإسلام» الدمشقيَّة التي صدرت خلال عشرين عاماً (١٣٨٠ ـ ١٤٠٠)، وقدّم المحقِّق للكتاب بمقدمة وافية تُعرِّف بالمجلة، وتلقي الضوء على أهم موضوعاتها وأبرز كُتَّابها.

وقد استقصى جميع التراجم الواردة في ركن «رجل فقدناه»، التي تزيد على ستين ترجمة، وأضاف إليها عدداً ممَّن تقدَّمت وفاتهم عن تاريخ صدور المجلة الذين نُشرت تراجمهم فيها، كما أضاف عدداً وافياً من التراجم في النطاق الزمني لصدور المجلة وبعد توقُّفها حتى سنة ١٤٣٠، تقارب أربعين ترجمة أكثرها بقلم المحقق وتحريره، وعُني بتصحيح الكتاب وترقيمه، ووضع العناوين الجانبيَّة الكثيرة التي تضيء الطريق للقارئ، ونشر الكثير من الفوائد في حواشي الكتاب، وحرص على نشر صور المتَرجَمين الذين نُشرت صورهم في المجلة، وأضاف عدداً من الصور النادرة والخطوط الجميلة، وقد بذل جهده في تقديم الكتاب بأحسن مضمون وأجمل صورة.

فشكر الله للمحقِّق جزاء ما قدَّم من وقت في جمع هذه المادة النادرة، وأحسن إليه كفاء تعريفه بهؤلاء الرجال ونشره لمآثرهم، وإشادته بجهودهم، وجمعه لما تفرَّق من أخبارهم، وأجزل له الأجر والمثوبة لخدماته المتنوِّعة للكتاب، وتقديمه له بمقدمة وافيةٍ وإضافات كثيرة نافعة.

# رجال فقدناهم

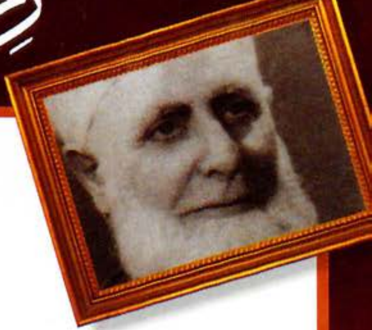

## هذا الكتاب

يضمُّ هذا الكتاب التراجم التي نُشرت في ركن «**رجل فقدناه**» من مجلة «**حضارة الإسلام**» الدمشقيَّة التي صدرت خلال عشرين عاماً (1380 ـ 1400)، وقدَّم المحقِّق للكتاب بمقدمة وافية تُعرِّف بالمجلة، وتلقي الضوء على أهم موضوعاتها وأبرز كُتَّابها.

وقد استقصى جميع التراجم الواردة في ركن «**رجل فقدناه**»، التي تزيد على ستين ترجمة، وأضاف إليها عدداً ممَّن تقدَّمت وفاتهم عن تاريخ صدور المجلة الذين نُشرت تراجمهم فيها، كما أضاف عدداً وافياً من التراجم في النطاق الزمني لصدور المجلة وبعد توقُّفها حتى سنة 1430، تقارب أربعين ترجمة أكثرها بقلم المحقق وتحريره، وعُني بتصحيح الكتاب وترقيمه، ووضع العناوين الجانبيَّة الكثيرة التي تضيء الطريق للقارئ، ونشر الكثير من الفوائد في حواشي الكتاب، وحرص على نشر صور المتَرجَمين الذين نُشرت صورهم في المجلة، وأضاف عدداً من الصور النادرة والخطوط الجميلة، وقد بذل جهده في تقديم الكتاب بأحسن مضمون وأجمل صورة.